سكب العبرات

للموت والقبر والسكرات

تأليف

سيد بن حسين العفاني

قدم له

الشيخ أبو بكر الجزائري

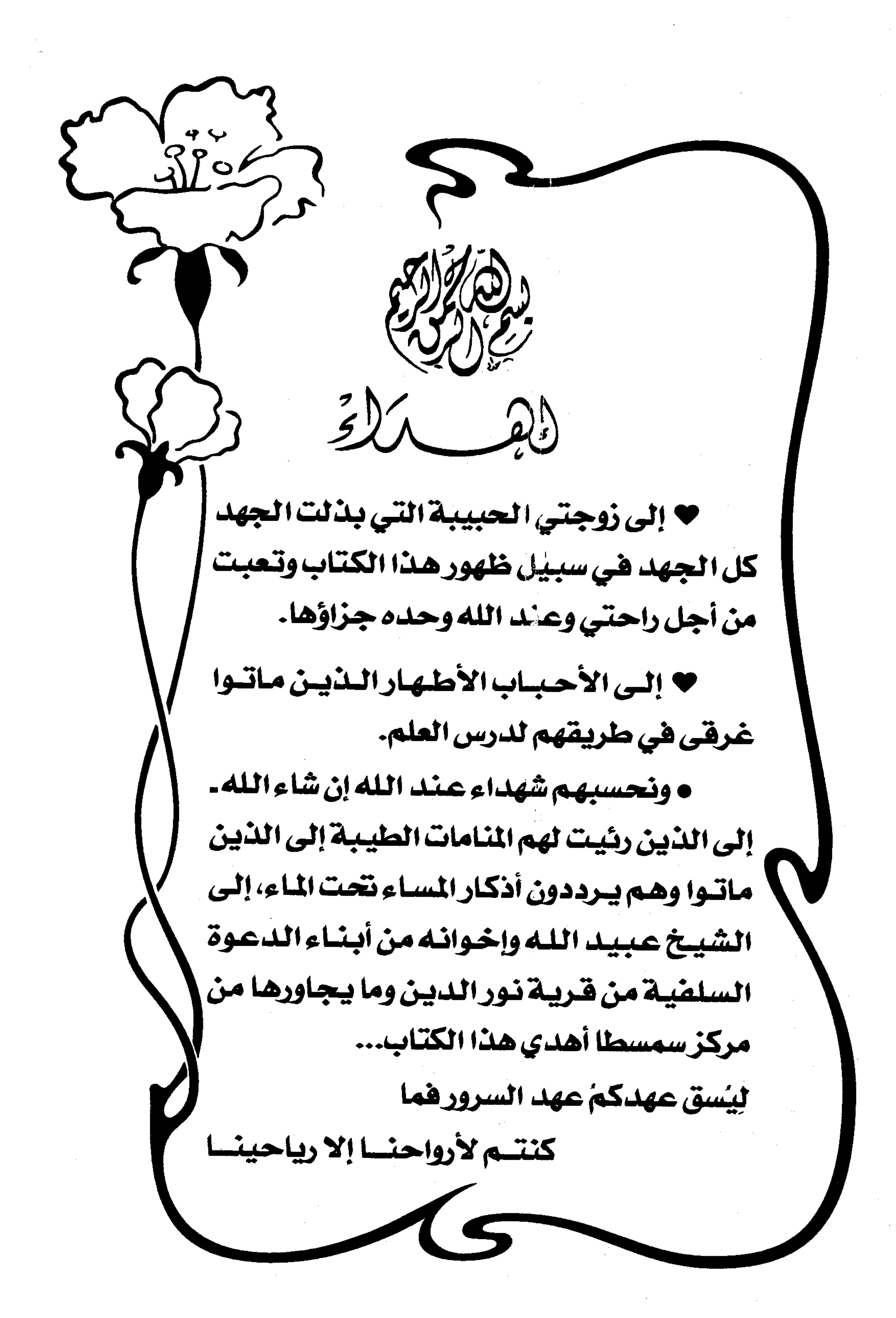
الشيخ صفوت نور الدين — الشيخ محمد إسماعيل المقدم

المجلد الأول

مكتبة معاذ بن جبل

بني سويف ت: ٠٨٢/٢٩٢٥٢٢

محمول: ٠١٢/٣٤٣٩١٦٨



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

♥ إلى زوجتي الحبيبة التي بذلت الجهد كل الجهد في سبيل ظهور هذا الكتاب وتعبت من أجل راحتي وعند الله وحده جزاؤها.

♥ إلى الأحباب الأطهار الذين ماتوا غرقى في طريقهم لدرس العلم.

• ونحسبهم شهداء عند الله إن شاء الله.

إلى الذين رئيت لهم المنامات الطيبة إلى الذين ماتوا وهم يرددون أذكار المساء تحت الماء، إلى الشيخ عبيد الله وإخوانه من أبناء الدعوة السلفية من قرية نور الدين وما يجاورها من مركز سمسطا أهدي هذا الكتاب...

لِيُسق عهدكمُ عهد السرور فما

كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

سكب العبرات
للموت والقبر والسكرات

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

الطبعة الأولى

التوزيع داخل جمهورية مصر العربية

مكتبة معاذ بن جبل

جوال: ٠١٢٣٤٣٩١٦٨

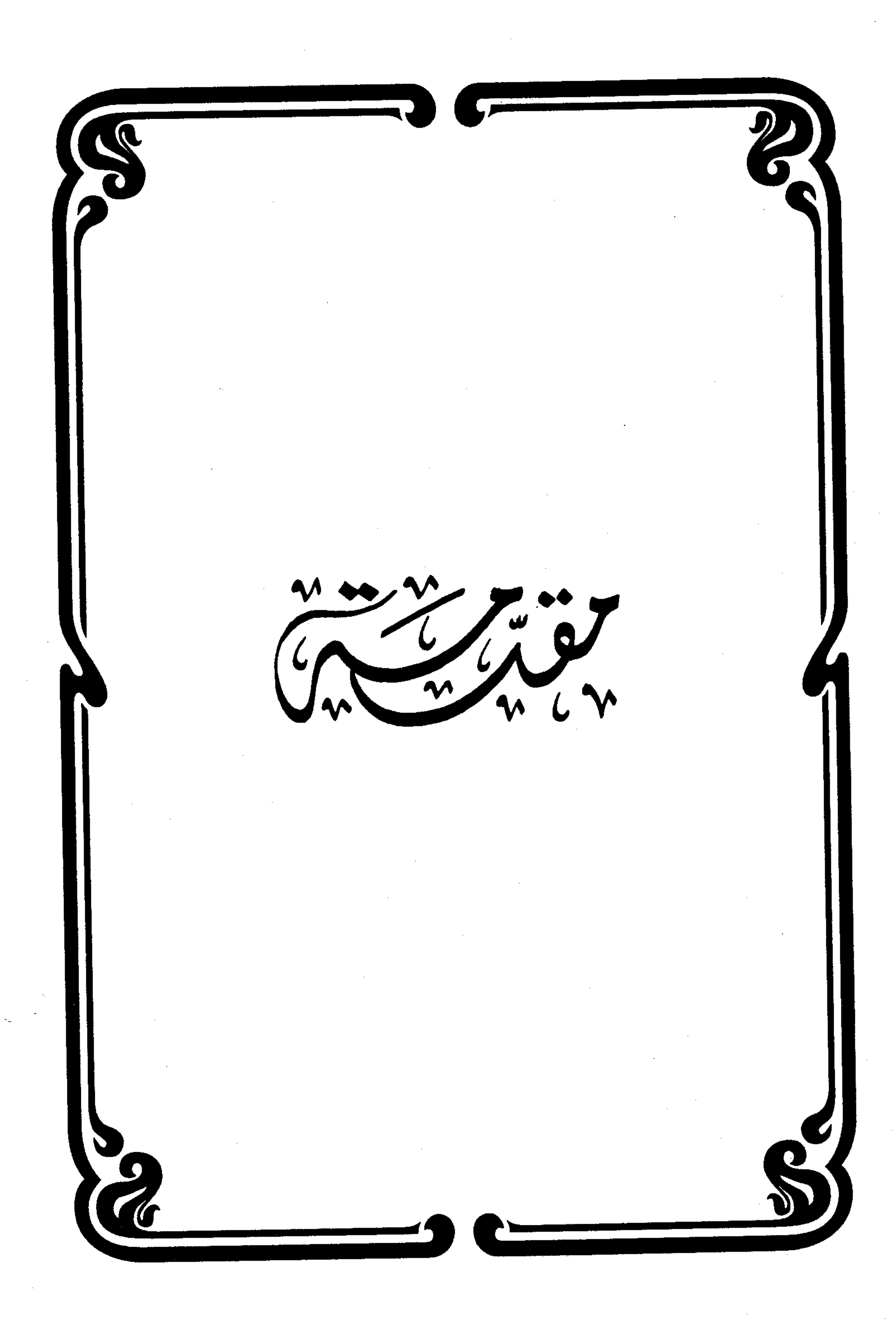
بني سويف ت: ٣١٧٣٤٤/ ٠٨٢

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٧٧٩٥ / ٩٩

مطبعة العمرانية للأوفست

الجيزة ت: ٥٨١٧٥٥٠


مقدمة





مقدمة

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

● الحمد للَّه الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الأكاسرة، وقصّر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة، حتى جاءهم الوعد بالحق فأرداهم في الحافرة، فنُقلوا من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مقاساة الهوامّ والديدان، ومن التنعم بالطعام والشراب إلى التمرغ

في الوحل والتراب، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل. فانظر هل وجدوا من الموت حصنًا وعزًّا، واتخذوا من دونه حجابًا وحرزًا، وانظر: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨]. فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء، واستأثر بالملك والبقاء، وأذلّ أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء، ثم جعل الموت مخلصًا للأتقياء، وموعدًا في حقهم للقاء، وجعل القبر سجنًا للأشقياء وحبسًا ضيّقًا عليهم إلى يوم الفصل والقضاء، فله الإنعام بالنعم المتظاهرة، وله الانتقام بالنقم القاهرة، وله الشكر في السماوات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة، وصلى اللّه على رسوله محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

• أما بعد:

فجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقرّه، وبطن الأرض مستقرّه، والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده، أن لا يكون له فكر إلا في الموت، ولا ذكر إلا له، ولا استعداد إلاّ لأجله، ولا تدبير إلا فيه، ولا تطلّع إلا إليه، ولا تعريج إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا حول إلا حوله، ولا انتظار ولا تربص إلا له، وحقيق بأن يعدّ نفسه من الموتى، ويراها في أصحاب القبور، فإن كل ما هو آت قريب، والبعيد ما ليس بآت»[1].

• فيا بن آدم:

عسكر الموتى ينتظرونك، ولقد جمعت جمعي هذا نذيرًا لك، موقظًا

---

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٤٧٥).

لك من غفلتك فـلا تتعامى عن مصرعك، فإن النَّفَـسَ قد يخرج ولا يعود، وإن العين قد تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي اللَّه عز وجل.

ذكرت في هذا الجمع الموت وسكراته، وعلامات حسن الخاتمة وأسبابها، وعلامات سوء الخاتمة وأسبـابها، وأحوال الفائزين الذين سبقـت لهم الحسنى عند الموت، وأحوال الغافلين النُّوّم من العـصاة، وجنازات الصالحين فكم فيها من آيات. ورحم اللَّه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل حين يقول: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز، ثم ذكرت رحلة الروح معلّقًا عليها، ثم ذكرت محلة الأموات.

من القبور المقفرة العرصات، وعظاتها الظاهرة، وضمّة القبر وفتنته.

ثم عرّجنا في المجلـد الثاني إلى عقيدة السلف من الـسادات، ثم العقائد الفاسدة لأهل البدع، أو الزنادقة، ثم مواعظ في قصر الأمل وذكر الموت.

ثم عرجنـا على دور الشـعـر الباكي فكم سُكبت العبـــرات عند ذكر الموت في بـيت شعر صـادق. ثم طفنا فـي الروضة النـدية من فتـاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

وافتـتحنا المجـلد الثـالث بفتـاوى العلمـاء العامـلين عن الموت وذكـرنا الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ثم الـترهات من قصص الأموات، ثم ختمنا هذا الجمع بموعظة من بيت النبوة.

وهذا الكتاب قد اجتهدت في جمعه وترتيـبه، وتفصيله وتبويبه، فيا أيها الحبيب الناظر فيه لك غنمه وعلى جامعه المسكين غرمه، ولك صفوه، وعلى الجاهل المـفرط كدره. وهذه بضـاعته المزجاة تعـرض عليك، وبنـات أفكاره وجمعه تزفّ إليـك، فإن صادفت كفؤًا كريمًا لم تعدم منـه إمساكًا بمعروف أو

تسريحًا بإحسان، وإن كان غيره، فاللَّه المستعان فما كان من صواب فمن الواحد المنّان، وما كان من خطأٍ فمني، ومن الشيطان. واللَّه بريئ منه ورسوله. فإنما نحن قوم مساكين.

العلم للرحمن جلّ جلاله ... وسواه في جهلاته يتغمغمُ
ما للتراب وللعلوم فإنما ... يسعى ليعلمَ أنه لا يعلمُ

* * *

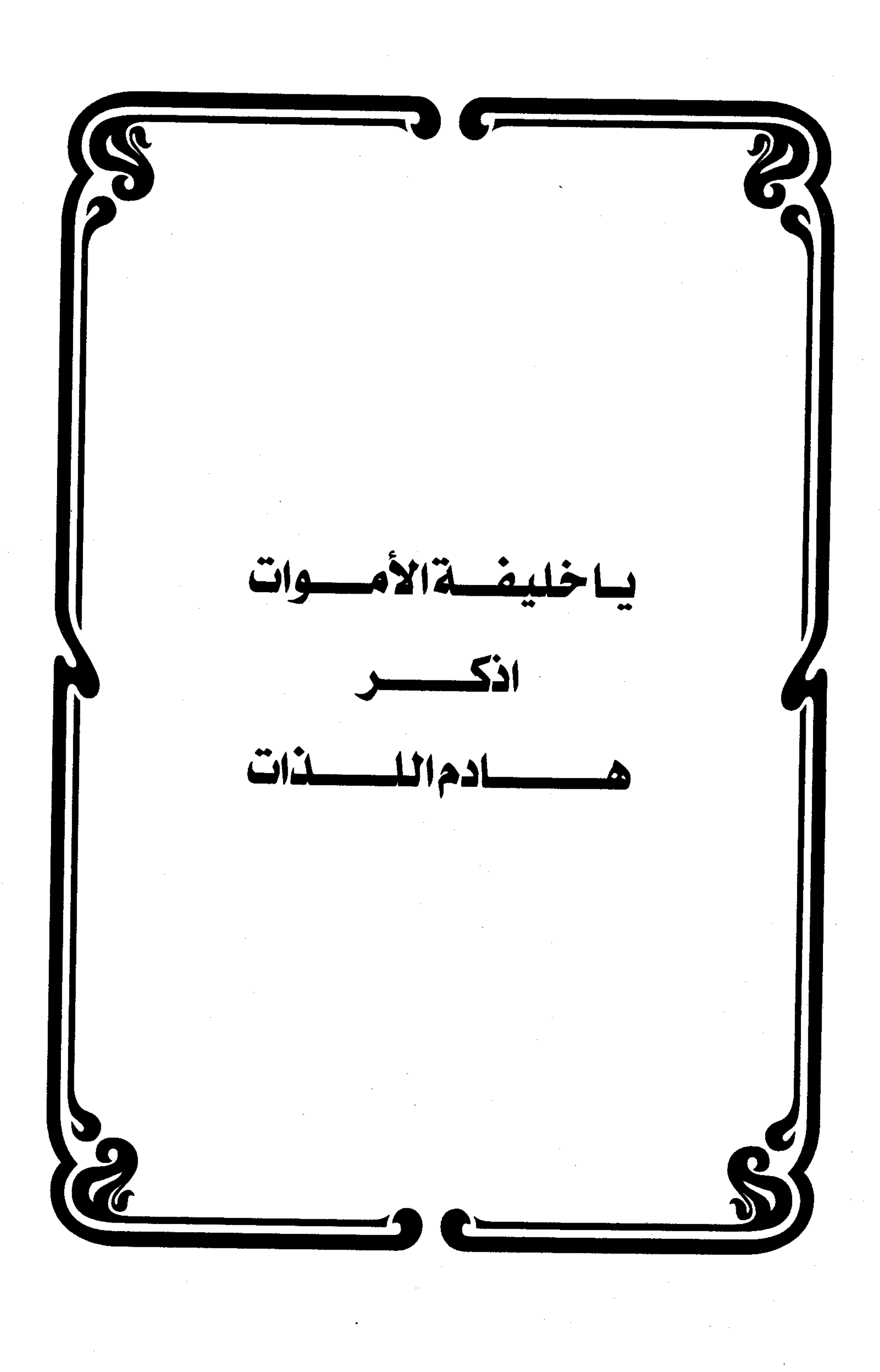
فرحم اللَّه رجلاً أهدى لي عيوبي، واللَّه من وراء القصد.

* * * * *
* * *
*

وكتبه الفقير خليفة الأموات

ومأكول التراب غدًا

سيد بن حسين العفاني



يا خليفة الأموات
اذكر
هادم اللذات



يا بن آدم

يا مدبر العمر، يا صريع الدهر، أيها الساكن مساكن الموتى أيها المؤمِّل ما لا يُدرك. السالك سبيل من قد هلك، يا غرض الأسقام... يا رهينة الأيام... يا رمِيَّة المصائب يا عبد الدنيا، وتاجر الغُرور... يا غريم المنايا وأسير الموت... يا حليف الهموم وقرين الأحزان، يا نهب الآفات، يا صريع الشهوات وخليفة الأموات، يا ابن التراب ومأكول التراب غدًا ذلّلْ قلبك بذكر الموت.

ذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، وسِرْ في ديارهم وآثارهم، وانظر فيما فعلوا، وعما انتقلوا، وأين حلوا ونزلوا، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة، وحلوا ديار الغربة، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم، فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك.

«**أعجب العجائب:** سرورك بغرورك، وسَهْوك في لهْوك عما قد خُبئ لك! لقد أراك مصرع غيرك مصرعَك، وأبدى مضجع سواك قبل الممات مضجعك! وقد شغلك نيل لذاتك عن خراب ذاتك.

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى ... ولم تر في الباقين ما يصنعُ الدهرُ

فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم ... محاها مجالُ الريح بعدك والقبرُ

● فيا من كل لحظةٍ إلى هذا يسري، وفعله فعلُ من لا يفهم ولا يدري»[1] اذكر:

---

(١) «صيد الخاطر» لابن الجوزي ص(٤٠) تحقيق عامر بن علي - دار ابن خزيمة.

* الـموت:

هـادم الـلـذات، مفرق الجماعـات، مباعد الطيّات، ومكـدّر الشهوات، مسكت النجيّ مُفرّق النَدِيّ، مُعفّي الآثار، مخرب الدِّيار، زائر غير محبوب، وواتر غيـر مطلوب، عظـمت سطوته، وتتـابعت علينـا عَدْوتُه، وقلّـتْ عنا نبْوته.

إن غاية تنقصهـا اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بـقصر المدة، وإن غائبًا يحدوه الجديدان: الليل والنهار لحري بسرعة الأوبة، وإن قادمًا يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة.

فيا لها حسرة على ذي غفلة أن يكـون عمره عليه حجة، وأن تؤديه أيامُه إلى شِقْوة.

● أيها السادرون المخمـورون الغافلون، أيها اللاهون المتـكاثرون بالأموال والأولاد وأعراض الحياة وأنتم مفارقون يا مـن ضلّوا في متاهة الأمل والغرور تنبهوا... أفيقوا واذكروا الموت.

● **المـوت**: الذي ينتهي إليه كل حي، والـذي لا يدفعه عن نفسه ولا عن غيره حي،

● **المـوت**: الذي يفرّق بـين الأحبة، ويمضي في طريقـه لا يتوقف، ولا يتلفت، ولا يستجيب لصرخة ملهوف، ولا لحسرة مفارق، ولا لرغبة راغب، ولا لخوف خائف.

قال تـعالـى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

● كل نفس تذوق هذه الجرعة، وتفارق هذه الحياة، لا فارق بين نفس ونفس في تذوق هذه الجرعة من هذه الكأس الدائرة على الجميع، يموت الصالحون ويموت الطالحون، يموت الجبابرة ويصرع الأقزام.

يقهر الموت المتسلّطين كما يقهر المستضعفين.

يموت المستعلون بالعقيدة ويموت المستذلون للعبيد، يموت ذووا الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية، ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص.. الكل يموت.

● يموت كل أمير ووزير، يموت كل عزيز وحقير، يموت كل غني وفقير، يموت كل نبي وولي، يموت كل نجي وتقيّ، يموت كل زاهد وعابد، يموت كل مقرّ وجاحد، يموت كل صحيح وسقيم، يموت كل مريض وسليم، كل نفس تموت غير ذي العزة والجبروت.

أمتنا آخر الأمم ورسولنا ﷺ آخر الرسل وقد أُسرع بخيارنا فما ننتظر إلا المعاينة.

● **الموت:** أول وارد علينا من ربنا فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيراً جميلاً.

● **الموت:** قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه.

● **الموت:** اجعله منك على بال وتذكر مقالة الربيع بن خثيم: «لو غفل قلبي عن ذكر الموت ساعة واحدة لفسد قلبي».

● **الموت:** أكبر واعظ، ومن لم يتعظ بالموت ولا بالقرآن فلو تناطحت

الجبال ما بين يديه ما اتعظ.

* **الموت حتم لازم**، لا تمنع منه حصانة القلاع ولا يحول دونه الحجاب ولا ترده الأبواب قال تعالى:

﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾ [النساء: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الجمعة: ٨].

* **الموت السرّ الخافي وراء الستر المسبل:**

الموت والحياة آيتان تلمسان قلب الإنسان بشدة وعمق، أمران معروفان كل المعرفة، ولكنهما خافيان كل الخفاء حين يحاول البشر أن يعرفوا طبيعتهما وسرهما الخافي على الأحياء.

فما الموت؟ وما الحياة؟ ما حقيقتهما حين يتجاوز الإنسان لفظهما وشكلهما الذي يراه؟ كيف دبّت الحياة في الكائن الحي؟، وما الموت؟ وكيف كان؟ قبل دبيب الحياة.. وبعد مفارقتهما للأحياء؟ إنه السر الخافي وراء الستر المسبل بيد اللَّه!

تنبثق ملايين الصور من الموت والحياة. في عوالم الأحياء كلها. في اللحظة الواحدة. في هذه اللحظة كم من ملايين الملايين من الأحياء ماتت. وكم من ملايين الملايين بدأت رحلة الحياة ودبّ فيها هذا السر من حيث لا

تعلم وحيث لا يعلم أحد إلا اللَّه! وكم من ميتات وقعت فإذا هي ذاتها بواعث حياة! وكم من الصور يتراءى على مدى القرون، حين يستغرق الخيال في استعراض الماضي الطويل الذي كان قبل أن يكون الإنسان على هذا الكوكب وندع ما يعلمه اللَّه في غير هذا الكوكب من أنواع الموت والحياة التي لا تخطر على بال إنسان!

*** يقظة القلب باليقين بالموت:**

اليقين بالموت هو الضمان ليقظة القلب وتطلعه إلى ما عند اللَّه واستعلائه على أوهاق الأرض، وترفّعه على متاع الدنيا.

حين تستقر حقيقة الأجل ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً**﴾ تنطلق من عقال الشح والحرص، كما ترتفع عن وهلة الخوف والفزع.

● ثم خطوة وراء ذلك، فإنه إذا كان العمر مكتوبًا والأجل مرسومًا فلتنظر نفس ما قدمت لغد، ولتنظر نفس ماذا تريد، أتريد أن تقعد عن تكاليف الإيمان، وأن تحصر همها كله في الأرض، وأن تعيش لهذه الدنيا وحدها؟ أم تريد أن تتطلع إلى أفق أعلى، وإلى اهتمامات أرفع وإلى حياة أكبر من هذه الحياة؟ مع تساوي هذا الهم وذاك فيما يختص بالعمر والحياة؟

● الذي يعيش لهذه الأرض وحدها ويريد ثواب الدنيا وحدها، إنما يحيا حياة الديدان والدواب والأنعام! ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب والذي يتطلع إلى الأفق الآخر، إنما يحيا حياة الإنسان الذي كرمه اللَّه، ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب.. ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً**﴾.

* ﴿ وَلا تموتُنَّ إلاَّ وأَنتم مُّسْلِمُونَ ﴾ :

الموت غيب لا يدري إنسان متى يدركه. فمن أراد ألا يموت إلاّ مسلمًا فسبيله أن يكون منذ اللحظة مسلمًا، وأن يكون في كل لحظة مسلمًا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه وَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾

اللَّه عز وجل هو المتفرد بالإحياء والإماتة، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [غافر: ٦٨].

● وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾ [ق: ٤٣].

● وقال تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

● وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ [الحجر: ٢٣].

● وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٤].

● وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

● وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١].

وهو المتفرّد بالبقاء قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ

﴿ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ وإماتة الأحياء وإحياء الموتى من خصائص الربوبية لا ينازع فيها إلا طاغوت قزم، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣] وهذا المفتري الذي قال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ كان هلاكه ببعوضة دخلت منخريه. . .

● قهر الله عز وجل المتكبرين بالموت ولولا ذلك لادعوا ما ادعوا، وعظم عند الناس شأن الموت، قال تعالى: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾: هو الموت.

بل قهرهم بدون ذلك، قال أبو جعفر المنصور لزاهد: لم خلق الله الذباب، قال: ليذل به أعناق الجبابرة.

يا بن التراب ومأكول التراب غدا قصّرْ فإنك مأكول ومشروبُ

النهي عن تمني الموت

● قال رسول الله ﷺ: **«لن يُدخل أحدًا عمله الجنة ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته فسددوا وقاربوا، ولا يتمنى أحدكم الموت، إما محسن، فلعلّه يزداد خيرًا، وإما مسيء، فلعله أن يُسْتَعتب[1] »**[2].

● وقال ﷺ: **«لا تدعوا بالموت، ولا تتمنوه، فمن كان داعيًا لا بد فليقل: اللّهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»**[3].

---

(١) أي: يرجع عن الإساءة.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٣) رواه النسائي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٢٦٥).

وفي رواية: «**لا يتمنين أحدكم الموت**».

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يتمنى أحدكم الموت، إما محسنًا، فلعله يزداد، وإما مسيئًا فلعله يستعتب**»(١).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضرّ نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا، فليقل: اللَّهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»(٢).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت، ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا**»(٣).

● قال النووي في «شرح مسلم» (٥/ ٥٣٧):

«فيه التصريح بكراهة تمني الموت لضرّ نزل به من مرض أو فاقة أو محنة من عدو أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، فأما إذا خاف ضررًا في دينه، أو فتنة فيه، فلا كراهة فيه؛ لمفهوم هذا الحديث وغيره، وقد فعل هذا الثاني خلائق من السلف عند خوف الفتنة في أديانهم.

وفيه: أنه إن خالف ولم يصبر على حاله في بلواه بالمرض ونحوه فليقل: اللَّهم أحيني إن كانت الحياة خيرًا... إلخ، والأفضل الصبر والسكون للقضاء».

● قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ١٣٣ ـ ١٣٤):

«لا يتمنّين... أنه إذا حلّ به ـ أي الموت ـ لا يمنع من تمنيه رضًا

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، والنسائي عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة عن أنس.

(٣) رواه أحمد، ومسلم عن أبي هريرة.

بلقاء اللَّه ولا من طلبه من اللَّه لذلك وهو كذلك، ولهذه النكتة عقّب البخاري حديث أبي هريرة بحديث عائشة: «**اللَّهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى**» إشارة إلى أن النهي مختص بالحالة التي قبل نزول الموت، فللَّه دره ما كان أكثر استحضاره وإيثاره للأخفى على الأجلى شحذًا للأذهان. وقد خفي صنيعه هذا على من جعل حديث عائشة في الباب[1] معارضًا لأحاديث الباب، أو ناسخًا لها، وقوّى ذلك بقول يوسف عليه السلام: ﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾، قال ابن التين: «قيل إن النهي منسوخ بقول يوسف... فذكره، وبقول سليمان: ﴿**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾، وبحديث عائشة في الباب، وبدعاء عمر بالموت وغيره. قال: وليس الأمر كذلك؛ لأن هؤلاء إنما سألوا لما قارب الموت.

● **قلت**: وقد اختُلف في مراد يوسف عليه السلام، فقال قتادة: لم يتمنّ الموت أحد إلا يوسف حين تكاملت عليه النعم، وجُمع له الشمل اشتاق إلى لقاء اللَّه، أخرجه الطبراني بسند صحيح عنه. وقال غيره: بل مراده توفني مسلمًا عند حضور أجلي. كذا أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك بن مزاحم، وكذلك مراد سليمان عليه السلام.

وعلى تقدير الحمل على قول قتادة فهو ليس من شرعنا، وإنما يُؤخذ بشرع من قبلنا ما لم يرد في شرعنا النهي عنه بالاتفاق، وقد استشكل الإذن في ذلك عند نزول الموت؛ لأن نزول الموت لا يتحقق، فكم من انتهى إلى غاية جرت العادة بموت من يصل إليها ثم عاش. والجواب أنه يحتمل أن يكون المراد أن العبد يكون حاله في ذلك الوقت

(١) باب تمني المريض الموت.

حال من يتمن نزوله به ويرضاه أن لو وقع به، والمعنى أن يطمئن قلبه إلى ما يرد عليه من ربه ويرضى به ولا يقلق، ولو لم يتفق أنه يموت في ذلك المرض». ا.هـ.

● قال علي بن أبي طالب ﷺ في يوم الجمل: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[١] .

● وعن عُبيدة بن عبد اللَّه بن مسعود قال: مرّ سليمان بن صُرَد بأمي، فطلب ماء ليتوضأ به، فأتته الجارية بماء، فمروا برجل مجلود يقول: أنا واللَّه مظلوم.

فقال: يا هذه، لمثل هذا كان زوجك[٢] يتمنى الموت[٣] .

● وقال عمرو بن مرة الهمداني: تمنّى عبد اللَّه لأهله ولنفسه الموت، فقيل له: تمنيت لأهلك، فلم تمنيت لنفسك؟ فقال: لو أني أعلم أنكم تبقون على حالكم هذه لتمنيت أن أعيش. فذكر عشرين سنة[٤] .

● وتمنى عطاء السلمي الموت، وقال: إنما يريد الحياة من يزداد خيراً، فأما من يزداد شراً فما يصنع بالحياة[٥] .

● وكان أبو رجاء العطاردي يقول: لأنا إلى مَن في بطنها أشوق مني إلى مَن في ظهرها[٦] .

---

(١) «كتاب المتمنين» لابن أبي الدنيا ص(٦٢).
(٢) يعني: عبد اللَّه بن مسعود.
(٣، ٤) «كتاب المتمنين» ص(٨٣).
(٥) المصدر السابق ص(٦٩).
(٦) المصدر السابق ص(٨٤).

• وقال الثوري: كان من دعائي أن لا أموت فجأة، فأما اليوم فوددت أنه قد كان[1].

وكان - رحمه اللَّه - إذا اغتمّ رمى بنفسه عند وهيب بن الورد، فقال له: يا أبا أمية، أتدري أحدًا يتمنى الموت؟ قال وهيب: أما أنا فلا! قال له سفيان: أما أنا فواللَّه لوددت أني مت، وواللَّه لوددت أني مت. قالها ثلاثًا[2].

وعن أبي مهلهل سعيد بن صدقة قال: أخذ بيدي سفيان الثوري يومًا فأخرجني إلى الجبّان، فاعتزلنا ناحية من طريق الناس، فبكى ثم قال: يا أبا مهلهل، وددت أني لم أكن كتبت من هذا العلم حرفًا واحدًا إلا ما لا بد للرجل منه.

قال: ثم بكى، ثم قال: يا أبا مهلهل، قد كنت قبل اليوم أكره الموت، فقلبي اليوم يتمنى الموت، وإن لم ينطق به لساني. قلت: ولم ذاك؟ قال: لتغيّر الناس وفسادهم[3].

• وعن أبي هريرة ﵁ مرفوعًا: **«والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمرّ الرجل على القبر فيتمرّغ عليه ويقول: يا ليتني كنتُ مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدِّين إلا البلاء»**.

• قال أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٤):

كان العرباض بن سارية ﵁ يقول وقد كبرت سنّه: اللَّهم كبرت سنّي، ووهن عظمي فاقبضني إليك.

---

(١) «كتاب المتمنين» ص(٨٤).

(٢) «كتاب المتمنين» ص(٧٣).

(٣) المصدر السابق ص(٦٤).

وقال أيضًا في «الحلية» (٢/ ٣٩):

«قال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الحسن أنه لمَّا نزل القوم بالحسين رضي الله عنه وأيقن أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيبًا، فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثم قال: «قدْ نزلَ من الأمرِ ما ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبرَ معروفها، وانشَمَرتَ حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء، إلا خسيسُ عيش كالمرعَى الوبيل. ألا ترون الحق لا يُعمل به، والباطل لا يُتنَاهَى عنه، ليرْغَبِ المؤمنُ في لقاءِ اللَّه، وإني لا أرى الموت إلا سعادةً، ولا الحياة مع الظالمين إلا جُرمًا». ا.هـ.

* تمنّي الموت يقع على وجوه:

● **منها**: تمنّيه لضر دنيوي ينزل بالعبد فينهى حينئذ عن تمني الموت.

ووجه كراهيته في هذا الحال أن المتمني للموت لضر نزل به إنما يتمناه تعجيلاً للاستراحة من ضره وهو لا يدري إلى ما يصير بعد الموت فلعله يصير إلى ضر أعظم من ضره فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنما يستريح مَن غُفِر له**»، فلهذا لا ينبغي له أن يدعو بالموت إلاّ أن يشترط أن يكون خيرًا له عند اللَّه عز وجل.

● **ومنها**: تمنيه خوف الفتنة في الدين فيجوز حينئذ. وقد تمنّاه ودعا به خشية فتنة الدين خلق من الصحابة وأئمة الإسلام وفي حديث المنام: «**وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**».

* تمنّي الموت عند حضور أسباب الشهادة:

فيجوز ذلك أيضًا، وسؤال الصحابة الشهادة وتعرضهم لها عند حضور الجهاد كثير مشهور، وكذلك سؤال معاذ لنفسه وأهل بيته الطاعون لمّا وقع

*** ومنها تمني الموت لمن وثق بعمله شوقًا إلى لقاء اللَّه عز وجل:**

فهذا يجوز أيضًا وقد فعله كثير من السلف.

● قال أبو الدرداء: أحب الموت اشتياقًا إلى ربي. وقال عنبسة الخولاني: كان من قبلكم لقاء اللَّه أحب إليه من الشهد. وقال بعضهم: طال شوقي إليك فعجّل قدومي عليك. وقال بعضهم: لا تطيب نفسي بالموت إلا إذا ذكرت لقاء اللَّه عز وجل فإنني حينئذ أشتاق إلى الموت كشوق الظمآن الشديد ظمؤه في اليوم الحار الشديد حره إلى الماء البارد الشديد برده. وفي هذا يقول بعضهم:

أشتاق إليك يا قريبًا نائي شوق ظمأ إلى زلال الماء

وقد دل على جواز ذلك قول اللَّه عز وجل: ﴿**قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: ٩٤]، قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الجمعة: ٦] فدلّ ذلك على أن أولياء اللَّه لا يكرهون الموت بل يتمنونه، ثم أخبر أنهم: ﴿**وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**﴾ فدل على: أنه إنما يكره الموت من له ذنوب يخاف القدوم عليها، كما قال بعض السلف: ما يكره الموت إلا مريب. وفي حديث عمار بن ياسر عن النبي ﷺ: «**أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**»، فالشوق إلى لقاء اللَّه تعالى إنما يكون بمحبة الموت، وذلك لا يقع غالبًا إلا عند خوف ضرّاء مضرة في الدنيا أو فتنة مضلة في الدين، فأما إذا خلا عن ذلك كان شوقًا إلى لقاء اللَّه عز وجل. وهو المسئول في هذا الحديث فالمطيع للَّه مستأنس بربه، فهو يحب

لقاء اللّـه، واللّه يحب لقـاءه، والعاصي مستـوحش بينه وبين مـولاه وحشة الذنوب، فهو يكره لقاء ربه ولا بد له منه.

وقال ذو النون: كل مـطيع مستأنس وكل عاص مسـتوحش»، وفي هذا يقول بعضهم:

أمـسـتـوحـش أنـت ممـا جـنـيـت فـأحـسـن إذا شـئـت واسـتـأنـس

قال أبو بكـر الصديق لعمر ﷺ فـي وصيته له عند المـوت: إن حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت ولا بد منه، وإن ضيّعتها لم يكن غائب أكره إليك من الموت ولن تعجزه.

قال أبو حازم: كل عمل تكره الموت من أجـله فاتركه ثم لا يضرّك متى مِت.

سُئل أبو حازم: كيف القدوم على اللّـه؟ قال: أما المطيع فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه، وأما العاصي فكقدوم الآبق على سيده الغضبان.

وقد صـمت عن لذات دهري كلها ويوم لقـاكم ذاك فطر صيـامي

● **ومنـها:** تمنى الموت على غير الوجوه المتقـدمة. فقد اختلف العلماء في كراهيـته واستحبابـه، وقد رخّص فيه جمـاعة من السلف، وكـرهه آخرون، وحكى بعض أصحابنا عن أحمـد في ذلك روايتين ولا يصح، فإن أحمد إنما نص على كراهة تمنـي الموت لضرر الدنيا، وعلى جواز تمنيه خشـية الفتنة في الدين.

واستدل مـن كرهه بعمـوم النهي عنـه كما في حـديث جابر عن الـنبي ﷺ : **«لا تتمـنوا الموت فإن هو المـطلع شديد، وإن مـن السعادة أن يطـول عمر العبد ويرزقه اللّه الإنابة».**

وقد علل النهي عن تمني الموت في حديث جابر بعلتين:

● **إحداهما:** أن هول المطلع شديد، وهول المطلع: هو ما يكشف للميت عند حضور الموت من الأهوال التي لا عهد لـه بشيء منها في الدنيا من رؤية الملائكة، ورؤية أعمــاله من خير أو شر، وما يبشر به عــند ذلك من الجنة أو النار. هذا مع ما يلقاه من شدة الموت وكربه وغصصه.

قال الحسن: لو عــلم ابن آدم أن له في الموت راحة وفرحًا لـشقّ عليه أن يأتيه الموت لما يعلم من فظاعته وشــدته وهوله، فيكف وهو لا يعلم ما له في الموت نعيم دائم، أو عذاب مقيم.

فالمتمني للموت كأنه يستعجل حلول البلاء، وإنما أمرنا بسؤال العافية.

● **والعلة الـثانية:** أن المؤمن لا يزيد عمره إلا خيــرًا فمن سعادته أن يطول عمره ويرزقه اللَّه الإنابة إليه.

● واختلف السالـكون أيما أفضل، مَن تمنّي الموت شوقًــا إلى لقاء اللَّه أو مَن تمــنى الحيــاة رغبة فــي طاعة اللَّـه؟ أو مَن فوّض الأمــر إلى اللَّـه ورضي باختياره ولم يختر لنفسه شيئًا.

● فذهب قوم إلى تفضيل الموت على الحـياة واستدل طائفة من الصحابة بقول اللَّه عز وجل: ﴿**وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ**﴾.

● ولكن الأحاديث الصــحيحة تدل على أن عمر المؤمــن كلما طال ازداد بذلك ما له عند اللَّه من خير، فلا ينبغي له أن يتمنى انقطاع ذلك، اللَّهم إلا أن يخشى الفتنة على دينه، فإنه إذا خشي الفتنة على دينه فقد خشي أن يفوته ما عند اللَّه من خير، والموت خير له على هذه الحال.

قال ميمــون بن مهران: لا خير في الحـياة إلا لتائب أو رجل يــعمل في الدرجات.

● عن أبي سلمة، عن طلحة بن عبيد اللَّه أن رجلين من بَلَيٍّ قدما على رسول اللَّه ﷺ وكان إسلامهما جميعًا، فكان أحدهما أشد اجتهادًا من الآخر، فغز المجتهد منهما فاستشهد ثم مكث الآخر بعده سنة ثم توفي.

قال طلحة: فرأيت في المنام: بينا أنا عند باب الجنة، إذا أنا بهما، فخرج خارج من الجنة فأذن للذي توفي الآخر منهما، ثم خرج فأذن للذي استشهد، ثم رجع إليّ فقال: ارجع فإنك لم يأن لك بعد.

فأصبح طلحة يحدث الناس فعجبوا لذلك فبلغ ذلك رسول اللَّه ﷺ وحدثوه الحديث: فقال: **«من أي ذلك تعجبون؟»** فقالوا: يا رسول هذا كان أشد الرجلين اجتهادًا ثم استشهد، ودخل هذا الآخر الجنة قبله، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«أليس قد مكث هذا بعده سنة؟»**، قالوا: بلى، قال: **«وأدرك رمضان فصام وصلى كذا وكذا من سجدة في السنة؟»**، قالوا: بلى، قال رسول اللَّه ﷺ: **«فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض»**[1].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«خير الناس من طال عمره، وحسن عمله»**[2].

● وعن أبي بكرة رضي الله عنه مولى رسول اللَّه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«خير الناس من طال عمره وحسن عمله، وشر الناس، من طال عمره وساء عمله»**[3].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد، وابن ماجه في «سننه» كتاب الرؤيا، باب تعبير الرؤيا، واللفظ له، وصححه الألباني، انظر: «صحيح سنن ابن ماجه» حديث رقم (٣١٧١) (٢/ ٣٤٥ - ٣٤٦).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي عن عبد اللَّه بن بسر، وصححه الألباني في «صيح الجامع» رقم (٣٢٩٦).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، والحاكم في «المستدرك» وصححه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢٩٧).

● قيل لبعض السلف: طلب الموت؟، قال: لا تفعل لساعة تعيش فيها تستغفر اللَّه خير لك من فوت الدهر. وقيل لشيخ كبير منهم: تحب الموت؟ قال: لا، قيل: ولم؟ قال: ذهب الشباب وشره، وجاء الكبر وخيره، إذا قمتُ، قلت: بسم اللَّه، وإذا قعدت، قلت: الحمد اللَّه، فأنا أحب أن يبقى لي هذا.

● «الموتى في قبورهم يتحسرون على زيادة في أعمالهم بتسبيحة وبركعة. ومنهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك، فلا يقدرون على ذلك قد حيل بينهم وبين العمل غلقت منهم الرهون.

ورؤي بعضهم في المنام فقال: ندمنا على أمر عظيم، نعلم ولا نعمل، وأنتم تعلمون ولا تعملون، واللَّه لتسبيحة أو تسبيحتان، أو ركعة أو ركعتان في صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا وما فيها.

قال بعض السلف: كل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة، وقال بعضهم: بقية عمر المؤمن لا قيمة له، يعني: أنه يمكنه أن يمحو فيه ما سلف منه من الذنوب بالتوبة وأن يجتهد فيه في بلوغ الدرجات العالية بالعمل الصالح، فأما من فرّط في بقية عمره فإنه خاسر، فإن ازداد فيه من الذنوب فذلك هو الخسران المبين. الأعمال بالخواتيم، من أصلح فيما بقي غُفِر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي أُخذ بما بقي وما مضى»[1].

*** نعوذ باللَّه أن نُعَيَّر بطول العمر:**

● قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ** ﴾.

---

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب ص(٣٢٨).

● وعن أبي هريرة ﷺ عـن النبي ﷺ قال: **«أعذر اللَّه إلـى امرئ أَخَّرَ أجله حتى بلّغه ستين سنة»**.

● قال ابن حجر العسقلاني في «فتـح الباري»: «باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر اللَّه إلـيه في العمر»: «قد اختلف أهل الـتفسير في ﴿النَّذِيرُ﴾ فالأكثر على أن المراد بـه الشيب، واختلفوا أيضًا في المراد بالـتعمير في الآية على أقوال، وأصح الأقوال في ذلك ما ثبت في حديث الباب. . .

والإعذار إزالة العذر والمعنى أنه لم يبق له اعتذار، يُقَال: أعذر إليه ـ إذا بلّغه أقصى الغاية في العذر، ومكّنه منه. وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكـنه منها بـالعمر الذي حـصل له فلا يـنبغي له حـينئذ إلا الاستـغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية»[1] .

● نعوذ باللَّه أن نُعيّر بطول العمر.

قال رسول اللَّه ﷺ : **«إذا بلغ الرجل من أمتي ستين سنة، فقد أعذر اللَّه إليه في العمر»**[2] .

● وقال رسول الـلَّه ﷺ : **«إذا بلّغ اللَّه الـعبد ستين سنة فقـد أعذر إليه، وأبلغ[3] إليه في العمر»**[4] .

● وقال رسول الـلَّه ﷺ : **«لقد أعذر اللَّه إلى عبد أحـياه حتى بلغ ستين**

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٢٤٣، ٢٤٤).

(٢) **صحـيـح**: رواه الحاكم في «المستـدرك» عن أبي هريرة، وصححه الألبانـي في «صحيح الجامع» رقم (٤١٤).

(٣) أي: أطاله حتى يقطع عذره.

(٤) **صحـيح**: رواه عبد بن حميد عن سهل بن سعد، وصـححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤١٥).

سنة أو سبعين سنة، لقد أعذر اللَّه إليه»[1] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك»**[2] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«أقل أمتي أبناء السبعين»**[3] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«أقل أمتي الذين يبلغون السبعين»**[4] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«من عُمِّر من أمتي سبعين سنة، فقد أعذر اللَّه إليه في العمر»**[5] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«من أتت عليه ستون سنة، فقد أعذر اللَّه إليه في العمر»**[6] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«معترك**[7] **المنايا ما بين الستين إلى السبعين»**[8].

---

(١) **صحيح**: رواه الحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤١١٨).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي عن أبي هريرة، وأبو يعلى عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٠٧٣).

(٣) **صحيح**: رواه الحكيم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٨٢).

(٤) **حسن**: رواه الطبراني عن ابن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٨٣).

(٥) **صحيح**: رواه الحاكم عن سهل بن سعد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣٩٧).

(٦) **صحيح**: رواه أحمد عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩٤٥).

(٧) أي: غالبًا ما تصرع المنايا الإنسان في هذه السن.

(٨) **حسن**: رواه الحكيم عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٨١).

* **أخي:**

ما مضى من العمر وإن طالت أوقاته فقد ذهبت لذّاته وبقيت تبعاته، وكأنه لم يكن إذا جاء الموت وميقاته. قال اللَّه عز وجل: ﴿**أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٧]، تلا بعض السلف هذه الآيات وبكى، وقال: إذا جاء الموت لم يغن عن المرء ما كان فيه من اللذة والنعيم.

- يا أبناء العشرين: كم مات من أقرانكم وتخلّفتم.
- ويا أبناء الثلاثين أصبتم بالشباب على قُربٍ من العهد فما تأسفتم.
- يا أبناء الأربعين ذهب الصبا وأنتم على اللهو قد عكفتم.
- يا أبناء الخمسين: أنتم زرع قد دنا حصاده، تنصفتم المائة وما أنصفتم.
- يا أبناء الستين: هلموا إلى الحساب، أنتم على معترك المنايا قد أشرفتم. أتلهون وتلعبون لقد أسرفتم.
- أبناء السبعين: ماذا قدمتم وما أخّرتم.
- أبناء الثمانين: لا عذر لكم.

قال مسروق: إذا أتتك الأربعون فخذ حذرك.

وقال النخعي: كان يقال لصاحب الأربعين: احتفظ بنفسك.

وكان كثير من السلف إذا بلغ الأربعين تفرّغ للعبادة.

وقال عمر بن عبد العزيز: تمّت حجة اللَّه على ابن الأربعين، فمات لها. ورأى في منامه قائلاً يقول له:

إذا ما أتتك الأربعون فعندها　　　فاخش الإله وكن للموت حذّارا

● ورحم اللَّه من قال:

وإذا تكامل للفتى من عمره ... خمسون وهو إلى التُّقى لا يَجْنحُ

عكفت عليه المخزيات فما له ... متأخّر عنها ولا متزحزحُ

وإذا رأى الشيطان غرّة وجهه ... حيّا وقال: فديتُ من لا يفلحُ

قال الفضيل لرجل: كم أتى عليك؟ قال: ستون سنة. قال له: أنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تصل[1].

*** يا خليفة الأموات:**

يا مَن يفرح بكثرة مرور السنين عليه إنما تفرح بنقص عمرك.

قال أبو الدرداء والحسن رضي الله عنهما: إنما أنت أيام كلما مضى منك يوم مضى بعضك.

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يُدني من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا ... فإنما الربح والخسران في العملِ

*** أخي:**

كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره؟ وعمره خطاه إلى قبره، كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله وحياته إلى موته؟.

* ﴿ **فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا** ﴾ [مريم: ٨٤]:

إن النفس قد يخرج ولا يعود، وإن العين قد تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي اللَّه عز وجل.

(١) انظر: «لطائف المعارف» ص(٣٢٩، ٣٣٠).

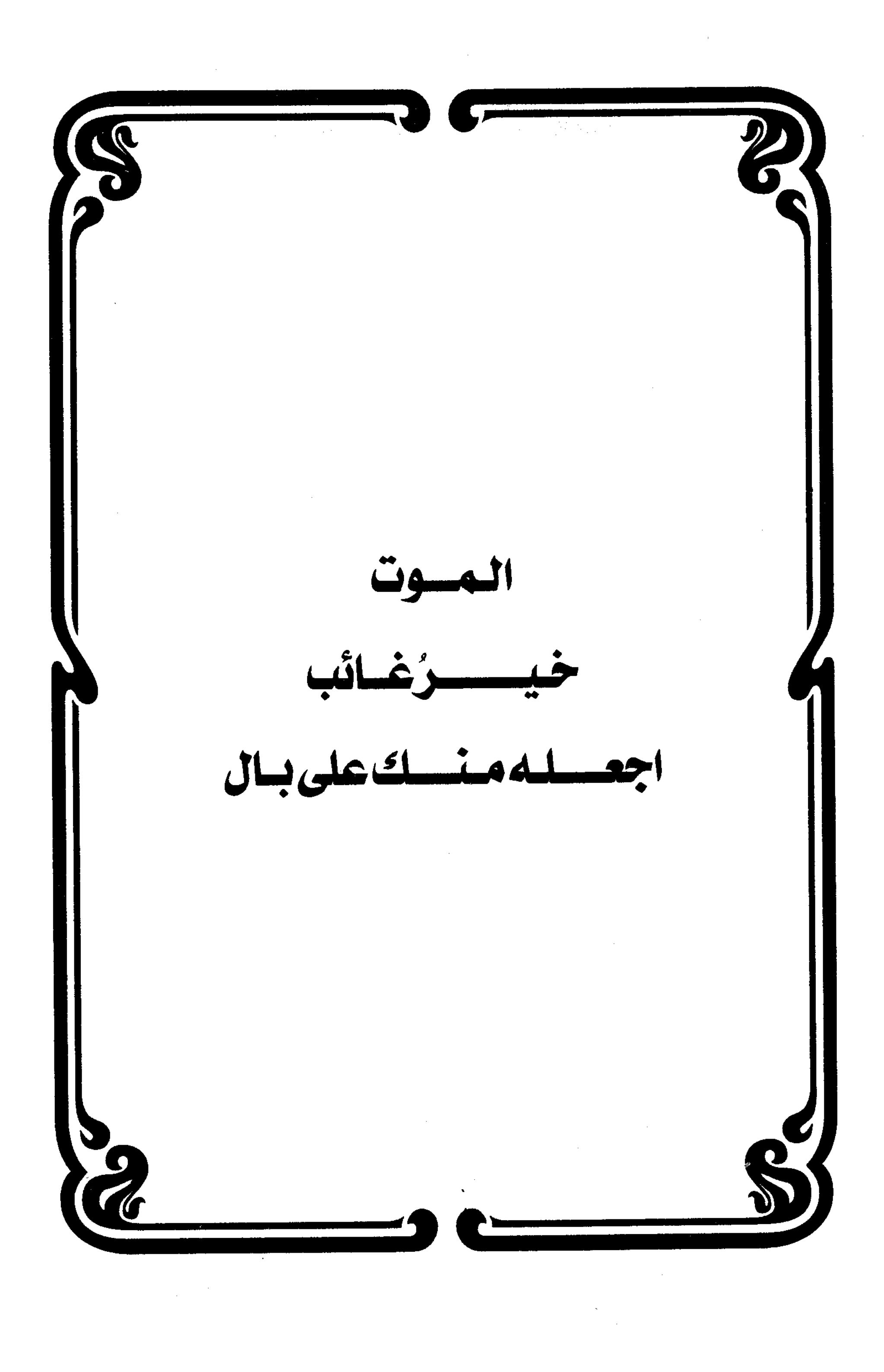
﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾:

«قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ قال: نعدّ أنفاسهم في الدنيا»[1] .

آخر العدد فراق روحك، آخر العدد ركوب نعشك، آخر العدد دخول قبرك، آخر العدد لقاء ربك.

* * *

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٣١).



الـمــوت

خيـــــرُغــائب

اجعـــلـه مـنـــك على بـال



الموت خيرُ غائب اجعله منك على بال

اعلم أن الموت هو أحد الأسباب الموصلة للإنسان إلى النعيم الأبدي وهو انتقال من دار إلى دار، ونحن خلقنا للأبد لكنا نُنقل من دار إلى دار حتى يستقر بنا القرار، فهو وإن كان في الظاهر فناء واضمحلالاً فهو في الحقيقة ولادة ثانية.

قال الشاعر:

تمخضت المنون [1] له بيوم ... أتى والكلّ حاملة تمام

فإنه جعل للمنون حملاً كحمل المرأة، وتمخّضًا كتمخضها، وولادة كولادتها تنبيهًا على أنه أحد أسباب الكون. قال بعضهم: ما دام في دنياه جار مجرى الفرخ في البيضة، فكما أن من كمال الفرخ تفلّق البيض عنه وخروجه منه، كذلك من شرط كمال الإنسان مفارقة هيكله ولولا هذا الموت لم يكمل الإنسان، فالموت إذًا ضروري في كمال الإنسانية، ولكون الموت سببًا للانتقال من حال أوضع إلى حال أشرف وأرفع سمّاه اللَّه تعالى توفّيًا وإمساكًا عنده، فقال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ [الزمر: ٤٢].

ولهذا تقول العرب استأثر اللَّه بفلان، ولحق باللَّه، ونحو ذلك من الألفاظ، ولأجل أن الموت الحيواني انتقال من منزل أدنى إلى منزل أعلى أحبّه

---

(١) الموت.

من وثق بما له عند اللَّه، ولم يكره هذا إلا أحد رجلين:

● **أحدهما:** من لا يؤمن بالآخرة وعنده أن لا حياة ولا نعيم إلا في الدنيا كمن وصفهم اللَّـه تعالى بقوله: ﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ**﴾ [البقرة: ٩٦].

وقال بعض من هذه طريقته شعرًا في هذا المعنى:

خُذْ من الدنيا بحظ قبل أن تُنقل عنها
فهي دار ليس تلقى بعدها أطيب منها

● **والثاني:** يُؤمن به ولكن يخاف ذنبه.

فأما من لم يكن كذلك فإنه يحبه، ويتمناه كما أحبّه الصالحون وتمنوه.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**من أحب لقاء اللَّه أحب اللَّه لقاءه، ومن كره لقاء اللَّه كره اللَّه لقاءه**»[١].

● وقال تعالى: ﴿**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: ٩٤].

فالموت هو باب من أبواب الجنة، منه يُتوصل إليها، ولو لم يكن موت لم تكن الجنة، ولذلك منّ اللَّه تعالى به على الإنسان فقال: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [الملك: ٢]، فقدّم الموت على الحياة تنبيهًا على أنه يتوصل به إلى الحياة الحقيقية، وعدّه علينا في نعمه[٢]،

---

(١) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي عن عائشة، وعن عبادة.
(٢) وعدّه اللَّه تعالى مصيبة في سورة المائدة الآية (١٠٦)، قال تعالى: ﴿**فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ**﴾ الآية.

فقال تـعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٨]، وقال تعـالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨].

فجعل الموت إنعامًا كما جعل الحياة إنعامًا؛ لأنه لما كانت الحياة الأخروية نعمة لا وصول إليهـا إلا بالموت، فالموت نعمـة؛ لأن السبب الذي يتـوصّل به إلى النعـمة نعمـة. ولكون الموت ذريـعة إلى السـعادة الكبـرى لم يكن الأنـبياء والحكماء يخافـونه حتى قال أحدهم: «واللَّه ما أبالي أقـع على الموت أو يقع الموت علي»، وكانوا يتوقعونه ويرون أنهم في حبس فينتظرون المبشر بإطلاقهم قال تعالى: ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٨] تنبيهًا على أن الموت سبيل الحياة المستفادة عند اللَّه تعالى. وعلى هذا نبّه اللَّه بقوله: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٤ ـ ١٦]، فنبّه عـلى أن هذه التغيرات خلق أحـسن، فنقض هذه البنية لإعادتها عـلى وجه أشرف كالنّوى المزروع الذي لا يصير نخلاً مثمرًا إلا بعـد إفساد جثتها، وكذلك البرّ إذا أردنا أن نجعله زيادة في أجسامنا يحتاج إلى أن يطـحن ويعجن ويُخبز ويؤكل فيُغيّر تغييرات كثـيرة هي فساد لها في الظاهر، وكذلـك البذر إذا أُلقي في الأرض يعدّه من لا يتصـور مآله وحاله فسادًا، فالنفس تحب الـبقاء في هذه الدار إذا كانت قذرة راضية بالأعـراض الدنوية رضا الجُعل[1] بالحـش[2]، أو جاهـلة بمآلها من المآل»[3].

(١) الجُعل: ضرب من الخنافس.

(٢) الحش: الغائط ـ موضع قضاء الحاجة.

(٣) «تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين»، للراغب الأصبهاني ص(١٧٨ ـ ١٨٤) بتصرف.

● عن عبد اللَّه بن عمرو قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**تحفة المؤمن الموت**»[١].

● وعن محمود بن لبيد أن النبي ﷺ قال: «**يكره ابن آدم الموت، والموت خير له من الفتنة**»[٢].

● وصحّ عن الربيع بن خُثَيم أنه قال: «ما من غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت»[٣].

● وقال مالك بن مِغْول: «بلغني أن أول سرور يدخل على المؤمن الموت، لما يرى من كرامة اللَّه وثوابه».

● وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ليس للمؤمن راحة دون لقاء اللَّه»[٤].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد»، والطبراني في «المعجم الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، وعبد بن حميد في «المنتخب»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وأبو يعلى وصححه الحاكم، وجوّد إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٦٢٦). وقال العراقي: «إنه ورد من طريق جيد، رواه الشيرازي في «شرف الفقراء»، والديلمي في «مسند الفردوس» من حديث معاذ لا بأس به» كما في «فيض القدير» (٣/ ٢٣٤).
وقال البوصيري: «وله شاهد من حديث أبي جحيفة وابن مسعود»، وضعفه الألباني كما سيأتي في باب «الأحاديث الضعيفة والموضوعة» من كتابنا هذا.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٧ و٤٢٧ ـ ٤٢٨ و٤٢٨)، والبغوي في «شرح السنة»، وأبو عمرو الداني في «الفتن» (١/ ١٧٩) كما في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٤٧١)، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٩٤): «رواه أحمد بإسنادين، رواة أحدهم محتج بهم في «الصحيح»، ومحمود بن لبيد جل روايته عن الصحابة كما قال الحافظ. ومراسيل الصحابة حجة. ولذا قال السيوطي في «بشرى الكئيب بلقاء الحبيب»: بسند صحيح. انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٨١٣).

(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ١١٤)، و«الزهد» لابن المبارك رقم (٢٧٣)، و«الزهد» لوكيع (١/ ٣١٣).

(٤) أخرجه وكيع في «الزهد» (١/ ٣١١)، وأحمد في «الزهد» (١٥٦)، وابن المبارك في «الزهد» (٦ ـ ٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٦). وإسناده إلى عبد اللَّه بن مسعود موقوفًا صحيح.

● وعن ابن مسعود ﷺ: «ما من نفس بَرّة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة، إن كان بَرًّا فقد قال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، وإن كان فاجرًا، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨].

● وقيل لعبد الأعلى التيمي: ما تشتهي لنفسك ولمن تحب من أهلك؟ قال: الموت[١].

● وقال ابن عبد ربه لمكحول: «أتحبُّ الجنة؟ قال: وَمَنْ لا يحب الجنة؟!!، قال: فأحبَّ الموت، فإنك لن ترى الجنة حتى تموت»[٢].

● وعن حبان بن الأسود قال: الموت خير يُوصل الحبيب إلى الحبيب[٣].

● وقال طاووس: «لا يحرز دين المؤمن إلا حفرته»[٤].

● وقال الثوري: «لا يحرز دين المرء إلا قبره»[٥].

● وعن سفيان قال: «كان يُقال: الموت راحة العابدين»[٦].

● وعن ربيعة بن زُهير قال: قيل لسفيان: كم تتمنى الموت!! وقد نهى عنه رسول الله ﷺ[٧] فقال: لو سألني ربي، لقلتُ: يا رب لثقتي بك،

---

(١) «بشرى الكئيب بلقاء الحبيب» للسيوطي تحقيق مشهور حسن سليمان ص(٣١).
(٢) «حلية الأولياء» (٥/ ١٧٧).
(٣) «الحلية» (١٠/ ٩).
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣/ ٥٣٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٦).
(٥) «الحلية» (٧/ ٢٢).
(٦) «بُشرى الكئيب بلقاء الحبيب» ص(٣٢).
(٧) «استدل القرطبي على جواز تمني الموت بقول يوسف لما نال الرسالة والملك ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾=

وخوفي من الناس؛ لأني لو خالفت واحدًا في رمّانة، فقلت: حُلْوة. وقال: مُرّة، لخِفتُ أن يُشاطَ بدمي[١].

وقد أبدع ابن الأحنف في قوله:

يبكي رجال على الحياة وقد أفنى دُمُوعي شوقي إلى الأجل
أموتُ مِنْ قبل أن يغيّرني الدهر فإني منه على وَجَلِ[٢]

● وقال أبو عطية المذبوح: «أنعم الناس جسدًا في اللحد قد أمِن من العذاب»[٣].

● وقال عمر بن عبد العزيز: «إنما خُلقتم للأبد، وإنما تُنقلون من دار إلى دار»[٤].

● عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما على الأرض نفس تموت، ولها عند اللَّه خير، تحب أن ترجع إليكم، ولها نعيم الدنيا وما فيها إلا القتيل فإنه يحب أن يرجع فيقتل مرة أخرى**»[٥].

● وعن فضالة بن عُبيد ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**اللَّهم من آمن بك، وشهد أني رسولك فحبِّبْ إليه لقاءك، وسَهِّلْ عليه**

= ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ وبما قالته مريم: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾، انظر: «مختصر التذكرة» للقرطبي ص(٣).

(١) «العزلة» للخطابي ص(٩١).

(٢) «العزلة» ص(٩١).

(٣) «الزهد» لابن المبارك رقم (٢٧٥)، و«الحلية» لأبي نعيم (٥/١٥٣ ـ ١٥٤).

(٤) «حلية الأولياء» (٥/٢٨٧).

(٥) **صحيح**: رواه النسائي في «المجتبى»، وابن المبارك في «الجهاد»، وأحمد في «مسنده»، والطبراني.

قضاءك، وأقلل له من الدنيا، ومَنْ لم يؤمن بك، ولم يشهد أني رسولك، فلا تُحبِّبْ إليه لقاءك،، ولا تُسَهِّلْ عليه قضاءَك، وأكثر له من الدنيا»[1] .

* **المنهمك في الدنيا، والتائب، والعارف وذكر الموت**: «الناس: إما منهمك في الدنيا مكب على غرورها محب لشهواتها، وإما تائب مبتدئ، أو عارف منته.

● **فأما المنهمك**: فلا يذكر الموت، ويغفل قلبه لا محالة عنه، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته، وهذا يزيده ذكر الموت من اللَّه بُعدًا.

● **وأما التائب**: فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة، وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد، وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله ﷺ: «**من كره لقاء اللَّه كره اللَّه لقاءه**»، فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء اللَّه وإنما يخاف فوت لقائه لقصوره وتقصيره، وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه.

● **وأما العارف**: فإنه يذكر الموت دائمًا؛ لأنه موعد لقائه لحبيبه، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب، وهذا في غالب الأمر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين.

قال حذيفة لما حضرته الوفاة: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم،

---

(١) **إسناده قوي**: رواه ابن حبان في «صحيحه»، انظر: «الإحسان» (١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) رقم (٢٠٨)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣١٣) رقم (٨٠٨)، وقال الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي: رجاله ثقات.

اللَّهم إن كنتَ تعلم أن الفقر أحب إليّ من الغنى، والسقم أحبّ إليّ من الصحة، والموت أحبّ إليّ من العيش فسهِّل عليّ الموت حتى ألقاك.

«فالتائب معذور في كراهة الموت، وهذا معذور في حب الموت وتمنّيه، وأعلى منهما رتبة من فوّض أمره إلى اللَّه تعالى فصار لا يختار لنفسه موتًا ولا حياة، بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه. فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى»[1].

● وللَّه در الحسن إذ يقول: «فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لبٍّ فرحًا».

● وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه.

● وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة، ثم يبكون حتى كأنّ بين أيديهم جنازة.

● وقال إبراهيم التيمي: شيئان قطعا عني لذة الدنيا، ذكر الموت والوقوف بين يدي اللَّه عز وجل.

وقال كعب: «من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها»[2].

* **أخي:**

قطّع ذكر الموت قلوب الخائفين فواللَّه ما تراهم إلا والهين فأكثر ذكر الموت يا أخي يرق قلبك.

● قال أشعث: كنا ندخل على الحسن فإنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت.

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٧٧).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٧٩).

● وقال الحسن: ما رأيت عاقلاً قط إلا أصبته من الموت حذرًا وعليه حزينًا.

● وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء: عظني، فقال: لست أول خليفة تموت؟ قال: زدني، قال: ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك، فبكى عمر لذلك.

● وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرًا في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت، وكان يقول: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد.

● وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة: أكثر ذكر الموت، فإن كنت واسع العيش ضيّقه عليك، وإن كنت ضيق العيش وسّعه عليك.

وقال أبو سليمان الداراني: قلت لأم هارون: أتحبين الموت؟ قالت: لا، قلت: لم؟ قالت: لو عصيت آدميًّا ما اشتهيت لقاءه، فكيف أحب لقاءه وقد عصيته.

*** الموت مصيبة والغفلة عنه أعظم المصائب فكيف يستديم العبد ذكر الموت؟:**

● قال تعالى: ﴿**فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ**﴾ [المائدة: ١٠٦].

● **قال القرطبي:**

«سمّى اللَّه تعالى الموت في هذه الآية مصيبة؛ قال علماؤنا: والموت وإن كان مصيبة عظمى، ورزية كبرى، فأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وترك التفكر فيه، وترك العمل له، وإن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن تفكر»[1].

(١) «تفسير القرطبي» (٤/ ٢٣٤٩).

فالموت هائل وخطره عظيم والناس في غفلة عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له.

«ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه. فالطريق فيه أن يفرّغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه، كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر، فإنه لا يتفكر إلا فيه، فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه، وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه. وأنجع طريق فيه أن يذكر أقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب، ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم. وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم، وكيف أرملوا نساءهم، وأيتموا أولادهم، وضيّعوا أموالهم، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم، وانقطعت آثارهم».

● قال أبو الدرداء: إذا ذكرتَ الموتى فعدّ نفسك كأحدهم.

● وقال ابن مسعود رضي الله عنه: السعيد من وُعظِ بغيره.

● وقال عمر بن عبد العزيز: ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غاديًا رائحًا إلى اللّه عز وجل تضعونه في صدع من الأرض قد توسد التراب وخلّف الأحباب وقطع الأسباب.

● فملازمة هذه الأفكار وأمثالها، مع دخول المقابر، ومشاهدة المرضى هو الذي يجدّد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه. فعند ذلك يوشك أن يتجافى عن دار الغرور، وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه، ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال، أنه لا بد له من مفارقته.

● نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها، ثم بكى فقال: واللَّه لولا الموت لكنت بك مسرورًا، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرّت بالدنيا أعيننا، ثم بكى بكاء شديدًا حتى ارتفع صوته»[1] .

● يقول ابن الجوزي:

«من أظرف الأشياء إفاقة المحتضر عند موته، فإنه ينتبه انتباهًا لا يُوصف، ويقلق قلقًا لا يُحَدّ، ويتلهّف على زمانه الماضي، ويودّ لو تُرِكَ كي يتدارك ما فاته ويصدُق في توبته على مقدار يقينه بالموت، ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف».

ولو وُجِدت ذرة من تلك الأحوال في أوان العافية، حصل كل مقصود من العمل بالتقوى.

فالعاقل من مَثّل تلك الساعة، وعمل بمقتضى ذلك.

فإن لم يتهيأ تصوير ذلك على حقيقته؛ تخايله على قدر يقظته، فإنه يكف كفّ الهوى ويبعث على الجدّ.

فأما من كانت تلك الساعة نصب عينيه، كان كالأسير لها.

● كان حبيب العجمي إذا أصبح، يقول لامرأته: إذا متّ اليوم، ففلان يغسلني، وفلان يحملني.

وقال معروف لرجل: صلّ بنا الظهر؛ فقال: إن صليت لكم الظهر؟ لم أصل بكم العصر. فقال: وكأنك تؤمل أن تعيش إلى العصر؟! نعوذ باللَّه من طول الأمل.

(١) «الإحياء» (٤/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠).

وذكر رجل رجلاً بين يديه بغيبة، فجعل معروف يقوله له: اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك»[١] .

فأي عيش في الدنيا يطيب لمن أيامه السليمة تقربه إلى الهلاك وصعود عمره نزول، وطول بقائه نقْص مدى المدة؟!

أليس في «الصحيح»: «**ما منكم أحد إلا ويُعرض عليه مقعده بالغداة والعشي من الجنة أو النار، فيُقال: هذا مقعدك، حتى يبعثك اللَّه**»[٢] .

فوا أسفا لمهدد كم يُقتل قبل القتل! ويا طيب عيشٍ لموعود بأزيد المنى! وليعلم من شارف السبعين أن النفس أنين!.

أعان اللَّه من قطع عقبة العُمُر على رَمَل زرود الموت[٣] .

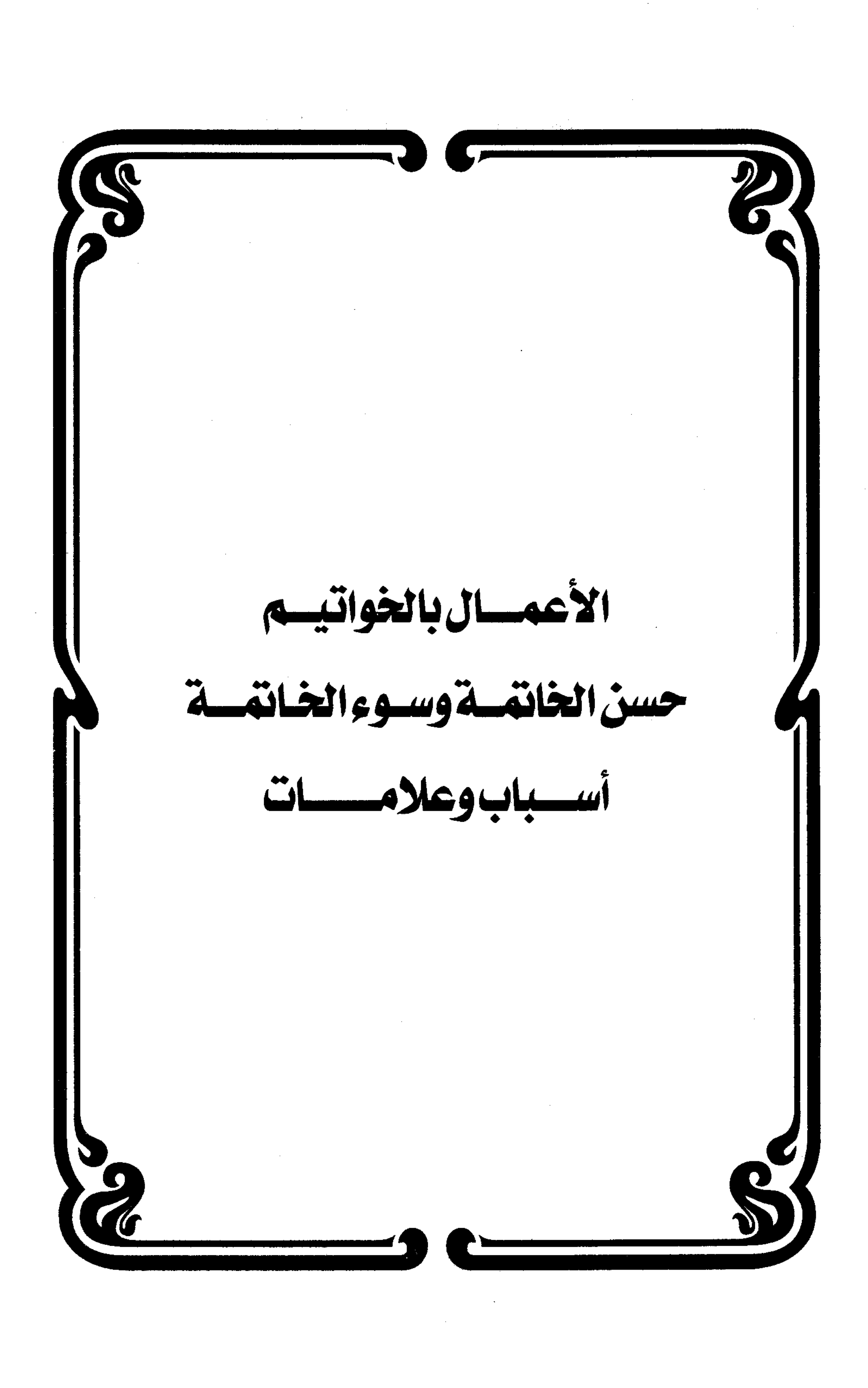
* * *

---

(١) «صيد الخاطر» لابن الجوزي تحقيق عامر بن علي ياسين ص(٢٦٣ ـ ٢٦٤) ـ دار ابن خزيمة.

(٢) رواه البخاري، ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) يعني: أعانه على إسراع أخذة الموت الخانقة ـ «صيد الخاطر» ص(٤٨٥).



الأعمال بالخواتيم

حسن الخاتمة وسوء الخاتمة

أسباب وعلامات

«حسن الخاتمة وسوء الخاتمة أسباب وعلامات»

يرحم اللَّه سفيان الثوري وهو من هو يقول عند الموت: «بكينا على الذنوب زمانًا ونحن الآن نبكي على الإسلام».. هذا خوف الصديقين.. خوف من يعرف الأمر حق معرفته.. وأن الأعمال بالخواتيم.. وهي حقيقة تتصدع لها الأكباد وتنفطر لها القلوب، وتسيل منها العيون دمًا.

ولولا أن اللَّه جل وعلا حَدَّدَ الآجال لـزهقت الأنفس عند أول ذكره، ولكنها مربوبة مُدَبَّرةٌ، مقهورة مصرفة، تخرج إذا أذن لها في الخروج، وتلج إذا أذن لها في الولوج، وما يمنع القلوب من الانشقاق والانصداع والانفطار والانقطاع، والذي يلقى المختوم له بسوء الخاتمة عذاب لا تقوم له السماوات والأرض لشدته، ولا آخر لمدته.

قيل: لا تكفّ دمعك حتى ترى في المِعاد رِبعَك.

وقيل: لا تكحل عينك بنوم، حتى ترى حالك بعد اليوم.

وقيل: لا تبت وأنت مسرور حتى تعلم عاقبة الأمور.

وقد علمت أن الناس صنفان: صنف مقرب مُصَانٌ، وصنفٌ مبعدٌ مهانٌ، صنف نصبت له الأسرة والحِجالُ، وجمعت له الرغائب، والآمال والأرائك والكلال، وصنف أعدت له الأراقم والصلال والمقامع والأغلال وضروب الأهوال[1] .

---

(١) «اغتنام الأوقات في الباقيات الصالحات قبل هجوم هادم اللذات ومشتت الشمل ومفرق الجماعات» لعبد العزيز المحمد السلمان (٣١ ـ ٣٢) الطبعة الأولى ـ وقفية». =

● «وإذا كانت الهداية إلى اللَّه مصروفة، والاستقامة على مشيئته موقوفة، والعاقبة مغيبة، والإرادة غير مغالبة، فلا تعجب بإيمانك وعملك، وصلاتك وصومك، وجميع قربك، فإن ذلك وإن كان من كسبك فإنه من خلق ربك وفضله الدار عليك وخيره، فمهما افتخرت بذلك كنت كالمفتخر بمتاع غيره، وربما سلب عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف البعير، فكم من روضة أمست وزهرها يانعٌ عميمٌ، فأصبحت وزهرها يابسٌ هشيمٌ، إذ هبت عليها الريح العقيم، كذلك العبد يمسي وقلبه بطاعةِ اللَّه مشرقٌ سليمٌ، فيصبح وهو بمعصية اللَّه مظلمٌ سقيمٌ، ذلك فعل العزيز الحليم، الخلاق العليم[1] .

عن سهل بن سعدٍ أن رجلاً من أعظم المسلمين غناءً عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي ﷺ، فنظر النبي ﷺ فقال: «**من أحبَّ أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا**»، فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال، من أشد الناس على المشركين، حتى جُرِحَ فاستعجل الموت، فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه، فأقبل الرجل إلى النبي ﷺ مسرعًا فقال: أشهد أنك رسول اللَّه، فقال: «**وما ذاك؟**»، قال: قلتَ لفلان من أحب أن ينظر إلى رجلٍ من أهل النار فلينظر إليه، وكان أعظمنا غناءً عن المسلمين فعرفت أنه لا يموت على ذلك، فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه فقال النبي ﷺ عند ذلك: «**إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل**

= وانظر: رسالة شيخنا الحبيب الدكتور أحمد فريد «تذكير النفوس المؤمنة بأسباب سوء الخاتمة وأسباب حسن الخاتمة».

(١) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» لأبي عبد اللَّه القرطبي بتحقيق مجدي فتحي السيد (١/ ١٠٩) ط. دار الصحابة ـ طنطا.

الجنة. ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم»(١) .

فلا تصلح الأعمال الصالحة حتى يختم للعبد بعمل صالح يدخله اللَّه به الجنة قال رسول اللَّه ﷺ : «**والذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها...**»(٢) .

● **قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ:**

والمراد بالذراع التمثيل للقرب من موته ودخول عقبه، وأن تلك الدار ما بقي بينه وبين أن يصلها إلا كمن بقي بينه وبين موضع من الأرض ذراع، والمراد بهذا الحديث: أن هذا قد يقع في نادر من الناس، لا أنه غالب فيهم، ثم إنه من لطف اللَّه تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة، وهو نحو قوله تعالى: «**إن رحمتي سبقت غضبي، وغلبت غضبي**»(٣) (٤) .

● عياذًا باللَّه من الحور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهدى، ومن المعصية بعد التقى، كم من وجوه خاشعة وقع على قصص أعمالها عاملة ناصبة تصلى نارًا حامية، كم من شارف مركبه ساحل النجاة فلما هَمَّ أن يرتقي لعب به موجٌ فغرق. الخلق كلهم تحت هذا الخطر قلوب العباد بين

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي.

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٦/ ٢٩٦).

إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ما العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا[١] .

● ولقد كان من دعـاء نبينا ﷺ : **«اللَّهم يا وليّ الإسلام وأهـله مسّكني بالإسلام حتى ألقاك عليه»**.

وكان نبـينا ﷺ يتعوذ مـن فتنة المحيا والمـمات وفتنة الممـات في هذه اللحظات عند السياق والسكرات.

● قال أبو محمد عبد الحق: اعلم أن سـوء الخاتمة ـ أعاذنا اللَّه منها ـ لا تكون لمن استقـام ظاهره وصلح باطنه، وما سمع بهـذا ولا علم به ـ والحمد للَّه ـ وإنما تكون لمن كان له فساد في الـعقل، أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيصطلمه الشيطان عند تلـك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهـشة ـ والعياذ باللَّه ـ أو يكون ممن كان مـستقيمًا، ثم يتغـير عن حاله ويخرج عن سنـنه، ويأخذ في طريقه، فيكون ذلك سببًا لسوء خاتمته، وشؤم عاقبته.

● قال ابن القـيم ـ رحمه اللَّه ـ: فإذا كـان العبد في حال حـضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد تمكـن منه الشيطان واستعمله فيمـا يريده من معاصي اللَّه، وقد أغـفل قلبه عن ذكر اللَّـه، وعطل لسانه عن ذكـره، وجوارحه عن طاعته، فكيف الظن به عند سقوط قواه، واشـتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم النزع، وقد جـمع الشيطان له كل قوتـه وهمته، وحشده عليه بـجميع ما يقدر علـيه لينال منه فـرصته، فإن ذلك آخر الـعمل، فأقوى ما يكـون عليه شيطانه ذلك الوقت، وأضعف ما يكـون هو في تلك الحال، فمن ترى يسلم

---

(١) «لطائف المعارف» (٣٥٥ ـ ٣٥٦).

على ذلك فهناك: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فكيف يوفق لحسن الخاتمة من أغفل اللَّه سبحانه قلبه عن ذكره، واتبع هواه، وكان أمره فرطًا؟!! فبعيد مَنْ قلبه بعيد من اللَّه تعالى، غافل عنه متعبد لهواه، أسير لشهواته، ولسانه يابس عن ذكره، وجوارحه معطلة عن طاعته، مشتغلةٌ بمعصيته، بعيد عن هذا أن يوفق للخاتمة بالحسنى.

ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين، وكأن المسيئين الظالمين قد أخذوا توقيعًا بالأمان.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٣٩ ـ ٤٠].

* كما قيل:

يا آمنًا من قبح الفعل منه أَهَلْ	أَتَاكَ توقيع أَمْنٍ أنتَ تملكُهُ
جمعتَ شيئين أمْنًا واتباع هوى	هَذَا وَإِحداهُمَا في المرء تُهلكُهُ
والمُحسنونَ على دربِ المخاوفِ قَدْ	ساروا وذلكَ دربٌ لستَ تسلكُهُ
فرطت في الزرعِ وقتَ البذرِ من سَفَهٍ	فكيفَ عند حصادِ النَّاسِ تُدركُهُ
هَذَا وأعجبُ شَيءٍ فِيكَ زُهدكَ في	دَارِ البَقَاءِ بِعَيْشٍ سَوْفَ تتركُهُ
مَن السفيهُ إذًا باللَّه أنتَ أم الـ	مغبونُ في البيع غَبْنًا سوفَ يُدْرِكُهُ[1]

فالخوف من سوء الخاتمة هو الذي طيَّشَ قلوب الصديقين، وحَيَّرَ أفئدتهم في كل حين، ليس لهم في الدنيا راحة كلما دخلوا سكة من سكك السكون

---

(١) «الداء والدواء» لابن القيم (١٤٣ ـ ١٤٤) طبع دار ابن الجوزي.

أخرجهم الجزع إلى شارع من شوارع الخوف.

أروح بشجو ثم أغدو بمثله وتحسب أني في الثياب صحيح

أحكَمَ القومُ العلمَ فحكم عليهم بالعمل، فقاطعوا التسويف الذي يقطع أعمار الأعمال، وانتهبوا فانتبهوا الليل والنهار، وأخرجوا قوى العزائم إلى الأفعال، فلما قضوا ديون الجد قضت عليهم بالحذر من الردِّ.

القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء سبحانه، كما ثبت ذلك عن المصطفى ﷺ.

كم سمعنا عمن آمن ثم كفر، وكم رأينا من استقام ثم انْحرَفَ، ولذلك كان كثيرًا ما يردد عليه الصلاة والسلام من دعائه: **«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»**[(١)] .

● اللَّهم لا تجعلنا ممّن يفضحه ميراثه عند موته وعند القدوم عليك.

قال رسول اللَّه ﷺ:

«من مات على شيء بعثه اللَّه عليه»[(٢)] .

وكم بكى العباد على الخاتمة، فلن تخرج الأرواح حتى يسمعوا نغمة ملك الموت بإحدى البشريين: إما أبشر يا عدو اللَّه بالنار، أو أبشر يا وليّ اللَّه بالجنة.

فيا بُعد سفرنا وقلة زادنا... لا يزول خوفنا ولا يسكن اضطرابنا حتى نسمع مقالة ملك الموت: اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان ورب غير غضبان.

---

(١) «اللطف في الوعظ» لابن الجوزي ص(٢١).

(٢) رواه الحاكم (٤/ ٣١٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ووافقه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٨٣).

أسباب حسن الخاتمة

١ ـ الاستقامة:

والاستقامة أعظم الكرامة... وسبب عظيم في حسن الخاتمة قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [الأحقاف: ١٣].

والاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، قال الصديق ﷺ لما سئل عنها: أن لا تشرك باللَّه شيئًا. فأراد بها الاستقامة على محض التوحيد. وفسّرها الفاروق بالاستقامة على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب، وفسرها ذو النورين بإخلاص العمل للَّه، وفسرها ابن تيمية بالمحبة والعبودية، لا يلتفتوا عنها يمنة ولا يُسرة.

وهي تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات، ووقوعها للَّه، وباللَّه وعلى أمر اللَّه، وردّ الجهالات إلى السنّة، والمتابعة في مسائل الاعتقاد والعمل والعبادة.

● «وأهل الاستقامة هم الذين تتنزل عليهم ملائكة اللَّه عز رجل عند الموت بالبشارة بالجنة والنجاة من النار، إشارة إلى أنهم يوفقون للخاتمة الحسنة»(١).

«لما احتُضر أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ﷺ قال: لا تبكوا عليّ، فإني لم أتنطف(٢) بخطيئة منذ أسلمت»(٣).

---

(١) «تذكير النفوس المؤمنة» ص(٦٩). (٢) لم أتنطَّف: أي لم أتلطخ.
(٣) «السير» (١/ ٢٠٤).

● والعماد المقدسي قال عنه ابن قدامة: «من عمري أعرفه، ما عرفت أنه عصى اللَّه معصية»[١] .

فلما جاءه الموت جعل يقول: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث... واستقبل القبلة وتشهد.

٢ ـ التقوى:

قال اللَّه عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

قال الشيخ أحمد فريد: «وعد اللَّه عز وجل أهل التقوى بالمخرج من كل ضيق فقال عز وجل: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾ [الطلاق: ٢].

ولا شك أن العبد في حال السكرات في شدة وحرج والمخرج والنجاة في الذكر والطاعة والنطق بكلمة التوحيد، كما وعد اللَّه عز وجل المتقين اليسر بعد المشقة فقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق: ٤].

٣ ـ ومن أسباب حسن الخاتمة حسن الظن باللَّه تعالى:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر**»[٢] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**قال اللَّه تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، إنْ ظنّ**

---

(١) «السير» (٢٢/ ٥٠).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم في «الحلية» عن واثلة، وكذا رواه ابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٩٠٥).

خيراً فله، وإن ظن شراً فله»[1] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «**قال اللَّه تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء**»[2] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «**قال اللَّه تعالى: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه**»[3] .

● وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ قبل موته بثلاث يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن باللَّه**»[4] .

قال ابن الجوزي: «فليجعل المريض حسن الظن باللَّه شعاره ودثاره، وليقو نفس رجائه، فإن الخوف سوط تساق به النفس إلى الجد، وما بقي في الناقة موضع لسوط إنما حسن الظن».

● وعن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال له: «**كيف تجدك؟**»، قال: أرجو اللَّه وأخاف ذنوبي، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه اللَّه ما يرجوه وأمّنه مما يخاف**»[5] .

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣١٥)، وفي «السلسلة الصحيحة» (١٦٦٣).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك» عن واثلة، وكذا رواه أحمد، وابن حبان، والدولابي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣١٦).

(٣) رواه مالك، وأحمد، والبخاري، والنسائي عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم (١٧/ ٢٠٩) في «صفة الجنة»، وأبو داود في «سننه» (٢٠٩٧) في الجنائز.

(٥) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٢٦١) في كتاب «الزهد»، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٥١).

قال حبان أبو النضر: قال لي واثلة بن الأسقع: قُدْني إلى يزيد بن الأسود الجرشي فإنه قد بلغني أنه لما به، فقدتُه، فدخل عليه وهو ثقيل، فقلت له: إنه ثقيل قد وُجّه وقد ذهب عقله، فلما سمع أن واثلة قد جاءه فمدّ يده، فجعل يلتمس بها، فعرفت ما يُريد، فأخذت كفّ واثلة فجعلتها في كفه، وإنما أراد أن تقع يده في يد واثلة، ذلك لموضع يد واثلة من رسول اللَّه ﷺ فجعل يضعها مرة على صدره، ومرّة على وجهه، ومرّة على فيه، فقال له واثلة: ألا تخبرني عن شيء أسألك عنه، كيف ظنك باللَّه تبارك وتعالى؟ قال: أغرقتني ذنوبي لي إشفاف[1] على هلكة، ولكني أرجو رحمة ربي، فكبّر واثلة، وكبّر أهل البيت بتكبيره، وقال: اللَّه أكبر سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**قال اللَّه عز وجل: أنا عند ظن عبدي، فليظن بي ما يشاء**»[2].

● وعن المعتمر بن سليمان التيمي: قال أبي حين حضرته الوفاة: يا معتمر حدثني بالرّخص لعلي ألقى اللَّه وأنا حسن الظن به.

● وعن إبراهيم قال: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه.

● وقال عطاء بن السائب: دخلنا على أبي عبد الرحمن نعوده فذهب بعض القوم يرجّيه فقال: إني لأرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان[3].

---

(١) في «حسن الظن»: «اعترتني ذنوبي، وأشفيت على هلكتي، ولكن أرجو رحمة ربي عز وجل». وأشفى على الهلاك: إذا أشرف عليه.

(٢) «الثبات عند الممات» (٦٨ ـ ٦٩)، و«حسن الظن» لابن أبي الدنيا.

(٣) «الثبات عند الممات» ص(٧٠).

٤ ـ ومن أسباب حسن الخاتمة الصدق:

قال اللَّه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩].

الصدق أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، من لم يكن معه الصدق فهو من المنقطعين الهالكين»، ومن كان معه الصدق أوصله إلى حضرة ذي الجلال وكان سببًا في حسن خاتمته وطيب المآل.

● عن أنس بن مالك ﷺ قال: «عمي أنس بن النضر ـ سُمِّيت به ـ لم يشهد بدرًا مع رسول اللَّه ﷺ، فكبُر عليه، فقال: أول مشهد قد شهده رسول اللَّه ﷺ، غبتُ عنه!! أما واللَّه، لئن أراني اللَّه مشهدًا مع رسول اللَّه ﷺ ليرينَّ اللَّه ما أصنع.

قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول اللَّه ﷺ يوم أُحد، من العام المقبل، فاستقبله، فقال: يا أبا عمرو، إلى أين؟ قال: واهًا لريح الجنة!! أجدها دون أحد. فقاتل حتى قُتِل، فوُجد في جسده بضع وثمانون، من بين ضربة وطعنة ورمية. قالت عمتي الرُبيِّع بنت النضر: فما عرفتُ أخي إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية: ﴿**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾[1] [الأحزاب: ٢٣].

فهذا الصادق الرباني يجد حلاوة العمل قبل الشروع فيه، يجد ريح الجنة قبل أن يقاتل.

---

(١) **صحيح:** أخرجه الترمذي في «جامعه» في كتاب التفسير، وقال: حسن صحيح. والنسائي في «الكبرى»، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» رقم (٢٥٥٧)، وهو عند البخاري مختصرًا، وعند مسلم أيضًا.

عن شداد بـن الهاد ﷺ أن رجلاً مـن الأعراب جاء إلى الـنبي ﷺ فآمـن به واتبـعه ثم قـال: أهاجر مـعك، فـأوصى به الـنبي ﷺ بـعض أصحابه، فلـما كانت غزوة غنم النبـي ﷺ سبيًا فقسم وقسـم له، فأعطى أصحابه مـا قسم له، وكان يرعـى ظهرهم، فلمـا جاء دفعوه إليه فـقال: ما هذا؟ قالـوا: قِسْمٌ قسمـه لك النبي ﷺ فأخـذه فجاء به إلى الـنبي ﷺ فقال: مـا هذا؟ قال: «**قسمـته لك**» قال: ما على هذا تبعـتك، ولكن اتبعتك على أن أرمـى ها هنا، وأشار إلـى حلقه ـ بسـهم فأدخل الجنـة، فقال: «**إن تصدق اللَّه يصدقك**».

فلبثوا قليـلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأتى به الـنبي ﷺ يحمل قد أصابه السهم حيث أشار. فقال النبي ﷺ: «**أهو هو**»، قالوا: نعم: قال: «**صدق اللَّه فصدقه**».

ثم كفنه الـنبي ﷺ في جبة النبـي ﷺ ثم قدمه فصلي علـيه فكان فيما ظـــهر من صلاته: «**اللَّهم هذا عبـدك خرج مهاجراً فقتل شهيـداً، أنا شهيد على ذلك**»[(١)].

● وربعي بن حراش زعم قومه أنه لم يكذب قط.

عن الحـارث الغنـوي قال: «آلى ربـعي بـن حراش أن لا تفـتر أسنـانه ضاحكًا، حتى يعلم أين مصيره. قـال الحارث: فأخبر الذي غسّله أنه لم يزل متبسمًا على سريره ونحن نغسله، حتى فرغنا منه ـ رحمة اللَّه عليه ـ»[(٢)].

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي، والحاكم في «المستدرك» عن شداد بن الهاد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤١٥)، و«أحكام الجنائز» ص(٦١).

(٢) «تاريخ دمشق» (٦/ ١٠١) ب.

٥ ـ ومن أسباب حسن الخاتمة التوبة:

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

روى البخاري، ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا، ثم خرج يسأل، فأتى راهبًا فسأله، فقال له: ألي توبة؟ قال: لا. فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت فنأى بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه: أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه: أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما. فوجداه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له**».

وفي حديث ماعز بن مالك لما جاء للنبي ﷺ تائبًا من الزنى، وقال: طهّرني وفي الحديث: «**لقد تاب توبة لو قُسِّمت بين أمة لوسعتهم**».

وفي حديث مسلم عن الغامدية قال رسول الله ﷺ: «**فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لَغُفِر له**».

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر**»[1].

٦ ـ ومن أسباب حسن الخاتمة الحذر من أسباب سوء الخاتمة:

وسنذكرها بالتفصيل فيما بعد وهي:

«١ ـ فساد المعتقد والتعبد بالبدع.

٢ ـ مخالفة الظاهر للباطن.

---

(١) رواه الترمذي، وأحمد، وابن ماجه، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن غريب، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٦١٦٠)، وحسّنه الألباني.

٣ ـ إلف المعاصي والإصرار عليها.

٤ ـ حب الدنيا.

٥ ـ العدول عن الاستقامة.

٦ ـ تعلق القلب بغير اللَّه عز وجل.

٧ ـ التسويف بالتوبة»[١] .

٧ ـ ومن أسباب حسن الخاتمة: ذكر الموت ورؤية المحتضرين وتغسيل الموتى وزيارة القبور:

فذكر الموت ينغص اللذات ويحقّر الشهوات ويجعل الآخرة نصب العين، ومشاهدة المحتضرين والنظر إلى سكراتهم ونزعاتهم ومعالجتهم في طلوع الروح وشدة كربهم أعظم عبرة.

وتغسيل الموتى يرقّ به القلب وتذرف العينان، ورؤية القبور وسكونها تعجل بالتوبة فتكون سببًا لحسن الخاتمة.

علامات حسن الخاتمة

قال الشيخ الألباني في «أحكام الجنائز»[٢] .

«إن الشارع الحكيم قد جعل علامات بينات يستدل بها على حسن الخاتمة، كتبها اللَّه تعالى لنا بفضله ومنه، فأيما امرئ مات بإحداها كانت بشارة له، ويا لها من بشارة.

(١) «تذكير النفوس المؤمنة» لشيخنا الدكتور أحمد فريد ص(٧٧).
(٢) سنذكر كلام الشيخ الألباني مختصرًا ونزيد عليه.

● **الأولى: نطقه بالشهادة عند الموت وفيه أحاديث:**

١ ـ «**من كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه دخل الجنة**»[١].

٢ ـ وعن طلحة بن عبيد اللَّه ﷺ قال: «رأى عمر طلحة بن عبيد اللَّه ثقيلاً فقال: ما لك يا أبا فلان؟ لعلك ساءتك امرأة عمك يا أبا فلان؟ قال: لا [وأثنى على أبي بكر] إلا أني سمعت من رسول اللَّه ﷺ حديثًا ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات سمعته يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفس اللَّه عنه كربته، فقال عمر: إني لأعلم ما هي قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت: لا إله إلا اللَّه؟ قال طلحة: صدقت، هي واللَّه هي[٢].

● **الثانية: الموت برشح الجبين:**

لحديث بريدة بن الخطيب ﷺ: أنه كان بخرسان فعاد أخًا له وهو مريض فوجده بالموت، وإذا هو يعرق جبينه فقال اللَّه أكبر: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**موت المؤمن بعرق الجبين..**»[٣].

● **الثالثة: الموت ليلة الجمعة أو نهارها:**

لقوله ﷺ: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه اللَّه فتنة القبر...**»[٤].

---

(١) رواه أبو داود (٣١٠٠ عون)، والحاكم (١/ ٣٥١)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في «الإرواء» رقم (٦٨٦).

(٢) رواه أحمد (١٣٨٤ شاكر)، والحاكم (١/ ٣٥٠، ٣٥١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده أحمد شاكر.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٥٧، ٣٦٠)، والنسائي (٤/ ٦)، والترمذي (٩٨٢)، وحسنه الحاكم (١/ ٣٦١)، وقال: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه أحمد (٦٥٨٢ شاكر)، والترمذي (١٠٧٤)، وقال: حسن غريب وضعفه أحمد =

● **الرابعة: الاستشهاد في ساعة القتال:**

قال تعالى: ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١].

وفي ذلك أحاديث:

١ ـ «**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويحلى حلية الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه...**»[(١)] .

٢ ـ «وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»[(٢)] .

* * *

= شاكر وقال الألباني: وله شواهد عن أنس وجابر فالحديث بمجموع طرقه حسن، أو صحيح.

(١) رواه الترمذي (٧/ ١٦١) فضائل الجهاد، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه (٢٧٩٩) واللفظ له، وأحمد (٤/ ١٣١)، وصححه الألباني.

(٢) رواه النسائي (٤/ ٩٩) الجنائز، وقال الألباني: وسنده صحيح.

الموت بسبب من أسباب الشهادة غير القتل في سبيل اللَّه

* أشرف الميتات بعد القتل في سبيل اللَّه:

وأسباب الشهادة كثيرة غير القتل في سبيل اللَّه تعالى: وقد جمعنا منها خمسًا وعشرين سببًا صحيحًا يأخذ بها العبد أجر الشهيد.

الخامسة: الموت غازيًا في سبيل اللَّه:

لقوله ﷺ: «**ما تعدون الشهيد فيكم؟**»، قالوا: يا رسول اللَّه من قتل في سبيل اللَّه فهو شهيد. قال: «**إن شهداء أمتي إذا قليلٌ**»، قالوا: فمن هم يا رسول اللَّه؟ قال: «**من قتل في سبيل اللَّه فهو شهيدٌ، ومن مات في سبيل اللَّه فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، والغريق شهيد..**»[(١)] .

وفي الباب عن عمر عند الحاكم والبيهقي.

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**من فَصَلَ - أي: خرج - في سبيل اللَّه فمات أو قتل فهو شهيد، أو وقصته فرسه، أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأي حتف شاء اللَّه فإنه شهيد، وإن له الجنة**»[(٢)] .

السادسة: الموت بالطاعون:

● عن حفصة بنت سيرين قالت: قال لي أنس بن مالك: بم مات يحيى ابن أبي عمرة. قلت: بالطاعون، فقال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الطاعون**

---

(١) رواه مسلم (١٩١٥)، «الإمارة»، وأحمد (٢/ ٣١٠).

(٢) رواه أبو داود (٢٤٨٢ عون) «الجهاد»، والحاكم (٢/ ٧٨) «الجهاد»، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وحسنه والألباني.

شهادة لكل مسلم»[١] .

● وعن عائشة أنها سألت رسول اللَّه ﷺ عن الطاعون؟ فأخبرها نبي اللَّه ﷺ : **«أنه كان عذابًا يبعثه اللَّه على من يشاء، فجعله اللَّه رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب اللَّه له إلا كان له مثل أجر الشهيد»**[٢] .

● يأتي الشهداء والمتوفون بالطعون فيقول أصحاب الطاعون: نحن شهداء. فيقال: انظروا فإن كانت جراحهم كجراح الشهداء تسيل دمًا ريح المسك فهم شهداء فيجدونهم كذلك»[٣] .

السابعة: الموت بداء البطن:

لقول رسول اللَّه ﷺ : «... **ومن مات في البطن فهو شهيد»**[٤] .

٢ ـ عن عبد اللَّه بن يسار قال: كنت جالسًا وسليمان بن صرد وخالد ابن عرفطة، فذكروا أن رجلاً توفي، مات ببطنه، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته فقال أحدهم للآخر ألم يقل رسول اللَّه ﷺ : **«من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره»**.

فقال الآخر: بلى وفي رواية: «صدقت»[٥] .

الثامنة والتاسعة: الموت بالغرق والهدم:

لقوله ﷺ : **«الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب**

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ١٩٠) «الطب»، وأحمد (٣/ ١٥٠، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٥٨).
(٢) رواه البخاري (١٠/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) «الطب»، وأحمد (٦/ ٦٤، ٥٤١، ٢٥٢).
(٣) رواه أحمد (٤/ ١٨٥)، والطبراني في «الكبير»، وحسنه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٠٥).
(٤) رواه مسلم (١٩١٥) «الإمارة»، وأحمد (٢/ ٣١٠).
(٥) رواه النسائي (٤/ ٩٨) «الجنائز»، وأحمد (٤/ ٢٦٢)، وقال الألباني: وسنده صحيح.

الهدم، والشهيد في سبيل اللَّه»[١].

العاشرة: موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها:

● عن عبادة بن الصامت أن رسول اللَّه ﷺ عاد عبد اللَّه بن رواحة قال: فما تحوز له عن فراشه فقال: «أتدري من شهداء أُمَّتِي؟»، قالوا: قتل المسلم شهادة قال: «إن شهداء أمتي إذًا لقليل! قتل المسلم شهادة، والطاعون شهادة، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة [يجرها ولدها بسرره إلى الجنة]»[٢].

الحادية عشر، والثانية عشر: الموت بالحرق وذات الجنب:

وفيه أحاديث أشهرها عن جابر بن عتيك مرفوعًا:

«الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل اللَّه: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة»[٣].

الثالثة عشر: الموت بداء السِّل لقوله ﷺ:

«القتل في سبيل اللَّه شهادة، والنفساء شهادة، والحرق شهادة، والغرق شهادة، والسل شهادة، والبطن شهادة»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٥٠) «الجهاد والسير»، ومسلم (١٩١٤) «الإمارة».

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٠١)، (٥/ ٣٢٣)، والدارمي (٢/ ٢٠٨)، وقال الألباني: وإسناده صحيح.

(٣) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ٢٣٣، ٢٣٤) الجنائز، والنسائي (٤/ ١٣، ١٤) الجنائز، وأبو داود (٣٠٩٥ عون) الجنائز، وقال الألباني: ولست أشك في صحة متنه؛ لأن له شواهد كثيرة.

(٤) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٣١٧)، وقال: رواه الطبراني في «الكبير»، وفيه مندل بن علي، وفيه كلام كثير وقد وثق، وقال الألباني: ويشهد له حديث راشد بن حبيش.

الرابعة عشر: الموت في سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه:

وفيه أحاديث:

١ - «**من قتل دون ماله**» - وفي رواية: «**من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد**»(١).

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول اللَّه أرأيت إن جاء رجلٌ يريد أخذ مالي؟ قال: «**فلا تعطه مالك**». قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتله**»، قال: أرأيت إن قتلني، قال: «**فأنت شهيد**»، قال: أرأيت إن قتلته؟، قال: «**هو في النار**»(٢).

٣ - عن مخارق رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يأتيني فيريد مالي؟ قال: «**ذكِّرهُ باللَّهِ**»، قال: فإن لم يذكر؟ قال: «**فاستعن عليه من حولك من المسلمين**». قال: فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين؟ قال: «**فاستعن عليه السلطان**». قال: فإن نأى السلطان عني [وعجل علي؟] قال: «**قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة، أو تمنع مالك**»(٣).

الخامسة عشر والسادسة عشر والسابعة عشر: الموت في الدفاع عن الدين والنفس والأهل:

لقوله صلى الله عليه وسلم: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٥/ ١٤٧) للظالم، والنسائي (٧/ ١١٦) الجنائز.

(٢) رواه مسلم (١٤٠) الإيمان، والنسائي (٧/ ١١٤) الجنائز.

(٣) رواه النسائي (٧/ ١١٣ - ١١٤) «الأيمان والنذور»، وأحمد (٥/ ٢٩٤ و٢٩٥)، وقال الألباني: وسنده صحيح.

(٤) رواه أبو داود (٤٧٤٦ عون) السنة، والترمذي (١٤٢١) الديات، وقال: هذا حديث حسن =

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«من قتل دون مظلمته فهو شهيد»**[1].

الثامنة عشر والتاسعة عشر والعشرون: من صُرِع عن دابته في سبيل اللَّه، ومن وقصه بعيره، ومن لدغته هامة وهو في سبيل اللَّه:

● عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَنْ صُرِعَ عن دابته فهو شهيد»**[2].

● عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من فصل في سبيـل اللَّه فمات، أو قُتِـل، أو وَقَصَتْه فرسُه أو بـعيرُه، أو لدغتْه هـامةٌ، أو مات على فراشه، بأيِّ حتْفٍ شاء اللَّه، فإنه شهيد، وإن له الجنة»**[3].

● قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ١٦٣):

« **«من صرع عن دابّته»** في سبيل اللَّه فمات **«فهو شهيد»** أي: من شهداء المعركة إن كان سقوطه بسبب القتـال، وعلى ذلك ترجم البخاري (باب فضل من صُرِع في سـبيل اللَّه فمات فهـو منهم)، أي: من المجاهدين، فـلمّا كان الحديث ليس على شرطه، أشار إليـه بالترجمة، وفي الباب ما رواه أبو داود، والحاكم، والـطبراني عن أبـي مالك الأشعري مـرفوعًا. والصرع، كـما في القـاموس وغيره: الـطَّرْح على الأرض، وعـلةٌ معـروفة، والمراد: بالحـديث

= صحيـح، والنسائـي (٧/ ١١٦) الأيمان والنذور، وأحمـد (١٦٢٨ شاكر)، وقال الـعلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(١) رواه النسـائي (٧/ ١١٧) الأيمان والنذور، وأحمـد (٢٧٨٠ شاكر)، وقال العلامـة أحمد شاكر: إسنـاده صحيح وهو في «مـجمع الزوائد» (٦/ ٢٤٤)، وقال: رواه أحـمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣٣٦).

(٣) **حسن**: رواه أبو داود والحاكم وصححه، وحسنه ابن حجر، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤١٣).

السقوط عن الدابة حال قتال الكفار بسبب أي وجه كان؛ إمّا بطرح الدابة له، أو بعروض تلك العلّة في تلك الحالة عروضًا ناشئًا عن القتال، كأن أورثه شدّة الانفعال».

الحادية والعشرون: المائد في البحر: فيموت بسبب دوار البحر فله أجر شهيد .

● عن أم حرام ﵂، قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لـلمائِد أجرُ شهيدٍ، وللغريقِ أجرُ شهيدين**»[1] .

● وعن أم حرام ﵂ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**المائدُ في البحر الذي يُصيبه القيءُ له أجرُ شهيدٍ، والغريق له أجر شهيدين**»[2] .

الثانية والعشرون: الشَّريق:

قال ابن الأثير في «النهاية»: هو الذي يشرق بالماء فيموت.

قال ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٥٢): «وللطبراني من حديث ابن عباس مرفوعًا: «**المرء يموت على فراشه في سبيل اللَّه شهيد**». وقال ذلك أيضًا في المبطون واللدِيغ والغريق والشريق والذي يفترسه السبع، والخارّ عن دابته، وصاحب الهدم، وذات الجنب».

الثالثة والعشرون: من تردّى من رؤوس الجبال:

من تَرَدَّى من رؤوس الجبال:

● عن ابن مسعود ﵁ قال: «إن من يتردى من رؤوس الجبال، وتأكله

---

(١) **صحيح:** رواه الطبراني في «الكبير» عن أم حرام، ورواه أبو داود، والحميدي وابن معين، والدولابي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥١٨٧).

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٦٤٢).

السباع ويغرق في البحار، لشهيدٌ عند اللَّه»[١] .

الرابعة والعشرون: من افترسه السبع:

● عن ابن قانع، عن ربيع الأنصاري ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**الطَّعْن والطاعون والهدم، وأكل السبع، والغرق، والحرق، والبطن، وذات الجنب ـ شهادةٌ**»[٢] .

الخامسة والعشرون: من قام إلى إمام جائر، فأمره بمعروف فقتله:

قال رسول اللَّه ﷺ : «**سيِّدُ الشهداء: حمزة بن عبد المطلب، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ، فأمره ونهاه. فقتله**»[٣]

السادسة والعشرون: من سأل الشهادة بصدق ومات على ذلك:

● عن أنس ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**مَنْ طَلَبَ الشهادة صادقًا، أُعطيها ولو لم تُصبهُ**»[٤] .

● وعن سهل بن حنيف ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**من سأل**

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»، كتاب الجهاد، باب في الشهادة (٥/ ٢٦٩)، موقوفًا بإسناد صحيح، والطبراني في «معجمه». قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٢): إسناده صحيح، وأخرجه سعيد بن منصور في «سننه».

(٢) **صحيح**: قال الألباني: «أورده المنذري في «الترغيب والترهيب»، والهيثمي من رواية الطبراني دون قوله: «أكل السبع»، وجعل مكانه: «والنفساء بجمع شهادة». وقالا: ورجالهم محتج بهم في «الصحيح». وفقرة السبع لم أجد لها شاهدًا إلا من قول ابن مسعود موقوفًا عليه».

(٣) **حسن**: رواه الحاكم، والضياء عن جابر، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦٧٥).

(٤) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم.

اللَّه الشهادة بصدق، بلَّغه اللَّه منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»(١) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«مَنْ سأل اللَّه القتل في سبيل اللَّه، صادقًا من قلبه، أعطاه اللَّه أجر شهيد، وإن مات على فراشه»**(٢) .

السابعة والعشرون: الدعوة إلى السنة في وقت الفتن والموت عليها:

● عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«إن من ورائكم زمانَ صبرٍ، للمتمسك فيه أجرُ خمسين شهيدًا منكم»**(٣) .

● وعن عتبة بن غزوان، أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إن من ورائكم أيامَ الصبر، للمتمسك فيهنَّ يومئذ بما أنتم عليه، أجرُ خمسين منكم»**. قالوا: يا نبي اللَّه، أو منهم؟ قال: **«بل منكم»**(٤) .

الثامنة والعشرون: رباط يوم وليلة:

● لقوله ﷺ : **«الرباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان»**(٥) .

● ولقوله ﷺ : **«كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل**

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي، وأحمد، وابن حبان، والحاكم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي عن معاذ، ورواه الحاكم عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٧٧).

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود. قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٦٨): «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم». وصححه في «صحيح الجامع» رقم (٢٢٣٤).

(٤) **صحيح**: صححه الألباني بشواهده في «الصحيحة» رقم (٤٩٤) (١/ ٢٦٨).

(٥) رواه مسلم (١٩١٣) الإمارة، والترمذي (١٦٦٥) فضائل الجهاد، والنسائي (٦/ ٣٩) الجهاد.

اللَّه، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر»[١] .

التاسعة والعشرون: الموت على عمل صالح:

● لقوله ﷺ : «**من قال لا إله إلا اللَّه ابتغاء وجه اللَّه ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يومًا ابتغاء وجه اللَّه ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه اللَّه ختم له بها دخل الجنة**»[٢] .

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا اللَّه وأنك رسول اللَّه، وصليتُ الصلوات الخمس، وأديتُ الزكاة، وصُمت رمضان وقُمتُه، فممن أنا؟ قال: «**من الصديقين والشهداء**»[٣] .

ولفظ ابن خزيمة: جاء رسول اللَّه ﷺ رجلٌ من قضاعة فقال له: إن شهدتُ أن لا إله إلا اللَّه وأنك رسول اللَّه، وصليتُ الصلوات، وصمت الشهر، وقمتُ رمضان، وآتيت الزكاة؟ فقال النبي ﷺ : «**من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء**» .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «**من خُتم له بصيام يوم دخل الجنة**»[٤] .

أي مات بعد صومه أو عند إفطاره عقب صومه.

---

(١) رواه أبو داود (٢٤٨٣ عون) الجهاد، والترمذي (١٦٢١) فضائل الجهاد، وقال: حديث صحيح، والحاكم (٢/ ١٤٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وأحمد (٦/ ٢٠).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٩١) قال الألباني: وإسناده صحيح، وقال المنذري: لا بأس به.

(٣) **صحيح**: رواه البزار، وابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحيهما»، واللفظ لابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٩٩٣).
والتعليق على ابن خزيمة رقم (٢٢١٢). وعلى هذا الحديث يكون سببًا من أسباب الشهادة.

(٤) رواه البزار عن حذيفة، وكذا رواه أحمد، وابن شاهين، وابن بشران، وأبو نعيم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٢٤).

● وقال رسول الله ﷺ:

«إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله»، قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يفتح له عملاً صالحًا بين يديْ موته حتى يرضى عليه من حوله»[(١)].

● وقال رسول الله ﷺ:

«إذا أراد الله بعبد خيرًا طهّره قبل موته»، قالوا: وما طهور العبد؟ قال: «عمل صالح يلهمه إيّاه حتى يقبضه عليه»[(٢)].

● وقال رسول الله ﷺ:

«إذا أراد الله بعبد خيرًا عسله»، قيل: وما عسله؟ قال: «يفتح له عملاً صالحًا قبل موته، ثم يقبضه عليه»[(٣)].

● وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله»، قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت، ثم يقبضه عليه»[(٤)].

* * *

(١) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والحاكم في «المستدرك» عن عمرو بن الحمق وكذا رواه البخاري في «التاريخ»، وابن حبان، والطحاوي، وابن أبي عاصم في «السنة»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٤).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٦).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير» عن أبي عتبة، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١١١٤)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٠٧).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، وابن حبان، والحاكم عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٥).

*** الموت بالمدينة المنورة:**

● عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها»[١] .

*** أسباب سوء الخاتمة:**

● قال ابن رجب: «قد خُذِل خلْق كثير عند الموت، فمنهم من أتاه الخذلان من أول مرضه، فلم يستدرك قبيحًا مضى، وربما أضاف إليه جورًا في وصيته، ومنهم من فاجأه الخذلان في ساعة اشتداد الأمر، فمنهم من كفر، ومنهم من اعترض وتسخط، نعوذ باللَّه من الخذلان.

وهذا معنى سوء الخاتمة، وهو أن يغلب على القلب عند الموت الشك، أو الجحود فتقبض النفس على تلك الحالة، ودون ذلك أن يتسخط الأقدار»[٢] .

● قال الشيخ صديق حسن خان: سوء الخاتمة على رتبتين:

إحداهما: أعظم من الأخرى، فأما الرتبة العظيمة الهائلة فهي أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك وإما الجحود، فتقبض الروح على تلك الحالة، فتكون حجابًا بينه وبين اللَّه تعالى أبدًا. وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد.

والثانية وهي دونها: أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا، أو شهوة من شهواتها، فيتمثل ذلك في قلبه، ويستغرقه حتى لا يبقى

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٥٤).

(٢) «الثبات عند الممات» لابن الجوزي ص(٧٨).

في تلك الحالة متسع لغيره، فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر؛ لأن المرء يموت على ما عاش عليه، وعند ذلك تعظم الحسرة، إلا أن أصل الإيمان وحب اللَّه تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة، وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة، يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت، فإذا كان إيمانه في القوة إلى حد مثقال، أخرجه من النار في زمان أقرب، وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار.

ولكن لو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد وأن يخرجه من النار، ولو بعد آلاف السنين. وكل من اعتقد في اللَّه تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئًا على خلاف ما هو به إما تقليدًا وإما نظرًا بالرأي والمعقول، فهو في هذا الخطر، والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر، بل لا ينجي منه إلا الاعتقاد الحق، على وفق الكتاب العزيز والسنة المطهرة، والبُلْهُ بمعزل عن هذا الخطر[1].

١ ـ فساد المعتقد والتعبد بالبدع حتى الموت:

«فإن أهل البدع هم أكثر الناس شكًّا واضطرابًا عند الموت، وذلك لسوء معتقدهم وفساد قلوبهم، ومرضها بالشبهات والشكوك، وقد يظهر لهم من معاينة أمور الآخرة عند الموت ما يظهر فساد معتقدهم، وسوء منقلبهم، فيدفعهم ذلك إلى اليأس والقنوط، فأهل السنة هم أكثر الناس ثباتًا على أقوالهم ومعتقداتهم فالثبات على الحق هو سيما أهل الحق، قال هرقل لأبي سفيان بن حرب، سائلاً عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ ورضي الله عنهم هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطةً له؟: قال: لا. قال كذلك

(١) «يقظة أولي الاعتبار» لصديق حسن خان ص(٢١٦).

الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب. فأهل السنة والجماعة هم أعظم الناس صبرًا وثباتًا على أقوالهم ومعتقداتهم وأهل البدع هم أكثر الناس شكًّا واضطرابًا في الحياة وعند الممات»[1].

● **قال العلامة صديق حسن خان في أسباب سوء الخاتمة:**

منها الفساد في الاعتقاد، وإن كان مع كمال الزهد والصلاح، فإن كان له فساد في اعتقاده مع كونه قاطعًا به، متيقنًا له غير ظانٍ أنه أخطأ فيه، قد ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده من الاعتقادات الحقة مثل هذا الاعتقاد باطل لا أصل له، إن لم يكن عنده فرق بين اعتقاد واعتقاد، فيكون انكشاف بطلان بعض اعتقاداته سببًا لزوال بقية اعتقاداته، فإن خروج روحه في هذه الحالة قبل أن يتدارك ويعود إلى أصل الإيمان يختم له بالسوء، ويخرج من الدنيا بغير إيمان، فيكون من الذين قال اللَّه عز وجل فيهم: ﴿ **وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ** ﴾ [الزمر: ٤٧].

وقال في آية أخرى: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤].

فإن كلَّ من اعتقد شيئًا على خلاف ما هو عليه إما نظرًا برأيه وعقله، أو أخذًا ممن هذا حاله، فهو واقع في هذا الخطر، ولا ينفعُه الزهد والصلاح، وإنما ينفعه الاعتقاد الصحيح المطابق لكتاب اللَّه وسنة رسوله؛ لأن العقائد الدينية لا يعتد بها إلا ما أخذت منها[2].

---

(١) «تذكير النفس المؤمنة» ص(٢٧ ـ ٢٨).

(٢) «يقظة أولي الاعتبار» لصديق حسن خان (٢٠٥) طبع دار الفتح تحقيق د. أسامة عبد العظيم.

«وكم ختم لكثير من البشر بالسوء بسبب ما ابتدعوا في دين اللَّه عز وجل، وزاغوا وانحرفوا عن صراطه المستقيم، وظهرت حقيقتهم في أول لقائهم مع رب العالمين.

فهذا ابن الفارض عمر بن علي الحموي (المتوفي سنة ٦٣٢هـ) والذي كان ينفق بالاتحاد، ويقول بحلول اللَّه جل وعلا في مخلوقاته، وأن الرب عبدٌ والعبد رب، عندما احتضر نظم بيتين من الشعر وهو في تلك الحالة يعبر فيها عن شقوته وعن هلاكه، يبكي ويقول:

إن كانَ منزلتي في الحب عندكُمُ ... ما قد رأيتُ فقد ضيعتُ أيَّامي

أمنيةٌ ظفرت نفسي بها زَمَنًا ... واليومَ أحسَبُهَا أضغاثُ أحَلام[1]

وانظر إلى حال الحلاج وخاتمته ففيها أكبر العظات.

قال في الطواسين:

ألا أبلغ أحبائي بأني ... ركبت البحر وانكسر السفينة

على دين الصليب يكون موتي ... فلا البطحا أريد ولا المدينة

وانظر إلى هذا الزنديق القائل: «أبرأ إليك مما وحّدك به الموحدون».

قال الذهبي: هذا عين الزندقة.

وانظر إلى رأس أهل الحلول والاتحاد الحلاج: الكفر والإيمان يفترقان من حيث الاسم، فأما من حيث الحقيقة فلا فرق بينهما.

وعن جندب بن زاذان تلميذ الحلاج قال: كتب الحسين إليّ: ستر اللَّه عنك ظاهر الشريعة، وكشف لك حقيقة الكفر، فإن ظاهر الشريعة كفر،

---

(١) «تذكير النفس المؤمنة» ص(٢٨).

وحقيقة معرفة جلية»[١] .

فلما جاءه الموت:

«قال الخطيب قال لنا أبو عمر بن حيوية: لما أُخرج الحسين بن منصور الحلاّج ليُقتل مضيت في جملة الناس، ولم أزل أزاحم عليه حتى رأيته، فدنوت منه، فقال لأصحابه: لا يهولنكم هذا الأمر، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يومًا، ثم قُتل فما عاد.

قال الذهبي: هذه حكاية صحيحة توضح لك أن الحلاج مخرق كذّاب حتى عند قتله»[٢]

● وابن الفارض شيخ الاتحادية وصاحب التائية. . .

قال ابن حجر عنه: «ينعق بالاتحاد الصريح في شعره»[٣] .

وقال ابن حجر: «وكنت سألت شيخنا سراج الدين البلقيني عن ابن عربي، فبادر بالجواب بأنه كافر، فسألته عن ابن الفارض فقال: لا أحب أن أتكلم فيه. قلت: فما الفرق بينهما والموضع واحد؟ وأنشدته من التائية، فقطع عليّ بعد إنشاد عدة أبيات بقوله: هذا كفر، هذا كفر»[٤] .

● ابن الفارض الذي يكذب على رسول الله ﷺ، ويقول: إنه رآه منامًا وأنه سأل ابن الفارض عن قصيدته التائية، ما سمّاها؟ فأجابه بأنه سمّاها: لوائح الجَنان وروائح الجنان. فقال له النبي ﷺ : لا، بل سمِّها:

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤).

(٢) «السير» (١٤/ ٣٤٦).

(٣) «لسان الميزان» (٤/ ٣١٧ ـ ٣١٩).

(٤) «لسان الميزان» لابن حجر (٤/ ٣١٧ ـ ٣١٩).

نظم السلوك»[١] . فماذا كان منه عند الموت.

عند موته تأوّه، وصرخ صرخة عظيمـة، وبكى بكاء شديدًا، وتغيّر لونه وقال:

إن كانَ منزلتي في الحب عندكُمُ ما قد رأيتُ فقد ضيعتُ أيَّامِي

أمنيةٌ ظفرت نفسي بهـا زَمَنًا واليومَ أحسَبُهَا أضغاثُ أحَلام

٢ ـ ومن أسباب سوء الخاتمة: مخالفة الباطن للظاهر:

«فقد يكون العبد بظاهره يعمل بطـاعة اللَّه عز وجل، ولكنه يبطن النفاق أو الرياء، أو يكـون في قلبه دسيسة مـن دسائس السوء كالكبـر أو العجب، فيظهر ذلك عليه في آخر عمره، ويختـم له به فتكون الخسارة الأبدية والهلاك الأخروي، كما في قصة الذي كان يقاتـل مع رسول اللَّه ﷺ ويبلي أحسن البلاء، ولكـنه لم يكن ذلك للَّه عـز وجل، أو من أجل أن تكون كلـمة اللَّه هي العليا، فلما جرح استعجل الموت فانتحر، فقال النبي ﷺ : «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار**»[٢] .

فقوله ﷺ : «**فيما يبدو للناس**» يدل على أن باطنه خلاف ظاهره، ولا يمكن أن تسوء خاتمة من صلح ظاهره وباطنه واللَّه أعلم.

● قال الحافظ ابن الجـوزي: واسم الرجل قزمان، وكان قد تـخلف عن المسلمين يوم أحد، فَعَيَّرَه النســاء، فخرج حتى صار في الصف الأول، فكان أول من رمى بســهم، ثم صار إلى الســيف ففعل العـجائب، فلما انـكشف المسلمون كـسر جفن سيفه، وجعـل يقول: الموت أحسن من الفـرار، فمر به

---

(١) «ديباجة الديوان» ص(٦ـ ٧).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٥٣٨) المغازي.

قتادة بن النعمان، فقال له: هنيئًا لك بالشهادة فقال: واللَّه ما قاتلت على دين، وإنما قاتلت على حسب قومي، ثم أقلقته الجراحة فقتل نفسه»[١].

● وعن أبي هريرة ﷺ قال: «شهدنا خيبر، فقال رسول اللَّه ﷺ لرجل ممن معه يدعي الإسلام: «**هذا من أهل النار**»، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال، حتى كثرت به الجراحة، فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهمًا فنحر بها نفسه، فاشتد رجال مِن المسلمين فقالوا: يا رسول اللَّه صَدَّق اللَّهُ حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه. فقال: «**قم يا فلان فأذِّن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إنَّ اللَّه يؤيد الدينَ بالرجل الفاجر**»[٢].

وعلى كل حال، إن قلنا إن القصة واحدة أو متعددة، فهي شاهدة لما أشرنا إليه من أن من أسباب سوء الخاتمة اختلاف الظاهر والباطن، سواءٌ كان بنفاقٍ أكبر، والعياذ باللَّه أو الرياء والسمعة»[٣].

● نعوذ باللَّه من الحور بعد الكور:

فهذا عبد اللَّه القصيمي الذي نال من العلم كثيرًا وبرع فيه وخاصة علم العقيدة وأثنى عليه معاصروه وجرّد قلمه في الرد على مخالفي أهل السنة والجماعة، فردّ على الدجوي في كتابه «البيارق النجدية»، وألف كتابه «الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم»، وله كتاب عن الوثنية يقال إنه من أروع ما كُتب في هذا المجال.

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٥٣٩).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٥٣٩) المغازي.

(٣) «تذكير النفس المؤمنة» ص(٣١).

قال عنه معاصروه: إننا لم نره قط إلا وقد تأبّط كتابًا وكان مولعًا بقراءة «صحيح البخاري».

ولكن هذا الرجل كانت به آفة تنخر به ولم يوقف جماحها وهي تحقير الآخرين، والثناء على النفس وتزكيتها، والحسد لمن قبله من أنداده من أهل العلم وقرناءه. وجميع هذه النقاط يجمعها الغرور والإعجاب بالنفس يقول:

فما أنا إلا الشمس في غير برجها وما أنا إلا الدر في لجج البحر

فكيف أصبح من جلسائه أصحاب الكفر والغانية والكأس، بل وألف كتابًا يستهزئ بالتوحيد وأهله فتصدى له بعض أهل العلم والفضل وكشف زيغه، وردّ ضلالته»[١] .

٣ ـ ومن أسباب سوء الخاتمة:

● «قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: ومن عقوباتها (أي: الذنوب والمعاصي) أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه، فإن كل أحدٍ يحتاج إلى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه ومعاده.

إلى أن قال: هذا وثَمَّ أمرٌ أخوف من ذلك وأدهى منه وأمر، وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار، والانتقال إلى اللَّه، فربما تعذر عليه النطق بالشهادة، كما شاهد الناس كثيرًا من المحتضرين أصابهم ذلك حتى قيل لبعضهم: قل: لا إله إلا اللَّه.

فقال: آه آه لا أستطيع أن أقولها.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا اللَّه فقال: شاه رخّ[٢] غلبتك ثم قضى.

---

(١) «من أخبار المتنكسين» لصالح بن مقبل العصيمي ص(٢٣٠ ـ ٢٣٣) ـ دار ابن خزيمة.

(٢) اسم لأحجار الشطرنج.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا اللَّه فقال:

يا رب قائلة يومًا وقد تعبت   كيف الطريق إلى حَمَّام منجابِ

ثم قضى.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا اللَّـه فجعل يهذي بالغناء ويقول: تاتنا تنتنا حتى مات.

وقيل لآخر ذلك فقال: ما ينفعني ما تقول ولم أدع معصية إلا ركبتها؟ ثم مات ولم يقلها.

وقيل لآخر ذلك فقال: ما يغني عني وما أعرف أني صليتُ للَّهِ صلاةً؟ ولم يقلها.

وقيل لآخر ذلك فقال: أنا كافر بما تقول ولم يقلها وقضى.

وقيل لآخر ذلك فقال: كلما أردت أن أقولها ولساني يمسك عنها[1].

● وقال الذهبي: ما من ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم، فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقيل له: قل لا إله إلا اللَّه، فقال: شاهك ثم مات. فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته في اللعب، فقال عوض كلمة التوحيد: شاهك وهذا كما جاء في إنسان آخر ممن كان يجالس شراب الخمر، أنه حين حضره الموت فجاءه إنسان يلقنه الشهادة، فقال له: اشرب واسقني ثم مات.

فلا حول ولا قوة إلا باللَّه[2].

---

(١) «الداء والدواء» (١٤١ ـ ١٤٣).

(٢) «الكبائر» للذهبي.

● قال الشيخ صديق حسن خان: «فطول الإلف بالمعاصي يقتضي تذكرها عند الموت، وعودها في القلب وتمثلها فيه، وميل النفس إليها وإن قبض روحه في تلك الحالة يختم له بالسوء[1] .

● عن عبد العزيز بن أبي رواد قال:

«حضرت رجلاً عند الموت يلقن الشهادة لا إله إلا اللَّه فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك قال: فسألت عنه فإذا هو مدمنُ خمرٍ. وكان عبد العزيز يقول: «اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته»[2] .

● وقال الربيع بن مرة: وقيل لرجل ها هنا بالبصرة: يا فلان، قل: لا إله إلا اللَّه فجعلَ يقول:

يا ربَّ قائلة يوماً وقد لغبت — أين الطريقُ إلى حمام منجابِ

● قال الفقيه أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن النجاد: هذا رجل قد استدلته امرأة إلى الحمام فدلها إلى منزله، فقاله عند الموت.

وذكر أبو محمد عبد الحق هذه الحكاية في كتاب «العاقبة» له فقال:

هذا الكلام له قصة وذلك أن رجلاً كان واقفًا بإزاء داره، وكان يشبه باب حمام، فمرت به جارية لها منظر وهي تقول: أين الطريق إلى حمام منجاب فقال لها: هذا حمام منجاب وأشار إلى داره، فدخلت الدار ودخل وراءها، فلما رأت نفسها معه في داره وليس بحمام علمت أنه خدعها، أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة، وفي تلك الدار. وقالت له: يصلح «أن يكون» معنا ما نطيب به عيشنا وتقر به أعيننا، فقال لها: الساعة

---

(١) «يقظة أولي الاعتبار» ص(٢٠٥ ـ ٢٠٦).

(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ١٧٣) طبع الرسالة.

آتيك بكل ما تريدين، وبكل ما تشتهين، فخرج وتركها في الدار ولم يقفلها، وتركها محلولة على حالها ومضى، فأخذ ما يصلح لهما ورجع ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت، ولم يجد لها أثرًا، فهام الرجل بها، وأكثر الذكر لها. والجزع عليها وجعل يمشي في الطرق والأزقة وهو يقول:

يا ربَّ قائلة يومًا وقد لغبت أين الطريقُ إلى حمام منجابِ

وإذا بجارية تجاوبه من طاق وهي تقول:

هَلاَّ جَعَلْتَ لَمَّا ظفرتَ بِهَا حِرزًا على الدارِ أَوْ قُفْلاً عَلَى الباب

فزاد هيمانه، واشتد هيجانه، ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكر، فنعوذ باللَّه من المحن والفتن[1].

● وهذه بعض القصص المعاصرة، والعبر المتأخرة نسوقها للعبرة والعظة، ومن لم يعتبر بغيره كان عبرة لغيره والسعيد من اعتبر بغيره، والشقي من اعتبر بنفسه.

● شخصية كويتية دائمة السفر إلى بلاد جنوب شرق آسيا كل صيف وبالأخص إلى دولة «تايلاند» فقد كان صاحب القصة متزوجًا ولديه أطفال وعمره لم يناهز الثلاثين عامًا، إلا أنه ما زال على عادته القديمة لا يفكر إلا في شهوته وملذاته سواء أكانت في الحلال أم في الحرام. لقد سافر من دولة الكويت ووجهه أبيض من بياض البيض، وكله شباب وقوة، وفي إحدى الليالي الساهرة هناك تعرّف على راقصة عاهرة فرافقها إلى إحدى الشقق، وكان بانتظاره «ملك الموت»، فما إن قرب منها وجاءت اللحظة الحاسمة. . . نادى المنادي: الرحيل. . . الرحيل. . فقبضه ملك الموت، ورجع إلى بلده

(١) «التذكرة» (١٠٣ ـ ١٠٤).

محملاً بالتابوت، وفُتح التابوت، وإذا بالمفاجأة الكبرى... وهي أن وجهه أصبح لونه أسود من سواد القار»[١] .

● **وقصة أخرى: لفاجر يسجد لراقصة:**

«فتى سافر إلى «بانكوك» وتعرّف على فتاة بغيّ هناك، وأصبح يعاشرها كما يعاشر الرجل زوجته يتلذذ بمنظرها، ويستأنس بحديثها لا يحتمل فراقها ولا يستغني عنها، وفي إحدى الأيام تأخرت فاجرته عن القدوم إليه، فطار صوابه وعاش ساعات حرجة وأوقات صعبة حتى قدمت إليه، فزال حزنه وانفرج همه، واستقبلها استقبالاً خططت له الشياطين طويلاً ونجحت في نهايته... لقد عبّر لها عن مقدار فرحته بقدومها بأن جعلها إلهًا له فخرّ لها ساجدًا... ولكن كانت السجدة الأخيرة»[٢] .

● حصل حادث مروع في طريق مكة إلى جدة، قال من حضر المشهد: فلما رأينا منظر السيارة ومشهدها الخارجي قلت أنا ومن معي من الإخوة: ننزل فننظر ما حال هذا الإنسان، وكيف أصبح، فلما اقتربنا من الرجل وجدناه في النزع الأخير من حياته، ووجدنا مسجل السيارة مفتوحًا على أغانٍ غربية باطلة، فأغلقنا المسجل، ثم نظرنا إلى الرجل وما يعانيه من سكرات الموت. فقلنا: هذه فرصة لعل اللَّه عز وجل أن يجعل على أيدينا فلاح هذا الرجل في دنياه وآخرته، فأخذنا نقول له: يا هذا قل: لا إله إلا اللَّه.

أتدري أخي ـ بماذا تكلم في آخر رمق من حياته؟

ليته ما نطق. لقد قال كلمة رهيبة عظيمة:

---

(١) «الوقت عمار أو دمار» لجاسم محمد بدر المطوع (٢/ ٨٦ ـ ٨٧) ـ دار الدعوة.

(٢) «أخبار المنتكسين» ص(٢٦ ـ ٢٧). رواها الشيخ سعد البريك.

لقد قال عياذًا باللَّه تعالى من ذلك ـ بكلمته العامية فسبَّ دين اللَّه عز وجل، ثم قال: ما بدي أصلي ولا بدي أصوم، ثم مات على ذلك»[١] .

● وهذه قصة أربعة من الشباب كلما سمعوا ببلد يفعَلُ فيها الفجور طاروا إليها. فبينما هم في ليلة من الليالي وفي ساعة متأخرة من الليل يجاهرون اللَّه عز وجل بالمعصية والفجور، بينما هم في غمرة اللهو والمجون إذا بأحد الأربعة يسقط مغشيًّا عليه، فيهرع إليه أصحابه الثلاثة، فيقول له أحدهم يا أخي قل: لا إله إلا اللَّه فيرد الشاب ـ عياذًا باللَّه ـ إليك عني زدني كأس الخمر، وتعالي يا فلانة، ثم فاضت روحه إلى اللَّه، وهو على تلك الحال السيئة، نسأل اللَّه السلامة والعافية.

ثم كان حال الثلاثة الأخرين لما رأوا صاحبهم وما آل إليه أمره أنهم أخذوا يبكون، وخرجوا من المرقص تائبين، وجهزوا صاحبهم وعادوا به إلى بلاده، ولما وصلوا المطار فتحوا التابوت ليتأكدوا من جثته، فلما نظروا إلى وجهه فإذا عليه كدرة وسواد عياذًا باللَّه[٢] .

● وهذه قصة حكاها لي أحد إخواننا الأفاضل: سيارة على الطريق الصحراوي من الأسكندرية إلى القاهرة، في المقعد الأمامي شاب وفتاة، تصدر منهما الحركات غير اللائقة والكلمات الفاسقة المستهترة، والسيارة تسير بسرعة جنونية، وفي لحظات معدودة ارتطمت السيارة بحاجز حديدي فخرج من شاهد الحادث من أجل إسعاف من بالسيارة، فإذا بالفتاة قد فارقت الحياة على هذه النهاية المأسوية، وإذا بوجهها يسود في لحظات، وإذا بالشاب يرغي ويزبد، ثم فارق الحياة كذلك على هذه النهاية المحزنة والخاتمة السيئة، نسأل

---

(١) «رسالة عاجلة إلى المسلمين» (٤٦ ـ ٤٧) بتصرف.

(٢) المصدر السابق باختصار (٥٤ ـ ٥٥).

اللَّه العافية.

● وهذه قصة ثلاثة من الأصدقاء يجمع بينهم الطيش والعبث والمجون، كانوا يستدرجون الفتيات الساذجات بالكلام المعسول، ثم ينقلبون إلى ذئاب لا ترحم توسلاتهن.

● يقول الراوي: ذهبنا كالمعتاد للمزرعة، وكان كل شيءٍ جاهزًا، الفريسة لكل واحد منَّا، الشراب الملعون، شيء واحد نسيناه، وهو الطعام، وبعد قليل ذهب أحدنا لشراء العشاء بسيارته، وكانت الساعة السادسة تقريبًا عندما انطلق، ومرت الساعات دون أن يعود، وفي العاشرة شعرت بالقلق، فانطلقت بسيارتي أبحث عنه، وفي الطريق شاهدت بعض ألسنة النار تندلع على جانب الطريق.

وعندما وصلت فوجئت بأنها سيارة صديقي، والنار تلتهمها، وهي مقلوبة على أحد جانبيها، أسرعت كالمجنون أحاول إخراجه من السيارة المشتعلة، وذهلت عندما وجدت نصف جسده قد تفحم تمامًا، لكنه كان ما يزال على قيد الحياة، فنقلته إلى الأرض، وبعد دقيقة فتح عينيه وأخذ يهذي النار.. النار فقررت أن أحمله بسيارتي وأسرع به إلى المستشفى ولكنه قال بصوتٍ باك: لا فائدة، لن أصل فخنقتني الدموع، وأنا أرى صديقي يموت أمامي.

وفوجئت به يصرخ: ماذا أقول له؟ نظرت إليه بدهشة وسألته من هو؟ قال بصوت كأنه قادم من بئرٍ عميق: اللَّه.

أحسست بالرعب يجتاح جسدي، وفجأة أطلق صديقي صرخة مدوية، ولفظ آخر أنفاسه[1].

(١) «للشباب فقط» لعادل بن محمد العبد نقلاً عن رسالة «أخي الشاب إلى أين تسير؟» (١٠ ـ ١٢) لمحمد أمين مرزا عالم ط. الدعوة السلفية.

● وهذه قصة شاب آخر فـارق الدنيا بعد ليلة حمـراء، ولم يمهله الموتُ حتى يصل إلى داره.

قال الراوي: حدثني أحدهم قال: «كنت مسافرًا في دراسة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكان شأني شأن كثيـر من الشباب الذين يقضون الليل في الملهى والمـرقص، وذات يوم كنا آيبـين من لهونا وعبـثنا، وتقدم بعـضنا إلى الإسكان، أما واحدٌ منَّا فقد استبطأناه وقلنا: لعله يأتي بعد سويعة، ولم نزل ننتظره لكنه لم يأت فنزلنا نبحـث عنه يمينًا وشمالاً، ثم قلنا أخيرًا: لا بد أنه في الموقف الذي يجعل للسيارة تحت البناء، فدخلنا الموقف فوجدنا أن محرك السيارة لا زال مشتعلاً، وصاحبنا سـاكن لا يتحرك، والموسيقى لا زالت ترن منذ آخر الليل حتى اللحظة التي فتحنا فيها باب السيارة، فتحنا الباب ونادينا: يا أخانا، يا صاحبنا فإذا به قد انقطع عن الـدنيا منذ اللحظة التي وقفت فيها سيارته في ذلك الموقف، وكانت هذه النهاية المحزنة لذلك الشاب قد أشعلت في قلوب الكثير من أولئك الشباب يقـظة وتوبة وإنابة إلى اللَّه تعالى، فعادوا إلى اللَّه تـائبين، وما شربوا بـعدها وما فجروا، ثـم استكانوا وأنابـوا بفضل اللَّه، ثم بتدبرهم لحال صاحبهم الذي مات عـلى معصية اللَّه، وكانت نهايته موعظة لمن يريد الاتعاظ، وأما المفرط المضيع فهو بمعزل عن ذلك[1] »[2] .

* قال أبو عبـد اللَّه القرطبي: يروى أنـه كان بمصر رجل ملتـزم مسجدًا للأذان والصـلاة، وعليه بهاء الـعبادة وأنوار الطاعـة، فرقى يومًا المنـارة على عادته لـلأذان، وكان تحت المنارة دار لـنصراني ذمي، فاطـلع فيها فـرأى ابنة

---

(١) «رسالة عاجلة إلى المسلمين» (٥٢ ـ ٥٣).

(٢) «تذكير النفوس المؤمنة» (٣٦ ـ ٤٠).

صاحب الدار فافتتن بها وترك الأذان، ونزل إليها ودخل الدار. فقالت له: ما شأنك؟ ما تريد؟ فقال: أنت أريدك قالت: لماذا؟ قال لها: قد سلبت لبي وأخذت بمجامع قلبي. قالت: لا أجيبك إلى ريبة. قال لها: أتزوجك. قالت له: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك. قال لها: أتنصر. قالت: إن فعلت أفعل فتنصَّر ليتزوجها وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات، فلا هو بدينه[1] ولا هو بها.

فنعوذ باللَّه ثم نعوذ باللَّه، من سوء العاقبة، وسوء الخاتمة[2].

* قال طاوس عند قوله تعالى: ﴿ **وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء: ٢٨]: «إذا نظر إلى النساء لم يصبر»[3].

وقال ابن عباس ﷺ: «لم يكن كفر من مضى إلا من قِبل النساء، وهو كائن كفر مَن بقي مِن قِبل النساء».

ولقد ساق ابن الجوزي قصة قريبة من القصة التي ذكرناها عن القرطبي فقال:

«بلغني عن رجل كان ببغداد يُقال له: صالح المؤذن، أذّن أربعين سنة، وكان يُعرف بالصلاح، أنه صعد يومًا إلى المنارة ليؤذن، فرأى بنت رجل نصراني كان بيته إلى جانب المسجد، فافتتن بها، فجاء فطرق الباب، فقالت: مَن أنت؟ فقال: أنا صالح المؤذن، ففتحت له، فلما دخل ضمّها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات فما هذه الخيانة؟ فقال: إن وافقتيني على ما

(١) كذا ولعل هنا كلمة ساقطة ولعلّها فاز.

(٢) «التذكرة» (١/١٠٧).

(٣) «ذم الهوى» لابن الجوزي ص(١٧٩)، و«روضة المحبين» لابن القيم ص(٢٠٣).

أريد وإلا قتلتك. فقالت: لا إلا أن تترك دينك، فقال: أنا برئ من الإسلام ومما جاء به محمد، ثم دنا إليها، فقالت: إنما قلت هذا لتقضي غَرَضك ثم تعود إلى دينك، فكُل من لحم الخنزير، فأكل، قالت: فاشرب الخمر، فشرب، فلما دبّ الشراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتًا، وأغلقت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوّجني منك، فصعد فسقط فمات، فخرجت فلفّته في ثوب، فجاء أبوها، فقصّت عليه القصة، فأخرجه في الليل فرماه في السكة، فظهر حديثه، فرُمي في مزبلة[1] .

*** وحكاية أخرى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾:**

وأما الحكاية الأخرى فقد ذكرها الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين ما يلي:

«وفيها تُوفي عبده بن عبد الرحيم قبّحه اللَّه، ذكر ابن الجوزي أن هذا الشقي كان من المجاهدين كثيرًا في بلاد الروم، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصرو بلدة من بلاد الروم، إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها.

فراسلها: ما السبيل إلى الوصول إليكِ؟ فقالت: أن تتنصّر وتصعد إليّ، فأجابها إلى ذلك، فما راع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتمّ المسلمون بسبب ذلك غمًّا شديدًا، وشقّ عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مرّوا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن، فقالوا: يا فلان ما فعل قرآنك؟ ما فعل عملك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟ ما فعلتْ صلاتك؟ فقال: اعلموا أني أُنسيتُ القرآن كله إلا قوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝٢﴾

---

(١) «ذم الهوى» ص(٤٠٩).

ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٢ ـ ٣].

وقد صار لي فيهم مال وولد»[١] .

٤ ـ ومن أسباب سوء الخاتمة طول الأمل:

قال رسول اللَّه ﷺ : **«صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل»**.

● وقال عمر بن عبد العزيز: لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم، فإنه واللَّه ما بُسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا، وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترًّا، وإنما تقرّ عين من وثق بالنجاة من عذاب اللَّه تعالى، وإنما يفرح من أمن أهوال القيامة، فأما من لا يداوي كلمًا إلا إذا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح؟ أعوذ باللَّه من أن آمركم بما لا أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيبتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة».

● وطول الأمل له سببان:

أحدهما: الجهل:

فهو أن الإنسان قد يعوّل على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب، وقد يستبعد الموت لصحته، ويستبعد الموت فجأة. والجهل يدعو إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب والاستعداد له، فهو أبدًا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدّر نزوله به ووقوعه فيه، وهو أبدًا يظن أنه يشيّع

(١) «البداية والنهاية» (١١/ ٦٤).

الجنائز ولا يقدّر أن تشيع جنازته؛ لأن هذا قد تكرّر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره، فأما موت نفسه فلم يألفه ولم يتصوّر أن يألفه، فإنه لم يقع، وإذا وقع في دفعة أخرى بعد هذه، فهو الأول وليس الآخر. وسبيله أن يقيس نفسه بغيره، ويعلم أنه لا بدّ، وأن تحمل جنازته، ويدفن في قبره، ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضُرب وفرغ منه، وهو لا يدري فتسويفه جهل محض.

تزوّد من الدنيا فإنك لا تدري ... إذا جَنّ ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من فتى يمسي ويصبح لاهيا ... وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروس زيّنوها لزوجها ... وقد قُبضت أرواحهم ليلة القدر
وكم من صغار يُرتجى طول عمرهم ... وقد أُدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر

● أيها الغافل:

ضَرَبْت عن ادّكار الموت صَفْحًا ... كأنك لا تراه عليك حتمًا

● أيها الغافل: تنبّه قبل فوات الأوان، وتيقّظ قبل أن يقال: مات فلان.

تفكّر قبل أن تنْدَم ... فإنك ميّت فاعلمْ
ولا تغترّ بالدنيا ... فإن صحيحها يسقمْ
وإن جديدها يبلى ... وإن شبابها يهرَمْ

● أيها الغافل:

تنامُ ولم تنم عنك المنايا ... تنبَّه للمنيّة يا نَؤومُ
تموتُ غدًا وأنت قريرُ عين ... من الغَفَلات في لُجَجٍ تعومُ

لهوتَ عن الفناء وأنت تفنى   وما حيٌّ على الدنيا يدوم[١]

• قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

• أيها الغافل:

يا مُعرضًا عما يُراد به وقدْ   جدّ المسيرُ فمُنتهاهُ دان

يختالُ في حُلَل المسرّة ناسيًا   ما بعدها مِن حلّة الأكفان

أَفِق وتنبّه من جهالاتك وغفلاتك.

• **والسبب الآخر: حب الدنيا.** وسنجعله سببًا مستقلاً من أسباب سوء الخاتمة لأهميته.

٥ ـ السبب الخامس: حب الدنيا:

«إنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها، ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، وكل من كره شيئًا دفعه عن نفسه. والإنسان مشغوف بالأماني الباطلة، فيمني نفسه أبدًا بما يوافق مراده، وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا، فلا يزال يتوهمه ويقدّره في نفسه ويقدّر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفًا على هذا الفكر موقوفًا عليه، فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدّر قربه، فإن خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه، وقال: الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب، وإذا كبر فيقول: إلى أن تصير شيخًا. فإذا صار شيخًا قال:

---

(١) «الندامة الكبرى» لمحمد شومان بن أحمد الرملي ص(١١) ـ دار ابن عفان.

إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة، . . . وهكذا على التدريج إلى أن تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه، فتطول عند ذلك حسرته، وأكثر أهل النار صياحهم من «سوف» يقولون: «وا حزناه من سوف»[1] .

● قال الشيخ صديق حسن خان:

فإن كان في إيمانه ضعف يضعف حب اللَّه تعالى فيه ويقوى حب الدنيا في قلبه، ويستولي عليه بحيث لا يبقى فيه موضع لحب اللَّه تعالى، إلا من حيث حديث النفس، بحيث لا يظهر له أثره في مخالفة النفس، ولا يؤثر في الكف عن المعاصي، ولا في الحث على الطاعات، فينهمك في الشهوات وارتكاب السيئات، فتتراكم ظلمات الذنوب على القلب فلا تزال تطفئ ما فيه من نور الإيمان مع ضعفه، فإذا جاءت سكرات الموت يزداد حب اللَّه ضعفًا في قلبه، لما يرى أنه يفارق الدنيا وهي محبوبة له، وحبها غالب عليه لا يريد تركها، ويتألم من فراقها، ويرى ذلك منه اللَّه تعالى فيخشى أن يحصل في باطنه بغضه تعالى بدل الحب، وينقلب ذلك الحب الضعيف بغضًا، فإن كان خروج روحه في اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة يختم له بالسوء، ويهلك هلاكًا مؤبدًا.

والسبب المفضي إلى هذه الخاتمة حب الدنيا، والركون إليها، والفرح بها، مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب اللَّه تعالى، وهو الداء العضال الذي قد عَمَّ أكثر الخلق، فإن من يغلب على قلبه عند الموت أمر من أمور الدنيا يتمثل ذلك الأمر في قلبه، ويستغرقه حتى لا يبقى لغيره متسع، فإن كان خروج روحه في تلك الحالة يكون رأس قلبه منكوسًا إلى الدنيا، ووجهه

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٨٥).

مصروفًا إليها، ويحصل بينه وبين ربه حجاب[١] .

● قال يحيى بن معاذ: الدنيا خمر الشيطان مَن سكِر منها فلا يفيق إلا في عسكر الموتى نادمًا بين الخاسرين.

● ومحب الدنيا أشدّ الناس عذابًا بها، وهو معذب في دوره الثلاثة: يعذب في الدنيا بتحصيلها والسعي فيها ومنازعة أهلها، وفي دار البرزخ بفواتها والحسرة عليها، وكونه قد حيل بينه وبين محبوبه على وجه لا يرجو اجتماعه به أبدًا، ويعذب يوم لقاء ربه قال تعالى: ﴿**فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾ [التوبة: ٥٥].

«والمقصود أن محبة الدنيا من أضر الأمور على العبد في الدنيا والآخرة إذا أنها من أعظم أسباب سوء الخاتمة، فمن غلب على قلبه حب اللَّه عز وجل والدار الآخرة حسنت خاتمته في الغالب، ومن غلب على قلبه حب الدنيا والتعلق بأسبابها ساءت خاتمته في الغالب، واللَّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[٢] .

* **قال القرطبي**: ومثل هذا في النّاس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا والهمّ بها، أو سبب من أسبابها، حتى لقد حكي لنا أن بعض السماسرة جاءه الموت فقيل له: قل: لا إله إلا اللَّه فجعل يقول: ثلاثة ونصف، أربعة ونصف غلبت عليه «حب» السمسرة.

● ولقد رأيت بعض الحُسَّاب وهو في غاية المرض، يعقد بأصابعه

---

(١) «يقظة أولي الاعتبار» ص(٢٠٧).
(٢) «تذكير النفوس المؤمنة» ص(٤٤).

ويحسب وقيل لآخر قل: لا إله إلا اللَّه فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والجنان الفلانية اعملوا فيها كذا.

● ولقد حكى ابن المظفر في كتاب «النصائح» له قال: كان يونس بن عبيد - رحمه اللَّه تعالى - بزازًا وكان لا يبيع في طرفي النهار، ولا في يوم غيم، فأخذ يومًا ميزانه فرضه بين حجرين، فقيل له: هلا أعطيته الصانع فأصلح فساده؟ فقال: لو علمت فيه فسادًا لما أبقيت من مالي قوت ليلة. قيل له: فلم كسرته؟ قال: حضرت الساعة رجلاً احتضر فقلت له: قل: لا إله إلا اللَّه فامتعض، فألححت عليه فقال: ادع اللَّه لي فقال: هذا لسان الميزان على لساني يمنعني من قولها. قلت: أفما يمنعك إلا من قولها؟ فقال: نعم. قلت: وما كان عملك به قال: ما أخذت ولا أعطيت به إلا حقًّا في علمي، غير أني كنت أقيم المدة لا أفتقده ولا أختبره، فكان يونس بعد ذلك يشترط على من يبايعه أن يأتي بميزان ويزن بيده وإلا لم يبايعه[1].

● **قال ابن القيم:** وأخبرني من حضر بعض الشحاذين عند موته فجعل يقول: للَّهِ، فَلْسٌ للَّهِ، فلس للَّهِ، حتى قضى.

● وأخبرني بعض التجار عن قرابة له أنه احتضر وهو عنده وجعلوا يلقنونه «لا إله إلا اللَّه» وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، هذا مشتري جيدٌ هذا كذا حتى قضى!

وسبحان اللَّه كم شاهد الناس من هذا عبرًا؟ والذي يخفى عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم[2].

---

(١) «التذكرة» (١/ ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) «الداء والدواء» (١٤٣).

٦ ـ العُدول عن الاستقامة:

قيل لأحد علماء سلفنا: فلان عرف طريق اللَّه ثم رجع عنه، فقال: «لو وصلوا إليه ما رجعوا».

فمن عرف طريق المِلك، ثم أعرض عنه وتنكبّه، واختار طرق الغواية والضلال، وآثر الغيّ على الرشاد، والضلالة على الهُدىٰ، والفجور على التقى، كان ذلك من أعظم أسباب سوء الخاتمة.

وقد ورد عند مسلم وأحمد وغيرهما من حديث عبد اللَّه بن سرجس قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يتعوّذ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور».

قال اللَّه تعالى: ﴿**فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [الصف: ٥].

قال ابن كثير: «كان الرجّال بن عنفوة قد وفد إلى النبي ﷺ وقرأ البقرة وجاء زمن الردة إلى أبي بكر فبعثه إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الإسلام ويثبتهم على الإسلام فارتد مع مسيلمة وشهد له بالنبوة».

«وكان الرجّال يقول: كبشان انتطحا فأحبهما إلينا كبشنا يعني مسيلمة ورسول اللَّه ﷺ»(١).

ولقد قُتل هذا الكذّاب الأشر في يوم اليمامة، قتله زيد بن الخطاب.

روى سيف بن عمر في الفتوح، عن مخلد بن قيس البجلي قال: خرج فرات بن حيان والرجال بن عنفوة، وأبو هريرة من عند رسول اللَّه ﷺ

(١) «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني (٢/ ٤٤٦).

فقال: «لضرس أحدهم في النار أعظم من أحد...» فبلغهم ذلك إلى أن بلغ أبا هريرة وفراتًا قتل الرجال فخرّا ساجدين»[1].

• وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧]، إنسان يؤتيه اللَّه آيات، ويخلع عليه من فضله ويكسوه من عمله، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع، ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخًا. وينحرف عن الهدى، ليتبع الهوى، ويهبط من الأفق المشرق، فيلتصق بالطين المُعتم، فيصبح غرضًا للشيطان، فيتبعه، ويلزمه، ويستحوذ عليه، مشهد بائس نكد، إذا نحن بهذا المخلوق، لاصقًا بالأرض، ملوثًا بالطين، مشهد اللهاث القلق الذي لا ينقطع ولا يطمئن أبدًا.

مسخ شائه الكيان، هابط عن مكان الإنسان إلى مكان الحيوان، مكان الكلب الذي يتمرّغ في الطين، وكان له من الإيمان جناح يرف به إلى علّيّين وكان من فطرته الأولى في أحسن تقويم، فإذا هو ينحطّ منها إلى أسفل سافلين.

فخلّ سبيل العين بعدك للبُكا فليس لأوقات الصفاء رجوعُ

انظر ما عرض لمن سبقت شقاوته في الأزل من الحور بعد الكور، فبينما

(١) «من أخبار المنتكسين» ص(٢٢٣، ٢٢٤).

تراه وأحواله حالية، وأعوامه من شوائب الكدر خالية، وغصون أنسه متدلية، ورياض قربه مونقة، قلب الدهر ظهر المجنّ، وغزاه بجيوش المحن، وهبّت على هاتيك الرياض عاصفات القضاء، وضاقت عليه فسيحات القضاء، وذهب، السرور والأنس، وجعل حصيدًا كأن لم يغن بالأمس، وأنشد لسان حاله.

قف بالديار فهذه آثارهم ... تبكي الأحبة حسرة وتشوقًا
كم قد وقفت بها أسائل مخبرًا ... عن أهلها أو صادقًا أو مشفقًا
فأجابني داعي الهوى في رسمها ... فارقت مَن تهوى فعزّ الملتقى

روى أبو يعلى الموصلي في «مسنده» من حديث حذيفة بن اليمان ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن مما أتخوّف عليكم رجل قرّاء القرآن حتى إذا رؤيت بهجته عليه، وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ما شاء اللَّه انسلخ منه ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك**» قال: قلت: يا نبي اللَّه أيهما أولى بالشرك المرمي أو الرامي؟ قال: «**بل الرامي**». إسناده جيد.

*** قصة من واقع الحياة لسوء خاتمة من عدل عن الاستقامة:**

«هذه قصة شاب كان ملتزمًا بشرع اللَّه حريصًا على دينه، محافظًا على يقينه ثم تهاون في تنفيذ أوامر اللَّه عز وجل، وتجرأ على حرمات اللَّه، وعدل عن الاستقامة، فكان ذلك سببًا لسوء خاتمته نسأل اللَّه العافية.

يقول الراوي: صحبنا على ظهر سفينة نجول بها حول البلدان طلبًا للرزق شاب صالح، نقي السريرة، طيب الخلق كنا نرى التقى يلوح في قسمات وجهه، والنور والبشر يرتسمان على محياه لا تراه إلا متوضئًا مصليًا، أو ناصحًا مرشدًا، إن حانت الصلاة أذن لنا وصلى بنا، فإن تخلف أحد عنها،

أو تأخر عاتبه وأرشده، وكان معنا على هذه السَّجِيَّةِ طيلة أسفارنا، وألقى بنا البحر إلى جزيرة من جزر الهند، فنزلنا إليها، وكان مما تعود عليه البحارة أن يستقروا أيامًا يرتاحون فيها ويستجمون بعد عناء السفر الطويل، يتجولون في أسواق المدينة ليشتروا أغرب ما يجدون فيها لأهلهم وأبنائهم، ثم يرجعون إلى السفينة في الليل، وكان منهم نفر ممن وقع في الضلال يتيمم أماكن اللهو والهوى ومحال الفجور والبغاء، وكان ذلك الشاب الصالح لا ينزل من السفينة أبدًا بل يقضي هذه الأيام يصلح في السفينة ما احتاج منها إلى إصلاح، فيفتل الحبال ويلفها ويقدم الأخشاب ويشدها، ويشتغل بالذكر والقراءة والصلاة وقته ذاك.

وقال الراوي وعينه ترقرق بالدموع وتنحدر على لحيته: وفي إحدى السفريات وبينما كان الشاب منشغلاً بأعماله تلك إذا بصاحب له في السفينة ممن أتبع نفسه هواها وانشغل بطالح الأمور عن صالحها، وبسافل الأخلاق عن عاليها يهامسه ويقول:

صاحبي، لم أنت جالس في السفينة لا تفارقها، لم لا تنزل حتى ترى دنيا غير دنياك، ترى ما يشرح الخاطر، ويؤنس النفس! أنا لم أقل لك تعالى إلى أماكن البغاء وسخط اللَّه ولا إلى البارات وغضب اللَّه هيهات يا صاحبي لكن تعالى فانظر إلى ملاعب الثعابين كيف يتلاعب بها ولا يخافها، وإلى راكب الفيل كيف يجعل من خرطومه له سلمًا، ثم يصعد برجليه ويديه حتى يقيمه على رجل واحدة، وآه لو رأيت من يمشي على المسامير أنى له الصبر، ومن يلقم الجمر كأنه تمر، ومن يشرب ماء البحر فيسيغه كما يسيغ الماء الفرات، يا أخي انزل وانظر الناس! فتحركت نفس الشاب شوقًا لما سمع فقال: وهل في هذه الدنيا ما تقول؟

قال صاحب السوء: نعم وفي هذه الجزيرة فانزل تر ما يسرك، ونزل الشاب الصالح مع صاحبه وتجولا في أسواق المدينة وشوارعها حتى دخل به إلى طرق صغيرة ضيقة، فانتهى بهما الطريق إلى بيت صغير، فدخل الرجل البيت وطلب منه الشاب أن ينتظره. وقال: سآتيك بعد قليل، ولكن إياك إياك أن تقترب من الدار، جلس الشاب بعيدًا عن الباب يقطع الوقت قراءة وذكرًا وفجأة إذا به يسمع قهقهة عالية ليفتح الباب وتخرج منه امرأة قد خلعت جلباب الحياء والمروءة.

أواه!! إنه الباب نفسه الذي دخل فيه الرجل، وتحركت نفس الشاب فدنا من الباب، ويصيخ سمعه لما يدور في البيت، وإذا به يسمع صيحة أخرى، فنظر من شق الباب ويتبع النظرة أختها لتتواصل النظرات منه وتتوالى وهو يرى شيئًا لم يألفه، ولم يره من قبل، ثم رجع إلى مكانه، ولما خرج صاحبه بادره الشاب مستنكرًا: ما هذا؟!! ويحك هذا أمر يغضب اللَّه ولا يرضيه.

فقال الرجل: اسكت يا أعمى يا مغفل هذا أمرٌ لا يعنيك.

قال الراوي: ورجعا إلى السفينة في ساعة متأخرة من الليل، وبقي الشاب ساهرًا ليلته تلك مشتغل الفكر فيما رآه، قد استحكم سهم الشيطان من قلبه، وامتلكت النظرة فؤاده. فما إن بزغ الفجر وأصبح الصباح حتى كان أول نازل من السفينة، وما في باله إلا أن ينظر فقط، ولا شيء غير أن ينظر وذهب إلى ذلك المكان فما إن نظر نظرته الأولى وأتبعها الثانية حتى فتح الباب وقضى اليوم كله هناك، واليوم الذي بعده كذلك، فافتقده ربان السفينة وسأل عنه.

أين المؤذن؟ أين إمامنا في الصلاة؟ أين ذلك الشاب الصالح فلم يجبه من البحارة أحدٌ فأمرهم أن يتفرقوا للبحث عنه، فوصل إلى علم الربان من ذهب به إلى ذلك المكان فأحضره وزجره وقال له: ألا تتقي اللَّه ألا تخشى

عقابه، عجل اذهب فأحضره فذهب إليه مرة بعد مرة فلم يستطع إحضاره؛ لأنه كان يرفض ويأبى الرجوع معهم، فلم يكن من قائد السفينة إلا أن أمر عدة من الرجال أن يحضروه قسرًا فسحبوه بالقوة وحملوه إلى السفينة.

قال الراوي: وأبحرت السفينة راجعة إلى البلاد، ومضى البحارة إلى أعمالهم، وأخذ ذلك الشاب في زاوية من السفينة يبكي ويئن، حتى لتكاد نياط قلبه أن تتقطع من شدة البكاء، ويقدمون له الطعام فلا يأكل، وبقي على حاله البائسة هذه بضعة أيام، وفي ليلة من الليالي ازداد بكاؤه ونحيبه ولم يستطع أحد من أهل السفينة أن ينام، فجاءه ربان السفينة وقال له: يا هذا اتق اللَّه ماذا أصابك لقد أقلقنا أنينك فما نستطيع أن ننام، ويحك ما الذي بدل حالك؟ ويلك ما الذي دهاك فرد عليه الشاب وهو يتحسر: دعني فإنك لا تدري ما الذي أصابني، فقال الربان: وما الذي أصابك؟ وعند ذلك كشف الشاب عن عورته وإذا الدود يتساقط من سوأته، فانزعج ربان السفينة وارتعش لما رأى، وقال أعوذ باللَّه من هذا، وقام عنه الربان. وقبيل الفجر قام أهل السفينة على صيحة مدوية أيقظتهم، وذهبوا إلى مصدرها فوجدوا ذلك الشاب قد مات، وهو ممسك خشبة السفينة بأسنانه، استرجع القوم وسألوا اللَّه حسن الختام، وبقيت قصة هذا الشاب عبرة لمن يعتبر[1] .

٧ ـ من أسباب سوء الخاتمة تعلق القلب بغير اللَّه عز وجل:

فمهما تعلق القلب باللَّه عز وجل فإنه يسعد في الدنيا والآخرة، ومهما تعلق بغير اللَّه شقي في الدنيا والآخرة ففي القلب فقر واضطرار إلى اللَّه عز

---

(١) من درس للشيخ أحمد القطّان وهي في أول كتيّب «السهم المسموم»، وهي أيضًا في كتاب «رسالة عاجلة إلى المسلمين» (٤٠ ـ ٤٦).

وجل، لا يسعد إلا بمعرفته، ولا يطمئن إلا بطاعته وعبادته وذكره، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٨]، فإذا تعلق القلب بغير اللَّه محبة أو توكلاً أو خوفًا أو رجاء لا بد أن يشقى العبد قال النبي ﷺ: «**تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة وعبد القطيفة..**»[1] فالقلب يشقى بإعراضه عن اللَّه عز وجل وتعلقه بغيره:

أنت القتيلُ بكل مَنْ أحببتَهُ ... فاخترْ لنفسكَ في الهوَى من تصْطَفي

وكذا تعلق القلب بغير اللَّه عز وجل من أسباب سوء الخاتمة، ولذا نهى اللَّه عز وجل أن يزداد حب العبد لابنه وأبيه وأخيه وزوجته وماله فيكون أكثر من حبه للَّه عز وجل، أو لرسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: ٢٤].

فلا يجوز للعبد أن يعلق قلبه بغير اللَّه عز وجل؛ لأن ذلك قد يغلب على قلبه، ويشغل خاطره فينشغل بذلك عن ذكر اللَّه عز وجل، وعن لا إله إلا اللَّه، وهذه بعض الأمثلة لمن غلب على قلبه محبة غير اللَّه فكان ذلك من أسباب سوء خاتمته.

* يروى أن رجلاً علق بشخصٍ وأحبَّهُ فتمنع عنه، واشتد نفاره، فاشتد قلق البائس إلى أن لزم الفراش، فلم تزل الوسائط تمشي بينهما حتى وعد بأن

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٥٩) «الجهاد» و(١١/ ٢٥٧) «الرقاق».

يعوده، فأخبر بذلك ففرح واشتد فرحه وسروره، وانجلى عنه بعض ما كان يجده، فلما كان في بعض الطريق رجع وقال: واللَّه لا أدخل مداخل الريب، ولا أعرض بنفسي لمواقع التهم، فأخبر بذلك البائس المسكين فسقط في يده، ورجع إلى أسوأ ما كان به، وبدت علامات الموت وأماراته عليه قال الراوي: فسمعته يقول وهو في تلك الحال:

سَلامٌ يا راحةَ العليلِ وبرد ذل الدَّنف[1] النحيلِ

رضاك أشهى إلى فؤادي من رَحمةِ الخَالقِ الجَليلِ

قال: فقلت له: يا فلان اتق اللَّه تعالى. فقال: قد كان ما كان.

فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت قد قامت عليه فنعوذ باللَّه من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة[2] .

* أديب يُولع بغلام نصراني حتى يخرج عن الملّة:

«هذا الأديب يولع بحب غلام نصراني، يقال له عمرو بن حني من أحسن الناس صورة وأجملهم خِلقة فبدأ «مدرك بن علي» الأديب ينشد به الشعر حتى أخرجه من الملة، ومن هذا قوله:

إن كان ذنبي عنده الإسلامُ فقد سَعَتْ في نقضه الآثامُ

واختلاف الصلاة والصيام وجاز في الدين له الحرامُ

ثم إنه زاد به الشغف وصار إلى التلف، ولزم الفراش، وذهل لبه وطاش، فحضره بعض أصدقائه عائدًا، ولمودته رائدًا، فوجدوه في حالة

---

(١) الدنف: المرض الشديد الملازم لصاحبه وتطلق كثيرًا على المريض من الحب والهيام.

(٢) «التذكرة» (١/ ١٠٧ ـ ١٠٨).

شنيعة وهيئة فظيعة، فقال لهم: ألست صاحبكم القديم، وصديقكم النديم، أفلا أحد يسعدني بنظرة إلى وجه عمرو فقد ضاع مني الأجل والعمر، فمضوا إلى عمرو مسرعين، وعلى الإجماع بينهما مجتمعين، فأخبروه بالحال، وأعلموه بما إليه مدرك قد آل، فلبس ثيابه مبادرًا، ولجناب مدرك زائرًا، فدخل عليه وسلّم، وأخذ بيده وتبسّم، وقال: كيف تجدك يا سيدي؟ فهذه يدك في يدي، فنظر إلى البائس ثم غاب من فرط وجده، وفرحه بعابد الصليب وعظم المودة، ثم أنشده شعرًا ثم شهق شهقة فارق الدنيا»(١) .

* كيف يموت العشاق، وكيف عُذّبوا بمن آثروه على اللّه؟

الحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب. . . وإعراض القلب عن اللّه يوقع صاحبه في عشق الصور.

قالوا جننت بمن تهوى فقلتُ لهم — العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه — وإنما يُصرع المجنون في الحين

والعشق والشغف لا يكونان إلا عن فراغ قلب من حب اللّه وشرعه.

«فأين المذهب عن طاعة هذا الملِك الكريم، وما الرغبة في لذة ذاهبة لا تذهب الندامة عنها، ولا تفنى التباعة منها، ولا يزول الخزي عن راكبها؟! . وإلى كم هذا التمادي وقد أسمعنا المنادي، وكأن قد حدا بنا الحادي إلى دار القرار فإما إلى جنة وإما إلى نار»(٢) .

وانظر كيف عُذّب العشاق بمن آثروه من الصور على مولاهم وأمره حتى ماتوا.

---

(١) «من أخبار المنتكسين» (٣٣ ـ ٣٤).
(٢) «رسائل ابن حزم» (١/ ٣٠٠ ـ ٣٠١).

● زوّجوا بثينة نبيهًا فمات جميل عشقًا.

● وزوّجوا ليلى بورد بن محمد العقيلي فمات قيس بن الملوح غرامًا بعد أن جن وسُمِّي مجنون ليلى.

● وزوّجت أسماء بنت عوف برجل من مراد، فمات المرقش الأكبر مضنى بحبها.

● ومات عروة في هوى عفراء وقد زُوّجت بغيره، فقامت تندبه حتى ماتت جزعًا.

● قال البقاعي: «وقال مغلطاي: ذكر الزبير: عن عكرمة مولى ابن عباس ﷺ قال: إني لمع مولاي عشيّة عرفة إذ أقبل فتية من بني عذرة يحملون فتى من بني عذرة قد بلي بدنه حتى أوقفوه بين يديه، ثم قالوا له: استشف لهذا يا ابن عم رسول اللَّه. فقال: وما به؟

قالوا: العشق.

فترنم الفتى بصوت ضعيف حتى لا يبين:

بنا من جوى الأحزان والصب لوعة ... تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقى حشاشة مقول ... على ما به عود هناك صليب

وما عجبي موت المحبين في الهوى ... ولكن بقاء العاشقين عجيب

ثم شهق شهقة فمات.

قال عكرمة: فما زال ابن عباس ﷺ بقية يومه يتعوذ باللَّه تعالى من الحب»[1].

---

(١) «ذم الهوى» لابن الجوزي ص(٣٧٢ ـ ٣٧٤)، «أسواق العشاق» للبقاعي ص(٩١/ ب)، «وكيف يموت العشاق» لابن عقيل الظاهري ص(٣١٤ ـ ٣١٥) ـ دار ابن حزم.

● قال ابن الجوزي في «ذم الهوى»: «قال سنيد: رأيت رجلاً عشق فتنصّر».

وسمعت شيخنا أبا الحسن علي بن عبيد اللَّه الزاغوني يحكي، أن رجلاً اجتاز بباب امرأة نصرانية، فرآها فهويها من وقته، وزاد الأمر به حتى غلب على عقله، فحمل إلى المارستان، وكان له صديق يتردد إليه ويترسل بينه وبينها، ثم زاد الأمر به، فقالت أمه لصديقه: إني أجيء إليه ولا يكلمني. فقال: تعالي معي، فأتت معه، فقال له: إنّ صاحبتك قد بعثت إليك برسالة، فقال: كيف؟ فقال: هذه أمك تؤدي رسالتها، فجعلت أمه تحدثه عنها بشيء من الكذب، ثم إنه زاد الأمر عليه، ونزل به الموت، فقال لصديقه: قد جاء الأجل وحان الوقت، وما لقيت صاحبتي في الدنيا، وأنا أريد أن ألقاها في الآخرة، فقال له: كيف تصنع؟ قال: أرجع عن دين محمد، وأقول عيسى ومريم والصليب الأعظم. فقال ذلك ومات.

فمضى صديقه إلى تلك المرأة فوجدها مريضة فدخل عليها وجعل يحدثها، فقالت: أنا ما لقيت صاحبي في الدنيا، وأريد أن ألقاه في الآخرة، وأنا أشهد أنَ لا إله إلا اللَّه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنا بريئة من دين النصرانية.

فقام أبوها فقال للرجل: خذوها الآن فإنها منكم، فقام الرجل ليخرج، فقالت له: قف ساعة، فوقف فماتت!!».

● وانظر إلى أشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي وكيف قتله بسبب قطام المرأة التي كانت من الخوارج والتي سلبَت عقله.

● وقصة الرجل الذي تعلّق قلبه بحب المال حبًّا شديدًا، وهذا الرجل كان من الإحساء وقد بلغ من الكبر عتيًّا، ليس له أحد، لا زوج ولا ولد ولا قريب، فانظر كيف صنع:

جمع ذهبه أمامه، وبجواره زيت، وهو يخاطب الذهب: يا حبيبي، يا من أفنيت فيك عمري، أموت وأتركك لغيري، لا واللَّه، أنا أعلم أن موتي قريب، وأن مرضي خطير، ولكني سأدفنك معي، ثم يأخذ دينار الذهب، ويغمسه في الزيت ويهوي به إلى فمه ويبلعه، فإذا بلعه أصابته كحة شديدة يكاد أن يموت منها، ثم يأخذ نَفَسه ويرفع ديناراً ثانيًا، ثم يغمسه في الزيت ويهوي به في فمه. . . حتى مات من جرّاء ذلك»[1] .

٨ ـ التسويف بالتوبة والعمل الصالح:

العمر ينقص والذنوب تزيد ... وتقال عثرات الفتى فيعودُ

هل يستطيع جحود ذنب واحد ... رجل جوارحه عليه شهودُ

والمرء يسأل عن سنيه فيشتهي ... تقليلها وعن الممات يحيدُ

● قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه اللَّه ـ: «اعلم أن الإنسان ما دام يأمل الحياة فإنه لا يقطع أمله من الدنيا وقد لا تسمح نفسه، بالإقلاع عن لذاتها وشهواتها من المعاصي وغيرها، ويرجيه الشيطان بالتوبة في آخر عمره، فإذا تيقن الموت وأيس من الحياة أفاق من سكرته بشهوات الدنيا فندم حينئذٍ على تفريطه ندامة يكاد يقتل نفسه، وطلب الرجعة إلى الدنيا ليتوب ويعمل صالحًا فلا يجاب إلى شيءٍ من ذلك، فيجتمع عليه سكرة الموت مع حَسْرَةِ الفوت.

وقد حذر اللَّه في كتابه عباده من ذلك ليستعدوا للموت قبل نزوله بالتوبة والعمل الصالح قال تعالى: ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن**

---

(١) من شريط قصص واقعية عن بعض الموتى لمجموعة من الدعاة.

يَأْتِيكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٤ ـ ٥٦].

سمع بعض المحتضرين عند احتضاره يلطم على وجهه ويقول: ﴿يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾.

وقال آخر عند احتضاره: سخرت بي الدنيا حتى ذهبت أيامي.

وقال آخر عند موته: لا تغرنكم الحياة الدنيا كما غرتني.

● وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠].

● وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١٠ ـ ١١].

● وقال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، وفسره طائفة من السلف منهم عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بأنهم طلبوا التوبة حين حيل بينهم وبينها.

قال الحسن: اتق الله يا ابن آدم لا يجتمع عليك خصلتان سكرة الموت وحسرة الفوت.

وقال ابن السماك: احذر السكرة والحسرة، أن يفجأك الموت وأنت على الغرة، فلا يصف واصف قدر ما تلقى ولا قدر ما ترى.

مات كثير من المصريين على المعاصي على أقبح أحوالهم وهم مباشرون للمعاصي، فكان ذلك خزيًا لهم في الدنيا مع ما صاروا إليه من عذاب الآخرة، وكثيرًا ما يقع هذا للمصريين على الخمر المدمنين على شربها، كما

قال القائل:

أتأمنُ أيها السَّكرانُ جَهْلاً بَأنْ تَفْجَاكَ فِي السُّكْرِ المَنِيَّة
فَتَضْحَى عِبْرةً لِلنَّاسِ طَرًّا وَتَلْقَى اللَّهَ مِن شَرِّ البَرِيّة

سكر بعض المتقدمين ليلة فعاتبته زوجته على ترك الصلاة، فحلف بطلاقها ثلاثًا لا يصلي ثلاثة أيام، فاشتد عليه فراقِ زوجته فاستمر على ترك الصلاة مدة الأيام الثلاثة فمات فيها على حاله وهو مصرٌ على الخمر تارك للصلاة.

كان بعض المصريين على الخمر يكنى أبا عمرو: فنام ليلة وهو سكران فرأى في منامه قائلاً يقول له:

جَدَّ بكَ الأمر أَبَا عمرو وأنتَ معكوفٌ على الخمر
تشرب صَهْبَاءَ صَرَاحِيَةً سَالَ بِكَ السيل ولا تدري

فاستيقظ منزعجًا وأخبر من عنده بما رأى، ثم غلبه السُّكر فنام، فلما كان وقت الصبح مات فجأة.

غاية أمنية الموتى في قبورهم حياة ساعة يستدركون فيها ما فاتهم من توبة وعمل صالح، وأهل الدنيا يفرطون في حياتهم فتذهب أعمارهم في الغفلة ضياعًا ومنهم من يقطعها بالمعاصي.

● **قال بعض السلف:** أصبحتم في أمنية ناس كثير. يعني أن الموتى يتمنون حياة ساعة ليتوبوا فيها ويجتهدوا في الطاعة ولا سبيل لهم إلى ذلك[1].

---

(١) باختصار من «لطائف المعارف» لابن رجب (٣٥٣ ـ ٣٥٥) ط ـ دار الجيل.

علامـــات سوء الخاتمة

* من علامات سوء الخاتمة:

● الأمن من مكر اللَّه عز وجل حتى كأن بـعضهم آتاهم اللَّه ميثاقًا أن لا يعذبهم.

● ومنها: الغفلة عن ذكر اللَّه عز وجل.

● ومنها: النفاق والرياء وحب السمعة.

وفي الحديث المتفق عليه: «... **من راءى راءى اللَّه به، ومن**[١] **سمّع سمّع اللَّه به**».

* **ولها علامات أُخَر:**

● منهـا: ما يكون عـند الموت من التسـخط علـى القدر، والكـفر برب البشر.

● ومنها: ما يكون قبل الدفن.

● ومنها: ما يكون عند الدفن.

● ومنها: ما يكون بعد الدفن.

* **علامات سوء الخاتمة قبل الموت:**

فبعـضهم يقع عنـد اشتداد المرض في التـسخط والاعتراض علـى قضاء اللَّه، أو الجحود والكـفر بألا إله إلا اللَّه، أو يصرح بأنه لا يستـطيع أن ينطق بكلمة التوحيد، وأنه يحال بينه وبينـها والعياذ باللَّه، أو يتكلم بكلام يغضب اللَّه عز وجل.

---

(١) انظر: كتاب «سياط القلوب» للشيخ عائض القرني ص(٢٠٧ ـ ٢١٠) ـ دار ابن حزم.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره أبو عبد الرحمن اليماني أنه لقن رجلاً ساعة الاحتضار شهادة أن لا إله إلا اللَّه، فكان الرجل يحرك رأسه يمينًا وشمالاً وهو لا يتكلم، وكأنه يقول لي: لا لن أقولها[١].

وقال ابن أبي الدنيا حدثني أبو الحسن بن أحمد الفقيه قال: نزل الموت برجل كان عندنا فقيل له: استغفر اللَّه فقال: ما أريد. فقيل له: قل: لا إله إلا اللَّه فقال: ما أقول لجهد جهده ثم مات[٢].

● **قال ابن الجوزي:** وسمعت شخصًا آخر يقول وقد اشتد به الألم: ربي يظلمني! وهذه حالة إن لم ينعم فيها بالتوفيق للثبات وإلا فالهلاك.

وهذا ما كان يقلقل سفيان الثوري فإنه كان يقول: أخاف أن يشتد عليَّ الأمر، فأسأل التخفيف فلا أجاب فأفتتن[٣].

ولا شك في أن من علامات سوء الخاتمة أن يموت العبد على عمل يغضب اللَّه عز وجل، فيكون ذلك خزيًا له وفضيحة في الدنيا، مع ما ينتظره من خزي الآخرة وعذابها، وقد ذكرنا أمثلة لذلك في أسباب سوء الخاتمة، فلا نطيل بذكر أمثلة أخرى نسأل اللَّه السلامة والعافية.

● **قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:** والحكايات في هذه كثيرة جدًّا، فمن كان مشغولاً باللَّه وبذكره ومحبته في حال حياته وجد ذلك أحوج ما هو إليه عند خروج روحه إلى اللَّه، ومن كان مشغولاً بغيره في حال حياته وصحته فيعسر عليه اشتغاله باللَّه وحضوره معه عند الموت، وما لم يدركه عناية ربه، ولأجل هذا كان جديرًا بالعاقل أن يلزم قلبه ولسانه ذكر اللَّه حيثما كان، لأجل تلك

---

(١) «تذكرة الإخوان بخاتمة الإنسان» لعادل السعيدان ص(٤٥) الطبعة الأولى.

(٢، ٣) «الثبات عند الممات» ص(٨٠).

اللحظة التي إن فاتت شقي شقاوة الأبد، فنسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته[١].

* علامات سوء الخاتمة عند التغسيل:

● قال في «تذكرة الإخوان بخاتمة الإنسان»: ولقد حدثني عدد ممن يغسلون الموتى من مناطق مختلفة، عن بعض ما شاهدوه أثناء التغسيل من هذه العلامات، والغريب في الأمر أنهم يتفقون على صفات معينة، يرونها على هؤلاء الموتى، وأكثر هذه الحوادث متشابهة، من ذلك أن الرجل الذي يموت على الخير يبدو وكأنه نائم وأما من مات على خلاف ذلك فيظهر عليه الفزع وخوف الموت، مع تغير في وجهه، ولقد غسلت وشاركت في التغسيل ورأيت بعض ذلك والحمد لله.

حدثني أحدهم فقال: غسلت رجلاً، وكان لونه مصفرًّا، وفي أثناء التغسيل أخذ لونه يتغير إلى السواد من رأسه إلى وسطه فلما انتهيت من التغسيل فإذا به قد أصبح كالفحمة السوداء.

قال: وميت آخر كان وجهه أثناء التغسيل متوجهًا نحو كتفه الأيسر، فلما أرجعته نحو الكتف الأيمن عاد إلى الجهة اليسرى، حتى لما وضعته في قبره ووجهته نحو القبلة انصرف وجهه عنها إلى أعلى.

وحدثني مغسلٌ آخر أنه غسل رجلاً وكان لونه مصفرًّا، فلما فرغوا من التغسيل اسود وجه ذلك الرجل فقلت له: أسود مثل لحيتي؟ قال: أسود كالفحم، قال: ثم صار يخرج من عينيه دم أحمر وكأنه يبكي الدم والعياذ بالله.

(١) «طريق الهجرتين» ص(٣٠٨ ـ ٣٠٩).

وحدثني مغسل آخر فقال: دخلت ذات مرة على بعض الإخوان وهم يغسلون ميتًا فرأيت وجهه مسودًّا كأنه قرص محترق، وجسمه أصفر، ومنظره مخيفًا، ثم جاء بعض أهله لينظروا إليه فلما رأوه على تلك الصورة فروا هاربين خوفًا منه[1] .

* **علامات سوء الخاتمة عند الدفن:**

قال في «تذكرة الإخوان»: وأما ما ظهر عند الإنزال في القبر والعياذ باللَّه فحدثني أحد المغسلين فقال: غسلت عددًا كبيرًا من الموتى لسنين طويلة، وأذكر أني وجهت أكثر من مائة ميت كلهم صرفت وجوههم عن القبلة.

وحدثني مغسل آخر قال:

عندما وضعت أحد الموتى في قبره ووجهته نحو القبلة، رأيت وجهه قد تحول إلى أسفل، ودخل أنفه في التراب، ثم وجهته إلى القبلة ووضعت تحت رأسه ترابًا، ولكنه عاد وأدخل أنفه في التراب، ثم وضعت رملاً أكثر في هذه المرة حتى لا يعود ولكنه عاد وأدخل أنفه في التراب، ولم أزل معه حتى تكرر الأمر خمس مراتٍ فلما يئست منه تركته وأغلقت القبر[2] .

● قال أحد الفضلاء: كنا في رحلة دعوية إلى الأردن، وفي ذات يوم وقد صلينا الجمعة في أحد مساجد مدينة الزرقاء وكان معنا بعض طلبة العلم وعالم من الكويت، وبينما نحن جلوس في المسجد وقد انصرف الناس، إذا بقوم يدخلون باب المسجد بشكل غير طبيعي وهم يصيحون أين الشيخ؟ أين الشيخ؟ وجاءوا إلى الشيخ الكويتي فقالوا له: يا شيخ عندنا شاب توفي صباح هذا اليوم عن طريق حادث مروري وإننا عندما حفرنا قبره.

---

(١) «تذكرة الإخوان» باختصار ص(٤٧ ـ ٤٨).

إذا بنا نفجأ بوجود ثعبان عظيم في القبر، ونحن الآن لم نضع الشاب وما ندري كيف نتصرف؟

يقول الراوي: فقام الشيخ وقمنا معه وذهبنا إلى المقبرة، ونظرنا في القبر فوجدنا فيه ثعبانًا عظيمًا قد التوى: رأسه في الداخل وذنبه في الخارج، وعينه بارزة يطالع الناس.

قال الراوي: فقال الشيخ: دعوه واحفروا له مكانًا آخر.

يقول: فذهبنا إلى مكان آخر بعد القبر الأول بمائتي متر تقريبًا، فحفرنا وبينما نحن في نهايته إذا بالثعبان يخرج. فقال الشيخ: انظروا القبر الأول فإذا بالثعبان قد اخترق الأرض وخرج من القبر الأول مرة أخرى.

قال الشيخ: لو حفرنا ثالثًا ورابعًا سيخرج الثعبان فما لنا حيلة إلا أن نحاول إخراجه.

يقول الراوي: فجئنا بأسياخ وعصي فانحمل معنا وخرج من القبر وجلس على شفيره والناس كلهم ينظرون إليه، وأصاب الناس ذعرٌ وخوف، حتى إن بعضهم حصل له إغماء فحملته سيارة الإسعاف.

وحضر رجال الأمن ومنعوا الاتصال بالقبر إلا عن طريق العلماء وذوي الميت.

يقول الراوي:

وبينما جيء بالجنازة وأدخلت القبر إذا بذلك الثعبان يتحرك حركة عظيمة ثار على أثرها الغبار، ثم دخل من أسفل القبر فهرب الذين داخل القبر من

---

(١) «تذكرة الإخوان» باختصار ص(٤٨).

شدة الخوف، والتوى الثعبان على ذلك الميت وبدأ من رجليه حتى وصل رأسه، ثم اشتد عليه فحطمه: يقول الراوي: إنا كنا نسمع تحطيم عظامه كما تحطم حزمة الكراث.

يقول الراوي: ثم لما هدأت الغبرة وسكن الأمر جئنا لننظر في القبر، وإذا الحال كما هو عليه من تلوي ذلك الثعبان على الميت وما استطعنا أن نفعل شيئًا.

وقال الشيخ: اردموه، فدفناه ثم ذهبنا إلى والده فسألناه عن حال ابنه الشاب؟ فقال: إنه كان طيبًا مطيعًا إلا أنه كان لا يصلي، نعوذ بالله من سوء الختام[١] .

● وقد ورد في «تذكرة القرطبي» قصة مشابهة:

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: وأخبرني صاحبنا الفقيه العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد القصري ـ رحمه الله ـ أنه توفي بعض الولاة بقسطنطينية، فحفر له، فلما فرغوا من الحفر وأرادوا أن يدخلوا الميت القبر إذا بحية سوداء داخل القبر، فهابوا أن يدخلوه فيه فحفروا له قبراً آخر، فإذا بتلك الحية، فلم يزالوا يحفرون له نحواً من ثلاثين قبراً، وإذا بتلك الحية تتعرض لهم في القبر الذي يريدون أن يدفنوه فيه، فلما أعياهم ذلك سألوا ما يصنعون؟ فقيل لهم: ادفنوه معها نسأل الله السلامة والستر في الدنيا والآخرة[٢] .

* * *

(١) «رسالة عاجلة إلى المسلمين» ص(٤٦ ـ ٥٠)، وقال المصنف: سمعتها من الشيخ: سعيد ابن مسفر ثبتنا الله وإياه.

(٢) «التذكرة» (١/ ١٧٠).

*** علامات سوء الخاتمة بعد الدفن:**

فمن ذلك قصة الرجل الذي نبذه القبر في عهد النبوة:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان منَّا رجلٌ من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب لرسول اللَّه ﷺ فانطلق هاربًا حتى لحق بأهل الكتاب، قال: فرفعوه، قالوا: هذا قد كان يكتب لمحمد ﷺ.

فأعجبوا به فما لبث أن قصم اللَّه عنقه فيهم، فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، فتركوه منبوذًا[١].

● ومن ذلك ما ذكره ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ قال: «حدثني صاحبنا أبو عبد اللَّه محمد بن الوزير الحراني أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان قال: فلما كان بعد غروب الشمس توسطت القبور، فإذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج والميت في وسطه، فجعلت أمسح عيني وأقول: أنائمٌ أنا أم يقظان؟ ثم التفت إلى سور المدينة، وقلت: واللَّه ما أنا بنائم، ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش فأتوني بطعام فلم أستطع أن آكل. ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر فإذا به مكاس قد توفي ذلك اليوم[٢] »[٣].

* * *

(١) رواه البخاري (٦/ ٦٢٤) «الأنبياء»، وأحمد (٣/ ٢٢٢).
(٢) «الروح» ص(٩٨).
(٣) «تذكير النفوس المؤمنة» ص(٥٨ ـ ٦٥).



مـــوت النـبـيـين
عليهم الصـلاة والســلام



موت النبيين عليهم الصلاة والسلام

* موت آدم عليه السلام: «غسل الملائكة آدم عند موته»:

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لما خلق اللَّه آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل منهم وَبِيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك، يقال له: داود، قال: ربي وكم عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب زده من عُمُري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم، جاءه مَلَك الموت، قال: أَوَلم يبق من عمري أربعون سنة؟، قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته»[1] .

بأبي وأمي صفيّ اللَّه ونبيه آدم. . من غسّلته الملائكة وألحدوا له.

● عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لما تُوفي آدم غسّلته الملائكة بالماء وترًا، وألحدوا له، وقالوا: هذه سنة آدم في ولده»**[2] .

* * *

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في «مستدركه» (٢/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦)، وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني في التعليق على «المشكاة»: وسنده حسن.

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم في «مستدركه»، والطبراني في «الأوسط» بإسناد صحيح. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥/ ٤٨).

*** وصية نوح عليه السلام لولده:**

روى الإمام أحمد في «مسنده» من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «... **إن نبي اللَّه نوحًا عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاصّ عليك الوصية آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين:**

آمرك بلا إله إلا اللَّه، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وُضعت في كفة ووُضعت لا إله إلا اللَّه في كفة رجحت بهن لا إله إلا اللَّه، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة فصمتهن لا إله إلا اللَّه وسبحان اللَّه وبحمده فإن بها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر»[1].

*** موت خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام:**

في كتاب «فتح الباري» لابن حجر: أتى ملك الموت إبراهيم عليه السلام ليقبض روحه، فجلس أمامه.

قال: ماذا تريد؟

قال: أقبض روحك.

قال: وهل خليل يقبض روح خليله، يعني اللَّه خليل إبراهيم وإبراهيم خليل اللَّه. وهل الخليل يقبض روح خليله؟

فقال المَلَك: وهَلْ رأيت خليلاً يكره لقاء خليله!

فسكت إبراهيم عليه السلام فقبضت روحه».

* * *

(١) قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١١٢): هذا إسناد صحيح ولم يخرجوه.

* موت داود عليه السلام:

● عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلق الأبواب، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، قال: فخرج ذات يوم وغلّقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ واللَّه لنفتضحن بداود، فجاء داود فإذا الرجل قائم في وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا أمنع من الحجّاب، فقال داود: أنت واللَّه إذن ملك الموت، مرحبًا بأمر اللَّه، ثم مكث حتى قبضت روحه، فلما غُسّل وكُفن وفُرغ من شأنه طلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلته الطير حتى أظلمت عليه الأرض، فقال سليمان للطير: اقبضي جناحًا» ـ قال أبو هريرة: فطفق رسول اللَّه ﷺ يرينا كيف فعلت الطير، وقبض رسول اللَّه ﷺ بيده ـ «وغلبت عليه يومئذ المضرحية»[(١)] .

* موت سليمان عليه السلام:

● قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

* تخيير الأنبياء عليهم السلام عند الموت:

● عن عائشة ﷺ قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «ما من نبيّ

---

(١) انفرد بإخراجه الإمام أحمد، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ١٦): إسناده جيد قوي رجاله ثقات.

ومعنى قوله غلبت عليه يومئذ المضرحية: أي: وغلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الأجنحة، واحدها مضرحي، قال الجوهري: وهو الصقر الطويل الجناح.

يمرض إلا خُيِّر بين الدنيا والآخر».

قالت: فلما كان في مرض النبي ﷺ الذي قُبض فيه، أخذته بُحَّة شديدة، فسمعته يقول: ﴿**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**﴾ [النساء: ٦٩]، فعلمت أنه قدْ خُيِّر»[١] .

● وعن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبي ﷺ : «**الصلاة الصلاة، اتقوا اللَّه فيما ملكت أيمانكم**»[٢] .

● وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كانت عامة وصية رسول اللَّه ﷺ عند موته: «**الصلاة الصلاة، وما ملكت إيمانكم**»، حتى جعل يلجلجها في صدره، وما يفيض بها لسانه»[٣] .

● وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

«إن رسول اللَّه ﷺ قُبض في بيتي ويومي، وبين سَحْري[٤] ونحْري، وجمع اللَّه بين ريقي وريقه عند الموت ـ دخل عليّ أخي عبد الرحمن، وأنا

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب التفسير، سورة النساء، باب ﴿**فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم**﴾ (٥/ ١٨١)، ورواه في كتاب «المغازي»، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، والنسائي في كتاب «الوفاة»، وابن ماجه في «سننه»، كتاب الجنائز.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في حق المملوك رقم (٥١٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» رقم (٤٢٩٥).

(٣) **صحيح**: رواه النسائي، وابن ماجه. وفي «الزوائد» للبوصيري: إسناده صحيح عى شرط الشيخين، ورواه أحمد في «مسنده»، والطحاوي في «مشكل الآثار» وأورده الألباني في «الصحيحة» رقم (٨٦٨).

ومعنى يلجلجها: أي: يرددها دون أن تبين.

وما يفيض بها لسانه: أي: ما يجري ولا يسيل بهذه الكلمة لسانه.

(٤) السَّحْر: الرئة، والنحر: أعلى الصدر.

مسندة رسول اللَّه ﷺ إلى صدري وبيده سواك، فجعل ينظر إليه، فعرفتُ أنه يعجبه ذلك، فقلت: آخذه لك؟ فأومأ برأسه أي: نعم. فناولته إياه، فأدخله في فيه، فاشتد عليه، فناولنيه، فقلتُ: أُليّنه لك؟ فأومأ برأسه، أي: نعم، فليّنته له، فأمَرّه، وبين يديه رَكْوة، أو قالت: عُلبة، فجعل يُدخل يده فيها ويمسح بها وجهه ﷺ ويقول: «**لا إله إلا اللَّه، إن للموت لسكرات**». ثم نصب يده يقول: «**الرفيق الأعلى، الرفيق الأعلى**» حتى قُبض صلوات اللَّه عليه ومالتْ يده»[١].

● وعن أنس ﷺ: «لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه[٢]، فقالت فاطمة عليها السلام: وا كربَ أباه، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»، فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب ربّا دعاه، يا أبتاه، مَنْ جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه. فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول اللَّه ﷺ التراب؟!»[٣].

يا أنس، أطابت أنفسكم أن دفنتم رسول اللَّه ﷺ في التراب ورجعتم؟!.

يقول أبو سعيد الخدري: فما إن دفناه حتى أنكرنا قلوبنا ـ قست قلوبنا ـ.

* * *

(١) رواه البخاري في «كتاب المغازي»، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ورواه أحمد في «مسنده»، والحاكم.

(٢) أي: يغشاه الثقل شيئًا فشيئًا.

(٣) رواه البخاري في «كتاب المغازي» باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٥/ ١٤٤).

لله در حسان بن ثابت وهو يرثي رسول الله ﷺ في أجمل قصيدة

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ ... مُنِيرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ

ولا تَنْمَحِي الآياتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ ... بِهَا مِنْبَرُ الهادِي الّذي كَانَ يَصْعَدُ

وَوَاضِحُ آياتٍ وَبَاقِي مَعَالِمٍ ... وَرَبْعٍ لَهُ فِيهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدُ

بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسْطَهَا ... مِنَ اللَّهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ

مَعَالِمُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى العَهْدِ آيُهَا ... أَتَاهَا البِلَى فالآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ

عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ ... وَقَبْرًا بِهِ وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحَدُ

ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَأَسْعَدَتْ ... عُيونٌ وَمِثْلاها مِنَ الجَفْنِ تَسْعَدُ

مُفَجَّعَةٌ قَدْ شَفَّهَا فَقْدُ أَحْمَدَ ... فَظَلَّتْ لآلآءِ الرَّسُولِ تُعَدِّدُ

وَمَا بَلَغْتُ مِنْ كُلِّ أَمرٍ عُشَيرَهُ ... وَلَكِنَّ نَفْسِي بَعْضَ مَا فِيهِ تَحْمَدُ

أَطَالَتْ وقوفًا تَذرِفُ العَيْنُ جُهدَهَا ... عَلى طَلَلِ القَبْرِ الّذي فيه أَحمدُ

فَبُورِكْتَ يَا قَبرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ ... بِلادٌ ثَوى فِيهَا الرَّشِيدُ المُسددُ

وَبُورِكَ لَحْدٌ مِنْكَ ضُمِّنَ طَيِّبًا ... عَلَيهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنضَّدُ

تُهِيلُ عَلَيهِ التُّربَ أَيْدٍ وَأَعيُنٌ ... عَلَيهِ وقَدْ غَارتْ بِذلكَ أَسْعَدُ

لَقَدْ غَيَّبُوا حِلمًا وعِلمًا ورَحمةً ... عَشيةَ عَلَّوْهُ الثَّرى لا يُوسَّدُ

وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيسَ فِيهِم نَبِيُّهم ... وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُم ظُهورٌ وأَعْضُدُ

يبكّونَ مَنْ تَبْكِي السَّماواتُ يَومَهُ ... وَمنْ قَدْ بَكَتْهُ الأَرضُ فالنَّاسُ أَكْمَدُ

وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةُ هَالِكٍ رَزِيَّةَ يَومٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ
تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الوَحْيِ عَنْهُمُ وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ ويُنْجِدُ
يَدلُّ عَلى الرَّحْمنِ مَنْ يَقْتَدِيْ بِهِ وَيُنْقِذُ مِن هَولِ الخَزَايَا ويُرْشِدُ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيْهِمُ الحَقَّ جَاهِدًا مُعَلِّمُ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
عَفُوٌّ عَنِ الزَّلاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ وإِنْ يُحْسِنُوا فَاللَّهُ بِالخَيرِ أَجْوَدُ
وإِنْ نَابَ أَمرٌ لم يَقُومُوا بِحَمْلِهِ فَمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرُ ما يَتَشَدَّدُ
فَبَيْنَا هُمُو فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيْقَةِ يُقْصَدُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحِيدُوا عَنِ الهُدَى حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيْمُوا وَيَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لا يُثَنِّي جَنَاحَهُ إِلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ ويَمْهَدُ
فَبينَا هُمُو فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا إِلَى نُورِهِم سَهْمٌ مِنَ المَوْتِ مُقْصَدُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُوْدًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا يُبكِّيْهِ جَفْنُ المُرْسَلاتِ وَيَحْمَدُ
وأَمْسَتْ بِلادُ الحُرْمِ وَحْشًا بِقَاعُهَا لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الوَحْيِ تَعْهَدُ
قِفَارًا سِوَى مَعْمُوْرَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا فَقِيدٌ يُبَكِّيْهِ بِلاطٌ وغَرْقَدُ
ومَسْجِدُهُ فَالمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ خَلاءٌ لَهُ فِيْهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
وبِالجَمْرَةِ الكُبْرَى لَهُ ثُمَّ أَوْحَشَتْ دِيَارٌ وَعَرَصَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلِدُ
فَبَكِّي رَسُوْلَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةً وَلا أَعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعُكِ يَجْمُدُ
وَمَا لَكِ لا تَبْكِيْنَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِيْ عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
فَجُوْدِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوْعِ وأَعْوِلِي لِفَقْدِ الذِّي لا مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوْجَدُ
وَمَا فَقَدَ المَاضُوْنَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ وَلا مِثْلَهُ حَتَّى القِيَامَةِ يُفْقَدُ

أَعَفَّ وأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ ... وأقْرَبَ مِنْهُ نَائِلاً لاَ يُنَكَّدُ
وأَبْذَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيْفِ وتَالِدٍ ... إذَا ظَنَّ مِعْطَاءٌ بِمَا كَانَ يُتْلَدُ
وأَكْرَمَ حَيًّا فِي البُيُوتِ إذَا انْتَمَى ... وأكْرَمَ جَدًّا أبطَحِيًّا يُسَوَّدُ
وأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وأثْبَتَ فِي العُلَى ... دَعَائِمَ عِزٍّ شَاهِقَاتٍ تُشَيَّدُ
وأَثْبتَ فَرْعًا فِي الفُرُوْعِ ومَثْبَتًا ... وعُوْدًا غَذَاهُ المُزْنُ فَالعُوْدُ أَغْيَدُ
رَبّاهُ وَلِيْدًا فاسْتَتَمَّ تَمَامُهُ ... عَلَى أكْرَمِ الخَيْرَاتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ
تَنَاهَتْ وِصَاتُ المُسْلِمِيْنَ بِكَفِّه ... فَلا العِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلا الرَّأْيُ يُفْنَدُ
أَقُوْلُ وَلا يُلْقَى لِقَوْلِيَ عَائِبٌ ... مِنَ النّاسِ إلاّ عَازِبُ العَقْلِ مُبْعَدُ
وَلَيْسَ هَوَائِي نَازِعًا عَنْ ثَنَائِه ... لَعَلِّيْ بِهِ فِي جَنَّةِ الخُلْدِ أَخْلَدُ
مَعَ المُصْطَفى أَرْجُوْ بِذَاكَ جِوارَهُ ... وفِي نَيْلِ ذَلكَ اليومِ أسْعَى وأَجْهَدُ

* * *



أحوال الطيبين الصالحين عند الموت



أحوال الصالحين عند الموت

● **أخي:**

هذه اللحظات ترجمة صادقة لحياة الإنسان كلها، وعجيب أن تُختَصَر الدنيا كلها ويُعَبَّر عنها بلحظة واحدة... ما قبل السكرات والسياق... ماذا يقول الصالحون... وأي جمال وأي نعيم هم فيه حتى يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «من رأى الموت يباع فليشتره لي»[1] .. ويقول حذيفة رضي الله عنه: «حبيب جاء على فاقة فلا أفلح من ندم»[2] ، ويقول محمد بن المنكدر لصفوان بن سليم عند موته: «لو ترى ما أنا فيه لقرّت عينكم»؟!.

نعم فالموت تحفة كل مؤمن... ومن أصدق من اللَّه قيلاً: ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ...** ﴾.

قال السحرة لفرعون عند ما أخبرهم بأنه سيصلبهم في جذوع النخل: ﴿ **قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** ﴾ [طه: ٧٢].

أي نعيم يروّح أفئدة الصالحين، وأي أنس هم فيه تنقله كلماتهم عند الموت التي سجلتها الأيام، وتزين بها التاريخ... أزاهير لا واللَّه أعطر.. رقة تذوب وشذًا تعطر به الدنيا... من أراد أن يعلم ما له عند اللَّه فلينظر ما للَّه عندهم... فاحذر أن يفضحك ميراثك عند موتك... فأمامك قوم شرّفهم ميراثهم عند موتهم.

---

(١) «الثبات عند الممات» لابن الجوزي ص(٨٤).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٢٢).

الصديق الأكبر

ثاني اثنين: «قد رآني الطبيب»

● عن أبي السفر قال: مرض أبو بكر رضي الله عنه، فعاده الناس، فقالوا: ألا ندعوا لك الطبيب؟ قال: قد رآني.

قالوا: فأي شيء قال لك؟

قال: قال إني فعّال لما أُريد(١).

● وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه قال: أي يوم هذا؟ قالت: قلنا: يوم الاثنين.

قال: فإني أرجو ما بيني وبين الليل، قالت: وكان عليه ثوب به درع من مشق، قال: إذا أنا مِت فاغسلوا ثوبي هذا وضمّوا إليه ثوبين جديدين وكفنوني في ثلاثة أثواب، فقلنا: أفلا نجعلها جددًا كلها؟ قال: لا، إنما هو للمهلة فمات ليلة الثلاثاء(٢).

رضي اللَّه عن الصديق ثاني اثنين حتى في يوم الموت يتمنى أن يموت في يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم . . .

«إني أرجو ما بيني وبين الليل»، واستجاب اللَّه له.

● وعن البهي مولى مصعب بن الزبير قال: لما احتضر أبو بكر جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت:

لعمــــرُك ما يُغني الثـراء عن الفتى ... إذا حشرجتْ يومًا وضاق بها الصَّدْرُ

---

(١) «الزهد» لأحمد ص(١١٣)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٩٨)، وابن الجوزي في «الثبات عند الممات» ص(٩٨)، و«صفة الصفوة» (١/ ٢٦٤)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (١٣/ ٢٦٢) رقم (١٦٢٨٧)، و«التعازي والمراثي» للمبرد ص(٢١٩).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥)، والبخاري في «الجنائز» ـ موت يوم الاثنين.

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذلك، ولكن قولي: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ [ق: ١٩].

انظروا ثوبيّ هذين، فاغسلوهما، وكفنوني فيهما، فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت»[١] .

● عن عائشة رضي الله عنها قالت: حضرتُ أبي وهو يموت، وأنا جالسة عند رأسه، فأخذته غشية، فتمثلت ببيت من الشعر فقلتُ:

مَنْ لا يزالُ دمعُه مُقنّعًا فإنه لا بُدّ مرّةً مدفوقُ

فرفع رأسه فقال: يا بنية ليس كذلك، ولكن كما قال الله: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾[٢] .

● وعن سلمان رضي الله عنه قال: دخلتُ على أبي بكر في مرضه فقلت: يا خليفة رسول الله، اعهد إليّ عهدًا، فإني لا أراك تعهد إليّ بعد يومك هذا شيئًا.

فقال: أجل يا سلمان، إنها ستكون فتوح، فلا أعرفن ما كان حظك ما جعلته في بطنك وألقيته على ظهرك. واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس فإنه يصبح في ذمة الله، فلا تقتلن أحدًا من أهل ذمة الله فيطلبك الله بذمته، فيكبّك على وجهك في النار[٣] .

● وعن عائشة أنها قالت وأبو بكر يقضى:

وأبيضَ يُسْتسقَى الغمامُ بوجههِ ربيعُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

---

(١) «الزهد» لأحمد (٢/ ١٤)، و«الثبات عند الممات» ص(٩٩)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ١٩٧). والشطر الأول من بيت الشعر هكذا:

أعاذل ما يغني الحذار عن الفتى . . . . . .

(٢) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٩٨)، و«كتاب المحتضرين» لابن أبي الدنيا ص(٥٢).

(٣) «المحتضرين» لابن أبي الدنيا ص(٥٣)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ١٩٤).

فقال أبو بكر: «ذاك رسول اللَّه ﷺ»[١].

ومضى أبو بكر رضي الله عنه سَمْعَ هذا الدين وبصره... مضى إلى ربه.

* * *

وفاة الفاروق عمر رضي الله عنه

«الحمد للَّه الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدّعي الإسلام»

● عن عمرو بن ميمون قال: «لما طُعِن عمر قال: يا ابن عباس انظر من قتلني. فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة. فقال: الصَّنَع[٢]؟

قال: نعم. قال: قاتله اللَّه، لقد أمرتُ به معروفًا، الحمد للَّه الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدّعي الإسلام، فدخلوا عليه وفيهم رجل شاب، فإذا إزاره يمسّ الأرض فقال: يا ابن أخي ارفع ثوبك، فإنه أبقى[٣] لثوبك وأتقى لربك[٤]. يا عبد اللَّه بن عمر انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فَقُل: يقرأ عليك عمر السلام ـ ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا ـ وقل: يستأذن عمر أن يُدفن مع صاحبيه. فمضى، وجاء، فقال: أَذِنَتْ. فقال: الحمد للَّه، ما كان شيء أهمّ إليّ من ذلك. فإذا أنا قبضت فاحملوني، ثم

---

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٩٨).

(٢) «رجل صَنَع وامرأة صَنَاع إذا كان لهما صنعة يعملانها بأيديهما ويكسبان بها». اهـ لسان. مادة صنع. وحكى أبو زيد: الصَنَاع والصَنَع يقعان معًا على الرجل والمرأة. اهـ «فتح الباري» (٧/ ٦٤).

(٣) وردت «أبقى»، وهي رواية الكشميهني. ووردت: «أنقى»، وهي الأكثر.

(٤) قال ابن عبد البر: مفهومه أن الجرّ لغير الخيلاء لا يلحقه الوعيد، إلا أن جر القميص، وغيره من الثياب مذموم على كل حال. وقال النووي: الإسبال تحت الكعبين للخيلاء، فإن كان لغيرها فهو مكروه.

ويكفي في ذم إسبال الإذار أن صاحبه لا ينظر اللَّه إليه يوم القيامة.

سلمْ، وقل: يستأذن عمرُ فإن أذِنَتْ لي فأدخلوني وإن ردّتني فردوني إلى مقابر المسلمين»[١] .

● نعم... «الحمد للَّه الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند اللَّه بسجدة سجدها له قط»، هذا الحمد من العبقري... الذي لم يشغله الموت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

● وعن ابن عمر قال: كان رأس عمر في حجري في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع خدي على الأرض.

فقلت: وما كان عليك كان في حجري أو على الأرض؟

فقال: ضعه لا أم لك.

فوضعته، فقال: ويلي، ويل لأمي إن لم يرحمني ربي[٢] .

● وعن ابن عباس قال: لما طُعن عمر قلت له: أبشر بالجنة.

فقال: واللَّه لو كان لي الدنيا وما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم ما الخبر[٣] .

وفي رواية: لما طعن عمر رضي الله عنه جاء ابن عباس فقال:

يا أمير المؤمنين! أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس، وقتلت شهيداً ولم يختلف عليك اثنان، وتوفي رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض، فقال له:

أعد عليّ مقالتك، فأعاد عليه فقال: المغرور مَن غررتموه، واللَّه لو أن

---

(١) رواه البخاري في «المناقب» ـ قصة البيعة، وفي كتاب «الجنائز» ـ ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفي كتاب «الجهاد»، وكتاب «التفسير»، ورواه النسائي في «السنن الكبرى» ـ التفسير.

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٥٢)، «المصنف» لابن أبي شيبة (١٣/ ٢٧٦)، وكتاب «المحتضرين» لابن أبي الدنيا ص(٥٥)، و«وصايا العلماء عند حضور الموت» للربعي ص(٣٨).

(٣) «الطبقات» لابن سعد (٣/ ٣٥٣)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٣/ ٢٨٠)، و«المحتضرين» ص(٥٦).

لي ما طلعت عليه الشمس أو غربت لافتديت به من هول المطلع[١] .

● قال ابن عباس: «يا أمير المؤمنين، والله إن كان إسلامك لنصراً، وإن كانت إمارتك لفتحًا، والله لقد ملأت الأرض عدلاً، ما من اثنين يختصمان إليك، إلا انتهيا إلى قولك». فقال عمر ـ رحمه الله ـ: أجلسوني، فلما جلس قال لابن عباس: أعد عليّ كلامك، فلما أعاد عليه قال: أتشهد لي بهذا عند الله عز وجل يوم القيامة؟ فقال ابن عباس: نعم، ففرح عمر بذلك وأعجبه[٢] .

● وعن المسور بن مخرمة، أن عمر بن الخطاب ﷺ لما طُعِن، جعل يغمى عليه، فقيل: «إنكم لن تفزعوه بشيء مثل الصلاة، إن كانت به حياة، فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين، الصلاة قد صُلِّيت، فانتبه، فقال: الصلاة ها الله إذًا، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة، فصلى وجرحه ينبعث دمًا[٣] .

● وعن ابن عباس ﷺ قال: لما طعن عمر رضوان الله عليه، دخلت عليه فقلت: أبشر يا أمير المؤمنين، فإن الله قد مصّر بك الأمصار، ودفع بك النفاق. قال: أفي الإمارة تثني عليّ يا ابن عباس؟

فقلت: في غيرها، فقال: والذي نفسي بيده، لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها، لا أجر ولا وزر[٤] .

● وعن عبد الله بن الزبير ﷺ قال:

«ما أصابنا حزن منذ اجتمع عقلي مثل حزن أصابنا على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ليلة طعن، قال: صلى بنا الظهر والعصر والمغرب والعشاء

---

(١) «وصايا العلماء» ص(٣٨).

(٢) «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» لابن الجوزي ص(٢٢٧) ـ تحقيق زينب إبراهيم ـ دار الكتب العلمية.

(٣) «مناقب عمر بن الخطاب» لابن الجوزي ص(٢٢٢).

(٤) المصدر السابق ص(٢٢٤).

أسرّ الناس وأحسنه حالاً، فلما كان صلاة الفجر صلىّ بنا رجل أنكرنا تكبيره فإذا عبد الرحمن بن عوف، فلما انصرفنا قيل: طُعن عمر أمير المؤمنين فانصرف الناس وهو في دمه لم يصل الفجر بعد، فقيل: يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة. قال: الصلاة ها اللَّه إذن لا حظ لامرئ في الإسلام ضيّع صلاته، قال: ثم وثب يقوم فانبعث الدم من جرحه. قال: هاتوا لي عمامة يعصب بها جرحه، ثم صلى فلما صلى قال: يا أيها الناس على ملأ منكم؛ فقال له علي بن أبي طالب ـ كرم اللَّه وجهه ـ: لا واللَّه ما ندري مَنْ الطاغي من خلق اللَّه، أنفسنا تفدي نفسك، ودماؤنا تفدي دمك، فالتفت إلى عبد اللَّه بن عباس فقال: اخرج، فسل الناس ما بالهم، واصدقني الحديث، فخرج ثم جاء فقال: يا أمير المؤمنين أبشر بالجنة، لا واللَّه ما رأيت عينًا تطرف من خلق اللَّه من ذكر ولا أنثى إلا باكية عليك يفدونك بالآباء والأمهات»[1] .

● وعن جعفر بن محمد، عن أبيه رضي الله عنهما قال: «لما طعن عمر رضوان اللَّه عليه، اجتمع إليه البدريون، المهاجرون والأنصار، فقال لابن عباس: «اخرج إليهم فسلهم: عن ملأ منكم ومشورة كان هذا الذي أصابني؟ قال: فخرج ابن عباس، فسألهم فقال القوم: لا واللَّه ولوددنا أن اللَّه زاد في عمره من أعمارنا»[2] .

● وعن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر قال حين طُعن:

لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من كَرْب ساعة ـ يعني بذلك الموت ـ فكيف ولم أرد النار بعدُ؟!»[3] .

---

(١) «مناقب عمر بن الخطاب» ص(٢٢٥ ـ ٢٢٦).

(٢) المصدر السابق ص(٢١٦)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٤١).

(٣) «كتاب المحتضرين» لابن أبي الدنيا ص(٢٧)، و«مناقب أمير المؤمنين عمر» لابن الجوزي ص(٢٢٤).

• • ويكذب ابن بابويه القمي الشيعي على الفاروق فيقول:

قال عمر حين حضره الموت، أتوب إلى اللَّه من ثلاث: اغتصابي هذا الأمر أنا وأبو بكر من دون الناس، واستخلافه عليهم، وتفضيل المسلمين بعضهم على بعض».

﴿ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾.

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت ... له الأرض واهتز العضاة بأسوق

جزى اللَّه خيراً من إمام وباركت ... يد اللَّه في ذاك الأديم الممزق

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها ... بوائق في أكمامها لم تفتق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق[1]

الشيعة يقولون: موت عمر يوم العيد الأكبر:

أحدث الشيعة عيدًا سمّوه عيد (بابا شجاع الدين) الذي لقبوا به (أبا لؤلؤة المجوسي) قاتل عمر. وأول من أحدثه أحمد بن إسحاق بن عبد اللَّه القمي الأحوص شيخ الشيعة القميين ونسبه زورًا لأئمة أهل البيت[2].

• «قال أحمد بن إسحاق: هذا اليوم[3] يوم العيد الأكبر، ويوم المفاخرة، ويوم التبجيل، ويوم الزكاة العظمى، ويوم البركة، ويوم التسلية»[4].

• ويقول هؤلاء الزنادقة:

«إن اللَّه أمر الكرام الكاتبين يوم قُتل عمر أن يرفعوا الأقلام ثلاثة أيام عن

---

(١) «كتاب المحتضرين» لابن أبي الدنيا ص(٢٧)، و«مناقب أمير المؤمنين عمر» ص(٢٢٤).

(٢) «كتاب الخصال» لابن بابويه القمي ص(٨١) ـ ط. طهران.

(٣) أي: يوم مقتل عمر رضي الله عنه.

(٤) «مختصر التحفة الاثنى عشرية» للدهلوي اختصره السيد محمود شكري الألوسي ص(٢٠٩) ـ السلفية.

جميع الخلائق فلا يكتبون ذنبًا على أحد كما رواه علي بن مظاهر الواسطي عن أحمد بن إسحاق القمي عن العسكري عن النبي ﷺ فيما حكاه عن ربه جل جلاله»[١] .

ونرد على هؤلاء الزنادقة بقول علي رضي الله عنه في كتابه إلى معاوية رضي الله عنه بعد ما ذكر أبا بكر وعمر: «لعمري إن مكانهما لعظيم، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد، رحمهما اللَّه تعالى وجزاهما بأحسن ما عملا»[٢] .

● وذكر عبد اللَّه بن مسعود عمر فبكى حتى ابتل الحصى من دموعه، وقال: إن عمر كان حصنًا حصينًا للإسلام، يدخلون فيه ولا يخرجون منه، فلما مات عمر انثلم الحصن فالناس يخرجون من الإسلام»[٣] .

وقال رضي الله عنه: «واللَّه إني لأحسب العضاة قد وجدت فقد عمر»، وفي رواية: «واللَّه ما أحسب شيئًا إلا وقد دخل عليه فقدُ عمر، حتى العضاة»[٤].

● وقال أبو طلحة الأنصاري: «واللَّه ما أهل بيت من المسلمين، إلا وقد دخل عليهم في موت عمر نقص في دينهم وفي دنياهم»[٥] .

● وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «من رأى ابن الخطاب، علم أنه خلق غناء للإسلام».

● وقالت أم أيمن يوم أصيب عمر: «اليوم وهى الإسلام»[٦] .

● وقال الحسن البصري: «أي أهل بيت لم يجدوا فقده، فهم أهل بيت سوء».

---

(١) «مختصر التحفة» ص(٢٩٦).

(٢) «مختصر التحفة» ص(١٣٧).

(٣) «مناقب أمير المؤمنين عمر» لابن الجوزي ص(٢٤٧)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٧٢).

(٤) «مناقب أمير المؤمنين» ص(٢٤٨)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٧٣).

(٥) «مناقب أمير الؤمنين» ص(٢٥٠).

(٦) «مناقب أمير المؤمنين» ص(٢٥١)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٧٢).

● وقال مجاهد: «كنا نتحدث أن الشياطين مصفدة في زمن عمر، فلما قُتل وثبت في الأرض»[١].

● وأما عدو اللَّه أبو لؤلؤة فلقد قال عنه أمير المؤمنين عمر: لقد طعنني أبو لؤلؤة، وما أظنه إلا كلبًا حتى طعنني الثالثة»[٢]. أي واللَّه هو واللَّه كلب العجم وللَّه در حسان بن ثابت حين يقول:

وفجعنا فيروز لا در دره بأبيض يتلو المحكمات منيب[٣]

***

وفاة ذي النورين

أمير البررة وقتيل الفجرة وهو صائم

● عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان: إن عثمان بن عفان رضي الله عنه أعتق عشرين مملوكًا له، ودعا بسراويل فشدّها عليه - ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام -، وقال: إني رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم البارحة في المنام ورأيت أبا بكر وعمر، وإنهم قالوا: اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة. ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقُتل وهو بين يديه[٤].

● وعن سعيد بن مسلم بن بانك، عن أبيه:

أن عثمان بن عفان قال متمثلاً يوم دُخل عليه فقُتل:

أرى الموتَ لا يُبقي عزيزًا ولم يَدَعْ لعادٍ ملاكًا في البلاد ومرتقا

---

(١) «مناقب أمير المؤمنين» ص(٢٥١).

(٢) «مناقب أمبر المؤمنين عمر» ص(٢١٦).

(٣) «ديوان حسان» ص(٣٨).

(٤) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣٢): رواه عبد اللَّه وأبو يعلى في «الكبير» ورجالهما ثقات.

وقال أيضًا:

يُبَيِّتُ أهلَ الحَصْنِ والحِصْنُ مغلقٌ ... ويأتي الجبالَ في شماريخها العُلا[١]

● ودخل عليه ـ وهو محصور ـ الحسن بن علي وعليه سلاحه فقال: يا أمير المؤمنين، ها أنذا بين يديك فمرني بأمرك.

فقال له عثمان: يا ابن أخي وصلَتْك رَحِم. إن القوم ما يريدون غيري، ووالله لا أتوقَّى بالمؤمنين، ولكن أوقِّي المؤمنين بنفسي.

فقال له أبو قتاده: يا أمير المؤمنين، إن كان من أمرك كون، فما تأمر؟

قال: انظروا ما أجمعت عليه أمة محمد، فإن الله لا يجمعهم على ضلالة. كونوا مع الجماعة حيث كانت.

قال بشار بن موسى العجلي: فحدّث به حماد بن زيد، فرقّ، ودمعت عينه وقال: رحم الله أمير المؤمنين، حُوصر نيِّفًا وأربعين ليلة، لم تبدُ منه كلمة يكون لمبتدع فيها حجة[٢].

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطّع الليل تسبيحًا وقرآنا[٣]

ورضي الله عن حسان إذ يقول أيضًا:

يا للرجال لدمع هاجع بالسنن ... إني عجبتُ لمن يبكي على الدمن
إني رأيت أمين الله مضطهداً ... عثمان رهنًا لدى الأحداث والكفن
يا قاتل الله قومًا كان شأنهم ... قتل الإمام الأمين المسلم الفطنِ
ما قاتلوه على ذنبٍ ألمّ به ... إلا الذي نطقوا بوقًا ولم يكنِ
إذا تذكرته فاضت بأربعة ... عيني بدمع على الخدين محتتن[٤]

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٥٧).

(٢) ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، «المختصر» (١٦/ ٢٢٠ ـ ٢٢١)، وابن قدامة في «الرقة والبكاء» ص(١٩٢ ـ ١٩٣)، وأورده ابن أبي الدنيا في «كتاب المحتضرين» ص(٥٩).

(٣) «ديوان حسان» ص(٤٠٩).

(٤) «ديوان حسان» ص(٤١١).

استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقتل أشقى الآخرين له

عن محمد بن علي بن أبي طالب أنّ عليًا لما ضُرِب أوصى بنيه، ثم لم ينطق إلا بـ «لا إله إلا اللَّه» حتى قبضه اللَّه[١] .

قال عمران بن حِطّان شاعر الخوارج في قتل عبد الرحمن بن ملجم لأمير المؤمنين علي.

يا ضربة من مُنيبٍ ما أراد بها ... إلاّ ليبلغَ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يومًا فأحسبه ... أوفى البرية عند اللَّه ميزانا

قال عبد القاهر البغدادي رادًّا عليه.

يا ضربةً مِن كفور ما استفاد بها ... إلا الجزاء بما يصليه نيرانا

إني لألعنه دينا، وألعن مَنْ ... يرجو له أبدًا عَفْوًا وغفرانا

ذاك الشقيُّ لأشقى الناسِ كلّهمُ ... أخفّهم عند رب الناس ميزانا[٢]

* * *

أمين الأمة الشهيد أبو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه

● عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

«إني كنت مع أبي عبيدة، وإن الطاعون وقع بالشام، وإن عمر كتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا، فإني أعزم عليك، إن أتاك مصبحًا أن لا تمسي حتى تركب، وإن أتاك ممسيًا أن لا تصبح حتى تركب إليّ، فقد عرضت

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٦١)، و«الثبات عند الممات» (١٠٣).

(٢) «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ص(٩٣) ـ دار المعرفة.

لي إليك حاجة، لا غنى لي عنك فيها. فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب قال: إن أمير المؤمنين يستبقي مَن ليس بباق. فكتب إليه أبو عبيدة: إني في جند من المسلمين لن أرغب بنفسي عنهم، وقد عرفت حاجة أمير المؤمنين فحلِّلني من عزمتك. فلما جاء عمر الكتاب بكى، فقيل له: توفي أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأن قَدْ ـ أي قرب ـ[1].

أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس «وأرسل معاذ بن جبل الحارث بن عُميرة إلى أبي عُبيدة، يسأله: كيف أنت؟ فأراه أبو عبيدة طعنة بكفه، فبكى الحارث بن عميرة إلى أبي عبيدة، وفرق منها حين رآها، فأقسم أبو عبيدة باللَّه، ما يحبُّ أن له مكانها حُمْر النَّعَم»[2].

خال رسول اللَّه ﷺ سعد بن أبي وقاص يخبئ ثوبه يوم بدر كفنًا له

عن ابن شهاب الزهري أن سعد بن أبي وقاص لما حضرته الوفاة، دعا بخَلَق جبة له من صوف فقال: كفِّنوني فيها، فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر، وإنما كنتُ أُخبِّئُها لهذا اليوم[3].

للَّه درك يا سعد وما أحلى كلامك.

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الهيثم بن كليب في «مسنده»، والطحاوي في «معاني الآثار»، والبيهقي، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر العسقلاني في «بذل الماعون في فضل الطاعون» تحقيق أحمد عصام عبد القادر ص(٢٧١) ـ دار العاصمة ـ الرياض.

(٢) **إسناده حسن**: أخرجها البزار، والطبراني. وحسّن إسناده ابن حجر العسقلاني في «بذل الماعون» ص(٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٣) «وصايا العلماء عند حضور الموت» ص(٤٥)، وأخرجه الحاكم (٣/ ٤٩٦)، والطبراني في «الكبير» (٣١٦)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٥)، وقال: رجاله ثقات إلا أن الزهري لم يدرك سعدًا.

● وعن مصعب بن سعد أنه قال: كان رأس أبي في حجري، وهو يقضى. فبكيت، فرفع رأسه إليّ، فقال: أيْ بنيّ ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك. قال: لا تبك فإن اللَّه لا يعذبني أبدًا، وإني من أهل الجنة.

قال الذهبي: صدق واللَّه، فهنيئًا له(١).

عبد الرحمن بن عوف ﷺ ممّن كتب اللَّه لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم

عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال: «غُشي على عبد الرحمن بن عوف في وجعه حتى ظنوا أنه قد فاضت نفسه، حتى قاموا من عنده وجلّلوه. فأفاق يكبرّ، فكبرّ أهل البيت، ثم قال لهم: غشي عليّ آنفًا؟ قالوا: نعم. قال: صدقتم! انطلق بي في غشيتي رجلان أجد فيهما شدة وفظاظة، فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين، فانطلقا بي حتى لقيا رجلاً، قال: أين تذهبان بهذا؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين. فقال: ارجعا، فإنه من الذين كتب اللَّه لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم، وإنه سيمتع به بنوه إلى ما شاء اللَّه، فعاش بعد ذلك شهرًا»(٢).

وأوصى عبد الرحمن بخمسين ألف دينار في سبيل اللَّه، فكان الرجل يُعطى منها ألف دينار.

وعن الزهري أن عبد الرحمن أوصى بألف فرس في سبيل اللَّه.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٢٢)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ١/ ١٠٤).

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه الحاكم (٣/ ٣٠٧)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٣٦٧)، وابن سعد (٣/ ١/ ٩٥)، والحافظ في «المطالب العالية» (٤٠٠٧)، وقال البوصيري: إسناده صحيح. وذكره صاحب «كنز العمال» (٣٦٦٨٩)، ونسبه إلى أبي نعيم، وابن عساكر.

وعنه أن عبد الرحمن أوصى للبدرين، فوجدوا مئة، فأعطى كل واحد منهم أربعمئة دينار، فكان منهم عثمان، فأخذها[١] .

وعن إبراهيم بن عبد الرحمن قال: رأيت سعدًا في جنازة عبد الرحمن ابن عوف، وهو بين يدي السرير، وهو يقول: وا جَبَلاه[٢] .

وقال علي بن أبي طالب يوم مات عبد الرحمن: اذهب يا ابن عوف! فقد أدركت صَفْوَها وسَبَقْت رَنْقَها[٣] .

موت الحسن بن علي ريحانة رسول الله ﷺ

● عن رقبة بن مصقلة قال: لما احتضر الحسن بن علي قال: أخرجوا فراشي إلى صحن الدار، قال: فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: اللَّهم إني أحتسب نفسي عندك، فإنها أعز الأنفس علي[٤] . فكان مما صنع اللَّه له أن احتسب نفسه عنده.

● وعن جعفر بن محمد، عن أبيه قال:

« لما أن حضر الحسن بن عليّ الموت، بكى بكاء شديدًا، فقال له الحسين: ما يبكيك يا أخي، وإنما تقدم على رسول اللَّه ﷺ وعلى عليّ وفاطمة وخديجة وهم وَلَدوك، وقد أجرى اللَّه لك على لسان نبيه أنك «سيد شباب أهل الجنة»، وقاسمت اللَّه مالك ثلاث مرات، ومشيت إلى بيت اللَّه

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٩٠).

(٢) «الحاكم (٣/ ٣٠٨)، والذهبي في «السير» (١/ ٩٠).

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه الطبراني (٢٦٣) في «الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٠٠)، وابن سعد، والذهبي في «السير» (١/ ٩٠).

(٤) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٨)، و«الثبات عند الممات» ص(١٠٣)، و«وصايا العلماء» ص(٦٤)، رقبة بن مسقلة، بالسين والصاد ـ ثقة، بين وفاة الحسن ووفاة رقبة تسعة وسبعون عامًا ولم يرو عن الحسن بن عليّ.

على قدميك خمس عشر مرة حاجًا؟ وإنما أراد أن يطيّب نفسه.

قال: فواللَّه ما زاده إلا بكاء وانتحابا، وقال: يا أخي، إني أقدم على أمر عظيم وهول لم أقدم على مثله قط[1].

مقدام العلماء معاذ بن جبل رضي الله عنه

اخنق خنقك، فوعزتك إني أحبك

عن الحارث بن عميرة، أنه قدم مع معاذ من اليمن، فمكث معه في داره وفي منزله، فأصابهم الطاعون، فطعن معاذ وأبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك، رضي الله عنهم في يوم واحد، وكان عمرو بن العاص، حين خبِّر بالطاعون، فرق فرقًا شديدًا، وقال: يا أيها الناس تفرّقوا في هذه الشعاب، فقد نزل بكم أمر لا أراه إلا رجزًا [أو طاعونًا]، فقال له شرحبيل ابن حسنة: كذبت، قد صحبنا رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم وأنت أضلّ من حمار أهلك. فقال عمرو: صدقت.

وقال معاذ بن جبل لعمرو بن العاص: كذبت، ليس بالطاعون ولا الرجز ولكنها رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، اللَّهم فآت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة. قال: فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن وأحب الناس إليه الذي كان يكنى به. فرجع معاذ من المسجد، فوجده مكروبًا، فقال: يا عبد الرحمن، كيف أنت؟ فاستجاب له، فقال عبد الرحمن: يا أبة: ﴿**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ [البقرة: ١٤٧]. فقال معاذ رضي الله عنه: وأنا ستجدني إن شاء اللَّه من الصابرين. فمات من ليلته ودفن من الغد... ثم إن معاذًا رضي الله عنه اشتد به نزع

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٧٤)، ومختصرًا في «تهذيب الكمال» (٦/ ٢٥٤).

الموت، فنزع أشد العالـم نَزْعَه. فكان كلما أفاق من غمرة فـتح طرفه فقال: اخنقني خنقك، فوعزتك إنك لتعلم أني أحبك»[١] .

وعند ابن سعد: ثم طعنت امرأتاه فهلكتا، وطعن هو في إبهامه، فجعل يمسها بفيـه ويقول: اللَّهم إنها صغيـرة، فبارك فيها. فإنك تبارك فـي الصغير حتى هلك»[٢] .

● وعن عمرو بن قيس:

أن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا؟

قال: فقيل: لم نصبح، حتى أُتِيَ فقيل له: قد أصبحت.

قال: أعوذ باللَّه من ليلة صباحها إلى النار. مرحبًا بالموت. مرحبًا، زائر مُغِبّ[٣] حبيب جاء على فاقة. اللَّهم إنك تـعلم أني كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك. اللَّهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الـدنيا وطول البقاء فيها لكري[٤] الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمـأ الهواجر، ومكابدة الساعات[٥] ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر[٦] » . . . من أجل هذا يعيش مقدام العلماء، وعلى الشوق والحب للَّه يموت.

* * *

(١) **إسناده حسن:** سبق تخريجه. «بذل الماعون في فضل الطاعون» ص(٢٦٦ ـ ٢٧٠).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٥٨٩).

(٣) أي: قليل الزيارة.

(٤) كري الأنهار أي: حفرها.

(٥) أي: صيام نهار الصيف، وقيام ليل الشتاء.

(٦) «الزهد» لأحمـد (٢/ ١١٦)، و«حلية الأولياء» (١/ ٢٣٩)، و«صفـة الصفوة» (١/ ٥٠١)، و«الثبات عند الممات» (١/ ١١٩)، و«كتاب المحتضرين» (١١١).

وفاة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

أشتهي مغفرة الله ورضوانه

● عن عبيد بن سعيد قال: بكى عبد الله عند الموت، فقيل له: أتبكي وقد صحبت رسول الله ﷺ؟

فقال: وكيف لا أبكي وقد ركبتُ ما نهاني عنه، وتركتُ ما أمرني به، وذهبت الدنيا لحال بالها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بني الرجال، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر[1].

● وعن علقمة قال: اشتكى عبد الله، فلم أره في وجع كان أرمض[2] منه في ذلك الوجع، فقلت له في ذلك فقال: إني خشيت أن أكون لما بي أنه أخذني وأقرب بي من الغفلة[3].

● وعن قيس بن أبي حازم قال: دخل عثمان على عبد الله يعوده، فقال له عثمان: كيف تجدك؟

قال عبد الله: مردودٍ إلى مولاي الحق.

قال له عثمان: طيبًا، أو طبت[4].

● وعن أنس بن مالك قال: دخلنا على عبد الله بن مسعود نعوده في مرضه فقلنا: كيف أصبحت أبا عبد الرحمن؟

قال: أصبحنا بنعمة الله إخوانًا.

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٦٨).

(٢) أي: أشد وجعًا.

(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٥٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٣/ ٢٩٠)، و«الزهد والرقائق» لابن المبارك ص(٥١٤)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٦٨).

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(٢٢٢).

قلنا: كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن؟

قال: أجد قلبي مطمئنًا بالإيمان.

قلنا: ما تشتكي أبا عبد الرحمن؟

قال: أشتكي ذنوبي وخطاياي.

قلنا: ما تشتهي شيئًا؟

قال: أشتهي مغفرة اللَّه ورضوانه.

قلنا له: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: الطبيب أمرضني[1].

● عن أبي ظبية قال: مرض عبد اللَّه، فعاده عثمان، وقال: ما تشتكي؟ قال: ذُنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمةَ ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيبُ أمرضني. قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه[2].

أبو هريرة رضي الله عنه: أبكي على بُعْد سفري، وقلة زادي

● عن سلم بن بشير أن أبا هريرة بكى في مرضه فقيل: ما يُبكيك؟ قال: ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن على بُعد سفري، وقلة زادي، وأني أمسيتُ في صُعود، ومهبطُه على جنة أو نار، فلا أدري أيهما يؤخذ بي[3].

اللَّهم إني أحب لقاءك:

● وعن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال: دخل مروان على أبي هريرة رضي الله عنه في شكواه الذي مات فيه. فقال: شفاك اللَّه. فقال أبو هريرة: اللَّهم

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٢٣٨ ـ ٢٣٩)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٤/ ٢٧٠).

(٢) «السير» (١/ ٤٩٨).

(٣) «الزهد» لابن المبارك ص(٣٨)، و«الطبقات» لابن سعد (٤/ ٣٣٩)، و«وصايا العلماء» ص(٥٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٣٩، ٢٠٠ ـ ٢٠١)، وانظر: «السير» (٢/ ٥٧٨ ـ ٦٣٢) ترجمة أبي هريرة.

إني أُحِبُّ لقاءك فأحبّ لقائي. فما بلغ مروانُ أصحاب القطا حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ[1] . هكذا حياة الأحباب وموت الصالحين.

● وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: دخلت على أبي هريرة وهو وجع شديد الوجع، فاحتضنته، فقلت: اللَّهم اشفِ أبا هريرة. فقال: اللَّهم لا ترجعها. قالها مرتين. ثم قال: إن استطعت أن تموت فمُت، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ليأتين على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهبة الحمراء. وليأتين على الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه المسلم فيتمنى أنه صاحبه[2] .

صدق أبو هريرة ونصح فقد قال رسول اللَّه ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه**»[3] .

حكيم الأمة أبو الدرداء يشتهي الجنة

● عن أبي مسلم الخولاني أنه دخل على أبي الدرداء في اليوم الذي قبض فيه وكان عندهم كأنفسهم ـ فجعل أبو مسلم يُكبِّر، فقال أبو الدرداء: أجلْ هكذا فقولوا، فإن اللَّه إذا قضى قضاء أحب أن يرضى[4] .

● وعن معاوية بن قرة أن أبا الدرداء اشتكى، فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتكي؟ قال: أشتكي ذنوبي!

قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: أفلا ندعو لك طبيبًا؟

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٣٣٩)، و«السير» (٢/ ٦٢٥)، و«الثبات عند الممات» ص(١٣١).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٢٠٤ ـ ٢٠٥)، و«طبقات ابن سعد» (٤/ ٣٣٨)، و«حلية الأولياء» (١/ ٣٨٤).

(٣) رواه البخاري ـ كتاب الفتن ـ باب لا تقوم الساعة حتى يُغَبط أهلُ القبور.

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(١٠٩).

قال: هو أضجعني[١] .

● وعن أبي مسلم قال: جئت أبا الدرداء وهو يجود بنفسه فقال: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا، ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا، ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه ثم قُبض[٢] .

● قالت أم الدرداء: لما احتضر أبو الدرداء، جعل يقولُ: من يعمل لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا[٣] ؟

رضي اللَّه عن حكيم الأمة القائل: «إن لنا داراً لها نعمل، وإليها نظعن، والمخف فيها خير من المثقل[٤] .

سيدنا بلال: غدًا نلقى الأحبة، محمدًا وحزبه

● عن سعيد بن عبد العزيز: «قال بلال حين حضرته الوفاة: غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه. قال: تقول امرأته: وا بلالاه[٥] .

قال: يقول هو: وا فرحاه»[٦] .

* * *

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٧/ ٣٩٣)، و«صفة الصفوة» (١/ ٦٤٢)، و«الثبات عند الممات» ص(١٢٨)، و«الحلية» (١/ ٢١٨)، و«الزهد» لأحمد (١٣٤)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (١٣/ ٣٠٩)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٣٧).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٦٤٢)، و«الثبات عند الممات» ص(١٢٩).

(٣) انظر: «السير» ترجمة أبي الدرداء (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٥٣).

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(١٣٨).

(٥) في رواية ابن أبي الدنيا و«السير»: «وا ويلاه».

(٦) «الثبات عند الممات» ص(١٠٨)، و«السير» (١/ ٣٥٩)، و«كتاب المحتضرين» ص(٢٠٧ ـ ٢٠٨).

حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما

حبيب جاء على فاقة

● عن زياد ـ مولى ابن عباس ـ عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: دخلنا على حذيفة في مرضه الذي مات فيه، فقال: اللَّهم إنك تعلم لولا أني أرى أن هذا اليوم أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، لم أتكلم بما أتكلم به، اللَّهم إنك تعلم أني كنت أختار الفقر على الغنى، وأختار الذلة على العز، وأختار الموت على الحياة حبيب جاء على فاقة. لا أفلح من ندم[1].

● وعن أبي مسعود قال: أُغمي على حذيفة، فأفاق في بعض الليل فقال: يا أبا مسعود، أي الليل هذا؟ قال: السَّحَر. قال: عائذ باللَّه من جهنم مرتين[2].

● وعن أسد بن وداعة قال: لما مرض حذيفة مرضه الذي مات فيه، قيل له: ما تشتهي؟

قال: أشتهي الجنة. قالوا: فما تشتكي؟ قال: الذنوب. قالوا: أفلا ندعو لك الطبيب؟

قال: الطبيب أمرضني. لقد عشت فيكم على خلال ثلاث:

لَلْفقر فيكم أحب إليّ من الغنى، وللضَّعة فيكم أحبّ إليّ من الشرف، وإن من حمدني منكم ولامني في الحق سواء.

---

(١) «الثبات عند الممات» ص(١٢١ ـ ١٢٢)، و«حلية الأولياء» (١/ ٢٨٢)، و«كتاب المحتضرين» ص(٢٣٦).

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٢٨٢)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٣/ ٣٨٠)، و«وصايا العلماء» ص(٥٣)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٣٥)، و«كتاب الثبات» ص(١٢١ ـ ١٢٢).

ثم قال: أصبحنا؟ أصبحنا؟

قالوا: نعم.

قال: اللَّهم إني أعوذ بك من صباح النار. حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم[١].

السلف الخيِّر عثمان بن مظعون رضي الله عنه ذهب ولم يتلبَّس من الدنيا بشيء

● عن عائشة رضي الله عنها أن رسول اللَّه ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت ودموعه تسيل على خد عثمان بن مظعون[٢].

لو لم يكن لعثمان من فضيلة عند موته إلا حب النبي ﷺ لكفاه شرفًا، وكرامة أخرى وفضيلة يُرصع بها جبين عثمان.

● لما مُرَّ بجنازة عثمان بن مظعون قال رسول اللَّه ﷺ: «**ذهبت ولم تلبَّس منها بشيء**»[٣].

عن أم العلاء ذكرت أن عثمان بن مظعون اشتكى عندهم، فمرَّضناه حتى توفي، فأتى رسول اللَّه ﷺ، فقلت: شهادتي عليك أبا السائب، لقد أكرمك اللَّه! فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وما يدريك؟**»، قلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه فمن؟ قال: «**أما هو فقد جاءه اليقين، واللَّه إني لأرجو له الخير، وإني لرسول اللَّه، وما أدري ما يفعل بي**». قالت: فواللَّه لا أزكي بعده

---

(١) «الثبات عند الممات» ص(١٢٢)، و«الحلية» (١/ ٢٨٢)، و«كتاب المحتضرين» ص(١١٢)، و«صفة الصفوة» (١/ ٦١٤).

(٢) أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث صحيح، وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي، والحديث حسن بشواهده.

(٣) أخرجه مالك في «الجنائز» يرسله ووصله ابن عبد البر عن عائشة.

أحدًا. قالت: فأحزنني ذلك، فنمت، فرأيت لعثمان عينًا تجري، فأخبرت رسول اللَّه ﷺ، فقال: «ذاك عمله»[١].

سلمان الخير... سلمان بن الإسلام
سلمان الفارسي
«لي اليوم زوّار، لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون عليّ»

● عن أنس قال: دخل سعد وابن مسعود على سلمان عند الموت، فبكى فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: عهد عهده إلينا رسول اللَّه ﷺ، لم نحفظه. قال: «ليكن بلاغُ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب». وأما أنت يا سعد فاتق اللَّه في حكمك إذا حكمت، وفي قسمك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت.

قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهمًا نُفيقة كانت عنده[٢].

● وعن الحسن قال: بكى سلمان عند الموت، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي ضِنًّا[٣] بدنياكم، ولا جزعًا من الموت، ولكن قلة الزاد، وبُعد المفاز[٤].

● وعن امرأة سلمان بقيرة قالت: لما حضر سلمان الموت دعاني ـ وهو في علية لها أربعة أبواب فقال: افتحي هذه الأبواب فإني لي اليوم زوار[٥]،

---

(١) أخرجه البخاري في «مناقب الأنصار»، وفي «الجنائز»، وفي «الشهادات»، وفي «التعبير»، وعبد الرزاق في «المصنف».

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ١٩٥، ١٩٦)، (٢/ ٢٣٧)، و«مسند أحمد» (٥/ ٤٣٨)، وانظر: «السير» ترجمة سلمان (١/ ٥٠٥ ـ ٥٥٨).

(٣) ضَنًّا: بفتح الضاد وكسرها، أي: بخلاً وحرصًا.

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(٢٢٣ ـ ٢٢٤).

(٥) وفي رواية: «إنه يحضرني خلْق من خلق اللَّه عز وجل ـ يجدون الريح ولا يأكلون الطعام».

لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون علي، ثم دعا بمسك له، ثم قال: أديفيه في قور[١] ففعلتْ، ثم قال: انضحيه حول فراشي، ثم انزلي وامكثي فسوف تطلعين فتريني علي فراشي، فاطلعت، فإذا هو قد مات[٢].

وفي «الحلية»: فإذا هو قد أخذ روحه فكأنه نائم على فراشه.

نعم... مسك أصابه يوم فتح «جَلْولاء» يكون عطر مماته... وآن له أن يرتوي وينهل فقد برّح الشوق به إلى محمد وحزبه.

عُمَيْر بن أبي وقاص أخو سعد يحب الخروج لعلّ اللّه يرزقه الشهادة

● عن سعد بن أبي وقاص قال: «رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول اللّه ﷺ للخروج إلى بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي: فقال: إني أخاف أن يراني رسول اللّه ﷺ فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج لعل اللّه يرزقني الشهادة، قال: فعُرِض على رسول اللّه ﷺ فاستصغره فقال: «ارجع»، فبكى عمير فأجازه رسول اللّه ﷺ. قال سعد: فكنتُ أعقد له خمائل سيفه من صغره فقُتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة، قتله عمرو بن عبد ودّ[٣].

* * *

(١) أدافه: خلطه وأذابه في الماء، والقوْر: إناء صغير.

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٢٠ ـ ١٢١)، و«الحلية» (١/ ٢٠٨)، و«وصايا العلماء عند الموت» ص(٤٤).

(٣) «الثبات عند الممات» ص(١٠٧ ـ ١٠٨)، و«الطبقات» لابن سعد (٣/ ١٤٩)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٩٤)، وأخرجه أبو يعلى والحاكم.

عُمَيْرُ بن الحُمَام أول شهيد من الأنصار في الأسلام

«بَخٍ بَخٍ»

● عن أنس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: **«قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»**. فقال عمير: يا رسول اللَّه، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: **«نعم»**. قال: بَخٍ بَخٍ. فقال رسول اللَّه ﷺ: **«ما يحملك على قول: بخٍ بخٍ؟»**. قال: لا واللَّه يا رسول اللَّه، إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: **«فإنك من أهلها»**. فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، فإنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتِل(١).

للَّه دره كم كان شوقه عارمًا إلى الجنة.

عبد اللَّه بن جحش بن رياب(٢)

جُدِع أنفه وأذنه في اللَّه مثل ما تمنّى

● عن سعد بن أبي وقاص أن عبد اللَّه بن جحش قال له يوم أحد: ألا تدعو اللَّه فخلوا في ناحية فدعا عبد اللَّه بن جحش فقال:

«يا رب إذا لقيت العدو غدا فلقّني رجلاً شديدًا بأسه، شديدًا حرده فأقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا قلتَ: يا عبد اللَّه: مَنْ جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول:

---

(١) أخرجه مسلم، وأحمد، وابن سعد في «الطبقات».

بخٍ بخٍ: كلمة تطلق لتعظيم الأمر وتفخيمه.

(٢) أمه عمة رسول اللَّه ﷺ، وهو صاحب أول لواء عقد في الإسلام وأول مغنم قسم في الإسلام، وصاهر رسول اللَّه ﷺ بأخته زينب، وهو أول من تسمى أمير المؤمنين في السرية إلى نخلة.

صدقت. قال سعد: لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط»[١].

عامر بن فُهَيْرة
فاز ورب الكعبة ووارت جثته الملائكة وأسلم قاتله

لما طعن جبار بن سلمى عامر بن فهيرة فأنفذه، قال عامر: فزت واللَّه! قال: وذُهِب بعامر عُلُوًّا في السماء حتى ما أراه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الملائكة وارت جثته وأنزل عليين**»، وسأل جبّار بن سُلْمَى ما قوله فُزت واللَّه، قالوا: الجنة. قال: فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر بن فهيرة فحسن إسلامه.

قالت عائشة ﵂: رُفع عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جثته يرون أن الملائكة وارته[٢].

موت سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري
يحث قومه على الشهادة

● عن يحيى بن سعيد قال:

لما كان يوم أحد قال رسول اللَّه ﷺ: «**من يأتيني بخبر سعد بن الربيع**»، فقال رجل: أنا يا رسول اللَّه فذهب الرجل يطوف بين القتلى، فقال

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ١٠٨)، و«الثبات عند الممات» ص(١٠٦)، و«صفة الصفوة» (١/ ٣٨٤)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٠٢)، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٠٧)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٣١).

له سعد بن الربيع، ما شأنك؟ قال: بعثني النبي ﷺ لآتيه بخبرك، قال: فاذهب إليه فأقرئه مني السلام. وأخبره أني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة. وأنْ قد أُنفِذَتْ مقاتلي، وأخبر قومك: أنه لا عذر لهم عند اللَّه إن قُتِل رسول اللَّه ﷺ وأحد منهم حي[1].

أنس بن النضر رضي الله عنه

«الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أُحُد»

● لما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللَّهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني: المشركين - ثم تقدّم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول اللَّه ما صنع. قال أنس[2]: فوجدنا به بضعًا وثمانين: ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل وقد مَثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. قال أنس: كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...**﴾ إلى آخر الآية»[3].

يا ابن النضر: طهرت منكم الأنوف فشممتم عبير الجنة وأنتم في دار الدنيا، ونحن زُكمت أنوفنا بجيف الدنيا وعطر الكاسيات العاريات فلم يبق للجنة موضع فيها.

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٥٢٣)، و«صفة الصفوة» (١/ ٤٨١)، و«الثبات عند الممات» ص(١١٢).

(٢) أي: أنس بن مالك راوي الحديث.

(٣) أخرجه البخاري.

موت سعد بن خيثمة الأنصاري رضي الله عنه

«لو كان غير الجنة آثرتك به»

● أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين، ولما ندب رسول اللَّه ﷺ الناس إلى غزوة بدر قال له أبوه خيثمة: إنه لا بد لأحدنا أن يقيم، فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك. فأبى سعد، وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به؛ إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا. فاستهما، فخرج سهم سعد، فخرج فقُتل ببدر[1].

أبو عقيل عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن ثعلبة

«يا آل الأنصار، كرّةً كيوم حُنين»

● عن جعفر بن عبد اللَّه بن أسلم قال:

لما كان يوم اليمامة واصطف الناس للقتال كان أول من جرح أبو عقيل، رُمِي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده فأخرج السهم فَوَهن له شقة الأيسر، وجُرّ إلى الرحل، فلما حَمي القتال وانهزم المسلمون سمع معن بن عديّ يصيح: يا آل الأنصار، اللَّه اللَّه والكرة على عدوكم، قال عبد اللَّه بن عمر: فنهض أبو عقيل. فقلتُ: ما تريد؟ قال: قد فَوّه المنادي باسمي. فقلت: ما يَعني الجرْحى. فقال: أنا من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حَبْواً. فتحزّم وأخذ السيف، ثم جعل ينادي: يا آل الأنصار، كرّةً كيوم حنين. قال ابن عمر: فاختلفت السيوف بينهم فقطعت يده المجروحة من المنكب، فقلت: أبا عقيل، فقال:

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٤٦٨)، و«الثبات عند الممات» ص(١١١، ١١٢)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٤٨٢).

لبيك، بلسان مُلْتاث[١]، لمن الدَّبْرَة[٢]؟ فقلت: أبشر قد قتل عدو اللَّه[٣]. فرفع رأسه، أو إصبعه إلى السماء يحمد اللَّه ومات يرحمه اللَّه. قال ابن عمر: فأخبرتُ عمر فقال: رحمه اللَّه، ما زال يسأل الشهادة ويطلبها[٤].

موت سالم بن معقل مولى أبي حذيفة رضي الله عنه «هكذا موت القرّاء في الميدان»

للَّه در سالم من سيد... للَّه دره من قارئ.. للَّه دره من بدري..

هو أحد القرّاء الأربعة الذين أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن عنهم... فلما كان يوم اليمامة وانكشف صف المسلمين حفر سالم لنفسه حفرة وتحنط بحنوطه وأمسك براية المهاجرين، فقالوا له: يا سالم، إنا نخشى أن نؤتى من قِبَلك. فقال رضي الله عنه: بئس حامل القرآن إذًا أنا.

قال ابن الجوزي: «حضر اليمامة فأخذ اللواء بيمينه فقطعت ثم شاله[٥] بشماله فقطعت، ثم اعتنق اللواء، وجعل يقرأ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ**﴾ إلى أن قتل»[٦].

وهكذا يموت سيد القرّاء في الميدان... ومن أولى بهذا منه، وقد قال

---

(١) ملتاث: ثقيل، بطيء في الكلام.

(٢) لمن الدبرة: تفتح الباء وتسكن، ويقال: على من الدبرة أيضًا أي: الهزيمة.
ولمن الدبرة: أي: لمن الدَّوْلة والظفر.

(٣) أي: مسيلمة الكذاب.

(٤) «صفة الصفوة» (١/ ٤٦٦)، و«الثبات» ص(١١٠ ـ ١١١)، و«طبقات ابن سعد» باختصار (٣/ ٤٧٤).

(٥) أي: رفعه.

(٦) «الثبات عند الممات» ص(١٠٤)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٨٥).

فيه رسول اللَّه ﷺ: «**الحمد للَّه الذي جعل في أمتي مثله**»[(١)] .

موت ثابت بن قيس بن شماس خطيب الأنصار رضي الله عنه

«خلّوا بيننا وبينهم ساعة»

نعم الرجل ثابت!

عن أنس أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة، وقد تحنّط ولبس ثوبين أبيضين يُكفن فيهما. وقد انهزم القوم فقال: اللَّهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، فبئس ما عودتم أقرانكم، خلّوا بيننا وبينهم ساعة، فحمل فقاتل حتى قُتل»[(٢)] .

عمرو بن الجموح سيد بني سلمة رضي الله عنه

«إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة»

كان رضي الله عنه أعرج فلم يشهد بدرًا، فلما حضرت أُحد أراد الخروج فمنعه بنوه، وقالوا: قد عذرك اللَّه فأتى رسول اللَّه ﷺ فقال: إنّ بنيّ يريدون أن: يحبسوني عن الخروج وإني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال: «**أما أنت فقد عذرك اللَّه**»، وقال لبنيه: «**لا عليكم أن لا تمنعوه، لعل اللَّه عز وجل يرزقه الشهادة**»، فتركوه، قالت امرأته: فكأني أنظر إليه مُوليًا قد أخذ درقته، وهو يقول: اللَّهم لا تردني إلى حزبي، وهي منازل بني سلمة، فقتل هو وابنه خلاد[(٣)] .

---

(١) أخرجه البزار، ورجاله ثقات. انظر: «الإصابة» (٢/ ٧).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٣٥)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. انظر: «الثبات عند الممات» ص(١٢٦)، و«طبقات ابن سعد» (٥/ ٢٠٦).

(٣) «الثبات عند الممات» ص(١٢٦).

خبيب بن عديّ رضي الله عنه
«فلستُ أبالي حين أُقتل مسلمًا»

● عن أبي هـريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم عشرة عينًا وأمّرَ عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب، حتى إذا كانوا بالـهدَة بين عُسفان ومكة ذُكروا لحيّ من هُذَيل يُقال لهم بنو لِحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه، فقالوا: تمر يثرب، فاتبعوا آثارهم. فلما حس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع فأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا أيديكم، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا. فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم، أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر. ثم قال: اللَّهم أخبر عنا نبيك صلى الله عليه وسلم فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خُبيب وزيدُ بن الدَّثِنَة ورجل آخر. فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيِّهم فربطوهم بها. قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، واللَّه لا أصحبكم، إن لي بهؤلاء أسوة - يريد القتلى - فجرّروه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم. فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خُبيبًا - وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر - فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحدّ بها، فأعارته، فدرج بُنيّ لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مُجلِسه في فخذه والموسى بيده. قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب. فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنتُ لأفعل ذلك. قالت: واللَّه ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خُبيب، واللَّه لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة. وكانت تقول: إنه لرزق رزقه اللَّه خبيبًا. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحِلّ قال لهم خبيب: دعوني

أصلي ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، فقال: والله لولا أن تحسبوا أنّ ما بي جزع لزدت. ثم قال: اللَّهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تُبق منهم أحدًا. ثم أنشأ يقول:

فلست أبالي حين أُقتل مسلمًا على أي جنب[1] كان للَّه مصرعي
وذلكَ في ذاتِ الإلـه وإن يشأْ يُبارِكْ على أوصالِ[2] شِلوٍ[3] مُمَزّعِ[4]

ثم قام إليه أبو سِرْوعة عقبة بن الحارث فقتله. وكان خبيب هو سَنَّ لكل مسلم قُتِل صبرًا الصلاة»[5].

موت زيد بن الدّثِنَة رضي الله عنه

«ما أحب أن محمدًا يشاك في مكانه شوكة تؤذيه»

استؤثر يوم الرجيع مع خبيب فقدّموه للقتل فقالوا: ننشدك اللَّه أتحبُّ أنك الآن في أهلك، وأن محمدًا مكانك، فقال:

«واللَّه ما أحب أن محمدًا يُشاك في مكانه شوكة تؤذيه، وإني جالس في أهلي»[6].

* * *

(١) في رواية باب غزوة الرجيع من كتاب المغازي من «صحيح البخاري»: على أي شِقٍّ.
(٢) أوصال: جمع وصل، وهو العضو.
(٣) الشِّلو: الجسد، وقد يُطلق على العضو ولكن المراد به: الجسد.
(٤) المُمزّع: المقطع.
(٥) رواه البخاري في كتاب المغازي من «صحيحه» ـ باب (١٠) ـ وفي باب غزوة الرجيع، ورواه أيضًا في كتاب الجهاد باب: هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر؟، ورواه أبو داود في كتاب الجهاد باب من الرجل يستأسر.
(٦) «صفة الصفوة» (١/ ٦٤٩)، و«الثبات عند الممات» ص(١٢٨).

حرام بن ملحان رضي الله عنه
«فُزْت ورب الكعبة»

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «لما طُعن حرام بن ملحان ـ وكان خاله ـ يوم بئر معونة قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فُزْت وربِّ الكعبة»(١).

أبو بكرة مولى النبي صلى الله عليه وسلم
«ما في الأرض نفسٌ أحبُّ إليّ أن تكون خرجت من نفسي هذه»

عن عيينة بن عبد الرحمن قال: حدثني أبي:

أن أبا بكرة لما اشتكى عرض عليه بنوه أن يأتوه بطبيب، فأبى، فلما ثقُل وعرف الموت من نفسه وعرفوه منه قال: أين طبيبكم ليردها إن كان صادقًا؟

قالوا: وما يُغني الآن؟

قال: ولا قبلُ!

قال: فجاءت ابنته أَمَةُ اللَّه، فلما رأت ما به بكت، فقال: أي بنيّة لا تبكي.

قالت: يا أبتاه، فإن لم أبك عليك فعلى مَن أبكي؟

قال: لا تبكي، فوالذي نفسي بيده ما في الأرض نفس أحبّ إليّ تكون

(١) أخرجه البخاري.

خرجت من نفسي هذه، ولا نفْس هذا الذباب الطائر.

ثم أقبل على حُمران ـ مولى عثمان بن عفان ـ وهو عند رأسه ـ فقال: ألا أخبرك لماذا خشيته؟ والله أن يجيء أمر يحول بيني وبين الإسلام[١] .

عمّار بن ياسر الطيّب المُطيّب

«أَزفت الجنان، وزُوِّجت الحور العين»

● عن أبي البَختري قال: قال عمّار يوم صفّين: ائتوني بشربة لبن، قال: فشرب، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن آخر شَرْبَة تشربها من الدنيا شربة لبن»**[٢] ، ثم تقدم فقُتِل[٣] .

وفي رواية: «ثم قال: صدق الله ورسوله، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه»[٤] .

● وعن سعد بن إبراهيم الزهري عن أبيه عمن حدّثه: سمع عماراً بصفين يقول: أزِفت الجنان، وزوجت الحور العين، اليوم نلقى حبيبنا محمد ﷺ[٥] .

● وعن ابن أبي خالد، عن قيس أو غيره: قال عمار: ادفنوني في ثيابي، فإني رجل مخاصَم[٦] .

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١١٥ ـ ١١٦)، و«الثبات عند الممات» ص(١٣١)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٢٦/ ١٨٣).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣١٩)، وابن سعد (٣/ ١/ ١٨٤)، والحاكم (٣/ ٣٨٩).

(٣) «السير» (١/ ٤٢٥).

(٤) «الثبات عند الممات» ص(١٠٨).

(٥) «السير» (١/ ٤٢٥).

(٦) «السير» (١/ ٤٢٦).

موت خالد بن الوليد رضي الله عنه
سيف الله، وفارس الإسلام
«لا نامت أعين الجبناء»

● عن أبي الزناد: أن خالد بن الوليد لما احتُضِر بكى، وقال: لقيتُ كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء(١) .

رضي الله عن البطل سيف الله الذي قال: ما من ليلة يُهدى إليّ فيها عروس أنا لها محب أحبّ إليّ من ليلة شديدة البرد، كثيرة الجليد في سريّة أُصبّحُ فيها العدو(٢) .

● وعن أبي وائل قال: لما حضرت خالدًا الوفاةُ، قال: لقد طلبت القتل مظانّه فلم يُقَدَّر لي إلا أن أموت على فراشي. وما من عملي شيء أرجى عندي بعد التوحيد من ليلة بتها وأنا متترس، والسماء تهلّني ننتظر الصبح؛ حتى نُغير على الكفار. ثم قال: إذا مت، فانظروا إلى سلاحي وفرسي، فاجعلوه عدة في سبيل الله»(٣) .

زيد بن الخطاب رضي الله عنه
«اللّهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي»

● عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال عمر بن الخطاب لأخيه زيد يوم أحد: خذ

---

(١) «السير» (١/ ٣٨٢). والعير: الحمار.

(٢) «السير» (١/ ٣٧٥)، و«المجمع» (٩/ ٣٥٠)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٣) «السير» (١/ ٣٨١)، و«الإصابة» (٣/ ٧٤)، وابن المبارك في «الجهاد»، وإسناده حسن.

درعي، قال: إني أريد من الشهادة مثل ما تريد. فتركاها جميعًا[١].

● وعن الجحاف بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين يوم اليمامة، ولقد انكشف المسلمون حتى غلبت حنيفة على الرحال، فجعل زيد يقول: أما الرحال فلا رحال، وأما الرجال فلا رجال، ثم جعل يصيح بأعلى صوته: اللَّهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة ومحكم بن الطفيل، وجعل يشتد بالراية يتقدم بها في نحر العدو، ثم ضارب بسيفه حتى قُتل، ووقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة، فقال المسلمون: إنا نخاف أن نُؤتى من قبلك، فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أُوتيتم من قبلي»[٢].

قال عمر بن الخطاب ﷺ: إني لأهشّ للصَّبا؛ لأنها تأتيني من ناحية أخي زيد[٣].

وقال لمتمم بن نويرة: لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك[٤].

لقد لامني عند القُبُورِ على البُكا ... رفيقي لِتَذْرَافِ الدموعِ السَّوافكِ
فقال أَتَبْكِي كُلَّ قبرٍ رأيتَهُ ... لقبرٍ ثوى بين اللِّوى والدكادكِ
فقلتُ له إن الشَّجَا يبعثُ الشَّجَا ... فَدَعْني فهذا كلهُ قبرُ مالكِ[٥]

---

(١) «الحلية» (١/ ٣٦٧).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٤٤٧)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٧٧) باختصار، و«الثبات عند الممات» ص(١٠٩).

(٣، ٤) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥/ ١١) ـ دار الكتب العلمية.

(٥) «ديوان الحماسة بشرح التبريزي» (١/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).

قال متمم بن نويرة لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص، واللَّه لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته. فقال عمر بن الخطاب: ما عزّاني أحد عن أخي بمثل تعزيته. «وفيات الأعيان» (٥/ ١١).

موت جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين
«حبّذا الجنــة واقترابُهــا»

للَّه درك من مجاهد أول من عقر في الإسلام.

قال رجل من بني مُرّة بن عوف: لكأنّي أنظر إلى جعفر يوم «مُؤتة» حين اقتحم على فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قُتل(١).

قال جعفر بعد عقر جواده:

يا حبّذا الجنــة واقـترابُـهـا ... طيّبــةٌ وبـــارد شرابُهــا
والـروم رومٌ قـد دنـا عـذابـهـا ... عَليّ إن لاقيتـهـا ضِرابُـهـا

وروى البخاري عن ابن عمر قال: أمّر رسول اللَّه ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«إنْ قُتِل زيد فجعفر، وإنِ قُتل جعفر فعبد اللَّه ابن رواحة»**.

قال عبد اللَّه: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعًا وتسعين، من طعنة ورمية.

وفي البخاري عن ابن عمر: أنـه وقف على جعـفر يومئذ وهو قـتيل، فعددت بـه خمسين، بـين طعنة وضربـة ليس منهـا شيء في دُبُره، يـعني: ظهره.

قـال ﷺ: **«رأيت جعفـر بن أبي طالب مَلَـكا في الجنة مُضَـرّجة قوادمه بالدماء، يطير في الجنة»**(٢).

---

(١) رجاله ثقات، وإسناده قوي.

(٢) أخرجه الحاكم، وصححه (٣/ ٢٠٩)، وقال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٧٦): وإسناده جيد.

عبد اللَّه ابن رواحة
«أرشدك اللَّه من غاز وقد رشدا»

عن عروة بن الزبير قال:

لما تجهز الناس وتهيئوا للخروج إلى مؤتة، قال المسلمون: صحبكم اللَّه، ودفع عنكم.

فقال عبد اللَّه ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ[١] تقذف الزبدا[٢]
أو طعنة بيدي حران[٣] مجهزة[٤] ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا علي جدثي ... أرشدك اللَّه من غازٍ وقد رشدا[٥]

قال: ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضمت إليه المستعربة من لخم، وجذام، وبلقين، وبهرا، وبلى، في مائة ألف، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم. وقالوا: نكتب لرسول اللَّه ﷺ فنخبره بعدد عدونا. قال: فشجع عبد اللَّه بن رواحة الناس. ثم قال: واللَّه يا قوم: إن الذي تكرهون للذي خرجتم له، تطلبون الشهادة، وما نقاتل العدو بعدة، ولا قوة، ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا اللَّه تعالى به، فانطلقوا فإنما هي إحدى

---

(١) أيْ: واسعة. والفرغ: السعة.
(٢) الزبد: رغوة الدم.
(٣) رجل حرّان: شديد العطش، والمراد: حريص على الطعن.
(٤) مجهزة: شديدة القتل.
(٥) «الثبات عند الممات» ص(١١٣).

الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة. قـال: فقال الناس: قد ـ واللَّه ـ صدق ابن روحة فمضوا[١].

● وعن الحكم بن عبد السلام:

إن جعفر بن أبي طالب حين قُتِل دعا الناس يا عبد اللَّه بن رواحة، وهو في جانب العسكـر ومعه ضلع جمل ينهشه، ولم يكـن ذاق طعامًا قبل ذلك بثلاث. فرمـى بالضلع ثم قـال: وأنتِ مع الدنيا، ثـم تقدم فقاتل فـأصيبت إصبعه فارتجز فجعل يقول:

هـل أنـت إلا إصـبـع دَمـيـتِ — فـي سـبـيـل الـلَّـه مـا لـقـيـتِ
يـا نـفـس إلا تُـقْـتـلـي تموتـي — هـذا حـيـاض المـوت قـد صـلـيـتِ
ومـا تمـنـيـت فـقـد لـقـيـتِ — إن تـفـعـلـي فـعـلـهـمـا هُـديـتِ
وإن تـأخـرتِ فـقـد شـقـيـتِ

ثم قال: يـا نفس إلى أي شيء تـتوقين؟ إلى فـلانة؟ فهي طالـق ثلاثًا. وإلى فـلان وإلى فلان ـ غلـمان له ـ، وإلى مـعجف ـ حائـط له ـ فهو لـلَّه ورسوله ﷺ.

يـا نـفـس مـا لـكِ تـكـرهـين الجـنّةْ — أقـسـم بـاللَّه لـتـنـزلـنـهْ
طـائـعـة أو لـتـكـرهـنّـهْ — فـطـالمـا قـد كـنـت مـطـمـئـنـة
هـل أنـت إلا نـطـفـة[٢] فـي شـنّـهْ[٣] — قـد أجـلـب الـنـاس وشـدّوا الرّنـهْ

● عن زيد بن أرقـم قال: كنتُ يتيمًـا لعبد اللَّه ابن رواحـة في حِجْره، فخرج في سـفْرته تلك مُرْدفي علـى حقيبة راحلتـه، فواللَّه إنا لنسيـر لَيلة إذْ

(١) «الثبات عند الممات» ص(١١٣).
(٢) النطفة: القليل من الماء.
(٣) الشنة: السقاء البالي، فيوشك أن تهراق النطـفة، وينخرق السقاء. ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده.

سمعته يتمثل بأبياته هذه:

إذا أدنيتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وآب المسلمون وغادروني بأرض الشام مستنهى الثواء[1]
وردك كل ذي نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعتهن بكيتُ، قال: فخفقني بالدرة، وقال: ما عليك يا لكع أن يرزقني الشهادة، وترجع بين شعبتيْ الرَّحل.

وكان للبطل ما تمنّى.

موت البراء بن مالك رضي الله عنه «يقسم على الله فَيَبَرَّه»

رضي اللَّه عن الأسد المغوار الذي قال فيه رسول اللَّه ﷺ:

«كمْ مِن أشعث أغبر ذي طِمرين لا يُؤبَهُ لـه، لو أقسم على اللَّه لأبـرّه، منهم البراء بن مالك»[2].

● عن أنس قال: دخلت على البراء وهو يتغنّى ويرنّم قوسه، فقلتُ: إلى متى هذا؟ قال: أتراني أموت على فراشي؟! واللَّه لقد قتلت بضعًا وتسعين[3].

استشهد الأسد المغوار يوم فتح «تُسْتَر».

---

(١) أي: حيث انتهى مثواه، أي: لا أريد رجوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي، و«الضياء» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٥٧٣)، و«تخريج مشكلة الفقر» (١٢٥).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٧/ ١/ ١٠)، وإسناده صحيح.

● وعن أنس قال: لقـي أخي البراء زحفًا من المشركين. فـقال: أقسمتُ عليك يا ربّ لما منحتنا أكتافهم، وألحقـني بنبيّ ﷺ. فمُنحوا أكتافهم وقتل شهيدًا»[١].

وعند الطبري: «اللَّهم اهزمهم لنا، واستشهدني»[٢].

ورزقه اللَّه شهادة في سبيله.

أنس بن مالك رضي الله عنه
يردّد لا إله إلا اللَّه حتى خرجت روحه

● عـن أنـس بـن سـيرين قـال: شـهـدت أنس بن مالـك، وحضره الممات فجعـل يقـول: لقّـنوني لا إله إلا اللَّه فلـم يـزل يقولهـا حتى قبض - رحمه اللَّه -[٣].

موت عبادة بن الصامت رضي الله عنه
«يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي عليّ من الدنيا»

● عن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت قال:

لما حضرت عبادة بن الصامت الوفـاة قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن، يعني إلى الدار، ثـم قال: اجمعوا لي مواليّ، وخدمي وجـيراني، ومَن كان يدخل عليّ، فجُـمعوا له فقال: إنّ يومي هذا لا أراه إلا آخر يـوم يأتي علي من الدنـيا، وأول ليلة مـن الآخرة، وإنه لا أدري لعلّـه قد فرط مني إلـيكم بيدي، أو بلساني شيء، وهو والذي نفس عبادة بيده، القصاص يوم القيامة، وأحرّج على أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتصّ مني قبل أن تخرج

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٦٢٦)، و«الثبات عند الممات» ص(١٢٥).

(٢) «تاريخ الطبري» ص(٥١٠).

(٣) «الثبات عند الممات» ص(١٣٣).

نفسي، فقالوا: بل كنت والدًا، وكنت مؤدبًا، قال: وما قال لخادم قط سوءًا. فقال: أغفرتم لي ما كان من ذلك؟ قالوا: نعم، فقال: اللَّهم اشهد[١].

أبو أيوب الأنصاري، النجاري البدري رضي الله عنه دُفن تحت أسوار القسطنطينية

رفع اللَّه ذكره لما اختار بيته من دون بيوت المسلمين جميعًا لينزل فيه النبي ﷺ وفي شيخوخته كان عجبًا.

● حين جهّز معاوية رضي الله عنه جيشًا بقيادة ابنه «يزيد» لفتح القسطنطينية، وكان أبو أيوب آنذاك شيخًا طاعنًا في السن يحبو نحو الثمانين من عمره، فلم يمنعه ذلك من لقاء العدو، لكنه لم يمض غيرُ قليل على منازلة العدو، حتى مرض أبو أيوب مرضًا أقعده، فأتاه يزيد يعوده، فقال: حاجتك؟ قال: نعم، إذا أنا مت فاركب بي، ثم تبيَّغ[٢] بي في أرض العدو ما وجدت مساغًا، فإذا لم تجد مساغًا، فادفني ثم ارجع، فلما مات ركب به، ثم سار به، ثم دفنه. وكان يقول: قال اللَّه: ﴿**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً...**﴾ [التوبة: ٤١]، لا أجدني إلا خفيفًا أو ثقيلاً.

وعند ابن سعد: عن أبي ظبيان، قال: أغزى أبو أيوب فمرض، فقال: إذا مت فاحملوني، فإذا صافقتم العدو، فارموني تحت أقدامكم. أما إني سأحدثكم بحديث سمعته من رسول اللَّه ﷺ، سمعته يقول: «**من مات لا يشرك باللَّه شيئًا دخل الجنة**»[٣].

وتحت أسوار القسطنطينية دفن أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

---

(١) «وصايا العلماء عند الموت» ص(٤٨ ـ ٤٩).

(٢) «تبيّغ به الدم: أي: تردّد فيه، وعند ابن سعد، وابن عساكر، و«أسد الغابة»: سغ أي: ادخل فيها ما وجدت مدخلاً.

(٣) **إسناده قوي**: أخرجه ابن سعد (٣/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥).

النعمان بن مُقَرِّن المُزني قائد فتح الفتوح
«اللَّهم اجعل النعمان أول شهيد»

كان مع النعمان لواء مزينة في فتح مكة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن للإيمان بيوتًا وللنفاق بيوتًا، وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرِّن».

● وفي نهاوند جمع الفرس مائة وخمسين ألفًا تحت إمرة الفيرزان، وقد قرن بعضهم بعضًا، كل سبعة في قران، وألقوا حسك الحديد، وقالوا: مَن فرّ منا عقره حسك الحديد.

وخطب النعمان في جيشه:

«... إذا كبّرت التكبيرة الأولى؛ فشدَّ رجل شسعه، وأصلح من شأنه، وليتهيأ من لم يكن تهيأ. فإذا كبّرت الثانية؛ فشدّ رجل إزاره، وليشد عليه سلاحه، وليتأهب للنهوض، ويتهيأ لوجه حملته. فإذا كبّرت الثالثة فإني حامل إن شاء اللَّه فاحملوا معًا. اللَّهم إني أسألك أن تُقِرّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، وذُلّ يذل به الكفار، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك، ونصر عبادك. أمِّنوا يرحمكم اللَّه»[1] فأمّن المسلمون وبكوا.

وحمل النعمان مع التكبيرة الثالثة، وهو يحمل الراية - وقد رآها المسلمون تنقضّ نحو الأعاجم انقضاض العقاب.

يقول جبير: «فواللَّه ما علمت من المسلمين أحدًا يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يُقتل أو يظفر، فحملنا حملة واحدة وثبتوا لنا، فما كنا نسمع إلاّ وقع الحديد على الحديد حتى أصيب المسلمون بمصائب عظيمة، فلما رأوا صبْرنا وأنا لا نبرح العرصة انهزموا، فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة، بعضهم على بعض في قياد فيُقتلون جميعًا، وجعلوا يعقرهم حسك الحديد

(١) «تاريخ الطبري» (٤/ ١١٩).

الذي وضعوه خلفهم» واقتتلوا بالسيوف قتالاً شديدًا يصفه الرواة بقولهم: «لم يسمع السامعون بوقعة قطّ كانت أشد منها»، واستمر القتال من انتصاف النهار حتى هبوط الظلام، وكثر قتلى الفرس حتى طبق أرض المعركة دمًا يزلق فيه الناس والدواب، فانزلق فيه من خيول المسلمين وأصيب فرسانهم، وزلق فرس النعمان فلقى النعمان مصرعه. وفي رواية ابن إسحاق وجبير: أنه رُمي بنشابة فأصابت خاصرته فقتلته، وكان أخوه نعيم بن مقرن قريبًا منه، وأسرع نعيم - وفي رواية جبير: معقل بن مقرن - وسجّى النعمان بثوب، ثم أتى حذيفة بن اليمان في ميمنته فدفع إليه الراية باعتباره خليفة النعمان. وكتموا مصاب النعمان عن الجيش لكيلا يهن الناس. وقتل من الفرس مائة ألف أو يزيدون، وفي رواية أنه قُتل في اللهب[1] ثمانون ألفًا، وفي المعركة ثلاثون ألفًا، مقترنون في السلاسل سوى من قُتل في المطاردة»[2].

واجتمع المسلمون بعد المعركة فتساءلوا: «أين أميرنا؟»، قال معقل بن مقرن: «هذا أميركم، قد أقرّ اللَّه عينه بالفتح، وختم له بالشهادة».

وفي رواية عن معقل بن يسار قال: «فأتيت النعمان وبه رمَق، فغسلت وجهه من إداوة ماء كانت معي: فقال: مَنْ أنت؟ قلت: معقل، قال: ما صنع المسلمون؟ قلت: أبشر بفتح اللَّه ونصره. قال: الحمد للَّه، اكتبوا إلى عمر». ولما أُتي عمر بغنائم نهاوند قال: ما وراءك يا سائب؟ فقلت: خيرًا يا أمير المؤمنين، فتح اللَّه عليك بأعظم الفتح، واستشهد النعمان بن مقرن - رحمه اللَّه - ،فقال عمر: إنا للَّه وإنا إليه راجعون، ثم بكى، فنشج حتى لأنظر إلى فروع منكبه من فوق كتفه... ونشج كأنما أصيب بأعزّ إنسان لديه... وكاد الحزن على النعمان يُنسي عمر فرحة الفتح بهذا النصر الكبير الذي سُمِّي في التاريخ بفتح الفتوح[3].

---

(١) جرف من خندق أوْ واد عميق.

(٢) «تاريخ الطبري» (٤/ ١٣٦).

(٣) انظر: «الكامل» لابن الأثير (٣/ ٦).

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

«ما آسى على شيء من الدنيا إلاّ على ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل»

عن سعيد بن جبير قال: لما حضر ابن عمر الموت قال: ما آسى على شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وأنيّ لم أقاتل هذه الفئة الباغية التي نزلت بنا، يعني: الحجّاج[١].

● وقال رضي الله عنه لابنه سالم: يا بني إن أنا مت فادفني خارجًا من الحرم، فإني أكره أن أدفن فيه بعد أن خرجت منه مهاجرًا، فقال: يا أبت إن قدْرنا على ذلك؟ قال: تسمعني أقول لك، وتقول إن قدرنا على ذلك؟ قال: أقول: الحجّاج يغلبنا فيصلي عليك. قال: فسكت ابن عمر[٢].

وقال سالم: أوصاني أبي أن أدفنه خارجًا من الحرم، فلم نقدر فدفنّاه في الحرم بفخ في مقبرة المهاجرين[٣].

وفاة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها

«والله ما بينك وبين أن تفارقي كل نصب، وتلقيْ محمدًا صلى الله عليه وسلم والأحبة إلا أن تُفارق روحك جسدك»

● عن ابن أبي مليكة: أن ذكوان أبا عمرو: حدثه قال: جاء ابن عباس رضي الله عنهما يستأذنُ على عائشة، وهي في الموت. قال: فجئتُ وعند رأسها عبدُ الله

(١) «وصايا العلماء عند الموت» ص(٦٣).
(٢) «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٨٦).
(٣) «الطبقات» (٤/ ١٨٧ ـ ١٨٨).

ابن أخيها عبد الرحمن، فقلتُ: هذا ابن عباسٍ يستأذن. قالت: دعني من ابن عباس، لا حاجة لي به، ولا بتزكيته. فقال عبد اللَّه: يا أمه، إن ابن عباس من صالحي بنيك، يودِّعك ويسلِّم عليك. قالت: فائذن له إن شئت. قال: فجاء ابن عباس، فلما قعد، قال: أبشري، فواللَّه ما بينك وبين أن تُفارقي كل نصب، وتلقي محمدًا ﷺ والأحبة، إلا أن تُفارق روحُك جسدك.

قالت: إيهًا، يا ابن عباس! قال: كُنتِ أحب نساء رسول اللَّه ﷺ - يعني إليه - ولم يكن يُحب إلا طيِّبًا، سقطت قلادتُك ليلة الأبواء، وأصبح رسول اللَّه ﷺ ليلتقطها، فأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل اللَّه ﴿**فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا**﴾ [النساء: ٤٢]. فكان ذلك من سببك، وما أنزل اللَّه بهذه الأمة من الرُّخصة، ثم أنزل اللَّه تعالى براءتك من فوق سبع سماوات، فأصبح ليس مسجدٌ من مساجد يُذكرُ فيها اللَّه إلا براءتُك تتلى في آناء الليل والنهار. قالت: دعني عنك يا ابن عباس، فواللَّه لوددتُ أني كنت نسيًا منسيًا[(١)].

موت أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه «ما تنطّفتُ بخطيئة منذ أسلمت»

تِرْب رسول اللَّه ﷺ وأخوه من الرضاعة.

● عن أبي إسحاق قال: قال أبو سفيان بن الحارث لما حضره الموت لأهله: لا تبكوا عليّ، فما تنطَّفتُ بخطيئة منذ أسلمت»[(٢)].

(١) «طبقات ابن سعد» (٨/ ٧٥ - ٧٦)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٥٩ - ١٦٠)، و«السير».
(٢) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٥٣)، و«كتاب المحتضرين» ص(١١٥)، و«الثبات عند الممات» ص(١٢٠)، و«روضة المحبين» ص(٣٤١)، وتنطّف، أي: تلطخ.

وهذا أسمى مثال في الاستقامة.

الإمام البطل أبو عمارة حمزة بن عبد المطلب «أنا أسد اللَّه»

● عن جابر مرفوعًا: **«سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه، فقتله»**[(١)].

قال عنه وحشي بن حرب قاتله: «خرجت أنظر حمزة - أي يوم أحد - حتى رأيته في عُرْض الناس مثل الجمل الأوْرق[(٢)] يهدّ الناس بسيفه هدًّا ما يليق شيئًا[(٣)].

● وعن سعد بن أبي وقاص قال: كان حمزة يُقاتل يوم أحد بين يدي رسول اللَّه ﷺ بسيفين ويقول: أنا أسد اللَّه[(٤)].

فقد رسول اللَّه ﷺ يوم أحد حمزة حين فاء الناس من القتال، قال: فقال رجل: رأيته عند تلك الشجرة وهو يقول: «أنا أسد اللَّه وأسد رسوله»[(٥)].

ويقتل حمزة يوم أحد أرطأة بن عبد شرحبيل بن هاشم، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء، وكذلك قتل عثمان بن أبي طلحة كبش قريش، وحامل لوائها.

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ١٩٥)، وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: الصَّفَّار لا يُدرى من هو. ولكن للحديث طريق أخرى يتقوى بها ويصح، أخرجه البغدادي (٦/ ٣٧٧)... وإسناده حسن.

(٢) الذي لونه بين الغبرة والسواد. وسُمِّي كذلك لما عليه من الغبار.

(٣) هذا سيف لا يليق شيئًا: أي لا يمر بشيء إلا قطعه. وعند ابن هشام: ما يقوم له شيء.

(٤) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ٦)، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥) **صحيح**: رواه الحاكم في «المستدرك»، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

● وعن أنس ﷺ قال: لما كان يوم أحد وقف رسول اللَّه ﷺ، على حمزة وقد جُدِع ومُثِّل به، فقال: «**لولا أن تَجِدَ صفية في نفسها، لتركته حتى يحشره اللَّه من بطون السباع والطير**». وكُفِّنَ في نمرة إذا خُمِّر رأسه بدت رجلاه، وإذا خُمِّرت رجلاه بدا رأسه. ولم يصل على أحد من الشهداء. وقال: «أنا شهيد عليكم»[1].

● وعن ابن عباس: «... ثم أمر بالقتلى، فجعل يصلي عليهم بسبع تكبيرات ويرفعون، ويترك حمزة»[2].

● وعن ابن عباس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأُحُد جعل اللَّه أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: مَنْ يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عند الحرب ولا يزهدوا في الجهاد، قال اللَّه: أنا أبلغهم عنكم فأنزلت: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾** [آل عمران: ١٦٩].

● وعن جابر بن عبد اللَّه، سمعت رسول اللَّه ﷺ، يقول إذا ذكر أصحاب أحد: «**أما واللَّه لوددتُ أني غُودرت مع أصحاب فَحْص الجبل**»[3]، يقول: قتلت معهم.

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨)، وابن سعد (٣/ ١/ ٨)، وأبو داود في «الجنائز» باب في الشهيد يُغسل، والترمذي في «الجنائز» باب ما جاء في قتلى أحد وذكر حمزة. وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث أنس إلا من هذا الوجه، والبيهقي (٤/ ١٠ ـ ١١)، والطحاوي (١/ ٥٠٢)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن ماجه، وابن سعد، والحاكم، وسكت عنه (٣/ ١٩٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٩١)، وإسناده صحيح.

(٣) **إسناده قوي**: رواه ابن إسحاق، وهو في «المسند» (٣/ ٣٧٥)، وفيه «نحض». وفحص الجبل: سفحه وما بُسط منه.

موت أبي ثعلبة الخشني صاحب رسول اللَّه ﷺ
«قُبض وهو ساجد في صلاة الليل»

● قال أبو الـزاهرية: سمعـت أبا ثعلبـة الخشني يقـول: إني لأرجو ألا يخنقني اللَّه كما أراكم تخنقون. فبـينا هو يصلي في جوف الليل، قبض وهو ساجد فرأت بنته أن أبـاها قد مات، فاستيقظت فزعة، فـنادت أمها أين أبي؟ قالت: في مصلاه، فنادته فلم يجبها، فأنبهته فوجدته ميتًا[١].

رضي اللَّه عن جُرهم بن ناشم أبي ثـعلبة الخشني، وهو أهل لأن يكون من أهل بيعة الرضوان.

موت الصحابي عامر بن ربيعة رضي الله عنه
«اللَّهم قني من الفتنة بما وقيت به الصالحين من عبادك»

● عن عبد اللَّه بن عامر بن ربيعة قال: حين نشب الناس في الفتنة، قام أبي يصلي من الليل، ثم نام فأُري في المنـام فقيل له: قم فسل اللَّه أن يعيذك من الفتنة ـ قتل عثمان ـ التي أعاذ منـها صالح عباده، فقام يصلي ثم اشتكى فما خرج إلا في جنازة.

وفي رواية: «لما نشب الناس في الطعـن على عثمان رضي الله عنه قام أبي يصلي من الليـل، وقال: اللَّهم قنـي من الفتنة بمـا وقيت به الصالحـين من عبادك، قال: فما خرج إلا في جنازة»[٢].

* * *

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٧٠ ـ ٥٧١)، «الإصابة».

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١/ ١٧٨).

موت أبي هاشم بن عتبة رضي الله عنه
«ذلك الرجل الصالح»

الصحابي الجليل خال معاوية بن أبي سفيان، وأخي أبي حذيفة بن عتبة، وأخي مصعب بن عمير لأمه وكان الصحابي الجليل أبو هريرة إذا ذكره قال: ذلك العبد الصالح.

جاء معاوية إلى أبي هاشم بن عتبة وهو مريض يعوده، فقال: يا خال ما يبكيك؟ أوَجع يسئوك، أو حرص على الدنيا، قال: كلا، ولكن رسول الله ﷺ، عهد إليّ عهداً لم آخذ به، قال: «**أما يكفيك من الدنيا خادم ومركب في سبيل الله**»، فأجدني قد جمعت.

● وعن سمرة بن سهم قال: نزلتُ على أبي هاشم بن عُتبة وهو طعين، فبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ أوَجَع يُشئزك[1] ؟ أم حرص على الدنيا؟ فقد ذهب صفوها، فقال على كُلٍّ: لا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً، فوددت أني اتبعته، إن رسول الله ﷺ قال: «**لعلّك أن تدرك أموالاً تُقتسم بين أقوام، فإنما يكفيك من جميع المال خادم في سبيل الله عز وجل، فوددت أني اتبعته**»[2] .

---

(١) أي: يقلقك، يُقال: شئز وشئِز فهو مشئوز، وأشأزه غيره، وهو الموضع الغليظ الكثير الحجارة.

(٢) رواه الحافظ الربعي في «وصايا العلماء عند الموت» بلفظه ص(٦٥ ـ ٦٦)، ورواه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٩٠)، والترمذي في «سننه» رقم (٢٣٢٨) في «الزهد»، باب رقم (١٩)، وابن ماجه في «الزهد» باب الزهد في الدنيا، ورواه ابن حبان في «صحيحه» رقم (٢٤٧٨)، «موارد الظمآن» وهو حديث صحيح. وقد أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٦٠) مختصراً عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ليكف أحدكم من الدنيا خادم ومركب**».

موت عبد اللَّه بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه

هذه نهاية فاتح بلاد النوبة.

● عن يزيد بن أبي حبيب، قال: لما احتضر ابن سرح وهو بالرملة، وكان خرج إليها فارًّا من الفتنة فجعل يقولُ من الليل: آصبحتم؟ فيقولون: لا. فلما كان عند الصبح، قال: يا هشام! إني لأجدُ برد الصبح فانظر. ثم قال: اللَّهم اجعل خاتمة عملي الصبح، فتوضأ، ثم صلى، فقرأ في الأولى بأم القرآن والعاديات، وفي الأخرى بأم القرآن وسورة وسلم عن يمينه، وذهب يسلمُ عن يساره فقُبِضَ رضي اللَّه عنه[1].

موت حكيم بن حزام رضي الله عنه

قيل: إنه دُخل على حكيمٍ عند الموت، وهو يقول: لا إله إلا اللَّه قد كنتُ أخشاك، وأنا اليوم أرجوك[2].

موت الصحابي الجليل

فاتح مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه

«إن أفضل ما نُعدُّ شهادة أن لا إله إلا اللَّه»

● عن عوانة بن الحكم، قال: قال عمرو بن العاص، عجبًا لمن نزل به الموتُ، وعقله معه كيف لا يصفه؟ فلما نزل به الموتُ، ذكره ابنه بقوله، وقال: صِفهُ. قال: يا بني! الموت أجلُ من أن يُوصف، ولكني سأصفُ لك، أجدني كأن جبال رضْوى على عُنُقي، وكأن في جوفي الشوك، وأجدني كأن

---

(١) «السير» انظر: الترجمة (٣/ ٣٣ ـ ٣٦).

(٢) «السير» انظر: الترجمة (٣/ ٤٤ ـ ٥١).

نَفَسِي يخرجُ من إبرة.

وفي رواية: «واللَّه ليتني كنتُ حيضًا[١] أعركتني الإماء بدريب الإذخر.

● وعن أبي نوفل بن أبي عقرب قال: جزَع عمرو بن العاص عند الموت جزعًا شديدًا، فقال ابنه عبد اللَّه: ما هذا الجزعُ، وقد كان رسول اللَّه ﷺ يُدنيكَ ويستعملك؟! قال: أي بني! قد كان ذلك، وسأخبرك، إي واللَّه ما أدري أحُبًّا كان أم تألُّفًا، ولكن أشهد على رجلين أنه فارق الدنيا وهو يحبهما ابن سمية، وابن أم عبد فلما جد به، وضع يده موضع الأغلال من ذقنه، وقال: اللَّهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعُنا إلا مغفرتك، فكانت تلك هِجِّيراه حتى مات[٢].

● وفي رواية عن أبي نوفل قال:

لما جدّ بعمرو بن العاص، وضع يده موضع الغلال[٣] من رقبته، فقال: اللَّهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك. فكانت تلك هِجِّيراه[٤] حتى مات[٥].

● وعن محمد بن زياد أن عمرو بن العاص حين حضره الموت قال:

---

(١) الحِيضة هي: الخرقة التي تستثفر بها الإماء. وعركه: دلكه. والإذخر: نبات.

(٢) انظر: «السير» (٣/ ٥٤ ـ ٧٧)، وفي «كتاب المحتضرين» ص(٩٣): واللَّه يا بني لكأن جنبيّ في تخت، وكأني أتنفس من سم إبرة، وكأن غصن الشوك يُجرُّ به من قدمي إلى هامتي، ثم قال:

ليتني كنت قبل ما بدا لي   في قلال الجبال أرعى الوعولا

«طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٦٠).

(٣) يعني: الأغلال.

(٤) الهِجِّيري: كثرة الكلام، وما يولع المرء بذكره.

(٥) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٦٠)، و«الزهد» لابن المبارك ص(١٤٧) رقم (٤٣٩)، و«المسند» لأحمد (٤/ ٢٠٠).

اللَّهم أمرتنا بأشياء فتركناها، ونهيتنا عن أشياء فانتهكناها، ولكن أشهد أنه لا إله إلا اللَّه ـ ثم قبض عليها بيده اليمنى ـ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ـ ثم قبض عليها بيده اليسرى.

قال: فقُبض وإن يديه لمقبوضتان[١].

● وعن ابن شماسة المهري قال:

حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً وحوّل وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشّرك رسول اللَّه ﷺ بكذا؟ أما بشّرك رسول اللَّه ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نُعِدُّ شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه. إني قد كنتُ على أطباق[٢] ثلاث لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول اللَّه ﷺ مني ولا أحب إليّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل اللَّه الإسلام في قلبي أتيتُ النبي ﷺ، فقلتُ: ابْسُط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي. قال: «**ما لك يا عمرو؟**»، قال: قلتُ: أردت أن أشترط. قال: تشترط بماذا؟ قلتُ: أن يغفر لي. قال: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله؟**»، وما كان أحد أحبّ إليّ من رسول اللَّه ﷺ ولا أجلّ في عيني منه، وما كنتُ أطيقُ أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سُئِلت أن أصفه ما أطقتُ؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها»[٣].

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٩٦).

(٢) أطباق، أي: أحوال ثلاث.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» في كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله.

موت نعيم بن مالك بن ثعلبة رضي الله عنه «يا نبي اللَّه، لا تحرمنا الجنة، فوالذي نفسي بيده لأدخلنها»

● قال نعيم بن مالك في يوم أحد للنبي صلى الله عليه وسلم: «يا نبي اللَّه لا تحرمنا الجنة، فوالذي نفسي بيده لأدخلنَّها. فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «بِمَ؟»، قال: بأني أحب اللَّه ورسوله، ولا أفر يوم الزحف. فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**صدقت**». واستشهد يومئذ»[(١)] .

موت عبد اللَّه بن حرام، الصحابي الذي كلّمه اللَّه كفاحًا رضي الله عنه «إني مُعرِّض نفسي للقتل»

● رأى عبد اللَّه بن حرام مبشَّر بن عبد المنذر ـ وكان ممن استشهد ببدر ـ يقول له: أنت قادم علينا في هذه الأيام. فقصها على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «**هذه الشهادة**».

● وعن جابر أن أباه قال له: «إني مُعرِّض نفسي للقتل»[(٢)] .

● وعن جابر قال: لمّا حضر أُحُد، دعاني من الليل، فقال: ما أراني إلاّ مقتولاً في أول مَن يُقتَل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وإني لا أترك بعدي أعزّ عليّ منك، غير نفس رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، وإنّ عليّ دينًا فاقض، واستوص بأخواتك خيرًا: فأصبحنا فكان أول قتيل...»[(٣)] .

---

(١) «البداية والنهاية» (٤/ ١٣ ـ ١٤).

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٢٥٦).

(٣) رواه البخاري.

● قال جابر: لما قُتل أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول اللَّه ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: **«تبكيه أوْ لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه»**(١).

● وعن جابر قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: **«ألا أخبرك أن اللَّه كلّم أباك كفاحًا، فقال: يا عبدي، سَلْني أُعطك. قال: أسألك أن تردّني إلى الدنيا، فأُقتل فيك ثانيًا. فقال: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. قال: يا رب، فأبلغ من ورائي. فأنزل اللَّه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** [آل عمران: ١٦٩](٢).

موت جُلَيْبيب رضي الله عنه
«هذا مني وأنا منه»

● عن أبي برزة أن النبي ﷺ كان في مغزًى له فأفاء اللَّه عليه، فقال لأصحابه: **«هل تفقدون من أحد؟»**، قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا. ثم قال: **«هل تفقدون من أحد؟»**، قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا وفلانًا. ثم قال: **«هل تفقدون من أحد؟»**، قالوا: لا. قال: **«لكني أفقد جُليبيبًا فاطلبوه»**. فُطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه، فقال: **«قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه»**. قال: فوضعه على ساعديْه، ليس له إلا ساعِدَا النبي ﷺ. قال: فحفر له ووُضِع في قبره. ولم يذكر غُسلاً(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩٨)، والبخاري (١٢٤٤، ٤٠٨٠)، ومسلم، والنسائي.

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد مصحوبًا بقصة، والنسائي في «فضائل الصحابة».

هذي المكارم لا قعبان مِن لبنٍ شيبت بماءٍ فعادتْ بعدُ أبوالا

عبد اللَّه بن الزبير بن عبد المطلب

«لا أصبر»

عزم عليه عمرو بن العاص في يوم أجنادين أن لا يبارز، فقال: لا أصبر. فلما اختلطت السيوف، وُجِد في رِبضةٍ من الروم عشرة مقتولاً، وهم حوله، وقائم السيف في يده في غري(١)، وإنَّ في وجهه لثلاثين ضربة»(٢).

رضي اللَّه عن الهاشمي ابن عم رسول اللَّه ﷺ يقتل عشرة من الروم ثم يُقتل.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

موت خال المسلمين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

«خلُّوا معاوية وأرحم الراحمين»

● عن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران: عن أبيه، أن معاوية أوصى فقال: كنت أُوَضِّئ رسول اللَّه ﷺ فنزع قميصه وكسانيه، فرفعتُه وخبأتُ قُلامة أظفاره، فإذا متُّ فألبسوني القميص على جلدي، واجعلوا القُلامة مسحوقة في عيني، فعسى اللَّه أن يرحمني ببركتها.

● قال أبو عمرو بن العلاء: لما احتضر معاوية، قيل له: ألا تُوصي؟ فقال: اللَّهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم

---

(١) لزق.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٨٢).

يرج غيرك، فما وراءك مذهب. وقال:

هُوَ الموتُ لا مَنْجَى مِنَ الموتِ والذي ... نُحاذِرُ بَعْدَ الموتِ أدْهَى وأفْظَعُ[(١)]

• وفي رواية أنه جعل يجود بنفسه ويقول:

إن تناقش يكنْ نقاشُكَ يا ربُّ ... عذابًا لا طوقَ لي بالعقابِ
أوْ تُجاوز فأنت ربيٍّ رحيمٌ ... عن مسيءٍ ذنوبه كالترابِ[(٢)]

• وقال الحسن البصري:

دُخِل على معاوية، وهو بالموت، فبكى، فقيل: ما يبكيك؟

قال: ما أبكي على الموت أن حَلّ بي، ولا على دنيا أَخْلُفُها، ولكن هما قبضتان: قبضة في الجنة، وقبضة في النار، فلا أدري في أي القبضتين أنا[(٣)].

• وقال ﷺ:

فإن الموتَ لم يَخْلُقْ جديداً ... ولا هَضْبًا تُوَقِّلُهُ الوِبارُ[(٤)]
ولكن كالشهاب يضي ويخبو ... وحادي الموت عنه ما يُجار
فهل من خالد إمّا هلكنا ... وهل بالموت يا للناس عارُ[(٥)]

• وقال ﷺ وهو يُقَلّب في مرضه، وقد صار كأنه سعفة محترقة:

أيّ شيخ تقلّبون إنْ نجّاه اللّه من النار غدًا؟[(٦)].

---

(١) انظر: ترجمة معاوية ﷺ في «السير» (٣/ ١١٩ ـ ١٦٢).

(٢) «حسن الظن باللّه» لابن أبي الدنيا ص(٩٠)، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٥٤)، و«كتاب المحتضرين» ص(٧١).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(١٩٩).

(٤) الهَضب: جمع هضبة. وهضب الرجل هَضْبًا: مشى مشية البليد من الدواب.
توقّل في الجبل: صعد فيه. الوبار: جمْع وَبْر: حيوان في حجم الأرنب قصير الذنب.

(٥) «مختصر تاريخ دمشق» (٢٥/ ٨١ ـ ٨٢).

(٦) «كتاب المحتضرين» ص(٦٢).

● وقال رضي الله عنه لابنه يزيد: «اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقُراضة من شعره وأظفاره، فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني، واجعل الثوب يلي جلدي دون أكفاني.. فإذا أدرجتموني في جريدتي، ووضعتموني في حفرتي، فخلّوا معاوية وأرحم الراحمين»[١].

● عن محمد بن سيرين قال:

مرض معاوية مرضًا شديدًا، فنزل عن السرير، وكشف ما بينه وبين الأرض، وجعل يلزق ذا الخدّ مرة بالأرض، وذا الخد مرّة بالأرض، ويبكي ويقول: اللَّهم إنك قلت في كتابك: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨]. اجعلني ممن تشاء أن تغفر له»[٢].

سبط رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم وريحانته من الدنيا الحسين بن علي الإمام الشهيد رضي الله عنهما

● عن ابن أبي نعم، قال: كنتُ عند ابن عمر، فسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممّن أنت؟ فقال: من أهل العراق. قال: انظر إلى هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم وقد سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»[٣].

● وعن عائشة أو أم سلمة، أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال لها: «**لقد دخل عليّ البيت مَلَك لم يدخل عليّ قبلها، فقال: إن حسينًا مقتول،**

---

(١) «الكامل» لابن الأثير (٣/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠)، و«كتاب المحتضرين» ص(٦٨). والقراضة: القطعة. وجريدتي: أي: ثوبي الخلق.

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٢٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في «فضائل أصحاب النبي»: باب مناقب الحسن والحسين، والترمذي، وأحمد (٢/ ٩٣، ١١٤)، والطبراني (٢٨٨٤). والريحان والريحانة: الرزق والراحة.

وإن شئت أريتُك التربة»[(١)] .

قال الحسين رضي الله عنه في يوم قتله: «اللَّهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت فيـما نزل بي ثقة، وأنت وليّ كل نعـمة، وصاحب كل حسنة. . . ». وقُتل الحسين أحب أهل الأرض يوم قتل إلى أهل السماء.

عن ابـن عباس رضي الله عنهما قـال: رأيت رسول الـلَّه صلى الله عليه وسلم فـي النوم نـصف النهار، أشعث أغـبر، وبيده قارورة فيها دم. قلت: يـا رسول اللَّه، ما هذا؟ قال: هذا دم الحـسين وأصحابه، لـم أزل منذ اليوم ألـتقطه. فأُحـصي ذلك اليوم، فوجدوه قتل يومئذ[(٢)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أكرم اللَّـه الحسين ومن أكرمه من أهل بيته بالشهـادة ـ رضي اللَّه عنهم وأرضاهـم ـ وأهان بالبغي والظلـم والعدوان من أهانه بما انتهكه من حرمتـهم، واستحله من دمائهم ﴿**وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾ ، وكان ذلك من نعمة اللَّه على الحسين، وكرامته له ليـنال منازل الـشهداء، حيـث لم يجعـل له في أول الإسلام مـن الابتلاء والامتحـان ما جعل لـسائر أهل بيـته كجده صلى الله عليه وسلم وأبـيه وعمه، وعـم أبيه رضي الله عنهم »[(٣)] .

وقال أيضًا: «ولما كان الحسن والحسين سـيدا شباب أهل الجنة، وكانا قد ولدا بـعد الهجـرة في عزّ الإسـلام، ولم ينـلهما مـن الأذى والبلاء مـا نال سلفهـما الطيب، فأكرمهـما اللَّه بما أكرمهـما من الابتلاء ليرفع درجـاتهما، وذلك من كرامتهما عليه لا من هوانهما عنده، كما أكرم حمزة وعليًّا وجعفر وعمر وعثمان وغيرهم بالشهادة. وفي المـسند وغيره: عن فاطمة بنت الحسين

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٩٤). انظر: «السير» (٣/ ٢٩٠).

(٢) **سنده قوي**: أخرجه أحمد (١/ ٢٨٣)، والطبراني (٢٨٢٢)، وسنده قوي كما قال ابن كثير في «البداية» (٨/ ٢٠٠).

(٣) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧/ ٤٧١ ـ ٤٧٢).

عن أبيها الحسين عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته، وإن قدمت، فيحدث لها استرجاعًا، إلا أعطاه اللَّه من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها».

فهذا الحديث رواه الحسين، وعنه بنته فاطمة التي شهدت مصرعه.

وقد علم اللَّه أن مصيبته تذكر على طول الزمان»[1] .

موت العباس بن عبد المطلب
«آخر كلامه: لا إله إلا اللَّه»

● عن عبد اللَّه بن إبراهيم القرشي قال:

لمّا نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه: يا عبد اللَّه، إني واللَّه ما متّ موتًا، ولكني فنيت فناء، وإني موصيك بحب اللَّه وحب طاعته، وخوف اللَّه وخوف معصيته، فإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك، وإني أستودعك اللَّه يا بني.

ثم استقبل القبلة فقال: لا إله إلا اللَّه. ثم شخص ببصره فمات[2] .

شدّاد بن أوس
«أخوف ما أخاف على هذه الأمة الرياء والشهوة الخفيّة»

كان ﷺ ممن أوتي العلم والحلم. وكان صاحب ليل.

● عن محمود بن الربيع أن شدّاد بن أوس حين حضرته الوفاة قال: يا نعايا العرب، يا نعايا العرب، أخوف ما أخاف على هذه الأمة الرياء والشهوة الخفيّة»[3] .

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧/ ٤٧٣).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٢١٥)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١١/ ٣٥٢).

(٣) «الثبات عند الممات» ص(٧٢ ـ ٧٣).

=

أبو مالك الأشعري: «مرارة الدنيا حلاوة الآخرة»

● عن شريح بن عُبيد الحضرمي أن أبا مالك الأشعري رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال لإناس من الأشعريين: ليبلِّغ شاهدكم غائبكم، إني سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: «**حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، ومرارة الدنيا حلاوة الآخرة**»[1] .

المثنى بن حارثة الذي جرّأ المسلمين على قتال فارس

البطل الذي ما هزمت له راية. . .

البطل العظيم الذي حمى انسحاب جيش المسلمين وعبورهم إلى الشاطئ الغربي من النهر في معركة الجسر، ونجّا ستة آلاف من المسلمين من موت محقق وجرح المثنى جرحًا مميتًا عند الجسر ولكنه ربطه، ومات البطل متأثرًا بجراحه بعد شهرين، ولكن قبل موته منّ اللَّه عليه بالنصر وشفى غليله في معركة البويب التي تعادل معركة اليرموك تمامًا كما قال ابن كثير.

وما نسي البطل الصالح العهد إلى سعد بن أبي وقاص وتوصيته، وما أشبه لحظات المثنى الأخيرة باللحظات الأخيرة لأبي بكر رضي الله عنه، كلاهما ترك الدنيا وهو يفكر للمسلمين في الفتوح ويوصي بها.

وترك المثنى وصية غالية لسعد: «ألا يقاتل عدوه وعدوهم من أهل فارس

= قال الزمخشري: في نعايا العرب ثلاثة أوجه، أحدها: أنه جمع نَعِيّ وهو المصدر، والثاني: اسم جمع، كما جاء في أخيّة أخايا، والثالث: أن يكون جمع نِعاء التي هي اسم الفعل، والمعنى: يا نعايا العرب جئن فهذا وقتكن وزمانكن، يريد أن العرب قد هلكت.

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٢)، والحاكم في «مستدركه» (٤/ ٣١٠)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ولفظ الحديث عند أحمد والحاكم «**حُلْوة الدنيا مرة الآخرة، ومرّة الدنيا حلوة الآخرة**».

إذا استجمع أمرهم وماؤهم في عقر دارهم، وأن يُقاتلهم على حدود أرضهم، على أدنى حجر من أرض العرب، وأدنى مدرة من أرض العجم؛ فإن يُظهر اللَّه المسلمين، فلهم ما وراءهم، وإن كانت الأخرى، رجعوا إلى فئة يكونون أعلم بسبلهم وأجرأ على أرضهم، إن يُرِد اللَّه الكرّة عليهم»[1] .

وأشار المثنى على سعد: «أن يحارب العدو بين القادسية والعذيب»[2] .

ومات المثنى قبل أن يرى سعدًا.

هذا المثنى يروّي الأرض من دمه ... فكم أذوب به حبًّا وأهواهُ

* أعرابي يموت شهيدًا، «صدق اللَّه فصدقه»:

● عن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبيًا فَقَسَّم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قِسْمٌ قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم .

فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا؟ قال: **«قسمته لك»**.

قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى ها هنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأموت فأدخل الجنَّة، فقال: **«إن تصدق اللَّه يصدقك»**.

فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يُحْمَلُ قد أصاب السهم حيث أشار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **«أهو هو؟»**، قالوا: نعم. قال: **«صدق اللَّه فصدقه»**.

ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: **«اللَّهم هذا عبدك، خرج مهاجرًا، فقتل شهيدًا،**

(١، ٢) «الطبري» (٣/ ١٠)، وابن الأثير (٢/ ١٧٤).

أنا شهيد على ذلك»[١] .

*** علباء بن جحش العجلي: «يقاتل بعد خروج أمعائه ثم يموت»:**

في معركة القادسية برز رجل من المجوس أمام صفوف بكر بن وائل فنادى: مَن يُبارز؟ فخرج له علباء بن جحش العجلي، فنفحه[٢] علباء فأصابه في صدره وشق رئته، ونفحه الآخر فأصابه في بطنه وانتثرت أمعاؤه، وسقطا معًا إلى الأرض. أما المجوسي فمات من ساعته، وأما علباء فلم يستطع القيام، وحاول أن يُعيد أمعاءه إلى مكانها فلم يتأتَّ له، ومرّ به رجل من المسلمين، فقال له علباء: يا هذا، أعنّي على بطني. فأدخل له أمعاءه، فأخذ بصفاقيه، ثم زحف نحو صف العجم دون أن يلتفت إلى المسلمين وراءه، فأدركه الموت على ثلاثين ذراعًا من مصرعه وهو يقول:

أرجو بها من ربنا ثوابًا قد كنتُ ممّن أحسن الضِّرابا

وفاضت نفسه[٣] .

*** الجرّاح بن عبد الله الحكمي، مقدم الجيوش «يسأل ربه الشهادة فينالها في رمضان»:**

«كان الجرّاح بطلاً شجاعًا، عابدًا قارئًا، كبير القدر.

قال ابن جابر: في سنة اثنتي عشرة ومائة غزا الجراح بلاد الترك ورجع فأدركه الترك، فقُتل هو وأصحابه.

وقال سُليم بن عامر: دخلتُ على الجراح، فرفع يديه، فرفع الأمراء أيديهم، فمكث طويلاً، ثم قال لي: يا أبا يحيى، هل تدري ما كنا فيه؟

---

(١) رواه النسائي (٤/٦١٤٦) الجنائز، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» برقم (١٨٤٥).

(٢) النفح: الضرب إلى خارج اليمين.

(٣) «الطبري» (٣/٥٤٦).

قلت: لا، وجدتكم في رغبة، فرفعت يدي معكم، قال: سألنا اللَّه الشهادة.

فواللَّه ما بقي منهم أحد في تلك الغزاة إلا استشهد.

قال خليفة: زحف الجرّاح من بَرْذعة[1] سنة اثنتي عشرة إلى ابن خاقان، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فقُتل الجرّاح في رمضان[2]

قال الواقدي: كان البلاء بمقتل الجرّاح على المسلمين عظيمًا، بكوْا عليه في كل جند»[3] .

*** مقدم الجيش، ورأس الشجعان والأبطال، أبو محمد عبد اللَّه البطّال: «هكذا تُقتَل الأبطال»:**

● كان مقدم جيش الأمير مسلمة بن عبد الملك، أوطأ الروم خوفًا وذلاً.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يسأل ربه دائمًا الحج ثم الشهادة، فلم يتمكن من حجة الإسلام إلا في السنة التي استشهد فيها ـ رحمه اللَّه ـ.

● وكان سبب شهادته أن ليون ملك الروم خرج من القسطنطينية في مائة ألف فارس، فبعث البطريق الذي البطّال متزوج بابنته ـ إلى البطّال يخبره بذلك، فأخبر البطال أمير عساكر المسلمين مالك بن شبيب، وقال له مالك: المصلحة تقتضي أن نتحصّن في مدينة «حران»، فنكون بها، حتى يقدم علينا سليمان بن هشام في الجيوش الإسلامية، فأبى عليه ذلك، ودهمهم الجيش، فاقتتلوا اقتتالاً شديدًا، والأبطال تحوم بين يدي البطال، ولا يتجاسر أحد أن ينوّه باسمه خوفًا عليه من الروم، فاتفق أن ناداه بعضهم وذكر اسمه غلطًا منه، فلما سمع ذلك فرسان الروم، حملوا عليه حملة واحدة فاقتلعوه من

---

(١) قصبة أذربيجان.

(٢) «تاريخ خليفة» ص(٣٤٢).

(٣) «السير» (٥/ ١٨٩ ـ ١٩٠).

سرجه برماحهم، فألقوه إلى الأرض، ورأى الناس يُقتلون ويُؤسرون، وقُتل الأمير الكبير مالك بن شبيب وانكسر المسلمون وانطلقوا إلى تلك المدينة الخراب فتحصّنوا فيها، وأصبح ليون، فوقف على مكان المعركة، فإذا البطّال بآخر رمق، فقال له ليون: ما هذا يا أبا يحيى؟ فقال: هكذا تُقتل الأبطال، فاستدعى ليون الأطباء ليداووه، فإذا جراحه قد وصلت إلى مَقاتله، فقال له ليون: هل من حاجة يا أبا يحيى؟ قال: نعم. فأْمُرْ مَنْ معك من المسلمين أن يَلُوا غسلي[1] والصلاة عليّ ودفني، ففعل الملك ذلك وأطلق لأجل ذلك أولئك الأسرى[2].

* محمد بن عبد اللَّه بن حوذان: «أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا اللَّه وحده»:

● قُتل هذا البطل المِغوار في سنة اثنتي عشرة ومائة، في وقعة الجنيد مع الترك ورئيسهم خاقان بالشعب.

● قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ: «قاتل يومئذ محمد بن عبد اللَّه بن حوذان وهو على فرس أشقر، عليه تجفاف مذهّب، فحمل سبع مرات يقتل في كل حملة رجلاً، ثم رجع إلى موقفه، فهابه من كان في ناحيته، فناداه ترجمان للعدو: يقول لك الملك: لا تقبل وتحوّل إلينا، فنرفص صنمنا الذي نعبده ونعبدك، فقال محمد: أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا اللَّه وحده فقاتل واستشهد[3].

* * *

---

(١) الشهيد لا يُغسّل.

(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٣٤٥ ـ ٣٤٧).

(٣) «تاريخ الطبري» (٤/ ١٣٩، ١٤١).

سادات السلف من التابعين ومَنْ بعدهم

* سعيد بن المسيّب سيد التابعين: «حسبي من يحملني إلى ربي»:

● عن عبد الرحمن بن محمد القاريّ عن سعيد بن المسيب أنه قال في مرضه: «إياي وحاديهم هذا الذي حَدَوا لهم هذا الذي يقول: استغفروا له غفر اللَّه لكم، فأرادوا أن يحوّلوه إلى القبلة، فقال: ما لكم؟ قالوا: نُحوِّلك إلى القبلة، قال: ألمْ أكن على القبلة إلى يومي هذا؟! ما أرى هذا إلا عمل فلان[1] .

وفي رواية: أنه لما اشتد وجعه، دخل عليه نافع بن جبير بن مطعم يعوده فأغمي عليه، فقال نافع: وجهوا فراشه إلى القبلة، ففعلوا فأفاق، فقال: مَن أمركم أن تحوّلوا فراشي إلى القبلة، أنافع بن جبير أمركم؟ فقال نافع: نعم، فقال له سعيد: لئن لم أكن على القبلة والملّة لا ينفعني توجيهكم فراشي[2] .

● وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «لا تؤذنوا بي أحدًا، حسبي من يبلّغني إلى ربي، ولا يتبعني راجزهم هذا»[3] ، وأن لا يمشوا معي بمجمر، فإن أكن طيبًا، فما عند اللَّه أطيب من طِيبهم»[4]

وقال: أوصيت أهلي إذا حضرني الموت بثلاث: ألا يتبعني راجز، ولا نار، وأن يعجل بي، فإن يكن لي عند ربي خير، فهو خير مما عندكم»[5] .

---

(١) يريد به أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف. رواه ابن أبي شيبة في «المصنف». انظر: «الثبات عند الممات» ص(٧٩ ـ ٨٠).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٥/ ١٤١ ـ ١٤٢).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٥/ ١٤٢).

(٤) «طبقات ابن سعد» (٥/ ١٤٢).

(٥) «الطبقات» (٥/ ١٤٢).

*** عامر بن عبد قيس: «يبكي على ظمأ الهواجر وقيام الليل»:**

● قال قتادة: لما احتضر عامرٌ بكى، فقيل: ما يُبكيك؟ قال: ما أبكي جزعًا من الموت، ولا حرصًا على الدنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام الليل[١].

● وعن همام بن يحيى قال: بكى عامر بن عبد اللَّه في مرضه الذي مات فيه بكاءً شديدًا، فقيل له: ما يبكيك يا أبا عبد اللَّه؟ قال: آية في كتاب اللَّه: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: ٢٧][٢].

*** موت يزيد بن الأسود: «أرجو رحمة اللَّه»:**

● عن حيان أبي النضر قال:

قال لي واثلة بن الأسقع: قُدْني إلى يزيد بن الأسود، فإنه قد بلغني أنه لما به[٣].

قال: فقدته، فدخل عليه وهو ثقيل، وقد وُجِّه[٤]، وقد ذهب عقله. قال: فنادُوه، فقلت: إن هذا واثلة أخوك.

قال: فأبقى اللَّه من عقله ما سمع أن واثلة قد جاء، قال: فمدّ يده، فجعل يلمس بها، فعرفت ما يريد، فأخذت كف واثلة فجعلتها في كفه. وإنما أراد أن يضع يده في يد واثلة، لموضع يد واثلة من رسول اللَّه ﷺ.

فجعل يضع مرة على صدره، ومرّة على وجهه، ومرّة على فيه.

---

(١) «السير» (٤/ ١٥ ـ ١٩)، و«الزهد» لابن المبارك ص(٩٥)، و«الزهد» لأحمد (٢/ ١٧٦)، و«وصايا العلماء» ص(٨١).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٤١).

(٣) أي: من حضوره الموت.

(٤) أي: نحو القبلة.

فقال واثلة: أما تخبرني عن شيء أسألك عنه؟ كيف ظنك بالله؟

قال: أغرقتني ذنوب، وأشفيت[١] على هلكة، ولكن أرجو رحمة الله.

فكبّر واثلة، وكبّر أهل البيت تكبيرة. وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء**»[٢].

*** علقمة بن قيس النخعي:**

فقيه العراق أشبه الناس دلاً وسمتًا وهديًا بعبد الله بن مسعود.

قال علقمة ـ رحمه الله ـ: «لا تنعوني كنعي الجاهلية ولا تؤذنوا بي أحدًا وأغلقوا الأبواب ولا تتبعني امرأة ولا تتبعوني بنار، وإن استطعتم أن يكون آخر كلامي لا إله إلا الله فافعلوا»[٣].

*** الأسود بن يزيد النخعي:**

● عن علقمة بن مرثد قال: كان الأسودُ يجتهد في العبادة، ويصوم حتى يخضر ويصفر، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ما لي لا أجزعُ، والله لو أُتيتُ بالمغفرة من الله لأهمني الحياءُ منه ممَّا قد صنعتُ، إن الرجل ليكون بينهُ وبين آخر الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيًا منه[٤].

---

(١) اقتربت من هلكة.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» ص(٣١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٤٠)، وصححه ووافقه الذهبي، وروى طرفًا منه البخاري، ومسلم، انظر: «حسن الظن» لابن أبي الدنيا ص(١٦)، و«الرقة والبكاء»، لابن قدامة ص(٢٨٥)، و«كتاب المحتضرين» ص(٣١ ـ ٣٢).

(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ١٠١)، و«طبقات ابن سعد» (٦/ ٩٢)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٨)، و«الثبات» ص(١٣٤).

(٤) «السير» (٤/ ٥٠ ـ ٥٣).

*** عمرو بن عتبة بن فرقد: «إن اللَّه عز وجل ليبارك في الصغير»:**

● عن عبد الرحمن بن زيد قال: خرجنا في جيش فيهم عمرو بن عتبة فخرج وعليه جبّة جديدة بيضاء، فقال: «ما أحسن الدم يتحدّر على هذه»، فخرج فتعرّض للقصر فأصابه حجر فشجه فتحدّر عليها الدم، ثم مات منها[١].

ولما أصابه الحجر فشجه جعل يلمسها بيده، ويقول: «إنها صغيرة، وإن اللَّه عز وجل ليبارك في الصغير»[٢].

*** إبراهيم النخعي فقيه العراق: «آخر كلامه لا إله إلا اللَّه»:**

● قال إبراهيم النخعي: كانوا يستحبون أن يُلَقِّنوا العبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه[٣]

وقيل: إن إبراهيم لما احتُضر، جزع جزعًا شديدًا، فقيل له في ذلك، فقال: وأي خطرٍ أعظمُ مما أنا فيه، أتوقع رسولاً يرد عليّ من ربي إما بالجنة وإما بالنار، واللَّهِ لوددتُ أنها تلجلجُ في حلقي إلى يوم القيامة[٤].

هذا قول إبراهيم النخعي، وهو العلم، الإمام، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن.

وعن أبي معشر زياد بن كليب قال: دخلنا على إبراهيم النخعي حين ثقل، فجعل يقول: لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

---

(١) «حلية الأولياء» (٤/ ١٥٥)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٧١).
(٢) «حلية الأولياء» (٤/ ١٥٦)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٧١).
(٣) «حسن الظن باللَّه» ص(٣٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(٣٨).
(٤) انظر: «السير» (٤/ ٥٢٠ ـ ٥٢٩).

قال: فلما زاد ثقلاً جعل ينقص حتى قال: لا إله إلا اللَّه وحده، لا إله إلا اللَّه. ثم قضى[١] .

● وعن عمران الخيّاط قال: دخلت على إبراهيم أعوده وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك يا أبا عمران؟ قال: أنتظر ملك الموت، لا أدري بالجنة يبشرني أم بالنار[٢] .

*** الحسن البصري: «لقد نبّهتموني من جنات وعيون، ومقام كريم»:**

● عن ابن عون عن الحسن لما حضرته الوفاة استرجع، وأخرج ذراعيه فحرّكها وقال: هذه منزلة صبر واستسلام[٣] .

● وعن يونس بن عُبيد قال: لـمّا حضرت الحسن الوفاةُ جعل يسترجع، فأكبّ عليه ابنه عبد اللَّه فقال: يا أبه إنك قد غممتنا، فهل رأيت شيئًا؟

قال: هي نفسي التي لم أُصَبْ بمثلها![٤] .

● وعن كلثوم بن جبر قال: لما اشتد وجع الحسن بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: نُفَيسة ضعيفة، وأمر هَوْول[٥] ، وإنا للَّه وإنا إليه راجعون[٦] .

● قال الحسن البصري: فضح الموت الدنيا، فلم يترك فيها لذي لب فرحًا.

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٢١).

(٢) «الزهد والرقائق» لابن المبارك ص(١٤٧)، و«المصنف» لابن أبي شيبة (١٣/ ٥٥١)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٨٩)، و«حلية الأولياء» (٤/ ٢٢٤)، و«وصايا العلماء» ص(١٠٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٢١ ـ ١٢٢).

(٣) «وصايا العلماء عند الموت» ص(٧٨ ـ ٧٩)، و«كتاب المحتضرين» ص(١١٦ ـ ١١٧).

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(١١٧).

(٥) هؤول: مفزع.

(٦) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٧).

• قال هشام بن حسان: كنا عند محمد عشية يوم الخميس، فدخل عليه رجل بعد العصر فقال: مات الحسن، فترحم عليه محمد وتغير لونه وأمسك عن الكلام، فما تكلم حتى غربت الشمس، وأمسك القوم عنه مما رأوا من وجده عليه.

قلتُ: وما عاش محمد بن سيرين بعد الحسن إلا مئة يوم.

• ويُروى أنه أغميَ عليه ثم أفاق إفاقةً فقال: لقد نبهتموني من جناتٍ وعيون، ومقامٍ كريم[1].

* إمام وقته محمد بن سيرين: «في سبيل اللَّه نفسي أعز الأنفس عليّ»:

• وعن الحسن بن دينار أن محمد بن سيرين كان يقول وهو في الموت: في سبيل اللَّه نفسي أعز الأنفس عليّ[2].

* موت عبد الرحمن بن الأسود النخعي: «لم يزل يقرأ القرآن حتى مات»:

• عن الحكم بن عتيبة قال: لما احتُضِر عبد الرحمن بن الأسود بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أسفًا على الصوم والصلاة.

قال: ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات. قال: فرُئي أنه من أهل الجنة.

وكان الحكم يقول: ولا يبعد من ذلك، لقد كان يعمل نفسه مجتهدًا لذلك، حَذِرًا من مصرعه الذي صار إليه[3].

---

(١) «السير».

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٣٧)، و«كتاب المحتضرين» ص(١١٨).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(١٤٧)، و«تهذيب الكمال» (١٦/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣).

رحم اللَّه عبد الرحمن بن الأسود كم كان شوقه عظيمًا للصلاة!.

«عن ابن إسحاق، قال: قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجًّا، فاعتلت رجله، فصلى على قدم حتى أصبح».

قال الشعبي: أهل بيت خُلِقوا للجنة، علقمة والأسود وعبد الرحمن»[1].

* الربيع بن خثيم: «يا بشرى، اليوم لقي أبي الخير»:

● عن سَرِيّة الربيع قالت: لما احتُضر الربيع بكت ابنته فقال: يا بُنيّة لا تبكي، ولكن قولي: يا بشرى، اليوم لقي أبي الخير[2].

● وعن سعيد بن حيان التيمي قال: دخلتُ على الربيع بن خثيم، وعنده بكر بن ماعز يمرِّضه، فأبصر لعابًا بلحيته، فكزّ[3] بوجهه، فقال له الربيع، أكرهت؟ فواللَّه ما أحب أنه بأعتى الديلم على اللَّه[4].

● وعن عبد الملك بن عمير قال: قيل للربيع بن خثيم: ألا ندعو لك طبيبًا؟

فقال: انظروا.

ثم تفكرّ فقال: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]. فذكر من حرصهم على الدنيا ورغبتهم فيها، كانت فيهم مرضى، وكانت فيهم أطباء، فما أرى المداوي بقي، ولا المتداوى. هلك الناعت والمنعوت له[5].

---

(١) «السير» (٥/ ١١ ـ ١٢).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ١١٤)، «الكتاب المصنف» لابن أبي شيبة (١٣/ ٤٠٠)، و«الثبات عند الممات» ص(١٣٧)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٢٠)، و«تهذيب الكمال» (٩/ ٧٦).

(٣) كزّ بوجهه: أي تضايق وانقبض.

(٤) «طبقات ابن سعد» (٦/ ١٩٠)، و«الزهد» لابن المبارك ص(٢٤)، و«الحلية» (٢/ ١١٥).

(٥) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٣/ ٤٠٠)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٢١).

*** أبو حازم: «وما عند اللَّه خير للأبرار»:**

● عن بشر الأمي الأفوه قال: قال أبو حازم لما حضره الموت: ما أتينا على شيء من الدنيا إلا على ذكر اللَّه، وإن كان هذا الليل والنهار لا يأتيان على شيء إلا أخلقاه. وفي الموت راحة للمؤمنين.

ثم قرأ: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨][1] .

● عن محمد بن مطرف، قال: دخلنا على أبي حازم الأعرج، لما حضره الموت فقلنا: كيف تجدك؟ قال: أجدني بخير، راجيًا للَّه حسن الظن به، إنه واللَّه ما يستوي من غدا، أو راح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها، فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا أو راح في عقد الدنيا يَعْمرها لغيره، ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب[2] .

*** عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز: «أجدني في الحق»:**

● دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه، فقال: يا بني كيف تجدك؟

قال: أجدني في الحق.

قال: يا بني، لأن تكون في ميزاني أحبّ إلي من أن أكون في ميزانك.

قال ابنه: وأنا يا أبه، لأن يكون ما تحبُّ أحبّ إليّ من أن يكون ما أحُب[3] .

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٤).

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ٢٤١ ـ ٢٤٢)، و«قصر الأمل» ص(١١٠ ـ ١١١)، وانظر: الترجمة في «السير» (٦/ ٩٦ ـ ١٠٣).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٥)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٥/ ٢٠٢).

* مطرف بن عبد اللَّه الشخِّير: «يختم القرآن في قبره»:

● عن عبد اللَّه بن مسلم العبدي قال:

قال مطرف لما حضره الموت: اللَّه خِرْ لي في الذي قضيتَهُ عليّ من أمر الدنيا والآخرة.

قال: وأمرهم أن يحملوه إلى قبره، فختم فيه القرآن قبل أن يموت[1].

* نافع مولى ابن عمر: «ذكرتُ سعدًا وضغطة القبر»:

● عن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن أبيه، عن نافع، أنه لما احتُضر بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ذكرتُ سعدًا وضغطة القبر[2].

* موت العلاء بن زياد العدوي بَعد الصلاة:

● عن زهير بن أبي عطية:

لما احتضر العلاء بن زياد العدوي بكى؛ فقيل له: ما يبكيك؟ قال: كنت واللَّه أحب أن أستقبل الموت بالتوبة.

قال: فافعل رحمك اللَّه.

قال: فدعا بطهور، فتطهر، ثم دعا بثوب له جديد، فلبسه، ثم استقبل القبلة، فأومأ برأسه مرتين، أو نحو ذلك، ثم اضطجع فمات[3].

رحم اللَّه من بكى حتى عشى، رحم اللَّه من كانت آخر أعماله قبل موته الصلاة.. رحم اللَّه العلاء.

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٦)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٢٤/ ٣٥٠).

(٢) «السير» (٥/ ٩٥ ـ ١٠١).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٦)، و«طبقات ابن سعد» (٧/ ٢١٧)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٥٣)، و«تهذيب الكمال» (٢٢/ ٤٩٧).

*** محمد بن المنكدر لصفوان بن سليم عند الموت: «لو ترى ما أنا فيه لقرّت عينك»:**

كان أبو عبد اللَّه محمد بن المنكدر من معادن الصدق، ويجتمع إليه الربانيون. من سادات القراء، البكّاء طيلة عمره، لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول اللَّه ﷺ فماذا فعل البكّاء عند الموت؟

عن عبد الرحمن بن زيد قال: أتى صفوان بن سليم محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال: يا أبا عبد اللَّه، لكأني أراك قد شقّ عليك الموت؟!

فما زال يُهَوِّن عليه الأمر، ويتجلى عن محمد حتى لكأن وجهه المصابيح. ثم قال له محمد: لو ترى ما ألاقيه لقرّتْ عينك. ثم قضى ـ رحمه اللَّه ـ[1].

● وفي «صفة الصفوة» عن عكرمة، عن محمد بن المنكدر أنه جزع عند الموت، فقيل له: لم تجزع؟ قال: أخشى آية في كتاب اللَّه عز وجل قال اللَّه عز وجل: ﴿**وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**﴾[2].

ونهاية أمره قوله لصفوان: لو ترى ما أنا فيه لقرّت عينك.. فأي نعيم وأي حبور وأنس كان فيه الرباني ابن المنكدر؟.. واللَّه إن الدنيا بحذافيرها لتتضاءل أمام ذلك النعيم.

*** ضيغم بن مالك الزاهد الرباني:**

البكّاء صلى حتى انحنى ينام ثلث الليل ويتعبد ثلثيه.

● قال مضر: قلت لضيغم في مرْضَة مرضها: يا أبا مالك أقامَك اللَّه

---

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ١٤٧)، و«كتاب المحتضرين» (ص١٧١)، و«الثبات عند الممات» ص(١٤١ ـ ١٤٢).

(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ١٤٤).

إلى طاعته. قال: قل: أو قبضك إلى رحمته.

فقال هو: آمين. فواللَّه ما قام من مرضته تلك[١].

* هارون بن رئاب الزاهد:

● عن جعفر بن سليمان، عن هارون بن رئاب قال: جئت أعوده، فإذا هو يجود بنفسه. فما فقدت وجه رجل فاضل إلا وقد رأيتُه عنده. فجاء محمد بن واسع، فقال: يا أخي كيف تجدك؟

قال: هو ذا أخوكم، هو ذا يُذهب به إلى النار أو يعفو اللَّه عنه.

قال: وبلغني عن محمد بن واسع أنه قالها عند الموت، فأظن أنه تعلّمها من هارون بن رئاب»[٢].

* زيْن القرآن محمد بن واسع: «مرحبًا بملائكة ربّي»:

سيد أهل عصره الفقيه الورع الزاهد ـ رحمه اللَّه ـ:

عن يونس بن عُبيد قال: دخلنا على محمد بن واسع نعوده فقال: وما يُغني عني ما يقول الناس إذا أُخذ بيدي ورجلي فأُلقيت في النار[٣].

● وعن عبد الواحد بن زيد قال: حضرت محمد بن واسع عند الموت، فجعل يقول لأصحابه: عليكم السلام ـ إلى النار أو يعفو اللَّه[٤].

● وعن الربيع بن صُبيح قال: لما احتُضِر محمد بن واسع جعل إخوانه يقولون له: أبشر يا أبا عبد اللَّه، فإنا نرجو لك.

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٧).

(٢) «تهذيب الكمال» (٣٠/ ٨٤)، و«التاريخ الكبير» للبخاري (٨/ ٢١٩)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٧٣).

(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/ ٢٤٢)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٨).

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(١٤٢).

فبكى، ثم قال: يُذهب بي إلى النار أو يعفو الله[١].

● وعن فضالة بن دينار قال:

حضرت محمد بن واسع وقد سُجِّيَ للموت، فجعل يقول: مرحبًا بملائكة ربي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال: وشممت رائحة طيبة لم أشمم مثلها.

قال: ثم شخص ببصره فمات[٢].

* صفوان بن سُليم:

● عن ابن أبي حازم أن صفوان بن سليم لمّا حُضِر، حضره إخوانه، فجعل يتقلّب، فقالوا: كأنّ لك حاجة. قالوا: نعم. فقالت ابنته: ما له من حاجة. قال: نعم، إلا أنه يريد أن تقوموا عنه فيقوم فيصلي، وما ذاك فيه.

فقام القوم عنه، وقام إلى مسجده، فصلى، فوقع، فصاحت ابنته، فدخلوا عليه، فحملوه، ومات[٣].

وفي رواية: «دخلت أنا وأبي نسأل عن صفوان بن سُلَيم وهو في مصلاه. فما زال بي أبي حتى ردّه إلى فراشه، فأخبرتني مولاته أنّ ساعة خرجتم مات»[٤].

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٠).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٠).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(١٦٩ ـ ١٧٠).

(٤) «حلية الأولياء» (٣/ ١٥٩)، و«السير» (٥/ ٣٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢/ ١٥٦)، و«الثبات عند الممات» ص(١٤٢).

* **المفسر الشهيد السعيد جهبذ العلماء سعيد بن جبير: «إذن أنا كما سمّتني أمي»:**

● عن عمرو بن ميمون عن أبيه، قال: لقد مات سعيد بن جبير، وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

● قال سالم بن أبي حفصة: لما أُتي الحجاج بسعيد بن جبير قال: أنا سعيد بن جبير.

قال: أنت شقيّ بن كسير، لأقتلنك. قال: فإذن أنا كما سمّتني أمي. ثم قال: دعوني أصلي ركعتين. قال: وجِّهوه إلى قبلة النصارى. قال: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ**﴾ [البقرة: ١١٥]، وقال: إني أستعيذ منك بما عاذت به مريم. قال: وما عاذت به؟ قالت: ﴿**إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا**﴾[1] [مريم: ١٨].

● وقال سليمان التيمي: كان الشعبي يرى التقية، وكان ابن جبير لا يرى التقية، وكان الحجاج إذا أُتي بالرجل - يعني ممن قام عليه - قال له: أكفرت؟ قال: لا. قال: اختر أي قتلة أقتلك. قال: اختر أنت، فإن القصاص أمامك[2].

● وعن داود بن أبي هند قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلا مقتولاً، وسأخبركم: إني كنت أنا وصاحبان لي دعونْا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا اللَّه الشهادة، فكلا صاحبيَّ رُزِقها، وأنا أنتظرها. قال: فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء»[3].

---

(١) «الحلية» (٤/ ٢٩٠)، و«السير» (٤/ ٣٣٨).

(٢) «السير» (٤/ ٣٣٨).

(٣) «السير» (٤/ ٣٤٠).

قال الذهـبي: «قلتُ: ولـم علم من فضـل الشهادة، ثـبت للقـتل ولم يكترث، ولا عامل عدوه بالتقية المباحة له، رحمه اللَّه»[1] .

قال ابن كثيـر: «عن سالم بن أبي حفصـة قال: لما أُتي بسعيد بـن جبير إلى الحجاج قال له: أنت الشقيّ بن كسير؟ قال: لا، إنما أنا سعيد بن جبير. قال: لأقتلنك. قال: أنـا إذن كما سمتني أمي سعيدًا. قال: شـقيت وشقيت أمك. قال: الأمر لـيس إليك. ثم قال: اضربـوا عنقه. فقال: دعـوني حتى أصلي ركعتين».

وفي رواية: أنه قال له: لأبدلنك بالدنـيا نارًا تلظى. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لا تخذتك إلهًا. وفي رواية: أنه لما أراد قتله قال: وجِّهوه إلى قبلة النصـارى. فقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ﴾ . فقال: اجـلدوا به الأرض. فقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]. فقال: اذبح فما أنزعه لآيات اللَّه منذ اليوم. فقال: اللَّهم لا تُسلطه على أحد بعدي. وقد ذكر أبو نعيـم هنا كلامًا كثيرًا في مقتل سعيـد بن جبير، أحسنه هذا واللَّه أعلم».

وقال ابن كـثير عن سعـيد بن جبير: «قـال له الحجاج: ويلـك. فقال: الويل لمـن زُحزح عن الجنة وأُدخـل النار. فقال: اضـربوا عنقه. فـقال: إني أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّـه ﷺ، أستحفظُك بها حتى ألقاك يوم القيامة، فأنا خصمك عند اللَّه. فذُبح من قفاه، فبلغ ذلك الحسن، فقال: اللَّهم يا قـاصم الجبابرة، اقصم الحجاج. فما بقـي إلا ثلاثة حتى وقع من جوفه دود، فأنتن منه فمات. وقال سعيد للحجاج لما أمر بقتله وضحك، فقال له: ما أضحكك؟ فقال: أضحك من غيراتك عليّ وحلم اللَّه عنك».

قال ابن كثير: «لم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يومًا، وكان إذا نام يراه

---

(١) «السير» (٤/ ٣٤٠).

في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول: يا عدو اللَّه، فيم قتلتني؟ فيقول الحجاج: ما لي ولسعيد بن جبير، ما لي ولسعيد بن جبير، ما لي ولسعيد بن جبير؟»[١].

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»[٢].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله**»[٣].

* مجاهد بن جبر: «يموت وهو ساجد»:

يرحم اللَّه أبا الحجاج المخزومي المكي مجاهد جهبذ المفسرين القائل: «عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها».

قال الفضل بن دُكين: مات مجاهد وهو ساجد.

أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد... ومن كان بحالة لقي اللَّه بها، ويحشر العبد على ما مات عليه.. وهكذا موت من خالط القرآن لحمه ودمه.

* * *

---

(١) «البداية والنهاية» (٩/ ١٠٤، ١٠٥، ١٠٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد، وأحمد، وابن ماجه، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي أمامة، وأحمد، والنسائي، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن طارق بن شهاب، وأبو داود، والحميدي، والحاكم عن أبي سعيد، والحاكم عن عمير بن قتادة، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٤٩١)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٢٠٩).

(٣) **حسن**: رواه الحاكم، والضياء عن جابر، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٧٤)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٦٧٥).

*** عامر بن عبد اللَّه بن الزبير: «الإمام الرباني يموت في الصلاة»:**

● قال مصعب: سمع عامرٌ المؤذن وهو يجود بنفسه، فقال: خذوا بيدي فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعي اللَّه، فلا أجيبه، فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام في المغرب فركع ركعة، ثم مات.

● وقال القعنبي: سمعتُ مالكًا يقول: كان عامر بن عبد اللَّه يقف عند موضع الجنائز يدعو وعليه قطيفة، فتسقُط وما يشعر[(١)] .

*** صفوان بن محرز: «ملأت الآخرة قلبه، والدنيا أصغر في عينه من الذباب»:**

● عن ثابت البناني قال: دخلت أنا والحسن على صفوان بن محرز نعوده وهو ثقيل، فقال: إنه من كان في مثل حالي ملأت الآخرة قلبه، وكانت الدنيا أصغر في عينه من الذباب[(٢)] .

*** ثابت البناني: «مفتاح من مفاتيح الخير يتمنى الموت إن لم يقدر يصلي كما كان يصلي»:**

رحم اللَّه الإمام القدوة أبا محمد ثابت البناني.

قال بكر المزني: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى ثابت البناني.

● قال مبارك بن فضالة: دخلت على ثابت فقال: يا إخوتاه، لم أقدر أن أصلي البارحة كما كنت أصلي، ولم أقدر أن أصوم، ولا أنزل إلى أصحابي فأذكر معهم، اللَّهم إذ حبستني عن ذلك فلا تدعني في الدنيا ساعة[(٣)] .

---

(١) «السير» (٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٢٠٥).

(٣) «السير» (٥/ ٢٢٠).

● وعن محمد بن ثابت البناني قال: ذهبت أُلَقِّن أبي عند الموت، فقال: يا بنيّ خلِّ عني فإني في وردي السابع. كأنه يقرأ ونفسه تخرج[(١)] .

مات العابد الرباني وهو يقرأ القرآن.

مات الصوام القوّام العابد الذي تمنى العبادة في البرزخ فيقول: «اللَّهم إنْ كنت أعطيت أحدًا من خلقك الصلاة في قبره فأعطينيها»[(٢)] ، فما كان اللَّه ليرد دعاءه.

* أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي: «أحبّه إليّ أحبّه إلى اللَّه»:

قال أبو بكر بن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية.

أبو العالية العبد الصالح الذي كان يختم القرآن يوميًّا ويخدم مولاه بالنهار فشقّ ذلك عليه فأوصاه أصحاب النبي ﷺ بختمه كل ثلاث.

● عن سيّار بن سلامة قال: دخلت على أبي العالية في مرضه الذي مات فيه، قال: إنّ أحبّه إليّ أحبه إلى اللَّه»[(٣)] .. ومن أولى بالرضا عن اللَّه من أبي العالية:

عذابه فيك عذبُ ... وبعدُه فيك قُرْبُ
وأنت عندي كروحي ... بل أنت منها أحبُّ
حسبي من الحب أنِّي ... لما تحبُّ أُحِبُّ

* * *

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٦٣)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٣٢٢)، و«الثبات عند الممات» ص(١٤٦).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ٣١٨).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(٢١٣).

*** موت محب للَّه:**

عن يعقوب بن إسحاق أنه حضر رجلاً يموت، فقيل له: قل لا إله إلا اللَّه. فقال:

إذا أنا متُّ فالهوى حشوُ قلبي — فبداء الهوى يموت الكرامُ

ثم قال: يا من لا يموت، ارحم من يموت. ثم لم يلبث أن مات[1].

*** موت عمر بن حسين الجمحي: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾:**

«كان عمر بن حسين عبد اللَّه الجمحي، أبا قدامة المكي، مولى عائشة بنت قدامة بن مظعون الجمحي، قاضي المدينة المنورة. وكان من أهل الفضل، والفقه، والمشورة في الأمور، والعبادة. وكانت القضاة تستشيره.

قال مالك بن أنس: ولقد أخبرني من حضره عند الموت، فسمعه يقول: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

قال ابن وهب: فقلت لمالك: أتراه قال هذا لشيءٍ عاينه؟

قال: نعم»[2].

*** أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي: «أشتهي نظرةً إلى الحسن»:**

● قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول أبي الشعثاء لأوسعهم علمًا عمّا في كتاب اللَّه.

«قيل لجابر بن زيد عند موته: ما تشتهي؟ فقال: نظرة إلى الحسن، فجاء الحسن، فلما دخل عليه قيل له: هذا الحسن، فرفع طرفه، وقال: يا إخوتاه الساعة أفارقكم إما إلى الجنة وإما إلى النار». يا للَّه أي نضارة تحمل وجوه

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٢١٣).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٢١٨).

الصالحين حتى يصير النظر إليها أعز أمنيات الصالحين عند الموت.

● وعن ثابت البناني قال: لما حضر جابر بن زيد الوفاة قال: أقعدوني. فأقعد، ثم قال: أضجعوني. فأضجع فقال: أعوذ بالله من النار وسوء الحساب. ثلاث مرات[1].

*** يونس بن عبيد: «يبكي على الجهاد عند الموت»:**

الإمام القدوة.

عن غسان الغلابي قال: نظر يونس عند موته إلى قدميهْ، فبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرتُ أنهما لم تَغْبَرّا في سبيل الله[2].

*** وفاة زياد بن عبد الله النميري:**

قال الصالح القائم المتهجد والصائم المتعبد زياد النميري لما حضرته الوفاة: «لولا ما حضرني من هذا الأمر ما تكلّمتُ بهذا أبدًا؛ والله لقد صدع ذكر الموت قلبي حتى لقد خشيت أن يقتلني ذلك الهم، فلا تنسني مما كنت في القدوم عليك. ثم شخص ببصره فمات.

*** عطاء السلمي البصري: «ارحم في الدنيا غربتي، وارحم عند الموت صرعتي»:**

● عن عبد الواحد بن زيد قال:

دخلنا على عطاء السلمي في مرضة مرضها، فأُغمي عليه، فأفاق، فرفع أصحابه أيديهم يدعون له، فنظر إليهم، ثم قال: يا أبا عبيدة، مُرْهم فليُمسكوا عني، فوالله لوددت أن روحي تَرَدَّد بين لَهاتي وحنجرتي إلى يوم

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١١٨).

(٢) «السير» (٦/ ٢٩١)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٧٢).

القيامة مخافة أن تخرج إلى النار. قال: ثم بكى. قال عبد الواحد بن زيد: فأبكاني ـ واللَّه فَرَقًا مما يهجم عليه بعد الموت[١].

● وعن الصلت قال: سمعت عطاء السلمي يقول عند الموت: اللَّهم ارحم في الدنيا غربتي، وارحم عند الموت صرعتي، وارحم في القبر وحدتي، وارحم مقامي بين يديك يوم النشور[٢].

*** أبو التياح الضبعي يزيد بن حميد: «يبكي لتهاون الناس بأمر اللَّه»:**

قال عنه أبو إياس: ما بالبصرة أحد أحبّ إليّ أن ألقى اللَّه عز وجل بمثل عمله من أبي التيّاح[٣].

● قال جعفر بن سليمان الضبعي: دخلنا على أبي التيّاح الضُّبَعي نعوده في مرضه الذي مات فيه، فقال: واللَّه إن كان لينبغي للرجل المسلم اليوم أن يزيده ما يرى في الناس من التهاون بأمر اللَّه؛ أن يزيده ذلك للَّه جدّاً واجتهاداً. ثم بكى[٤].

*** ربعي بن حراش العبسي: «الإمام القدوة، الولي الرباني يبتسم بعد الموت»:**

● عن الحارث الغنوي قال: «آلى ربعيّ بن حراش أن لا تفترّ أسنانه ضاحكًا؛ حتى يعلم أين مصيره. قال الحارث: فأخبر الذي غسّله أنه لم يزل متبسمًا على سريره ونحن نغسله؛ حتى فرغنا منه... رحمة اللَّه عليه»[٥].

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٢٤)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٥١ ـ ١٥٢).
(٢) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٢٤)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٧٢).
(٣) «السير» (٥/ ٢٥٢).
(٤) «الحلية» (٣/ ٨٣)، و«كتاب المحتضرين» ص(٢١٤ ـ ٢١٥).
(٥) «السير» (٤/ ٣٦١).

للَّه دره من إمام صادق استولى عليه الخوف في حياته فبُدِّل بالسرور والحبور بعد مماته.

*** الربيع بن حِراش: «العبد الصالح الذي تكلم بعد الموت»:**

● عن ربعي قال: كنا أربعة إخوة، فكان الربيع أكثرنا صلاة وصيامًا في الهواجر، وإنه تُوفِّي، فبينا نحن حوله قد بعثنا من يبتاع له كفنًا، إذ كشف الثوب عن وجهه، فقال: السلام عليكم. فقال القوم: عليكم السلام يا أخا عيسى، أبعد الموت؟ قال: نعم، إني لقيت ربي بعدكم، فلقيت ربًّا غير غضبان، واستقبلني بروحٍ وريحان وإستبرق، ألا وإن أبا القاسم ينتظر الصلاة عليّ فعجّلوني. ثم كان بمنزلة حصاة رُمي بها في طست».

وفي رواية: «... وعدتُ رسول اللَّه ﷺ أن لا يذهب حتى أدركه. قال: فما شبهت خروج نفسه إلا كحصاة ألقيت في ماء فرسبت»[١].

*** حسّان بن أبي سنان: «يشتهي ليلة بعيدة ما بين الطرفين يُحيي ما بين طرفيها»:**

● عن مهدي بن ميمون قال: رأيت حسان بن أبي سنان ـ أحسبه في مرضه ـ قيل له: كيف تجدك؟

قال: بخير إن نجوت من النار.

قيل: فما تشتهي؟ قال: ليلة بعيدة ما بين الطرفين، أحيي ما بين طرفيها[٢].

● وعن غاضرة بن قرهد قال: دخلنا على حسّان بن أبي سِنان وقد

---

(١) «الحلية» (٤/ ٣٦٧)، و«السير» (٤/ ٣٦١)، ورجال إسناده ثقات.

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ١١٧ ـ ١١٨)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٣٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٤ ـ ١٤٥).

حضره الموت، وقال له بعض إخوانه: كيف تجدك؟

قال: أجدني بحال الموت.

قال: أفتجد له أبـا عبد اللَّه كربًا شديدًا؟ فبـكى، ثم قال: إنّ ذلك. ثم قال: ينبغي للـمؤمن أن يُسَلِّيه عن كرب الموت وألمه ما يـرجو من السرور في لقاء اللَّه(١).

* حميد الطويل: «يموت وهو يصلي»:

كان ـ رحمـه اللَّه ـ قائمـًا يصلي فمـات، فذكروه لابن عون، وجـعلوا يذكرون من فضله، فقال: احتاج حُميد إلى ما قدّم(٢).

* عبد الرحمن بن أبان بن عثمان: «يموت وهو يصلي»:

قال فيه الذهبـي: أحد من يصلح للخلافة... وقال موسـى التيمي: ما رأيت أحدًا أجمعَ للدين والمملكة والشرف منه.

قال الذهـبي: «كان يشتـري أهل البيت فـيكسوهـم ويعتقهـم، ويقول: أستعين بهم على غمرات الموت فمات وهو نائم في مسجده»(٣).

وقال ابن الجوزي: «مـات وهو قائم في مسجـده يُصلي السبحـة، يعني الضحى»(٤).

* أبو خليفة العبدي حجّاج بن عتّاب:

قال عمر بن أبي خليفة: لمّا حضر أبي الموت بكى، فقيل له: ما يُبكيك؟ قال أبكاني ـ واللَّه ـ لبثُ الوجوه في التراب إلى يوم البعث.

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٢)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥١).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٥٢).

(٣) «السير» (٥/ ١٠ ـ ١١).

(٤) «صفة الصفوة» (٢/ ١٤٨).

*** فقيه الحجاز عطاء بن أبي رباح يقول عند الموت: «يا صريخ الأخيار»:**

● عن خالد بن رخيم قال: لما حضرت عطاء بن أبي رباح الوفاة سمع بكاءً فقال: ادعو لي ابن أبي حسين ـ لرجل من قريش ـ فقال: انْه هؤلاء. ثم قال: يا صريخ الأخيار، يا صريخ الأخيار.

● وعن ابن أبي حسين قال: لـمّا حضرت عطاءً الوفاة صاحت النساء، فقال عطاء: اكفني هؤلاء، فإن غلبوك فاستعن عليهنّ بالسلطان، ثم جعل يقول: يا صريخ الأخيار، يا صريخ الأخيار! فلم يزل يقولها حتى قضى[1].

*** أبو يحيى مالك بن دينار الخائف الجئآر: «لمثل هذا اليوم كان دؤوب أبي يحيى»:**

● عن أبي عبد الصمد العمي قال: سمعت مالك بن دينار في مرضه يقول، وهو من آخر كلام سمعته يتكلم به: ما أقرب النعيم من البؤس! يعقبان، ويوشكان زوالاً[2].

● وعن أبي عيسى قال: دخلوا على مالك بن دينار وهو في الموت، فجعل يقول: لمثل هذا اليوم كان دُؤوب أبي يحيى[3].

● وعن عمارة بن زاذان أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أني أكره أن أصنع ما لم يصنعه أحد كان قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا مت أن يقيدوني ويجمعوا يدي إلى عنقي فينطلقوا بي على تلك الحالة حتى أدفن كما يصنع بالعبد الآبق، فإذا سألني ربي فقال: قلتُ: أي رب لم أرض نفسي

---

(١) «مختصر تاريخ دمشق» (١٧/ ٧٣)، و«كتاب المحتضرين» ص(١١٩، ٢٢٧ ـ ٢٢٨).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٤٣).

(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٨٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٤).

طرفة عين قط(١) .

وعند ابن أبي الدنيا: «لولا أني أخاف أن يكون بدعة لأمرتكم إذا أنا مت فَشُدَّت يدي بشريط، فإذا قدمتُ على اللَّه فسألني - وهو أعلم -: ما حملك على ما صنعت؟ قلت: أي رب لم أرض لك نفسي قط(٢).

● وعن خزيمة أبي محمد قال: لما حضرت مالك بن دينار الوفاة قال: جهِّزوني من دار الدنيا إلى دار الآخرة. فمات، فما وجدوا في بيته شيئًا إلا خَلَقَ قطيفة، وسندانة، ومِطهرة، وقطعة بارية(٣) .

● وعن حزم بن أبي حزم قال: دخلنا على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه وهو يكابد بنفسه، فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: اللَّهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرج(٤) .

* أبو عمران الجوني: «لا إله إلا اللَّه أمامي، لا أعرف غيرها»:

الإمام عبد الملك بن حبيب الجوني الذي كان إذا سمع الأذان تغيّر لونه وفاضت عيناه، قال عنه جعفر الضبعي: «شهدت أبا عمران الجوني وهو في الموت، فدخل عليه أيوب السختياني، فقال لابنه: لقِّن أباك لا إله إلا اللَّه.

فقال أبو عمران لابنه: ما يقول؟

قال: قال: لقِّن أباك. قال أبو عمران: يا أيوب، إنها أمامي، لا أعرف غيرها(٥) .

---

(١) «الثبات عند الممات» ص(١٤٧)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٨٨).

(٢) «الحلية» (٢/ ٣٦١)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٤).

(٣) «سندانة: واحدة السَّنَد: ضرب من الثياب اليمانية. البارية: الحصير، انظر: «كتاب المحتضرين» ص(٢٠٣).

(٤) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٦١)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٨٧، ٢٨٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(٢٠٣، ٢٠٨)، و«الثبات عند الممات» ص(١٤٨).

(٥) «كتاب المحتضرين» ص(٢٠٩).

*** سليمان التيمي: «يا بني: حدثني بالرُّخَص، لعلي ألقى اللَّه وأنا أحسن الظن به»:**

● سليمان بن طرخان عالم البصرة وعابدها. قال عنه شعبة: كان إذا حدّث عن رسول اللَّه ﷺ تغيّر لونه، وما رأيت أصدق منه.

وقال معتمر ابنه: مكث أبي أربعين سنة يصوم يومًا، ويفطر يومًا.

هذا الإمام المتهجد الصوّام، قال عنه ابنه المعتمر لـمّا حل به الموت: «قال لي أبي حين حضره الموت: يا بني: حدثني الرُّخص، لعلي ألقى اللَّه تعالى وأنا أحسن الظن به»[1].

وهذا من فقه هذا الإمام الكبير وعلمه، فإن الإنسان يُغَلِّب الخوف على الرجاء ما دام في دار الدنيا، فإذا نزل به الموت يغلب الرجاء على الخوف.

قال إبراهيم النخعي: كانوا يستحبون أن يُلقِّنوا العبد محاسن عمله عند موته؛ لكي يحسن ظنه بربه.

*** أبو جعفر القارئ يزيد بن القعقاع أحد القرّاء العشرة: «نور القرآن ما بين نحره إلى فؤاده»:**

● قال سليمان بن مسلم: شهدت أبا جعفر حين احتُضِر، جاء أبو حازم ومشيخة، فأكبّوا عليه يصرخون به، فلم يجبهم.

قال شيبة: ـ وكان ختنه على ابنة أبي جعفر ـ ألا أريكم منه عجبًا؟ قالوا: بلى، فكشف عن صدره، فإذا دوّارة بيضاء مثل اللبن، فقال أبو حازم وأصحابه: هذا واللَّه نور القرآن، قال سليمان: فقالت لي أم ولده بعدما

---

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ٣١)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٩٩)، و«حسن الظن» لابن أبي الدنيا، خبر رقم (٢٩)، و«الثبات عند الممات» ص(١٤٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(٣٩).

مات: صار ذلك البياض غرّة بين عينيه.

● وعن نافع، قال: لـمّا غُسِّل أبو جعفر القارئ، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف، فما شكٌّ من حضره أنه نور القرآن، ـ رحمه اللَّه ـ»[1] .

*** أبو عبد الرحمن السلمي عبد اللَّه بن حبيب مقرئ الكوفة: «أنا أرجو ربي، فقد صمت له ثمانين رمضانًا»:**

● عن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن نعوده، فذهب بعضهم يرجِّيه، فقال: أنا أرجو ربي فقد صمت له ثمانين رمضانًا[2] .

● وانظر إلى حرصه ـ رحمه اللَّه ـ أن يأتيه الموت وهو في انتظار الصلاة في المسجد، ولذا رفض الانتقال من المسجد إلى فراشه لما حضرته المنيّة.

وعن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن السلمي، وهو يُقضى ـ أي ينزع ـ في المسجد، فقلنا له: لو تحوّلت إلى الفراش فإنه أوثر ـ أي أوطأ ـ قال: حدّثني فلان أن النبي ﷺ قال: «**لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة**».

وفي رواية ابن سعد: «**والملائكة تقول: اللَّهم اغفر له، اللَّهم ارحمه**».

قال أبو عبد الرحمن السلمي: «فأريد أن أموت وأنا في مسجدي»[3] .

***

---

(١) «معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار» للذهبي (١/ ٧٥ ـ ٧٦) مؤسسة الرسالة.

(٢) «معرفة القرّاء الكبار» (١/ ٥٧).

(٣) «الزهد» لابن المبارك (١٤١ ـ ١٤٢)، و«طبقات ابن سعد» (٦/ ١٧٤ ـ ١٧٥).

* عبد اللَّه بن عامر الأسلمي المدني: «يموت وهو صائم»:

● عن ابن أبي حازم قال: لما نُزل بعبد اللَّه بن عامر بن عبد اللَّه بن أوس بكى، فاشتد بكاؤه فأرسل أهله إلى أبي حازم أن أخاك قد جزع عند الموت، فَأْته فَعَزِّه وصبِّرْهُ. قال ابن أبي حازم: فأتيته مع أبي، فقال له أبي: يا عامر، ما الذي يُبكيك؟ فواللَّه ما بينك وبين أن ترى السرور إلا فراق هذه الدنيا، وإن الذي تبكي منه لَلَّذي كنت تدأبُ له وتنصب.

فأخذ عامر بجلدة ذراعه، ثم قال: يا أبا حازم، ما صبر هذه الجلدة على نار جهنم؟ فخرج أبي يبكي لكلامه.

وأُذِّن لصلاة الظهر، فقام يريد المسجد، فسقط، وتوفي وهو صائم، ما أفطر[1].

* الإمام عبد اللَّه بن عون بن أرطبان: «يذكر اللَّه حتى غرغر»:

● قال عبد الرحمن بن مهدي: ما كان بالعراق أعلم بالسنة من ابن عون.

وقال خارجة بن مصعب: صحبت ابن عون أربعًا وعشرين سنة، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة. وقال الأوزاعي: إذا مات ابن عون والثوري استوى الناس.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يصوم يومًا ويفطر يومًا.

● قال بكّار بن محمد: كان ابن عون يتمنى أن يرى النبي ﷺ. فلم يره إلا قبل موته بيسير، فَسُرَّ بذلك سرورًا شديدًا، فنزل من درجته إلى المسجد فسقط فأصيبت رجله، فلم يزل يعالجها حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ.

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٦٨ ـ ١٦٩).

قال ابن عون: ذكر الناس داء وذكر اللَّه دواء.

قال الذهبي: قلت: إي واللَّه، فالعجب منا ومن جهلنا كيف ندع الدواء ونقتحم الداء؟! قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، ولكن لا يتهيأ ذلك إلا بتوفيق اللَّه. ومن أدمن الدعاء ولازم قرع الباب فُتح له. وقد كان ابن عون قد أوتي حلمًا وعلمًا ونفسًا زكية تعين على التقوى فطوبى له.

● قال بكار بن محمد: وكان له سُبْع يقرؤه كل ليلة، فإذا لم يقرأه أتمه بالنهار.

● قال بكار بن محمد: سقط ابن عون وأصيبت رجله فتعلل ومات فحضرت وفاته، فكان حين قُبض موجّهًا يذكر اللَّه تعالى حتى غرغر. فقالت عمتي: اقرأ عنده سورة ﴿يس﴾ فقرأتها. ومات في السحر وما قدرنا أن نُصلي عليه حتى وضعناه في محراب المصلى. غلبنا الناسُ عليه[1].

*** الإمام المجدّد أشج بني أمية عمر بن العزيز: «يقول عند الموت: ربي خير مذهوب إليه.. مرحبًا بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا جان»:**

هذي بحار النور فمن أراد أن يرد فليرد ير العجب العجاب

● عن أيوب قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين! لو أتيت المدينة، فإن قضى اللَّه موتًا في موضع القبر الرابع مع رسول اللَّه ﷺ، قال: واللَّه لأنْ يُعذبني اللَّه بغير النار أحبُّ إليَّ من أن يعلم من قلبي أني

---

(١) «السير» (٦/ ٣٦٤ ـ ٣٧٥).

أراني لذلك أهلاً[١].

● وقال المغيرة بن حكيم: قلتُ لفاطمة بنت عبد الملك: كنتُ أسمع عمر بن عبد العزيز في مرضه يقول: اللَّهم أخفِ عليهم أمري ولو ساعةً، قالت: قلت له: ألا أخرجُ عنك، فإنك لم تنم، فخرجتُ، فجعلت أسمعه يقول: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [القصص: ٨٣]، مرارًا ثم أطرق فلبثتُ طويلاً لا يُسمع له حس، فقلت لوصيف: ويحك انظر، فلما دخل، صاح، فدخلتُ فوجدته ميتًا، وقد أقبل بوجهه على القبلة، ووضع إحدى يديه على فيه، والأخرى على عينيه[٢].

● ولكثير عزة يرثيه:

عَمَّتْ صَنَائِعُهُ فَعَمَّ هَلاَكُهُ ... فالنَّاسُ فيه كُلُّهُم مَأْجُورُ

والنَّاسُ مَأْتَمُهُم عَلَيْهِ وَاحِدٌ ... فِي كُلِّ دارٍ رنَّةٌ وَزَفِيرُ

يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِه ... خَيْرًا لأَنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرُ

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ ... فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

● وعن أبي زيد الدمشقي قال:

لما ثقل عمر بن عبد العزيز، دُعي له طبيب، فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سُقِي السُّم ولا آمن عليه الموت.

فرفع عمر بصره إليه فقال: ولا تأمن الموت على مَنْ لم يُسْقَ السم.

قال الطبيب: هل حسست بذلك يا أمير المؤمنين؟

---

(١) «السير» (٥/ ١٤١).

(٢) «حلية الأولياء» (٥/ ٣٣٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٤١)، و«طبقات ابن سعد» (٥/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧)، و«كتاب المحتضرين» ص(٨١ ـ ٨٢).

قال: نعم، قد عرفت حين وقع في بطني.

قال: فتعالج يا أمير المؤمنين، فإني أخاف أن تذهب نفسك.

قال ربي خير مذهوب إليه. واللَّه لو علمتُ أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعتُ يدي إلى أذني فتناولته. اللَّهم خِرْ لعمر في لقائك فلم يلبث إلا أيامًا حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ[1].

هذا واللَّه الشوق إلى اللَّه عز وجل.

● وعن مجاهد: قال لي عمر بن عبد العزيز: ما يقول فيّ الناس؟ قلت: يقولون مسحور، قال: ما أنا بمسحور، ثم دعا غلامًا له فقال: ويحك! ما حملك على أن سقيتني السم؟ قال: ألف دينار أُعطيتُها، وعلى أن أُعتق، قال هاتها، فجاء بها، فألقاها في بيت المال، وقال: اذهب حيث لا يراك أحد[2].

● وقال ابن عيينة: قلت لعبد العزيز بن عمر: ما آخر ما تكلم به أبوك؟ فقال: كان له من الولد أنا وعبد اللَّه، وعاصم وإبراهيم، وكنا أُغيلمة، فجئنا كالمسلِّمين عليه والمودِّعين له، فقيل له: تركت ولدك ليس لهم مال، ولم تُؤوهم إلى أحد، فقال: ما كنتُ لأُعطيهم ما ليس لهم، وما كنتُ لآخذ منهم حقًّا هو لهم، وإن وليي اللَّه فيهم الذي يتولى الصالحين، إنما هم أحد رجلين: صالح أو فاسق. وقيل إن الذي كلّمه فيهم خالهم مَسْلمة[3].

● وعن ليث بن أبي رقيّة كاتب عمر بن عبد العزيز أن عمر بن عبد العزيز قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصَّرت،

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٨٢ ـ ٨٣)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥٠).

(٢) «السير» (٥/ ١٤٠)، ورجاله ثقات.

(٣) «السير» (٥/ ١٤٠ ـ ١٤١).

ونهيتني فعصيتُ، ثلاثًا، ولكن لا إله إلا اللَّه، ثم أحدّ النظر، وقال إني لأرى حضرة ما هم بأنس ولا جنّ ثم قُبض[١] .

● وعن عمرو بن قيس قال: قالوا لعمر بن عبد العزيز لـمّا حضره الموت: اعهد يا أمير المؤمنين قال: أحذركم مثل مصرعي هذا، فإنه لا بدَّ لكم منه، وإذا وضعتموني في قبري، فانزعوا عني لبنة، ثم انظروا ما لحقني من دنياكم هذه[٢]

● وعن يحيى بن أبي كثير قال: لما حضر عمر بن عبد العزيز الموت؛ بكى، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر، فإن اللَّه أحيا بك سننًا، وأظهر بك عدلاً.

فبكى ثم قال: أليس أُوقفُ فأُسأل عن أمر هذا الخلق؟ فواللَّه لو رأيتُ أني عدلتُ فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي اللَّه إلا أن يُلَقِّنها حجَّتها، فكيف بكثير مما صنعنا؟ قال: ثم فاضت عيناه. فلم يلبث إلا يسيراً بعدها حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ[٣] .

● قال هشام بن حسان: لما جاء نعيه إلى الحسن، قال: مات خير الناس[٤] .

● ولقد أرسل ـ رحمه اللَّه ـ وفدًا إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، فلما مات ـ رحمه اللَّه ـ أرسل قيصر إلى الوفد الذي أرسله عمر، فأتاه يزيد، فوضع قيصر الروم تاجه ونزل عن السرير، فقال ليزيد: أتدري ما بعثت إليك، فقال يزيد: قلت: لا، قال: إن صاحب مَسْلحتي كتب إليّ أن الرجل

(١) «السير» (٥/ ١٤١)، و«كتاب المحتضرين» ص(٨٤).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٨٢).

(٣) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٦٩٧).

(٤) «السير» (٥/ ١٤٢).

الصالح عـمر بن عبد العـزيز مات، قال: فبكـيت، واشتد بكائـي، وارتفع صوتي، فقـال لي: ما يُبكيك؟ ألنـفسك تبكي أم له أم لأهل ديـنك؟ قلت: لكل أبكي، قال: فابك لنفسك، ولأهل دينك، فأما عمر، فلا تبك له. فإن اللَّه لم يكـن ليجمع عليه خـوف الدنيا وخوف الآخرة، ثم قال: مـا عجبتُ لهذا الراهب الذي تعبّد في صومعته وترك الدنيا، ولكن عجبت لمن أتته الدنيا منقادة، ثم صارت في يده ثم خلَّى عنها(١) .

● وعن مالك بن أنـس أن صالح بن علي الأمير سأل عن قـبر عمر بن عبد العزيـز فلم يجد من يُخبـره، حتى دُلَّ على راهب، فسألـه، فقال: قبْر الصدِّيق تريدون؟ هو في تلك المزرعة(٢) .

وللَّه درّ ابن عائشة، حين قال في عمر:

أقول لـمّا نعى الناعون لي عُـمَرًا ... لا يـبـعـدنَّ قـوام الحـقِّ والـديـنِ

لـمْ تُـلْهِـهِ عُـمْرَه عـيْـنٌ يُفَـجِّـرهـا ... ولا الـنخـيـلُ ولا ركْـضُ الـبـراذيـنِ

قد غادر القومُ في القبر الذي لحدوا ... بـديـر سـمـعـان قـسطـاسَ الموازيـنِ

* عروة بن الزبير الإمام: «يموت وهو صائم»:

ابن حواري الرسول ﷺ أحد فقهاء المدينة السبعة:

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا، ويقوم به الليل.

● وعن هشام أن أباه مـات وهوصائم، وجعلوا يقولون لـه: أفطر، فلم يُفطر، وقـال هشام بن عروة: أن أباه كـان يصوم الدهر إلا يوم الـفطر ويوم النحر(٣) ، ومات وهوصائم(٤) .

(١، ٢) «السير» (٥/ ١٤٢، ١٤٣).

(٣) وأيام التشريق تضمينًا فإنه يحرم صومها.

(٤) «السير» ـ ترجمة عروة بن الزبير (٤/ ٤٣٧ ـ ٤٤١).

*** شيخ الإسلام أبو قلابة الجَرْمي عبد اللَّه بن زيد بن عمرو الإمام وما خصّه اللَّه به من الكرامة عند موته:**

● قال الذهبي: «إن أبا قلابة ممن ابتلي في بدنه ودينه، أريد على القضاء فهرب إلى الشام فمات بعريض مصر سنة أربع، وقد ذهبت يداه ورجلاه وبصره، وهو مع ذلك حامد شاكر.

وقد روى ابن حبان قصة صبره الجميل الكريم النبيل: قال ابن حبان: «حدثني بقصة موته محمد بن المنذر بن سعيد، قال: ثنى يعقوب بن إسحاق ابن الجراح، قال: ثني الفضل بن عيسى، عن بقية بن الوليد، حدثني الأوزاعي، عن عبد اللَّه بن محمد، قال: خرجت إلى ساحل البحر مرابطًا وكان رابطنا يومئذ عريش مصر، قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة، وفي البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهبت يداه ورجلاه، وثقل سمعه وبصره، وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول: «اللَّهم أوزعني أن أحمدك حمدًا أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ وفضّلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً». قال الأوزاعي: قال عبد اللَّه: قلتُ: واللَّه لآتين هذا الرجل، ولأسألنّه أنّى له هذا الكلام، فَهْم أمْ علم أم إلهام، فأتيت الرجل فسلّمت عليه، فقلت: سمعتك وأنت تقول: «اللَّهم.... تفضيلاً» فأي نعمة من نعم اللَّه عليك تحمده عليها، وأي فضيلة تفضّل بها عليك تشكره عليها؟! قال: وما ترى ما صَنع ربي؟! واللَّه لو أرسل السماء عليّ نارًا فأحرقتني، وأمر الجبال فدمّرتني، وأمر البحار فأغرقتني، وأمر الأرض فبلعتني ما ازددت لربي إلا شكرًا لما أنعم عليّ من لساني هذا، ولكن يا عبد اللَّه إذ أتيتني لي إليك حاجة قد تراني على أيّ حالة أنا، لست أقدر لنفسي على ضرٍّ ولا نفع، ولقد كان معي بنيّ لي يتعاهدني في وقت صلاتي فيُوضيني، وإذا جعت أطعمني، وإذا عطشت سقاني، ولقد فقدته منذ ثلاثة

أيام، فتحسسه لي رحمك اللَّه. فقلت: واللَّه ما مشى خلق في حاجة خلق كان أعظم عند اللَّه أجرًا ممن يمشي في حاجة مثلك، فمضيت في طلب الغلام، فما مضيت غير بعيد حتى صرت بين كثبان من الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه، فاسترجعت وقلتُ أنَّى لي وجه رقيق آتي به الرجل؟! فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على قلبي ذكر أيوب النبي عليه السلام، فلما أتيته سلّمتُ عليه، فردّ عليّ السلام فقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى. قال: ما فعلتَ في حاجتي. فقلت: أنت أكرمُ على اللَّه أم أيوب النبي؟ قال: بل أيوب النبي. قلت: هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال: بلى. قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا. قلتُ: لم يرض منه ذلك حتى أوحش من أقاربه وأحبائه؟ قال: نعم. قلتُ: فكيف وجده ربه؟ قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا. قلتُ: فلم يرض منه بذلك حتى صيّره عرضًا لمارّ الطريق. هل علمت؟ قال: نعم. قلت: فكيف وجده ربه؟ قال صابرًا شاكرًا حامدًا: أوجز رحمك اللَّه.

قلتُ له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدتُه بين كثبان الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه، فأعظم اللَّه لك الأجر وألهمك الصبر، فقال المبتلى: الحمد للَّه الذي لم يخلق من ذريتي خلقًا يعصيه فيعذبه بالنار. ثم استرجع وشهق شهقة فمات. فقلت: إنا للَّه وإنا إليه راجعون عظمت مصيبتي، رجل مثل هذا إن تركتُه أكلته السباع، وإنْ قعدت فلم أقدر على ضر ولا نفع، فسجّيته بشملة كانت عليّ وقعدت عند رأسه باكيًا، فبينما أنا قاعد إذ تهجّم عليّ أربعة رجال، فقالوا: يا عبد اللَّه ما حالك؟ وما قصتك؟ فقصصت عليهم قصتي وقصته، فقالوا لي: اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه، فكشفت عن وجهه، فانكبّ القوم عليه يقبّلون عينيه مرّة، ويده أخرى، ويقولون: بأبي عين طالما غضّت عن محارم اللَّه، وبأبي جسم طالما كان

ساجدًا والناس نيام، فقلت: مَن هذا يرحمكم اللَّه؟ فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمي، صاحب ابن عباس، لقد كان شديد الحب للَّه وللنبي ﷺ، فغسّلناه وكفناه بأثواب كانت معنا، وصلّينا عليه ودفناه. فانصرف القوم وانصرفت إلى رباطي، فلما أن جنّ عليّ الليل، وضعت رأسي، فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة، وعليه حلّتان من حلل الجنة، وهو يتلو الوحي: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد: ٢٤]، فقلت: ألست بصاحبي؟ قال: بلى. قلت: أنّى لك هذا؟ قال: إن للَّه درجات لا تنال إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، مع خشية اللَّه عز وجل في السرّ والعلانية[1] .

*** سيد التابعين وزاهد العصر: «أبو مسلم الخولاني»: «إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك»:**

● عن محمد بن شعيب وسعيد بن عبد العزيز قالا: قحط الناس على عهد معاوية رضي الله عنه فخرج يستسقي بهم، فلما نظروا إلى المصلى، قال معاوية لأبي مسلم: ترى ما داخل الناس فادع اللَّه، فقال: أفعل على تقصيري، فقام وعليه برنس، فكشف البرنس عن رأسه، ثم رفع يديه فقال: اللَّهم إنا بك نستمطر وقد جئت بذنوبي إليك، فلا تخيّبني، قال: فما انصرفوا حتى سُقوا. قالا: فقال أبو مسلم: اللَّهم إن معاوية أقامني مقام سُمعة فإن كان لي عندك خير فاقبضني إليك، قالا: وكان ذلك يوم الخميس فمات أبو مسلم - رحمه اللَّه - يوم الخميس المقبل[2] .

***

(١) «الثقات» لابن حبان (٥/ ٢ - ٥).

(٢) «الزهد» لأحمد ص(٣٩٢)، و«إرواء الغليل» (٣/ ١٤٠).

* **يزيد بن أبان الرقاشي: «الزاهد»:**

● كان من خيار عباد اللَّه، من البكّائين بالليل.

قال حوشب بن عقيل: سمعت يزيد الرقاشي يقول لما حضره الموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ألا إن الأعمال محضرة، والأجور مكملة، ولكل ساعٍ ما يسعى، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت. ثم بكى، وقال: يا من القبر مسكنه، وبين يدي اللَّه موقفه، والنار غدًا مورده، ماذا قدّمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ماذا أعددت لموقوفك بين يدي ربك[١].

● وعن دُرُست القزاز قال:

لما احتُضر يزيد الرقاشي بكى، فقيل له: ما يبكيك ـ رحمك اللَّه ـ؟

قال: أبكي واللَّه على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار. ثم بكى، وقال: من يصلي لك يا يزيد؟ ومَن يصوم؟ ومن يتقرّب لك إلى اللَّه بالأعمال بعدك؟ ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة؟ ويحكم يا إخوتاه، لا تغترنَّ بشبابكم، فكأنْ قد حلّ بكم ما حلّ بي من عظيم الأمر وشدة كرب الموت. النجاء النجاء، الحذر الحذر يا إخوتاه، المبادرة ـ رحمكم اللَّه ـ[٢].

* **توبة بن الصمّة:**

● قال ابن أبي الدنيا: حدثني رجل من قريش ذكر أنه من ولد طلحة بن عبيد اللَّه، قال: «كان توبة بن الصمة بالرقة، وكان محاسبًا لنفسه، فحسب فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها، فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم

---

(١) «تهذيب الكمال» (٣٢/ ٧٦)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٥).

(٢) «تهذيب الكمال» (٣٢/ ٧٦ ـ ٧٧)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٦)، والنجاء والنجاة بمعنى واحد.

وخمسمـائة يوم، فصرخ وقال: يـا ويلتا؛ ألقى المـليك بأحد وعشـرين ألف ذنب؟ كيف وفي كل يـوم عشر آلاف ذنب؟ ثم خرّ مغشيًّا عليـه، فإذا هو ميت»[١].

* **الإمام خالد بن مَعْدان: «شيخ أهل الشام يموت وهو صائم»:**

● عن عبدة بنت خالد، قالت: قلّما كان خالد يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر شوقه إلى رسول اللَّه ﷺ وإلى أصحـابه من المهاجرين والأنصار، ثم يُسمِّيهم، ويقـول: هم أصلي وفصلي، وإليهم يحنّ قلبـي طال شوقي إليهم فعجِّل ربِّ قبضي إليك، حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك.

● قال يزيد بن هارون: مات خالد بن معدان وهو صائم[٢].

كان ـ رحمه اللَّه ـ يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة، سوى ما كان يقرأ من القرآن، فلما مات وُضع على سريره ليُغَسَّل، فجعل يشير بأصبعه يحركها بالتسبيح[٣].

* **الإمام القدوة عـابد الكوفة أبو أسمـاء إبراهيم التيـمي: «يموت في السجن»:**

● قال ـ رحـمه اللَّـه ـ: إذا رأيت الرجـل يتهـاون في التـكبيـرة الأولى فانفض يدك منه.

● عن عـلي بن محـمد قال: طـلب الحجّاج إبـراهيم الـنخعي، فـجاء

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ١٩٦)، وهو الذي يُقال له مجنون ليلى كما في «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٣٥٣).

(٢) «السير» (٤/ ٥٣٦ ـ ٥٤١).

(٣) «السير» (٤/ ٥٤٠)، وإسـناده منقطع، وهي فـي «الحلية» (٥/ ٢١٠)، وعند ابـن عساكر (٥/ ٢٦٠) بطريق أخرى.

الرسول فقال: أريد إبراهيم، فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، ولم يستحل أن يَدُلَّهُ على النخعي، فأمر بحبسه في الديماس، ولم يكن لهم ظل من الشمس، ولا كنّ من البرد، وكان كل اثنين في سلسلة، فتغيّر إبراهيم، فعادته أمه، فلم تعرفه حتى كلّمها، فمات، فرأى الحجاج في نومه قائلاً يقول: مات في البلد الليلة رجل من أهل الجنة، فسأل، فقالوا: مات في السجن إبراهيم التيمي، فقال: حُلْم نزغة من نزغات الشيطان، وأُمِر به فأُلقي على الكُنَاسة[1].

يرحم اللَّه أبا أسماء فكم كان مثلاً عاليًا في الإيثار والعبادة.

* عُبَيد بن عُمَير: «يشتهي من يقرأ القرآن عليه»:

● لما حضرت عُبَيد بن عمير الوفاة، قيل له: ما تشتهي؟

قال: أشتهي رجلاً موقنًا بالقرآن يقرأ عليّ[2].

* أبو بكر النهشلي: «يبادر طيّ صحيفته فيصلي»:

● عن شيخ نهشلي كوفي قال: دخلنا على أبي بكر النهشلي، وهو في السّوق وهو يومئ[3].

فقال له ابن السمّاك: على هذه الحال؟ فقال: أبادر طيّ الصحيفة.

* المغيرة بن حكيم الصنعاني: «اعمل لهذا المضجع»:

● عن عبد العزيز بن أبي روّاد قال: دخلت على المغيرة بن حكيم في مرضه الذي مات فيه، فقلت: أوصني. فقال: «اعمل لهذا المضجع»[4].

---

(١) «السير» (٥/ ٦٠ ـ ٦٢).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٨).

(٣) أي في الصلاة.

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٩)، و«الحلية» (٨/ ١٩٤).

*** خُصيف بن عبد الرحمن: «اللَّهم إنك لتعلم أني أحبك وأحب رسولك»:**

● عن عبد السلام بن حرب أن خُصيف بن عبد الرحمن الجزري مولى عثمان بن عفان، قال عند الموت: ليمرَّ ملك الموت إذا أتانا. اللَّهم على ما فيّ إنك لتعلم أني أحبك وأحب رسولك(١).

*** زُبَيْد الإيامي: «أستخيرُ اللَّه»:**

● عن سعيد قال: دخلتُ على زُبَيْد الإيامي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: شفاك اللَّه. فقال: أستخير اللَّه(٢).

رحم اللَّه زبيدًا، أحبه إلى اللَّه أحبُّه إليه.

*** المفضّل بن يونس: «كيف تقرّ العين بعده؟»:**

● عن مُطير بن الربيع قال: كان مُفَضَّل بن يونس إذا جاء الليل قال: ذهب من عمري يوم كامل. فإذا أصبح قال: ذهبت ليلة كاملة من عمري. فلما احتُضِر بكى، وقال: قد كنتُ أعلم أنّ لي من كَرِّكما عليّ يومًا شديدًا كربه، شديدًا غصصه شديدًا غمّه، شديدًا عَلْزُه(٣)، فلا إله إلاّ الذي قضى الموت على خلقه. وميّزه عدلاً بين عباده.

ثم جعل يقرأ: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾ [الملك: ٢]. ثم تنفّس، فخرجت نفسُه(٤).

ولما نعي المفضل إلى عبد اللَّه بن المبارك قال: وكيف تقرّ العين بعد المُفضّل؟

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٢٩).

(٢) «صفة الصفوة» (٣/ ٩٨)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٧).

(٣) العَلْز: القلق والفزع.

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(١٤٩).

*** عمرو بن قيس الملائي: «إنما أبكي خوفًا أن أُحْرَم خير الآخرة»:**

هذا الشيخ الصالح الذي أقام عشرين سنة صائمًا ما يعلم به أهله. يأخذ غداءه، ويغدو إلى الحانوت، فيتصدّق بغدائه ويصوم.

هذا الإمام العابد الذي كان سفيان الثوري يأتيه يسلّم عليه يتبرك به، ويجيء فيجلس بين يديه ينظر إليه لا يكاد يصرف بصره عنه.

● عن حفص بن غياث قال: «لما احتُضِر عمرو بن قيس الملائي بكى، فقال له أصحابه: علام تبكي من الدنيا؟ فوالله لقد كنت مُنغَّصَ العيش أيام حياتك! فقال: والله ما أبكي على الدنيا، إنما أبكي خوفًا أن أُحرم خير الآخرة»[1] .

*** عبد العزيز بن سلمان العابد الجليل: «يُعوِّل على حسن الظن بالله»:**

● عن حاتم بن سليمان قال: دخلنا على عبد العزيز بن سلمان وهو يجود بنفسه، فقلت: كيف تجدك؟

قال: أجدني أموت.

فقال له بعض إخوانه: على أية حال رحمك الله؟

فبكى، ثم قال: ما نعوِّل إلا على حسن الظن بالله.

قال: فما خرجنا من عنده حتى مات[2] .

*** بشر بن منصور يحكي عن موت أحد الصالحين: « أبكي على فراق الذكر ومجالس أهله»:**

عن بشر بن منصور ـ الذي قال فيه عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١٢٥)، و«كتاب المحتضرين» ص(١٤٩).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٤).

أحدًا أقدّمه في الرقة والورع على بشر بن منصور ـ قال: حضر رجلاً من الصالحين الموت، فبكى، فقيل له: علام تبكي، فإنما هي الدنيا التي تعرفونها؟!

قال: ليس عليها أبكي، ولكني ـ واللَّه ـ أبكي على فراق الذكر ومجالس أهله[١] .

* موت صالح من أهل المدينة:

● عن محمد بن قيس المدني قاص عمر بن عبد العزيز أن رجلاً من أهل المدينة نزل به الموت، فجزع، فقيل له: أتجزع؟

فقال: ولم لا أجزع؟ فواللَّه إنْ كان رسول أمير المدينة ليأتيني فأفزع لذلك، فكيف برسول رب العالمين[٢] .

* موت أبي محمد حبيب العجمي:

● قال كثير بن يسار: دخلنا على حبيب أبي محمد وهو بالموت، فقال: أريد أن آخذ طريقًا لم أسلكه قط، لا أدري ما يُصنع بي؟

قلت: أبشر يا أبا محمد، أرجو أن لا يفعل بك إلا خير.

قال: وما يدريك؟ ليت تلك الكسرة ـ خبز ـ التي أكلناها لا تكون سُمًّا علينا[٣] .

* أبو بكر بن عيّاش يحكي عن موت الصالحين:

● يحكي شيخ الإسلام عن موت أبي حَصِين عثمان بن عاصم بن

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٣).

(٢) «المقلق» لابن الجوزي ص(٥٥)، و«المحتضرين» ص(١٦١).

(٣) «كتاب المحتضرين» ص(١٦١ ـ ١٦٢)، و«تهذيب الكمال» (٥/ ٣٩٥).

حصين وهـو شيخ عالـم صاحب سنـة، ويحكي عـن موت عاصم بـن أبي النجود مـقرئ الكوفة في زمـانه، ويحكي علـى الإمام الأعمش سليـمان بن مهران، فماذا يقول؟

قال أبو بكر بـن عيّاش: دخلتُ على أبي حَصين فـي مرضه الذي مات فيه، فأُغمي عليـه، ثم أفاق، فجعل يقول: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦] . قال: ثم أُغمي عليه، ثم أفاق، فجعل يرددها، فلم يزل على ذلك.

قال: ودخلـت على عاصم، وقـد احتُضِر، فجـعلت أسمعـه يردد هذه الآية، يُحـقِّقها، كأنـه في المحراب: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢][١] .

قال: ودخلـت على الأعمش وقد حـضره الموت، فقال: لا تُـؤْذِنَنّ بي أحدًا، وإذا أصبحت فاخرجوا بي إلى الجبان فألقني ثَمَّ. ثم بكى[٢] .

* الإمام الأعمش: «أنا أعلم بنفسي»:

● قال جابر بن نوح: بكى الأعمش عند مـوته، فقيل له: يا أبا محمد، وأنت تبكي عند الموت؟ قال: وما يمنعني من البكاء وأنا أعلم بنفسي؟!

رحمك الـلَّه من إمام تـقول هذا وما فاتـتك التكبـيرة الأولى قريـبًا من سبعين سنة، وأنت أقرأهم لكتاب اللَّه وأحفظهم للحديث.

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٥)، و«تهذيب الكمال» (١٩/ ٤٠٧)، (١٣/ ٤٧٩).
(٢) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٦)، و«حلية الأولياء» (٥/ ٥١)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١١٨).

*** قاضي المدينة أبو طوالة عبد الرحمن بن حزم الأنصاري: «إن اتقيتم اللَّه فأنتم مني على الصدر والنحر»:**

● عن أبي عبد الرحمن العمري الزاهد قال: جمع أبو طوالة عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن معمر بن حزم الأنصاري وُلْدَه عند موته فقال: يا بنيّ، اتقوا اللَّه، فإنكم إن اتقيتم اللَّه فأنتم مني على الصدر والنحر، وإن لم تتقوا اللَّه لم أُبالِ ما صنع اللَّه بكم[1].

*** أبو بكر بن عبد اللَّه بن أبي مريم الغسّاني يموت بعد صومه:**

كان في خدّيْ أبي بكر بن أبي مريم الغسّاني مسلكان من الدموع.

قال يزيد بن عبد ربه: «عُدت مع خالي علي بن مسلم أبا بكر بن أبي مريم وهو في النزع فقلت له: رحمك اللَّه لو جرعت جرعة ماء؟ فقال بيده: لا.

ثم جاء الليل فقال: أُذِّن؟ فقلت: نعم. فقطرنا في فمه قطرة ماء ثم غمّضناه فمات ـ رحمه اللَّه ـ، وكان لا يقدر أحد أن ينظر إليه من خوى فمه من الصيام[2].

رحمك اللَّه أبا بكر كم كنت صوامًا وختم اللَّه لك أمرك بالصيام، قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَن خُتم له بصيام يوم دخل الجنة»**[3].

قال المناوي: «أي من ختم عمره بصيام يوم بأن مات وهو صائم، أو بعد

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٥٦).

(٢) «الحلية» (٦/ ٨٩)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٢٢١)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥١ ـ ١٥٢).

(٣) **صحيح**: رواه البزار عن حذيفة، ورواه أحمد، وابن شاهين، وابن بشران، وأبو نعيم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٢٤).

فطره من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين، أو من غير سبق عذاب»[١].

*** مالك بن أنس: «يتشهد ويقول: ﴿للَّه الأمر من قبل ومن بعد﴾:**

● عن ابن أبي أويس قال: اشتكى مالك أيامًا يسيرة فسألت بعض أهلنا عمّا قال عند الموت، قال: تشهّد، ثم قال: ﴿**لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ**﴾[٢] [الروم: ٤].

● ونقل القاضي عياض أن أسد بن موسى قال: رأيت مالكًا بعد موته، وعليه طويلة، وثيابُ خضر وهو على ناقة، يطيرُ بين السماء والأرض. فقلتُ: يا أبا عبد اللَّه، أليس قد مُت؟ قال: بلى. فقلتُ: فالإم صرت؟ فقال: قدمتُ على ربي وكلمني كفاحًا، وقال: سلني أعطِك، وتمنَّ علي أُرضك.

*** عبد اللَّه بن عبد العزيز العمري الزاهد: «يحدّث بنعم ربه عند الموت»:**

ماذا قال العابد الناسك أزهد أهل زمانه، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر عند موته؟

● عن أبي يحيى الزهري قال: قال عبد اللَّه بن عبد العزيز العمري عند موته:

بنعمة ربي أُحدِّث: أني لم أصبح أملك إلا سبعة دراهم من لحاء شجر فتلته بيدي، وبنعمة ربي أُحدِّث: لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي لا يمنعني من أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ما أزلتُها»[٣].

---

(١) «فيض القدير» للمناوي (٦/ ١٢٣).

(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ١٧٩)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥٢).

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ١٨٣)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥٣).

*** شيخ الإسلام حمّاد بن سلمة: «يموت وهو يصلي»:**

● قال عبد الرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدًا، ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا.

قال الذهبي: كانت أوقاته معمورة بالتعبّد والأوراد.

قال يونس بن محمد المؤدب: مات حماد في الصلاة في المسجد[1]

*** عليّ بن صالح بن حي: «عند موته العجب العجاب»:**

الإمام القدوة الكبير:

● قال عبد اللَّه بن موسى: سمعتُ الحسن بن صالح يقول: لما احتضر أخي، رفع بصره، ثم قال: ﴿ **مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء: ٦٩]، ثم خرجت نفسُه، فنظرنا، فإذا ثقبٌ في جنبه قد وصل إلى جوفه، وما علم به أحد.

● قال الحسن بن صالح: قال لي أخي - وكنت أصلي - يا أخي اسقني. قال: فلما قضيت صلاتي، أتيتُه بماء، فقال: قد شربت الساعة، قلت: من سقاك وليس في الغرفة غيري وغيرك؟ قال: أتاني الساعة جبريل بماء، فسقاني وقال: أنت وأخوك وأمك مع الذين أنعم اللَّه عليهم، وخرجت نفسه[2] .

*** خيثمة بن عبد الرحمن: «التابعي الزاهد الكبير»:**

● عن محمد بن خالد الضبي قال: لم نكن ندري كيف يقرأ خيثمة القرآن حتى مرض، فجاءته امرأته فجلست تبكي، فقال: ما يبكيك؟ الموت لا بد منه، فقالت: الرجال بعدك عليّ حرام، فقال: ما كلُّ هذا أردت منك،

---

(١) «السير» (٧/ ٤٤٤ - ٤٥٦).

(٢) «السير» (٧/ ٣٧١ - ٣٧٢)، «الثبات عند الممات» ص(١٥٤)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١٥٣).

إنما كنت أخاف رجلاً واحدًا وهو أخي محمد، وهو رجل فاسق يتناول الشراب، فكرهت أن يُشرب في بيتي الشراب بعد إذ القرآن يتلى فيه في كل ثلاث[١].

* شيخ الإسلام طلحة بن مصرف: «ما يَئِنُّ حتى مات»:

● قال عبد الملك بن أبجر: ما رأيت طلحة بن مصرف في ملأٍ إلا رأيت له الفضل عليهم.

● وقال فضيل بن عياض: بلغني عن طلحة أنه ضحك يومًا فوثب على نفسه، وقال: ولِمَ تضحك، إنما يضحك من قطع الأهوال وجاز الصراط، ثم قال: آليت أن لا أفترّ ضاحكًا حتى أعلم بم تقع الواقعة، فما رُئي ضاحكًا حتى صار إلى اللَّه[٢].

● وعن محمد بن فضل، عن أبيه، قال: دخلنا على طلحة بن مصرف نعوده، فقال له أبو كعب: شفاك اللَّه، فقال: أستخير اللَّه[٣].

● قال ليث بن أبي سليم، حدثتُ طلحة بن مصرِّف في مرضه أن طاووسًا كرِه الأنين، فما سُمِع طلحة يئِنُّ حتى مات[٤].

وقال شعبة: كنا في جنازة طلحة بن مصرِّف، فأثنى عليه أبو معشر، وقال: ما خلّف مثله.

* سيد الوعّاظ الزاهد القدوة أبو العباس محمد بن صبيح العجلي، ابن السمّاك:

● عن عبد اللَّه بن صالح العجلي، قال: قال ابن السمّاك عند وفاته:

(١) «حلية الأولياء» (٤/ ١١٥)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٩٤).

(٢) «السير» (٥/ ١٩٢).

(٣) «الحلية» (٥/ ١٦)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٩٧)، و«الثبات» ص(١٩٤).

(٤) «الحلية» (٥/ ١٨)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٩٨)، و«الثبات» ص(١٤٤)، و«السير» (٥/ ١٩٢).

اللَّهم إنك تعلم أني وإنْ كنت أعصيك، أني أحبُّ فيك من يطيعك[١].

*** أحد الصالحين: «إنْ يُلَقِّني أوْ لا يلقني فإني لا أدعها»:**

● عن عبد اللَّه بن شبرمة قال: دخلتُ مع عامر الشعبي على مريض نعوده، فوجدنا لما به، ورجل يلقنه الشهادة، ويقول له: قل لا إله إلا اللَّه، وهو يُكثر عليه، فقال له الشعبي: ارفق به، فتكلم المريض، وقال: إن يلقّني أو لا يلقّني فإني لا أدعها، ثم قرأ: ﴿**وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا**﴾، فقال الشعبي: الحمد للَّه الذي نجّى صاحبنا[٢].

*** عبد اللَّه بن إدريس الأودي: «ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة»:**

هذا الحافظ الصالح العابد الذي أراد الرشيد توليته القضاء فامتنع تورّعًا، ووصله فردّ عليه صلته.

● عن حسين بن عمرو العَنْقَري قال: لما نزل بابن إدريس الموت بكت ابنته فقال: لا تبكي فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة[٣].

*** شيخ الإسلام أبو بكر بن عيّاش: «قد ختم أخوك القرآن في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة»:**

● قال عنه أبو عيسى النخعي: لم يفرش له فراش خمسين سنة.

قال الحماني: لما حضرت أبا بكر بن عيّاش الوفاة بكت أخته، فقال: لا تبك، انظري إلى تلك الخزانة، أو الزاوية التي في البيت، قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة[٤].

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١٧٧)، و«كتاب المحتضرين» ص(٢٣٢).

(٢) «التذكرة في الاستعداد ليوم الآخرة» ص(٩١).

(٣) «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٢١)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١٧٠)، و«الثبات» ص(١٥٥).

(٤) «الحلية» (٨/ ٣٠٤)، و«تاريخ بغداد» للخطيب (١٤/ ٣٨٣)، و«صفة الصفوة» =

● وعن إبراهيم بن أبي بكر بن عياش قال: بكيت عند أبي حين حضرته الوفاة، فقال: ما يبكيك؟ أترى اللّه يضيع لأبيك أربعين سنة يختم القرآن كل ليلة[1].

*** الإمام القدوة أبو بكر محمد بن أحـمد، ابن النابلسي: «وكرامة له عند موته»:**

● قال أبو ذر الحـافظ: سجنـه بنو عبيـد ـ الفاطمـيون ـ وصلبـوه على السُّنّـة، سمعت الدارقـطني يذكره ويـبكي، ويقـول: كان يقول وهو يُـسلخ ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾.

«قال أبو الفرج ابن الفرج: أقام جوهر ـ القائد ـ لأبي تميم صاحب مصر أبا بكر النابـلسي، وكان ينزل الأكواخ، فقال له: بلغـني أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمي في الروم سهمًا وفينا تسعة، قال: ما قلتُ هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسـهم وجب أن يرميكم بتسعة، وأن يرمي العاشر فيكم أيضًا، فإنّكم غيّـرتم الملّة، وقتلتم الصالحين، وادّعيتم نور الألوهية، فشهره، ثم ضربه، ثم أمر يهوديًّا فسلخه.

قال مَعْمَر بن أحمد بن زياد الصوفي: أخـبرني الثقة أن أبا بكر سُلِخ من مفْرق رأسـه حتى بلـغ الوجه، وكان يذكـر اللّه ويصبـر حتى بلـغ الصدر، فرحمه السلاّخ، فوكزه بالسكين موضع قلبه، فقضى عليه؛ وأخبرني الثقة أنه كان إمـامًا في الحديـث والفقـه، صائم الدهـر، كبيـر الصَّوْلـة عند العـامة والخاصة، ولما سُلخ كان يُسمع من جسده القرآن»[2].

= (٣/ ١٦٦)، و«الثبات» ص(١٥٥).

(١) «تاريخ بغداد».

(٢) «السير» (١٦/ ١٤٨ ـ ١٤٩).

*** الإمام عبد اللَّه بن وهب: يموت بعد ما قرئ عليه كتابه «أهوال القيامة»:**

● قال خالد بن خداش قرئ على عبد اللَّه بن وهب كتاب «أهوال القيامة» (تأليفه)، فخرّ مغشيًا عليه، قال: فلم يتكلم بكلمة، حتى مات بعد أيام ـ رحمه اللَّه ـ»[١] .

هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها.. هكذا يموت شيخ الإسلام ابن وهب من جرّاء ذكر القيامة.

قال الذهبي: «كان ابن وهب من أوعية العلم، ومن كنوز العمل»[٢] .

وقال الذهبي: «بلغنا أن مالكًا كان يكتب إليه «إلى عبد اللَّه بن وهب مفتي أهل مصر، ولم يفعل هذا مع غيره»[٣] .

وقال سحنون الفقيه: «كان ابن وهب قد قسّم دهره أثلاثًا: ثلثًا في الرباط، وثلثًا يعلّم الناس بمصر، وثلثًا في الحج»[٤] . حج ستا وثلاثين فرحمة اللَّه عليه.

*** الإمام سفيان الثوري:**

● لما احتُضِر سفيان الثوري جعل يبكي، فقيل له: يا أبا عبد اللَّه، عليك بالرجاء؛ فإن عفو اللَّه أعظم من ذنوبك، فقال: أوَ على ذنوبي أبكي؟! لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى اللَّه بأمثال الجبال من الخطايا.

---

(١) «السير» (٩/ ٢٢٦)، و«الانتقاء» لابن عبد البر ص(٤٩).

(٢) «السير» (٩/ ٢٢٤).

(٣) «السير» (٩/ ٢٢٧).

(٤) «السير» (٩/ ٢٢٦).

● وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: مات سفيان الثوري عندي، فلما اشتد به جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد اللَّه، أراك كثير الذنوب؟ فرفع شيئًا من الأرض، فقال: واللَّه لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أُسلب الإيمان عند الموت.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: بكينا على الذنوب زمانًا ونحن الآن نبكي على الإسلام.

● وعن ابن مهدي، قال: مرض سُفيان بالبطن، فتوضأ تلك الليلة ستين مرة، حتى إذا عاين الأمر، نزل عن فراشه، فوضع خده بالأرض، وقال: يا عبد الرحمن! ما أشد الموت، ولما مات غمضتُه، وجاء النَّاس في جوف الليل، وعلموا.

● وقال عبد الرحمن: كان سفيان يتمنى الموت ليسلم من هؤلاء، فلما مرض كرهه، وقال لي: أقرأ عليَّ ﴿يس﴾ فإنه يقال: يخفف عن المريض، فقرأتُ، فما فرغت حتى طُفِئ[1].

وقيل: أخرج بجنازته على أهل البصرة بغتة. فشهده الخلق، وصلَّى عليه عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر الكوفي، بوصيةٍ من سفيان لصلاحه.

● وقال قبيصة: ما جلست مع سفيان مجلسًا إلا ذكرتُ الموت، ما رأيت أحدًا كان أكثر ذكرًا للموت منه.

قال أبو نعيم: كان سفيان إذا ذكر الموت لم يُنتفع به أيامًا، فإذا سئل عن الشيء يقول: لا أدري لا أدري.

● قال أبو أسامة كنت بالبصرة حين مات سفيان الثوري، فلقيت يزيد بن

---

(١) انظر: ترجمة سفيان الثوري في «السير» (٧/ ٢٢٩ ـ ٢٧٩).

إبراهيم التستري، فقال لي: قيل لي في منامي: الليلة مات أمير المؤمنين. فقلت للذي يقول في المنام: أمات سفيان الثوري؟ فقلت له: قد مات الليلة. وقد كان مات تلك الليلة ولم يكن علمه.

• وقال عبد اللَّه بن شيرزاذ الواسطي: كنت بعبادان فرأيت رجلا جيء به في ثياب بيض قد مات فوضع في سفينة، فقلت: مَنْ هذا الذي قد مات على السنّة ونجا وصار في الآخرة؟

فلما ارتفع النهار جاء الخبر أن سفيان الثوري مات في تلك الليلة[١].

• وقال إبراهيم بن أعين البجلي، وكان من خيار الناس قال: رأيت سفيان الثوري في المنام، فقلت: له يا أبا عبد اللَّه ما صنعتَ فدَيتُك؟ قال: أنا مع السفرة، قلت: وما السفرة؟ قال: الكرام البررة[٢].

• وعن ابن عيينة قال: رأيت سفيان الثوري في النوم، وقد مات كأنه يطير في الجنة من شجرة إلى نخلة ومن نخلة إلى شجرة، وهو يقوْل: ﴿**لمثل هذا فليعمل العاملون**﴾، فقلت له: بم أدخلت الجنة؟ قال: بالورع بالورع»[٣].

* حكيم وقته وزاهده داود الطائي:

• قال فيه ابن المبارك: هل الأمر إلا ما كان عليه داود.

وقال محارب بن دثار: لو كان داود في الأمم الماضية لقصّ اللَّه تعالى شيئًا من خبره.

---

(١) مقدمة «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/ ١٢٢).

(٢) مقدمة «الجرح والتعديل» (١/ ١٢٠).

(٣) «العاقبة» لعبد الحق الأشبيلي الأزدي ص(١٣١).

● «قال أبو داود الطيالسي: حضرت داود، فما رأيت أشد نزعًا منه»[١] .

قال جعفر بن نفيل الرهبي: رأيت داود الطائي بعد موته، فقلت له: كيف رأيت خير الآخرة؟ قال: رأيت خيرها كثيرًا، قلت: فماذا صرت إليه؟ قال: صرت إلى خير الحمد للَّه، قال: فقلت له: هل لك من علم بسفيان بن سعيد؟ فقال: كان يحب الخير وأهله فرقَّاه الخير إلى درجة أهل الخير»[٢] .

* الإمام المبارك عبد اللَّه بن المبارك:

● قال سفيان الثوري: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة واحدة مثل عبد اللَّه بن المبارك فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام[٣] .

● قال الذهبي: واللَّه إني لأحبه في اللَّه، وأرجو الخير بحبه»[٤] .

● قال أحمد بن عبد اللَّه العجلي: حدثني أبي قال: لما احتضر ابن المبارك، جعل رجل يُلقنه، قل: لا إله إلا اللَّه، فأكثر عليه، فقال له: لست تُحسنُ، وأخافُ أن تؤذي مسلمًا بعدي، إذا لقنتني، فقلتُ: لا إله إلا اللَّه، ثم لم أحدث كلامًا بعدها، فدعني، فإذا أحدثتُ كلامًا، فلقني حتى تكون آخر كلامي.

وقيل: فتح عبد اللَّه بن المبارك عينه عند الوفاة فضحك، وقال: ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾ [الصافات: ٦١].

● وفي «العاقبة»: «لما حضرت ابن المبارك الوفاة، قال لنصر مولاه: اجعل رأسي على التراب. فبكى نصر، فقال: ما يبكيك؟ قال: ذكرت ما

(١) «السير» (٧/ ٤٢٢ ـ ٤٢٥).
(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣).
(٣) «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٦٢).
(٤) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٧٥).

كنت فيه من النعيم، وأنت ها هنا تموت فقيرًا غريبًا، فقال: اسكت فإني سألت اللَّه أن يحييني حياة السعداء ويميتني ميتة الفقراء»[١] .

مات ابن المبارك سَحرًا بهيت لعشرٍ مضين من رمضان منصرفه من الغزو. . فهل بعد هذه الأوقات الخيّرة من خير.

● قال أبو خالد الأحمر: ما هدت الأرض منذ مات سفيان هدّتها لموت ابن المبارك.

● وعن عبد الوهاب بن الحكم قال: لما مات ابن المبارك بلغني أن هارون أمير المؤمنين قال: مات سيد العلماء[٢] .

● وقال العباس بن محمد النسفي: سمعت أبا حاتم الفربري يقول: رأيتُ ابن المبارك واقفًا على باب الجنة بيده مفتاح، فقلت: ما يُوقفك ها هنا؟ قال: هذا مفتاح الجنة، دفعه إليَّ رسول اللَّه ﷺ، وقال: حتى أزور الرب، فكن أميني في السماء، كما كنتَ أميني في الأرض[٣] .

* موت الأوزاعي:

● عن محمد بن عُبَيْد الطنافسي قال: كنت عند سفيان الثوري، فجاءه رجل، فقال: رأيت كأن ريحانة من المغرب رُفِعت. قال: إن صدقت رؤياك، فقد مات الأوزاعي. فكتبوا ذلك، فوُجِد كذلك في ذلك اليوم[٤] .

* زرارة بن أوفى: «يموت في الصلاة»:

رحم اللَّه أبا حاجب البصري قاضي البصرة زرارة بن أوفى.

---

(١) «العاقبة» ص(١٤٥).
(٢) «السير» (٨/ ٣٩٠).
(٣) «السير» (٨/ ٣٩٠).
(٤) «السير» (٧/ ١٢٦).

قال بهـز بن حكيـم: أمّنا زرارة بن أوفى فـي مسجد بـني قشيـر، فقرأ «المدثر»، فلما انتهى إلى هذه الآية: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]، خرّ ميتًا. قال بهز: فكنت فيمن حضره»[١].

* قتيل القرآن، السيد الولي الرّباني، علي بن الفضيل بن عياض:

● كان علي يومًا عنـد ابن عيينة، فحدّث سفيان بحـديث فيه ذكر النار، وفي يد علي قرطاس في شيء مربوط، فشهق شهقة ووقع، ورمى بالقرطاس أو وقع من يده، فالتفت إليه سفيان، فقال: لو علمتُ أنك ها هنا ما حدّثتُ به. فما أفاق إلا بعد ما شاء اللَّه [٢].

● وقال الفضـيل: أشرفت ليلة عـلى عليّ، وهو في صـحن الدار وهو يقول: النار، ومتى الخلاص من النار؟!

وقال لي: يـا أبَهْ، سل الذي وهـبني لك فـي الدنيا أن يـهبني لـك في الآخرة. ثم قال: لم يزل منـكسر القلب حزينًا، ثم بكى الـفضيل، ثم قال: كان يساعدني علـى الحزن والبكاء. يا ثمرة قلبي، شكر اللَّـه لك ما قد علمه فيك[٣].

قال الخطيـب: «مات قبل أبيه بمـدة، من آية سمعهـا تقرأ، فغشي عـليه وتوفي في الحال»[٤].

وقال إبراهيم بن بشار: الآية التي مات فيها علي بن الفضيل في الأنعام:

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد»، وابن سعد في «الطبقات»، والحاكم في «المستدرك»، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن الجوزي في «صفة الصـفوة»، والذهبي في «السير» (٤/ ٥١٦)، وقال: صحّ.

(٢) «التخويف من النار» لابن رجب الحنبلي ص(٢١)، و«السير» (٨/ ٤٤٥).

(٣) «السير» (٨/ ٤٤٤)، و«الحلية» (٨/ ٢٩٧).

(٤) «السير» (٨/ ٤٤٣).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [٢٧]، مع هذا الموضع مات، وكنت فيمن صلى عليه»[1] .

للَّه درك من سيد بلغت الغاية من رقة القلب، حتى تموت من جرّاء سماع أو قرآءة آية، وباللَّه ما أحلاه نعت يطلقه عليك الفضيل: قتيل القرآن.

*** أبو جهث: «المشتاق إلى الجنة يموت عند ذكر آية»:**

أبو جهث، أو أبو جهير مسعود الضرير.

● عن إسماعيل بن نصر العبدي، قال: نادى منادٍ في مجلس صالح المرِّي: ليقم الباكون والمشتاقون إلى الجنة، فقام أبو جهث، فقال: اقرأ يا صالح: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ۝٢٣ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٣، ٢٤]، فقال أبوجهث: ردّدْها يا صالح. فما فرغ من الآية حتى مات أبو جهث»[2] .

*** «وجارية تتعلّق بأستار الكعبة، تدعو وتضرع وتبكي حتى ماتت»:**

● عن يعلى بن حكيم قال: قال سعيد بن جبير: ما رأيت أرعى لحرمة هذا البيت، ولا أحرص عليه من أهل البصرة، لقد رأيت جارية ذات ليلة، تعلّقت بأستار الكعبة، تدعو وتضرع وتبكي حتى ماتت»[3] .

*** موت الشافعي: «ناصر السنة، قمر حلقات العلم وشمسها»:**

● قال أحمد بن حنبل: قدم الشافعي فوضعنا على المحجة البيضاء[4] .

---

(١) «السير» (٨/ ٤٤٦).

(٢) «الجامع لشعب الإيمان»، و«صفة الصفوة» (٣/ ٣٣٣).

(٣) «السير» (٤/ ٣٣٤)، وقال الذهبي: إسنادها صحيح.

(٤) «توالي التأسيس» ص(١١١).

وقال: ما من أحد مسّ محبرة ولا قلمًا إلا وللشافعي في عنقه منّة[١] .

وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي: «قال أستاذ الأستاذين، فيُقال له: من هو؟ فيقول: الشافعي، أليس هو أستاذ أحمد بن حنبل؟»[٢] .

وقال أبو زرعة: «ما أعلم أحدًا أعظم منّة على أهل الإسلام من الشافعي»[٣] .

قال يونس بن عبد الأعلى: «ما رأيت أحدًا لقي من السقم ما لقي الشافعي»[٤] .

• قال الربيع: جاء رسول الخليفة[٥] إلى الشافعي بمصر يدعوه ليوليه القضاء، فقال الشافعي: اللَّهم إن كان خيرًا لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري فأمضه، وإلا فاقبضني إليك، قال: فتوفي بعد هذه الدعوة بثلاثة أيام، والرسول على بابه[٦] .

• عن ابن خزيمة وغيره، حدثنا المزني قال: دخلتُ على الشافعي في مرضه الذي ماتَ فيه، فقلتُ: يا أبا عبد اللَّه، كيف أصبحتَ؟ فرفعَ رأسه، وقال: أصبحتُ من الدنيا راحلاً، ولإخواني مُفارقًا، ولسوء عملي مُلاقيًا، وعلى اللَّه واردًا، ما أدري روحي تصيرُ إلى جنةٍ فأُهنِّيها، أو إلى نارٍ فأُعزيها، ثم بكى، وأنشأ يقول:

ولما قسى قلبي وضَاقَتْ مذاهبي ... جَعلتُ رَجائي دُونَ عَفوكَ سُلَّما

تعاظَمَني ذَنبي فَلمَّا قَرَنْتُه ... بِعَفوكَ رَبِّي كان عَفُوكَ أَعظما

---

(١) «توالي التأسيس» ص(١١٣).

(٢، ٣) «توالي التأسيس» ص(٦١).

(٤) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٦٥).

(٥) «الخليفة المأمون».

(٦) «توالي التأسيس» لابن حجر ص(١٩٣).

فما زِلتَ ذا عَفوٍ عن الذَّنب لم تَزَلْ ... تَجودُ وتَعفُو مِنَّةً وَتَكَرُّما
ولَولاكَ لم يُغوى بابليس عابدٌ ... فكيفَ وقَد أغوى صَفيَّك آدَما
وإنِّي لآتي الذَّنب أعرِفُ قَدْرَه ... وأَعلمُ أنَّ اللَّه يعفُو تَرَحُّما[1]

وفي «توالي التأسيس»:

إليك إله الخلق أرفع رغبتي ... وإنْ كنتُ يا ذا المَنّ والجود مجرما

وفي حالته هذه دخل عليه يونس بن عبد الأعلى، فقال له الشافعي: «يا أبا موسى، اقرأ عليَّ ما بعد العشرين والمائة من آل عمران، وأخف القراءة، ولا تثقل. فقرأت عليه؛ فلما أردت القيام، قال: لا تغفل عني، فإني مكروب». قال يونس: عنى الشافعي في قراءتي ما بعد العشرين والمائة، ما لقي النبي ﷺ وأصحابه، أو نحوه»[2].

وقال حرملة: قال لي الشافعي: «اذهب إلى إدريس العابد، فقل له: يدعو اللَّه عز وجل لي»[3].

وقال الربيع: لما كان مع المغرب، قال له ابن عمه: ننزل حتى نصلي، قال: «تجلسون تنظرون خروج نفسي»، فنزلنا ثم صعدنا، فقلنا: أصليت؟ قال: نعم، واستسقى - وكان الوقت شتاء - وتوفي بعد عشاء الآخرة[4].

توفي - رحمه اللَّه - ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة، آخر يوم من رجب.

● قال العزيزي: - وكان متعبدًا -: رأيت ليلة مات الشافعي في المنام كأنه

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ١٤٦)، و«السير»، و«توالي التأسيس» ص(١٨٩).
(٢) «آداب الشافعي ومناقبه» لأبي حاتم الرازي ص(٧٦).
(٣) «توالي التأسيس» ص(١٨٩).
(٤) «توالي التأسيس» ص(١٩١).

يُقال مات النبي ﷺ في هذه الليلة، وكأني رأيته يُغَسَّل في مجلس عبد الرحمن الزهري، في المسجد الجامع، وكأنه يُقال لي: أنه يخرج به بعد العصر فأصبحت، فقيل لي: مات الشافعي، وقيل لي: يُخرج به بعد العصر، وكنت رأيت في النوم سرير امرأة رثة السرير، قال: فأرسل الأمير أن لا يخرج إلا بعد العصر، فأخرج بعد العصر، قال: فشهدت جنازته، فلما صرت إلى الموضع الواسع، رأيت سريراً مثل سرير المرأة الرثة السرير معه[1].

● وقال الربيع: «رأيت في المنام أن آدم ﷺ مات، فسألت عن ذلك، فقيل لي: هذا موت أعلم أهل الأرض؛ لأن اللَّه تعالى علّم آدم الأسماء كلها، فما كان إلا يسير، فمات الشافعي»[2].

وقال أيضًا: رأيت الشافعي بعد وفاته بالمنام، فقلت: يا أبا عبد اللَّه، ما صنع اللَّه بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب، ونثر عليّ اللؤلؤ الرطب[3].

* أبو عبد اللَّه محمد بن يوسف الأصبهاني: «عروس العُبّاد يكون له ما تمنّى»:

● كان ابن المبارك يأتيه، ويحبه. وقال يحيى القطّان: ما رأيت خيرًا منه. كان - رحمه اللَّه - لا يضع جنبه[4].

● «خرج - رحمه اللَّه - في جنازة بالمصيصة فنظر إلى قبر أبي إسحاق

---

(١) «توالي التأسيس» ص(١٩٤).

(٢) «المجموع» للنووي (١/ ١٥).

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ١٤٧).

(٤) «السير» (٩/ ١٢٦).

الفزاري ومخلد بن الحسين وبينهما موضع قبر، فقال: لو أن رجلاً مات فدفن بينهما.

فما أتت عليه عشرة أيام، أو نحوها حتى دُفن في الموضع الذي أشار إليه»[١].

* أحد الصالحين المشتاقين إلى رب العالمين:

● «قال أحمد بن أبي الحواري: دخلت على بعض المتعبدين، وهو مريض، فقلت: كيف تجدك؟ فقال: بحال شريفة أسير كريم حبيس جوارحه مع أعوان صدق، واللَّه لو لم يكن بي مما ترون عِوَضًا إلا ما أُودِع قلبي من محبته لكنت خليفًا أن أدوم على الرضا عنه، وما الدنيا وما غاية البلاء فيها؟ هل هو إلا ما ترون من هذه العلّة ويوشك إن اشتد بي الأمر أن ترحلني إلى سرر، ولنعمت العلة علة رحلت بمحب إلى محبوب قد أحزنه طول التخلف عنه»[٢].

* صدق الوفاء والصبر وخالص الحب عند فراق الدنيا:

● يروى أن مالك بن دينار ـ رحمه اللَّه ـ: «دخل على شاب يعوده فوجده خيالاً على فراشه كالشن البالي، فسأله عن حاله فلم يستطع الجواب بلسانه وأشار بطرفه فبينما نحن كذلك، وإذا نحن بصوت المؤذن فسمعناه يقول: مثل ما يقول المؤذن ويشير بأصبعه عند الشهادتين، ثم أمر والده يُوَضأه، ثم أمره أن يوجهه إلى القبلة ليصلي راقدًا بالإيماء، ثم قال: يا مالك. راحة مع بقاء الإيمان، يا مالك نِعمُهُ لا تُعَدّ وبلاؤه واحد. قال مالك: فعجبت من يقينه وصبره وصدق وفائه وخالص محبته، ثم لم يلبث

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٨٣).

(٢) «العاقبة» لعبد الحق الأشبيلي ص(٦٣).

إلا يسيرًا حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ»[١].

* موت حطيط الزيّات:

● جيء بحطيط الزيّات إلى الحجّاج، فلما دخل عليه، قال: أنت حطيط؟ قال: نعم، سل عمّا بدا لك، فإني عاهدت اللَّه عند المقام على ثلاث خصال: إن سُئِلت لأصدُقَنّ، وإن ابتليت لأصبرن، وإن عُوفيت لأشكرن. قال: فما تقول فيّ؟ قال: أقول: إنك من أعداء اللَّه في الأرض، تنتهك المحارم، وتقتل بالظنّة. قال: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟ قال: أقول: إنه أعظم جرمًا منك، وأنت خطيئة من خطاياه.

قال: فقال الحجاج: ضعوا عليه العذاب. قال: فانتهى به العذاب حتى انتحلوا لحمه. فما سمعوه يقول شيئًا، ثم مات ـ رحمه اللَّه ـ.

* الإمام البويطي: «لأموتن في حديدي»:

سيد الفقهاء، تلميذ الشافعي أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري.

«سعى به أصحاب ابن أبي دؤاد، حتى كتب فيه ابن أبي دُؤاد إلى والي مصر، فامتحنه ـ أي في محنة خلق القرآن ـ فلم يُجب، وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: قل فيما بيني وبينك. قال: إنهُ يقتدي به مائة ألف، ولا يدرون المعنى!! فأمر به أن يُحمل إلى بغداد.

قال الربيع بن سليمان: رأيته على بغل في عنقه غلّ، وفي رجليه قيد، وبينه وبين الغلّ سلسلة فيها لبنة ـ طوبة ـ وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: «إنما خلق اللَّه الخلق بـ «كن»، فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقًا خُلق بمخلوق، ولئن دخلت عليه لأصدقنّه ـ يعني الواثق ـ ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم»[١].

---

(١) «العاقبة» ص(٦٣).

وتوفي ـ رحمه اللَّه ـ في قيده مسجونًا بالعراق، في سنة إحدى وثلاثين ومائتين من الهجرة.

*** الإمام نعيم بن حماد: «أوصى أن يدفن في قيوده»:**

كان ـ رحمه اللَّه ـ شديدًا في الرد على الجهمية، حُمِل إلى العراق في إبّان تلك الغيمة مع البويطي مقيّدين.

قال ابن يونس: حُمل على القول بتلك الفرية، فامتنع أن يجيب، فسجن، ومات في سجنه سنة تسع وعشرين ومائتين، وجُرّ بأقياده، فأُلقي في حفرة، ولم يكفّن، ولم يصلّ عليه... وأوصى نعيم أن يدفن في قيوده وقال: «إني مخاصم»[٢].

*** الإمام الشهيد أحمد بن نصر الخزاعي[٣]: «وكرامة له عند موته نطق رأسه بالشهادة»:**

● كان ـ رحمه اللَّه ـ أمّارًا بالمعروف، قوّالاً بالحق، من أكابر العلماء العاملين، ومن أهل العلم والديانة.

حُمِل من بغداد إلى سامرّاء مقيدًا، وجلس له الواثق، فقال له: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام اللَّه. قال: أفمخلوق هو؟ قال: كلام اللَّه. قال: فترى ربك يوم القيامة؟ قال: كذا جاءت الرواية. قال: ويحك! يُرى كما يُرى المحدود المتجسِّم، ويحويه مكان، ويحصره ناظر؟! أنا كفرتُ بمن هذه صفته. ما تقولون فيه؟ فقال: قاضي الجانب الغربي: هو حلال الدم. ووافقه فقهاء. قال الواثق: ما أراه إلا مؤديًا لكفره، قائمًا فيما يعتقده. ودعا

---

(١) «السير» (١٢/ ٥٨).

(٢) «السير» (١٠/ ٦١٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٦٧)، و«البداية والنهاية» (١٠/ ٣١٨).

بالسيف، وقام، وقال: إني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر، فضرب عنقه، بعد أن مدّوا له رأسه بحبل، وهو مقيّد.

قال الحسن بن محمد الحربي: سمعت جعفر الصائغ يقول: رأيت أحمد ابن نصر ـ حين قُتل ـ قال رأسه: لا إله إلا اللَّه. واللَّه أعلم.

وعُلّق في أذن أحمد بن نصر ورقة فيها: هذا رأس أحمد بن نصر، دعاه الإمام إلى القول بخلق القرآن، ونفي التشبيه، فأبى إلا المعاندة؛ فجعله اللَّه إلى ناره. وبقي رأسه منصوبًا ببغداد، والبدن مصلوبًا بسامرّاء، وفي رجليه زوج قيود.

* أبو محفوظ معروف الكرخي الإمام الزاهد:

رحم اللَّه إمام أهل السنة الذي يعرف للأماجد حقهم إذ يقول: «وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف».

● قال أبو بكر الزجاج: قلت لمعروف الكرخي في علته: أوص. فقال: إذا مت فتصدّقوا بقميصي هذا، فإني أحب أن أخرج من الدنيا عُريانًا، كما دخلت إليها عريانًا[1].

* عبد اللَّه بن مرزوق الزاهد:

● عن سلامة بن عبد اللَّه بن مرزوق. قال: قال عبد اللَّه بن مرزوق في مرضه: يا سلامة إن لي إليك حاجة. قلتُ: ما هي؟ قال: تحملني فتطرحني على تلك المزبلة، لعلي أموت عليها، فيرى مكاني فيرحمني[2].

---

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ٣٦٢)، و«طبقات الأولياء» (٢٨٥)، و«الرسالة القشيرية» (١/ ٦٨)، «وفيات الأعيان» (٥/ ٢٣٢)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥٦ ـ ١٥٧).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢/ ٣١٧).

*** آدم بن أبي إياس العسقلاني: «بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع»:**

● آدم بن أبي إياس من عباد اللَّه الصالحين، كان شديد التمسك بالسنّة، روى عنه الأئمة الأعلام مثل البخاري، وأبو حاتم الرازي وأبو زرعة.

● قال أبو علي المقدسي: لما حضرت آدم بن إياس الوفاة ختم القرآن، وهو مُسَجًّى، ثم قال: بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع. كنت أؤملك لهذا اليوم. كنت أرجوك، ثم قال: «لا إله إلا اللَّه»، ثم قضى[١].

*** شيخ المشرق شيخ الإسلام محمد بن أسلم الطوسي:**

● قال أبو عبد اللَّه محمد بن القاسم خادم ابن أسلم:

«دخلت عليه قبل موته بأربعة أيام، فقال: تعالى أبشِّرك بما صنع اللَّه بأخيك من الخير. قد نزل بي الموت، وقدْ مَنَّ اللَّه تعالى عليّ أنه ليس عندي درهم يحاسبني عليه.

أغلق الباب ولا تأذن لأحدٍ عليَّ حتى أموت، واعلم أني أخرج من الدنيا وليس أدع غير كسائي، ولبدي، وإنائي الذي أتوضأ فيه، وكتبي هذه، وكانت معه صرّة فيها نحو ثلاثين درهمًا، فقال: هذه لابني، أهداه له قريب له، ولا أعلم شيئا أحلّ لي منه، لأن النبي ﷺ قال: «**أنت ومالك لأبيك**»[٢] فكفنوني فيها، فإذا أصبتم لي بعشرة دراهم ما يستر عورتي فلا تشتروا بخمسة عشر، وابسطوا على جنازتي لبدي، وغطّوا عليها بكسائي، وتصدّقوا

---

(١) «تاريخ بغداد» (٧/ ٢٩)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٣٠٨)، و«الثبات عند الممات» ص(١٥٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد، وابن ماجه، وفي «الزوائد»: إسناده صحيح، ورجاله ثقات على شرط البخاري.

بإنائي، أعطوه مسكينًا يتوضأ فيه. ثم مات في اليوم الرابع»[١].

● عن محمد بن العباس السلطي: سمعتُ ابن أسلم يُنشد:

إنَّ الطَّبيبَ بطبِّه ودَوائه ... لا يَسْتَطيعُ دِفَاعَ مَقْدُورٍ أتَى

ما للطَّبيبِ يَمُوتُ بالدَّاء الذي ... قَدْ كانَ يُبْري مثله فيما مَضى

هَلَكَ المُداوي والمُداوَى والذي ... جَلَبَ الدَّواءَ وباعَهُ ومَن اشْتَرى

مات محمد بن أسلم سنة اثنتين وأربعين ومئتين بنيسابور.

● عن الحاكم قال: سمعتُ أبا النضر الفقيه، سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل العنبري يقول: كنتُ بمصر، وأنا أكتبُ بالليل كُتُبَ ابن وهبٍ، وذلك لخمسٍ بقين من المحرم سنة اثنتين وأربعين، فهتف بي هاتف، يا إبراهيم مات العبدُ الصالح محمد بن أسلم، فتعجبت من ذلك، وكتبتُه على ظهر كتابي، فإذا به قد مات في تلك الساعة[٢].

* إمام أهل السنة أحمد بن حنبل:

● قال ابنه صالح: لما كان أول ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومئتين، حُمّ أبي ليلة الأربعاء، وبات وهو محموم، يتنفس تنفّسًا شديدًا، وكنتُ قد عرفت علّته، وكنت أُمرّضه إذا اعتل، فقلت له: يا أبةِ، على ما أفطرت البارحة؟ قال: على ماء باقلَّى. ثم أراد القيام، فقال: خذ بيدي، فأخذت بيده، فلما صار إلى الخلاء، ضَعُفَ، وتوكّأ عليّ. وكان يختلف إليه غير متطبب كلهم مسلمون. فوصف له متطبب قرعة تُشوى، ويُسقى ماءها. وهذا كان يوم الثلاثاء، فمات يوم الجمعة - فقال: يا صالح، قلتُ: لبيك، قال: لا تُشوى في منزلك، ولا في منزل أخيك. وصار الفتح بن سهل إلى

---

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ٢٤١)، و«الثبات عند الممات» (ص١٦٢ - ١٦٣).
(٢) «السير» انظر ترجمة محمد بن أسلم الطوسي (١٢/ ١٩٥ - ٢٠٧).

الباب ليعوده فحجبته، وأتى ابن علي بن الجعد فحبسته، وكثر الناس. فقال: فما ترى؟ قلتُ: تأذن لهم فيدعون لك. قال: أستخير اللَّه، فجعلوا يدخلون عليه أفواجًا، حتى تمتلئ الدار، فيسألونه، ويدعون له، ويخرجون، ويدخل فوج، وكثر الناس، وامتلأ الشارع، وأغلقنا باب الزقاق.

وجاء جار لنا قد خضب، فقال أبي: إني لأرى الرجل يُحيي شيئًا من السنّة فأفرح به. فقال لي: وجِّه فاشتر تمرًا، وكفّر عني كفارة يمين. قال: فبقي في خُرَيقته نحو ثلاثة دراهم. فأخبرته، فقال: الحمد للَّه. وقال: اقرأ عليّ الوصية، فقرأتها، فأقرّها.

وكنت أنام إلى جنبه، فإذا أراد حاجة، حرّكني فأناوله، وجعل يُحرِّك لسانه، ولم يئنّ إلا في الليلة التي تُوفي فيها. ولم يزل يصلي قائمًا، أمسكه فيركع ويسجد، وأرفعه في ركوعه.

قال: واجتمعت عليه أوجاع الحصر، وغيرُ ذلك، ولم يزل عقله ثابتًا، فلما كان يوم الجمعة، لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، لساعتين من النهار تُوفي.

وقال المروذي: مرض أحمد تسعة أيام، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجًا، يسلمون ويردّ بيده، وتسامع الناس وكثروا.

وسمع السلطان بكثرة الناس، فوكّل السلطان ببابه وبباب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار، ثم أغلق باب الزقاق، فكان الناس في الشوارع والمساجد، حتى تعطّل بعض الباعة. وكان الرجل إذا أراد أن يدخل عليه، ربما دخل من بعض الدور وطرز[1] الحاكة، وربما تسلّق، وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الأبواب. وجاءه حاجب ابن طاهر، فقال: إن الأمير

(١) الموضع الذي تصنع فيه الثياب.

يُقرئك السلام، وهو يشتهي أن يراك. فقال: هذا مما أكره، وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره.

قال: وأصحاب الخبر يكتبون بخبره إلى العسكر، والبُرُد تختلف كل يوم. وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه، وجعلوا يبكون عليه. وجاء قوم من القضاة وغيرهم، فلم يؤذن لهم. ودخل عليه شيخ، فقال: اذكر وقوفك بين يدي اللَّه، فشهق أبو عبد اللَّه، وسالت دموعه.

فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين. قال: ادعوا لي الصبيان، بلسان ثقيل. قال: فجعلوا ينضمون إليه، وجعل يشمّهم ويمسح رؤوسهم، وعينه تدمع، وأدخلتُ تحته الطست، فرأيت بوله دمًا عبيطًا. فقلت للطبيب: فقال: هذا رجل قد فتّت الحزن والغم جوفه.

واشتدت علته يوم الخميس ووضَّأْتُه، فقال: خلِّل الأصابع، فلما كان ليلة الجمعة، ثقل، وقُبض صدر النهار، فصاح الناس، وعلت الأصوات بالبكاء، حتى كأنّ الدنيا قد ارتجَّت، وامتلأت السكك والشوارع.

● وعن حنبل قال: أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد اللَّه، وهو في الحبس ثلاث شعرات، فقال: هذه من شعر النبي ﷺ، فأوصى أبو عبد اللَّه عند موته أنْ يُجعَل على كل عين شعرة، وشعرة على لسانه. ففعل ذلك به عند موته[1].

● قال صالح: دخل على أبي مجاهد بن موسى، فقال: يا أبا عبد اللَّه قد جاءتك البشرى، هذا الخلق يشهدون لك، ما تُبالي لو وردت على اللَّه الساعة، وجعل يُقبِّل يده ويبكي، ويقول: أوصني يا أبا عبد اللَّه، فأشار إلى لسانه.

(١) «السير» (١١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٧).

ودخل سوَّار القاضي، فجعل يبشره ويخبره بالرخص.

رحم اللَّه إمام أهل السنة والجماعة.

● عن عبد اللَّه بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلاّ وقاه اللَّه فتنة القبر**»(١).

● عن أخي أبي عقيل القزويني قال: رأيت شابًّا تُوفي بقزوين في النوم، فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي، قلت: غفر لك؟ قال: نعم. وتعجّب، ولفلان، ولفلان. قلت: ما لي أراك مستعجلاً؟ - ورأيته مستعجلاً - قال: لأن أهل السماوات من السماء السابعة إلى السماء الدنيا قد اشتغلوا بعقد الألوية - لاستقبال أحمد بن حنبل وأنا أريد استقباله - وكان توفي أحمد في تلك الأيام(٢).

● قال الخلاّل: حدثني أحمد بن محمد بن محمود، قال: كنتُ في البحر مقبلاً من ناحية السند في الليل، فإذا هاتف يقول: مات العبد الصالح، فقلت لبعض مَن معنا: مَنْ هذا؟ قال: هذا من صالحي الجن. ومات أحمد تلك الليلة(٣).

● وقال شيخ الإسلام الأنصاري: سمعتُ بعض أهل «باخْرز»، وهي من نواحي نيسابور، يقول: رأيت كأن القيامة قد قامت، وإذا برجل على فرس به من الحُسن ما اللَّه به عليم، ومنادٍ ينادي: ألا لا يتقدمنه اليوم أحد. فقلت: مَن هذا؟ قالوا: أحمد بن حنبل(٤).

قال الذهبي: «وقد جمع ابن الجوزي فأوعى من المنامات في نحو من

(١) رواه أحمد، والترمذي، والحديث قوي بشواهده عن أنس، وجابر بن عبد اللَّه.

(٢) مقدمة «الجرح والتعديل» (١/ ٣١١).

(٣) «السير» (١١/ ٣٥٣).

(٤) «السير» (١١/ ٣٤٩).

ثلاثين ورقة. وأفرد ابن البناء جزءًا في ذلك. وليس أبو عبد اللَّه ممّن يحتاج تقرير ولايته إلى منامات، ولكنها جند من جند اللَّه تسر المؤمن ولا سيما إذا تواترت[1] .

* ولي اللَّه محمد بن نوح: «رفيق الإمام أحمد في محنته»:

● قال أبو عبد اللَّه: ما رأيت أحدًا على حداثة سنّه، وقدْر علمه أقْوم بأمر اللَّه من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد خُتم له بخير. قال لي ذات يوم: يا أبا عبد اللَّه، اللَّه اللَّه، إنك لست مثلي. أنت رجل يُقتدى بك. قد مدّ الخلق أعناقهم إليك، لـمَا يكون منك، فاتق اللَّه واثبت لأمر اللَّه، أو نحو هذا. فمات وصليت عليه، ودفنته بعانة[2] .

* الإمام الحافظ زكريا بن عديّ:

● لما احتُضِر الإمام الحافظ زكريا بن عديّ، قال: اللَّهم إني إليك مشتاق.

قال بشر: ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت، ومن زهد فيها أحب لقاء مولاه.

* الحسين بن حبّان:

● عن يحيى الأحول، قال: تلقيْنا يحيى بن معين مقدمه من مكة، فسألناه عن الحسين بن حبان، فقال: أحدثكم أنه لـمّا كان بآخر رَمَق قال لي: يا أبا زكريا: أترى ما مكتوب على الخيمة؟ قلتُ: ما أرى شيئًا. قال: بلى. أرى مكتوبًا: يحيى بن معين يقضي، أو يفصل بين الظالمين. قال: ثم خرجت نفسه[4].

---

(١) «السير» (١١/ ٣٥٣).

(٢) «السير» (١١/ ٢٤٢).

(٣) «السير» انظر: الترجمة (١٠/ ٤٤٢ ـ ٤٤٥).

(٤) «السير» (١١/ ٨٤).

*** النَّضْر بن عبد اللَّه بن حازم: «والـلَّه ما أخرج من سلطان ربي إلى غيره»:**

● عن المفضل بن غسّان، عن أبيه قال: احتُضِر النَّضْر بن عبد اللَّه بن حازم، فقيل له: أبْشِر. فقال: واللَّه ما أبالي، أَمُتُ، أم ذُهب بي إلى الأُبُلّة، واللَّه ما أخرج من سلطان ربي إلى غيره. وما نقلني ربي من حالٍ قط إلى حالٍ إلاّ كان ما نقلني إليه خيراً لي مما نقلني عنه[1].

*** أعرابي وحُسْن ظنه بربه عند موته:**

● وعن إدريس بن عبد اللَّه المروزي قال: مرض أعرابي، فقيل له: إنك تموت. قال: إلى أين يذهب بي؟ قال: إلى اللَّه. قال: فما كراهتي أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه[2].

*** للَّه درّ أبي زُرعة الرازي وحسن خاتمته:**

● ومَنْ في الناس كأبي زرعة الإمام الرباني عبيد اللَّه بن عبد الكريم.

قال عنه الإمام أحمد: اعتضت بمذاكرته عن نوافلي، وما جاوز الجسْر أحفظ من أبي زرعة.

وقال ابن راهويه: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة فليس له أصل.

قال أبو جعفر التستري: حضرنا أبا زرعة ـ يعني الرازي ـ بماشهران[3] وكان في السَّوْق، وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان، وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين وقوله ﷺ: **«لقنوا موتاكم لا**

---

(١) «حسن الظن باللَّه» ص(٤٤)، و«كتاب المحتضرين» ص(٣٧ ـ ٣٨).

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٣٨)، و«حسن الظن» ص(٤٤).

(٣) إحدى قرى الريّ.

إله إلا اللَّه»، قال: فاستحيوا من أبي زرعة وهابوه أن يلقّنوه. فقالوا: تعالوْا نذكر الحديث، فقال: محمد بن مسلم: حدثنا الضحاك بن مخلد، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح، وجعل يقول، ولم يجاوز، وقال أبو حاتم: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة ـ وهو في السَّوْق: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه دخل الجنة**»، وتُوفي ـ رحمه اللَّه ـ[(١)].

● قال حفص بن عبد اللَّه ـ باردبيل ـ اشتهيت أن أرحل إلى أبي زرعة الرازي، فلم يقدر لي، فدخلت الريّ بعد موته، فرأيته في النوم يصلي في سماء الدنيا بالملائكة، فقلت: عبيد اللَّه بن عبد الكريم؟ قال: نعم! قلت: بم نلت هذا؟ قال: كتبت بيدي ألف ألف حديث، أقول فيها عن النبي ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: «**من صلىّ عليّ صلاة صلىّ اللَّه عليه عشرًا**»[(٢)].

● وعن محمد بن مسلم بن وارة قال: رأيت أبا زرعة في المنام، فقلت له: ما حالك يا أبا زرعة؟ قال: أحمد اللَّه على الأحوال كلها، إني أحضرت فوقفت بين يدي اللَّه تعالى، فقال لي: يا عُبيد اللَّه بم تذرعت في القول في عبادي؟ قلت: يا رب إنهم خاذلوا دينك، فقال: صدقت، ثم أتى بأبي طاهر الحلقاني فاستعديت عليه إلى ربي تعالى، فضرب الحدّ مائة، ثم أمر به إلى الحبس، ثم قال: ألحقوا عبيد اللَّه بأصحابه، بأبي عبد اللَّه، وأبي عبد اللَّه، وأبي عبد اللَّه، سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل[(٣)].

---

(١) «تاريخ بغداد» (١/ ٣٣٥)، و«الثبات عند الممات» ص(١٦٢).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٣٦).

(٣) «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٣٦).

*** أبو حاتم الرازي : «وما ظهر له من سيد عمله عند وفاته»:**

● قال ابن أبي حاتم الرازي: حضرت أبي - رحمه اللَّه - وكان في النزع وأنا لا أعلم فسألته عن عقبة بن عبد الغافر يروي عن النبي ﷺ : له صحبة؟ فقال برأسه: لا، فلم أقنع منه، فقلت: فهمت عني: له صحبة؟ قال: هو تابعي.

قلت: فكان سيد عمله معرفة الحديث وناقلة الآثار فكان في عمره يقتبس منه ذلك، فأراد اللَّه أن يظهر عند وفاته ما كان عليه في حياته[1] .

*** أستاذ الأستاذين الإمام البخاري:**

● قال قتيبة بن سعيد: لو كان محمد بن إسماعيل في الصحابة لكان آية.

● قال ابن عدي: سمعتُ عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خَرتنك - قرية - على فرسخين من سمرقند وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، فسمعتُه ليلةً يدعو، وقد فرغَ من صلاةِ الليل: اللَّهم إنه قد ضاقت عليَّ الأرضُ بما رَحُبَتْ، فاقبضني إليك فما تم الشهرُ حتى مات. وقبره بخرتنك.

● وقال محمد بن أبي حاتم: سمعتُ أبا منصور غالب بن جبريل، وهو الذي نزل عليه أبو عبد اللَّه يقول: إنه أقام عندنا أيامًا، فمرض واشتدّ به المرضُ حتى وجه رسولاً إلى مدينة سمرقند في إخراج محمد، فلما وافى تهيَّأ للركوب، فلبس خُفَّيه، وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوةً أو نحوها، وأنا آخذ بعضُده، ورجلٌ آخر معي يقودُه إلى الدابة ليركبها، فقال - رحمه اللَّه -: أرسلوني، فقد ضعفتُ، فدعا بدعواتٍ، ثم اضطجع

---

(١) مقدمة «الجرح والتعديل» (١/ ٣٦٧ - ٣٦٨).

فقضي ـ رحمه اللَّه ـ. فسال منه العرقُ شيء لا يُوصف. فما سكن منه العَرقُ إلى أن أدرجناه في ثيابه. وكان فيما قال لنا، وأوصى إلينا أن كفنوني في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميصٌ ولا عمامة ففعلنا ذلك، فلما دفناه فاح من تُراب قبره رائحةٌ غاليةٍ أطيب من المسك، فدام ذلك أيام ثم علت سَوَاري بيضٌ في السماء مستطيلةٌ بحذاءِ قبرِه، فجعل الناسُ يختلفون ويتعجبون، وأما الترابُ فإنهم كانوا يرفعونَ عن القبر، حتى ظهر القبر ولم نكن نقدر على حفظ القبر بالحراس. وغُلِبنا على أنفسنا، فنصبنا على القبر خشبًا مشبَّكًا لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر فكانوا يرفعون ما حول القبر من التراب، ولم يكونوا يخلُصون إلى القبر.. وأما ريح الطيب فإنه تداوم أيامًا كثيرة، حتى تحدث أهلُ البلدة وتعجبوا من ذلك، وظهر عند مُخالفيه أمْرُه بعد وفاته، وخرج بعض مُخالفيه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذمومِ المذهب.

● وقال محمدُ بن محمد بن مكي الجُرجاني: سمعتُ عبد الواحد بن آدم الطواويسيَّ يقول: رأيتُ النبي ﷺ في النوم، ومعه جماعةٌ من أصحابه، وهو واقفٌ في موضعٍ، فسلمتُ عليه، فرد عليَّ السلام فقلتُ: ما وُقوفك يا رسول اللَّه؟ قال: أنتظر محمدَ بن إسماعيل البخاري، فلما كان بعد أيامٍ بلغني موتُهُ، فنظرتُ فإذا قد مات في الساعة التي رأيتُ النبي ﷺ فيها.

● وقال محمد بن أبي حاتم: سمعتُ أبا ذر يقولُ: رأيتُ محمد بن حاتم الخلقانيَّ في المنام، وكان من أصحاب محمد بن حفص، فسألتُه ـ وأنا أعرف أنه ميّت ـ عن شيخي ـ رحمه اللَّه ـ، هل رأيته؟ قال: نعم رأيتُه وهو ذاكَ، يُشير إلى ناحيةِ سطحٍ من سطوح المنزل. ثم سألتُه عن أبي عبد اللَّه محمد بن إسماعيل، فقال: رأيتُه، وأشار إلى السماء إشارةً كاد أن يسقط منها لعلوِّ ما يُشير[1].

---

(١) «السير».

* موت الدارمي:

● قال إسحاقُ بن أحمد بن خلف: كنا عند محمد بن إسماعيل البخاري فورد عليه كتاب فيه نعي عبد اللَّه بن عبد الرحمن، فنكس رأسه، ثم رفع واسترجع، وجعل تسيلُ دموعُه على خديه، ثم أنشأ يقولُ:

إن تَبْقَ تُفْجَعْ بالأحِبَّةِ كُلِّهِمْ   وفَنَاءُ نَفْسِكَ لا أبا لَكَ أفْجَعُ[1]

* الزاهد الرباني أحمد بن خِضَرَوَيه: «باب كنت أقرعه منذ خمسٍ وتسعين سنة»:

● عن محمد بن حامد قال:

كنت جالسًا عند أحمد بن خضرويه، وهو في النزع، فسُئِل عن مسألة فدمعت عيناه. وقال: يا بني! باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة، هو ذا يفتح لي الساعة. ولا أدري انفتح لي بالسعادة أم بالشقاوة، وأنَّى لي بالجواب.

وكان قد ركبه من الدين سبعمائة دينار، وحضر غرماؤه، فنظر إليهم، وقال: اللَّهم إنك جعلت الرهون وثيقة، فأدِّ عني. قال: فدقّ داق الباب. وقال: أهذه دار أحمد بن خضرويه؟ فقالوا: نعم! قال: فأين غرماؤه؟ قال: فخرجوا، فقضى عنه، ثم خرجت روحه[2] .

* محمد بن عبد اللَّه بن جعفر الزهري: «يموت في الصلاة»:

● كان هذا العبد الصالح جارًا لأحمد بن حنبل «وكان قائمًا يصلي فخرّ ميتًا»[3] ـ رحمه اللَّه ـ.

---

(١) انظر: ترجمة الدارمي «السير» (١٢/ ٢٢٤ ـ ٢٣٢).
(٢) «حلية الأولياء» (١٠/ ٤٢)، و«الثبات عند الممات» ص(١٧٠)، و«السير» (١١/ ٤٨٨).
(٣) «المقصد الأرشد» (٢/ ٤٢١).

*** وأبو الحسن العكبري يموت وهو يصلي:**

هذا الشيخ الزاهد الفقيه الأمّار بالمعروف، والنهّاء عن المنكر، كان كثير الصلاة، حسن التلاوة للقرآن، «توفي فجأة في الصلاة في رمضان»[1]

*** وجعفر بن الحسن المقرئ يموت وهو ساجد:**

● جعفر بن الحسن الدَّرزيجاني الأمار بالمعروف، ذو المقامات المشهورة في ذلك، والمهيب بنور الإيمان واليقين لدى الملوك والمتصرفين صحب القاضي أبا يعلى وتفقّه عليه «توفي في الصلاة ساجدًا»[2].

*** ذو النون المصري شيخ المحبين الزهاد الورعين العباد: «أموت وما ماتت إليك صبابتي»:**

● للَّه ما أحلى حاله وكلامه، للَّه ما أحلى إشارته، وللَّه دره عند موته.

● قال فتح بن شخرف: دخلتُ على ذي النون عند موته، فقلت: كيف تجدك؟ فقال:

أموتُ وما ماتتْ إليك صبابتي ... ولا رويت من صدْق حبِّك أَوْطَاري

مُنايَ المُنى كلُّ المُنى أنتَ لي مُنيً ... وأنت الغِنَى كلُّ الغِنَى عند إقتاري

وأنت مدى سؤْلي وغايةُ رغبتي ... ومَوْضِعُ آمالِي ومكنونُ إضماري

تحمّلَ قلبي فيك ما لا أبثُّهُ ... وإن طال سقمي فيك أو طال إضراري[3]

وبين ضلوعي منك ما لا أبثُّه ... ولم أُبْدِ باديه لأهلٍ ولا جارِ

---

(١) «المقصد الأرشد» (٢/ ٢٢١)، و«شذرات الذهب» (٣/ ٣٣١).

(٢) «المقصد الأرشد» (١/ ٢٩٧)، و«شذرات الذهب» (٤/ ١٥).

(٣) في «صفة الصفوة»:

تضمن قلبي منك ما لك قد بدا ... وإن طال سري فيك أو طال إظهاري

سَرائرُ لا تخفي عليك خَفيُّها ... وإن لم أَبْح حتى التَّنادي بأَسرارِي

فَهَبْ لي نَسيمًا منك أحيا برُوحه ... وَجُدْ لي بيُسْرٍ منك يطرُدِ إعْسَاري

أنرتَ الهُدى للمهتدين ولم يكن ... من العلم في أيديهمُ عُشْرَ معْشَارِ

وعلَّمتهم علمًا فباتُوا بنوره ... وبان لهم منه معالم أسرارِ

معاينة للغيب حتى كأنها ... لما غاب عنها منه حاضرة الدار

فأبصارهم محجوبةٌ، وقلوبهم ... تراك بأوهامٍ حَديداتِ أبصارِ

ألستَ دليلَ المرء إنْ هُم تحيّروا ... وعصمة من أمسى على جرف هار

قال الشيخ ابن شخرف: فلما ثقل، قلت له: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

وما لي سوى الإطراق والصمت حيلةٌ ... ووضعي على خدِّي يدي عند تذكاري

وإنْ طرقتْني عبرةٌ بعد عَبرةٍ ... تجرّعتها حتى إذا عِيلَ تَصْباري

أفضتُ دموعًا جمَّةً مستهلة ... أطفئ بها حَرًّا تضمَّنَ أسراري

ولستُ أبالي فائتًا بعد فائتٍ ... إذا كنت في الدارين يا واحدي جاري[1]

* **الحسن الغلاس ـ رحمه اللَّه ـ: «لقد أعطاني ما يتنافس فيه المتنافسون»:**

● قال وهب بن نعيم بن الهيضم: لما اشتد الأمر بحسن الغلاس، طلب ماء فشرب، وقال: لقد أعطاني ما يتنافس فيه المتنافسون[2].

* **إبراهيم بن هانئ النيسابوري عند موته يقول: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾:**

● قال الخطيب: «كان أحد الأبدال»[3].

---

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ٣٩٠)، و«صفة الصفوة» (٤/ ٣٢٠)، و«الثبات عند الممات» ص(١٦٤ ـ ١٦٥).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٦٧).

(٣) «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٠٤).

● وقال فيه الإمام أحمد بن حنبل: «إن يكن أحد ممّن يُعرف من الأبدال فإبراهيم بن هانئ».

وقال: إن كان ببغداد رجل من الأبدال فأبو إسحاق النيسابوري(١).

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: كان أحمد بن حنبل مختفيًا ها هنا عندنا في الدار، فقال لي أحمد بن حنبل: لست أطيق ما يطيق أبوك ـ يعني: من العبادة.

هذا الإمام العلم مات وهو صائم.

● قال أبو بكر النيسابوري: «حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته فجعل يقول لإبنه إسحاق: يا إسحاق ارفع الستر. قال: يا أبت: الستر مرفوع.

قال: أنا عطشان فجاءه بماء، قال: هل غابت الشمس؟ قال: لا، قال: فرُدَّه، ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾، ثم خرجت روحه».

وفي «صفة الصفوة»: «فدعا ابنه إسحاق قال: هل غربت الشمس؟ قال: لا، ثم قال: يا أبت رُخص لك في الإفطار في المرض في الفرض، وأنت متطوع!، قال: أمهل. ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ثم خرجت روحه»(٢).

* الجنيد بن محمد شيخ وقته ونسيج وحده:

● قال أبو بكر العطار: حضرت الجنيد عند الموت في جماعة لأصحابنا، فكان قاعدًا يصلي، ويثني رجليه كلما أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله، فثقل عليه حركتها، فمد رجليه، وقد تورمتا، فرآه بعض أصدقائه، فقال: ما هذا يا أبا القاسم، قال: هذه نعم، اللَّه أكبر، فلما

(١) «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٠٥).

(٢) «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٠٦)، و«صفة الصفوة» (٢/ ٤٠١).

فرغ من صلاتـه، قال له أبو محمد الحريـري: لو اضطجعت يا أبـا القاسم. قال: يا أبا محمد، هذا وقت يؤخذ منه، اللَّه أكبر. فلم يزل ذلك حاله حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ[١].

● وقال أبو بكر العطوي: كنتُ عند الجُنـيد لما احتُضر، فختم القرآن ثم ابتدأ سورة البقرة، فتلا سبعين آيةً ومات.

● قال الخلدي: رأيتُه في النوم، فقلت: ما فعل اللَّهُ بك؟ فقال: طاحت تلك الإشـارات وغابت تلك العـبارات، وفنيت تـلك العلوم، ونفـدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعاتٌ كنا نركعُها في الأسحار[٢].

* عمرو بن عثمان المكي:

● قال عثمـان بن سهل: دخلت على عـمرو بن عثمان المكي فـي علّته التي تُوفي فيـها، فقلت له: كيف تجدك؟ قال: أجد سـري واقفًا مثل الماء لا يختار النُّقلة ولا المقام[٣].

* خير النسّاج: «دعني أمضي لما أُمِرت به»:

أبو الحسن خير بن عبد اللَّه النساج صحب الجنيد.

● قال أبو نعيم الحافظ: سمعت علـي بن هارون الحربي يحكي عن غير واحد ممن حضر موت خير النساج من أصحابه.

أنه غشي عليـه عند صلاة المغرب، ثم أفاق ونظر إلى ناحـية من البيت، وقال: قف ـ عافاك اللَّه ـ فإنما أنت عبـد مأمور، وأنا عبد مأمور، وما أمرتَ به لا يفوتـك، وما أُمرتُ به يفوتنـي، فدعني أمضي لما أُمـرت به، ودعا بماء

---

(١) «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٨١)، و«الثبات عند الممات» ص(١٦٨ ـ ١٦٩).

(٢) «السير».

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ٤٤٠)، و«الثبات عند الممات» ص(١٦٩).

فتوضأ للصلاة، ثم صلى، ثم تمدد وغمَّـض عينيه وتشهد فمات، فرآه بعض أصحابه في المنـام، فقال له: ما فعل اللَّه بك؟ قال: لا تـسأل عن هذا ولكن استرحت من دنياكم[1].

* إبراهيم الخواص:

- الإمام العابد ومن له الباع الطويل في التوكل:
- قال محمد بن عبد اللَّه الرازي:

مرض إبراهيم الخوّاص بالريّ في الجامـع، وكان به علة القيام، فكان إذا قام يـدخل الماء ويغـتسل ويعـود إلى المسـجد، فركع ركـعتين. فدخـل الماء ليغتسل، فخرجت روحه وهو في وسط الماء[2].

* يوسـف بن الحسين الـرازي: «هبْ لـي غشّي لـنفـسي لـنصـحي لخلقك»:

- شيخ الريّ والجبال، نسيج وحده في إسقاط التصنع.

كان ـ رحمه اللَّه ـ يـقول: «لأن ألقى اللَّه تعالى بجمـيع المعاصي أحبّ إليّ من أن ألقاه بذرّة من التصنع».

- قال أبو عبد اللَّه الخنقاباذي:

حضرنا يوسف بن الحسين الرازي، وهو يجـود بنفسـه، فقـيل له: يا أبا يعقوب، قل شيئًا.

فقال: اللَّهم نصـحت خلقك ظاهرًا، وغششت نفسـي باطنًا، فهب لي

---

(١) «تـاريخ بـغـداد» (٨/ ٣٤٧)، و«الحلـيـة» (١/ ٣٠٧)، و«صفـة الـصفـوة» (٢/ ٤٥٣)، و«الثبات» ص(١٧١).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٧٢).

غشي لنفسي لنصحي لخلقك، ثم خرجت روحه[١].

*** علي بن بابويه الصوفي يموت وهو يطوف:**

● لما هجم أبو طاهر القرمطي في سنة سبع عشرة وثلثمائة على الحاج بمكة، دخل يوم التروية، فقتل الحاج في المسجد الحرام، وفي فجاج مكة، وفي البيت قتلاً ذريعًا، وكان الناس يطوفون، فيقتلون.

وكان علي بن بابويه يطوف، فما قطع الطواف فضربوه بالسيوف فلما وقع أنشد:

ترى المُحِبِّينَ صَرْعى في ديارهمُ ... كفتيةِ الكهف لا يدرون كم لَبِثُوا[٢]

*** أبو القاسم عبد الصمد بن عمر بن محمد الزاهد الواعظ: «يا سيدي لليوم خبّأتك، ولهذه الساعة اقتنيتك»:**

● قال ابن الجوزي: «قال أبو الوفاء بن عقيل ونقلته من خطّه، قال بعض أصحاب عبد الصمد: حضرته عند موته، وهو يقول: يا سيدي لليوم خبّأتك، ولهذه الساعة اقتنيتك، حقّقْ حسن ظني فيك[٣].

*** إمام المفسرين وشيخهم ابن جرير الطبري: «يكثر من التشهد والذكر»:**

● حضر وقت موته جماعةٌ منهم: أبو بكر بن كامل، فقيل له قبل خروج روحه: يا أبا جعفر! أنت الحُجةُ فيما بيننا وبين اللَّه فيما ندينُ به، فهل من شيء توصينا به من أمر ديننا، وبينةٍ لنا نرجو بها السلامة في معادنا؟

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣١)، و«الثبات عند الممات» ص(١٧٣).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٧٥)، و«البداية والنهاية» (١١/ ١٦٠).

(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ٤٨١)، و«الثبات عند الممات» ص(١٧٥ ـ ١٧٦).

فقال: الذي أدينُ اللَّه بـه وأوصيكم هو ما ثبت في كُتُبي فاعـملوا به وعليه، وكلامًا هذا مـعناه، وأكثر من التشـهد وذكر اللَّه عز وجل، ومسـح يدهُ على وجهه، وغمض بصره بيده وبسطها، وقد فارقت روحُهُ الدنيا[١] .

*** شيخ الحـنابلة أبو يعـلى محمد بن الحسين بن الفرّاء: «غزل كـفنه بنفسه»:**

● قال ابـن الجوزي: انتـهى إليـه مذهب أحمـد، وكان متـعبدًا حـسن السمعة، فـلما احتُضِر غزل أكفـان نفسه، وأوصى أن لا يُكفّن بـغيرها، ولا يخرق عليه ثوب، ولا يقعد لعزاء[٢] .

*** أبو حكيم الخبري: «إنْ كان هذا موتًا، فواللَّه إنه موت طيّب»:**

رحم اللَّه أبا حكيم عبد اللَّه بن إبراهيم الخبري. الفقيه الشافعي.

● قال ابن الجوزي: «حدثـني أبو الفضل بن ناصر عن جـده أبي حكيم الخبري أنه كان قاعدًا ينسخ، فوقـع القلم من يده، وقال: إنْ كان هذا موتًا، فواللَّه إنه موت طيّب، فمات[٣] .

*** أبو الخطّاب الكَلْوَذاني إمام الحنابلة:**

الإمام محفوظ بن أحمد بن الحسن الكَلْوَذاني:

كان الكياهراسي إذا رآه مقبلاً، قال: جاء الفقه.

● قال ابن الجوزي: «حـدثني عمر بن هديّـة الصـوّاف قـال: بتُّ عند أبي الخطاب ليلة موته، وهو طيب النفْس بالموت فخضبته بالحنّاء ومات»[٤] .

---

(١) «السير» (١٤/ ٢٧٦).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٧٦).

(٣) «الثبات عند الممات» ص(١٧٦).

(٤) «الثبات عند الممات» ص(١٧٧).

*** شيخ الحنابلة أبو الوفاء بن عقيل: «دعوني أتهنّى لمقابلته»:**

صاحب كتاب «الفنون» الذي قال فيه الذهبي: «لم يصنف في الدنيا أكبر منه».

● قال ابن الجوزي: «لما احتضر ابن عقيل بكى أهله، فقال لهم: لي خمسون سنة أُوقِّع عنه فدعوني أتهنّى لمقابلته»[1].

*** أبو بكر النقاش:**

شيخ القرّاء:

● قال الخطيب: سمعتُ ابن الفضل القطان يقول: حضرتُ النقاش وهو يجود بنفسه في ثالث شوال سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة، فنادى بأعلى صوته ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾ [الصافات: ٦١]، يُردّدها ثلاثًا. ثم خرجتْ نفسه ـ رحمه اللَّه ـ[2].

*** الإمام الحافظ شيخ أهل خراسان أبو محمد أحمد بن عبد اللَّه المغفلي المزني:**

● قال الحاكم: سمعت ابنه بشرًا يقول: آخرُ كلمةٍ تكلم بها أن قَبَضَ على لحيته ورفع يده اليُمنى إلى السماء، وقال: ارحم شيبة شيخٍ جاءك بتوفيقك على الفطرة.

● قال الحاكم: وسمعتُ أبا الفضل السليماني ـ وكان صالحًا ـ يقول: رأيت أبا محمد المُزني في المنام بعد وفاته بليلتين، وهو يتبخترُ في مشيته،

---

(١) «المنهج» الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد (٢/ ٢٢٩)، و«الثبات عند الممات» ص(١٧٨).

(٢) «السير» (١٥/ ٥٧٦).

ويقول بصوتٍ عالٍ: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [القصص: ٦٠][(١)].

* الحافظ ابن منده الإمام ابن الإمام ابن الإمام:

قال عنه أبو نُعيم الأصبهاني: كان جبلاً من الجبال.

● قال الباطِرْقاني: وكنتُ مع أبي عبد اللَّه في الليلة التي تُوفي فيها، ففي آخر نفسه قال واحد منا: لا إله إلا اللَّه - يُريد تلقينه - فأشار بيده إليه دفعتين ثلاثة. أي: اسكت يُقالُ لي مثلُ هذا؟![(٢)].

* شيخ الشافعية ابن الإسماعيلي إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم:

قال عنه حمزة السهمي: كان أبو سعيد إمام زمانه... تخرّج به جماعة مع الورع الثخين، والمجاهدة والنصح للإسلام والسخاء وحسن الخلق. وبالغ السهمي في تاريخه.

● توفي سنة ست وتسعين وثلاث مئة فتوفي إكرامًا من اللَّه له في صلاة المغرب وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ففاضت نفسه - رحمه اللَّه -[(٣)].

* الإمام الحافظ أبو الوليد ابن الفَرَضي، مصنف «تاريخ الأندلسيين»:

● قال أبو عمر بن عبد البر: كان فقيهًا حافظًا عالمًا في جميع فنون العلم في الحديث والرجال، أخذت معه عن أكثر شيوخي، وكان حسن الصحبة والمعاشرة، قتلته البربر، وبقي مُلقًى في داره ثلاثة أيام[(٤)]. ووري متغيرًا من

---

(١) «السير» (١٦/ ١٨٢ - ١٨٤).

(٢) «السير».

(٣) «السير» (١٧/ ٨٨).

(٤) انظر: الترجمة في «السير» (١٧/ ١٧٧- ١٨٠).

غير غسل ولا كفن ولا صلاة.

عن عليّ بن أحمد الحافظ، أخبرني أبو الوليد بن الفرضي قال: تعلقت بأستار الكعبة، وسألت اللَّه تعالى الشهادة، ثم فكرتُ في هول القتل فندمتُ، وهممتُ أن أرجع، فأستقيل اللَّه ذلك، فاستحييتُ. قال الحافظُ عليّ: فأخبرني من رآه بين القتلى، ودنا منه، فسمعه يقول بصوت ضعيف: **«لا يُكْلَمُ أحدٌ في سبيل اللَّه، واللَّه أعلمُ بمن يُكلمُ في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجُرحُهُ يَثْعَبُ دمًا، اللونُ لونُ الدم، والريحُ ريحُ المِسكِ»**. كأنه يُعيدُ على نفسه الحديث، ثم قضى على إثرِ ذلك ـ رحمه اللَّه ـ.

وله شعر رائق فمنه:

أسيرُ الخَطَايا عند بابِكَ واقف ... على وَجَلٍ ممّا بهِ أنت عارفُ

يَخَافُ ذُنُوبًا لم يغب عنك غيبُها ... ويرجُوكَ فيها فَهْوَ راجٍ وخائفُ

ومن ذا الذي يرجُو سواك وَيَتَّقي ... وما لكَ في فصل القضاءِ مُخالفُ

فيا سَيِّدي! لا تُخزني في صَحيفَتي ... إذا نُشِرت يوم الحِسَابِ الصَّحَائِفُ(١)

*** بطل الإسلام طغان خان التركي: «اللَّهم عافني لأغزوهم، ثم توفني إن شئت»:**

التركيُّ، صاحب تُركستان، وبلاساغُون(٢)، وكاشْغر(٢)، وخُتَن(٢)، وفاراب(٢).

---

(١) «السير» (١٧/ ١٨٠).

(٢) بلد عظيم في ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر.

وكاشغر: هي: مدينة وقرى ورساتيق، وهي في وسط بلاد الترك.

وختن: بلد دون كاشغر، وهي في واد بين جبال في وسط بلاد الترك.

وفاراب: ولاية وراء نهر سيحون، وهي أبعد من الشاش.

قصدته جيوش الصين والخَطَا[١] ، في جَمعٍ ما سُمع بمثله حتى قيل: كانوا ثلاثَ مئة ألف.

وكان مريضًا فقال: اللَّهم عافني لأغزُوَهم، ثم توفني إن شئتَ فُعوفيَ، وجمع عساكرهُ، وساق، فبيتهم، وقتل منهم مئتي ألف وأسر مئة ألف، وكانت ملحمةً مشهودة في سنة ثمان وأربع مئة، ورجعَ بغنائم لا تُحصى إلى بلاساغُون، فتوفّاه اللَّه عقيب وصوله وكان ديّنا عادلاً بطلاً شجاعًا[٢] .

*** حجة الإسلام أبو حامد الغزَّالي: «سمعًا وطاعة للدخول على الملِك»:**

● قال أخوه أحمد: «لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد، وصلى، وقال: عليّ بالكفن، فأخذه وقبّله، وتركه على عينيه، وقال: سمعًا وطاعة للدخول على الملك، ثم مدّ رجليه، واستقبل القبلة، ومات قبل الإسفار[٣] .

ورثاه الأبيوردي بأبيات منها.

مضى وأعظمُ مفقودٍ فُجعتُ به ... مَنْ لا نظير له في الناس يخلفُهُ

وتمثّل الإمام إسماعيل الحاكمي بعد وفاته بقول أبي تمام من جملة قصيدة مشهورة:

عجبتُ لصبري بعده وهو ميّتٌ ... وكنت امرءًا أبكي دمًا وهو غائب

على أنها الأيامُ قد صِرْن كلُّها ... عجائبَ حتى ليس فيها عجائب[٤]

---

(١) الخطا: يطلق على بلاد متاخمة للصين يسكنها جنس من الترك، وقد أسسوا دولتهم في القرن السادس الهجري.

(٢) «السير» (١٧/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٣) «الثبات عند الممات» ص(١٧٨ ـ ١٧٩).

(٤) «وفيات الأعيان» (٤/ ٦٠ ـ ٦١).

رواية عجز البيت قبل الأخير في الديوان هي: **وقد كنت أبكيه دمًا وهو غائبُ**

*** الإمام محيي الدين أبو سعد محمد بن يحيى النيسابوري:**

● الفقيه الشافعي؛ أستاذ المتأخرين وأوحدهم علمًا وزهدًا، تفقّه على حجة الإسلام الغزالي وانتهت إليه رياسة الفقهاء في نيسابور.

قال فيه الشاعر:

رفاتُ الدين والإسلام يحيا ... بمحيي الدين مولانا ابن يحيى

كأن اللَّه ربَّ العرش يلقي ... عليه حين يُلقي الدرس وَحْيا

توفي شهيدًا في شهر رمضان، سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، قتلته الغزّ[1].

لما استولوا على نيْسابور في وقعتهم مع السلطان سنجر السلجوقي، أخذته ودَسّتْ في فيه التراب حتى مات.

ولما مات رثاه جماعة من العلماء، من جملتهم أبو الحسن علي بن أبي القاسم البيهقي، قال فيه:

يا سافكًا دمَ عالمٍ متبحر ... قد طار في أقصى الممالك صِيتُهُ

تاللَّه قل لي يا ظلوم ولا تخف ... من كان محيي الدين كيف تميته[2]

*** أبو العباس بن الرطبي:**

● قال ابن الجوزي: «حكى عنه رفيقنا ابن شبانة ـ كان من أصحابه ـ أنه كان عند موته يوصي ويقول: افعلوا كذا وكذا وصية من لا يكترب بالموت ولا يغتم به، وكأنه تنقّلَ من دارٍ إلى دار[3]».

---

(١) قوم من الترك.

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ٦٣ ـ ٦٥).

(٣) «الثبات عند الممات» ص(١٧٩).

*** أبو بكر بن حبيب: «الحمد للَّه هذه علامة المؤمن»:**

ابن الخباز محمد بن عبد اللَّه بن حبيب العامر.

كان يأمر بالإخلاص، وحسن القصد.

قال عنه ابن الجوزي تلميذه:

«سمع الحديث وتفقّه، وكان يُدَرِّس ويعظ، وكان نعم المؤدب.

فلما احتُضِر قال له أصحابه: أوصنا، فقال: أوصيكم بثلاث: بتقوى اللَّه عز وجل، ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا، فقد عشت إحدى وستين سنة، وما كأني رأيت الدنيا، ثم قال لبعض إخوانه: انظر: هل ترى جبيني يعرق؟ فقال: نعم، فقال: الحمد للَّه هذه علامة المؤمن. يريد بذلك قول رسول اللَّه ﷺ: «**المؤمن يموت بعرق الجبين**»، ثم بسط يده عند الموت وقال:

ها قد مددت يدي إليك فردّها بالفضل لا بشماتة الأعداء[1]

*** الحافظ عبد الوهاب الأنماطي: «إن اللَّه لا يُتّهَم في قضائه»:**

محدث بغداد في عصره عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد.

• قال ابن الجوزي: «كان على قانون السلف، لم تسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجرًا على سماع الحديث».

وقال عنه: «قد نصب نفسه لتسميع الحديث طول النهار، وكنت أقرأ الحديث وهو يبكي فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته من آثاره».

وقال ابن الجوزي أيضًا: «دخلت عليه في مرضه ـ وقد ضنى جسمه ـ وهو ساكن صابر، فقال لي: إن اللّه لا يُتَّهَمُ في قضائه»[2].

---

(١) «الثبات عند الممات» ص(١٧٩ ـ ١٨٠).

(٢) «الثبات عند الممات» ص(١٨٠).

*** الإمام الأوحد، العلامة المفتي، الحافظ، الخطيب البغدادي:**

أوصى ـ رحمه اللَّه ـ بأن يُتصدق بجميع ثيابه:

« قال أبو البركات إسماعيل بنُ أبي سعد الصوفيّ: كان الشيخ أبو بكر بن زهراء الصُّوفي بِرباطِنا، قد أعدَّ لنفسه قبرًا إلى جانب قبر بشرٍ الحافي، وكان يَمضي إليه كل أسبوع مرةً، وينام فيه، ويتلو فيه القرآن كُلَّه، فلما مات أبو بكر الخطيب، كان قد أوصى أن يُدفن إلى جنب قبر بشر، فجاء أصحاب الحديث إلى ابن زهراء، وسألوه أن يدفنوا الخطيب في قبره، وأن يؤثره به، فامتنع، وقال: موضع قد أعددته لنفسي يُؤخذ مني! فجاؤوا إلى والدي، وذكروا له ذلك فاحضر ابن زهراء وهو أبو بكر أحمد بن علي الطُّرَيْثيثيُّ، فقال: أنا لا أقول لك أعطهم القبر، ولكن أقول لك: لو أن بشرًا الحافي في الأحياء وأنت إلى جانبه، فجاء أبو بكر الخطيب ليقعد دونك، أكان يحسن بك أن تقعد أعلى منه؟ قال: لا، بل كنت أجلسه مكاني. قال: فهكذا ينبغي أن تكون الساعة، قال: فطاب قلبه وأذن»[1] .

*** شيخ الإسلام العلامة القدوة الفقيه نصر بن إبراهيم صاحب كتاب «الحجة على تارك المَحَجّة»:**

قال الحافظ ابن عساكر: كان فقيهًا، إمامًا، زاهدًا، عاملاً، لم يقبل صلة من أحد بدمشق، بل كان يقتات من غلة تحمل إليه من أرض نابلس، فيخبزُ له كل يوم قُرْصة في جانب الكانون، حكى لنا ناصر النجار ـ وكان يخدمه ـ من زهده وتقلّله وتركه الشهوات أشياء عجيبة .

● حكى الفقيه نصر[2] عن شيخه نصر أنه قبل موته بلحظة سمعه وهو

---

(١) «السير» انظر: ترجمة الخطيب (١٨/ ٢٧٠ ـ ٢٩٧).

(٢) يعني: نصر اللَّه المصيصي.

يقول: يا سيدي أمهلوني، أنا مأمور وأنتم مأمورون، ثم سمعت المؤذن بالعصر، فقلت: يا سيدي المؤذِّنُ يُؤذِّن، فقال: أجْلِسني، فأجلستُه فأحرم بالصَّلاة، ووضع يدَه على الأُخرى وصلَّى، ثم تُوفي مِن ساعته، ـ رحمه اللَّه ـ[1].

* شيخ الإسلام الإمام الزاهد الخيِّر أبو الوقت السجزي:

الإمام عبد الأول بن أبي عبد اللَّه، عيسى بن شعيب.

قال ابن الجوزي «كان صبوراً على القراءة، وكان صالحًا كثير الذكر والتهجد والبكاء على سمت السلف، وعزم عام موته على الحج، وهيّأ ما يحتاج إليه فمات».

وهو آخر من روى في الدنيا عن الداودي:

● قال ابن الجوزي: «حدثني أبو عبد اللَّه التكريتي: لما احتُضر عبد الأول أسندته إليّ فكان آخر كلمة قالها: ﴿**قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**﴾ [يس: ٢٦ ـ ٢٧].

● قال الشيخ يوسف بن أحمد الشيرازي في كتابه «أربعين البلدان»:

«لَمْ أزل في صُحبته وخدمته إلى أن تُوفي ببغداد، قال لي: تدفنني تحت أقدام مشايخنا بالشُّونيزيَّة، ولما احتُضِر سَنَدْتُه إلى صدري، وكان مُسْتَهتَرًا[2] بالذكر، فدخل عليه محمد بن القاسم الصوفي، وأكبَّ عليه، وقال: يا سيدي، قال النبي ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه دخل الجنة**» فرفع طرفه إليه، وتلا ﴿**قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**﴾ [يس: ٢٦ ـ ٢٧]. فدهش إليه هو ومن حضر من الأصحاب، ولم يزل يقرأ حتى ختم السورة، وقال: اللَّه اللَّه اللَّه، وتوفي

---

(١) «السير» (١٩/ ١٤٣).

(٢) أي: مولع به.

وهو جالس على السجادة، سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة»[١] .

*** الشيخ أبو محمد بن الخشّاب عبد اللَّه بن أحمد البغدادي«عند اللَّه أحتسب نفسي»:**

● قال ابن الجوزي: « دخلت عليه وهو في مرض موته، وهو ساكن غير منزعج فقال لي: عند اللَّه أحتسب نفسي»[٢] .

*** شيخ الإسلام هيّاج بن عُبيد رُزق الشهادة فطوبى له:**

الإمام الزاهد الفقيه الشافعي شيخ الحرم، أبو محمد الشامي الحِطّيني.

● قال ابن طاهر: رزق الشهادة في كائنة بين السنة والرافضة، وذلك أن بعض الرافضة شكى إلى أمير مكة أن أهل السنة ينالون منا، فأنفذ، وطلب هيّاجًا وآبا الفضل بن قوام وابن الأنماطي وضربهم، فمات هذان في الحال، وحُمِل هيّاج فمات بعد أيام رضي الله عنه[٣] .

*** الوزير الكبير نظام المُلْك الحسن بن علي الطوسي: «مات ملكًا في الدنيا، ملكًا في الآخرة، وقُتل صائمًا»:**

قال عنه الذهبي: متدين محتشم، عامر المجلس بالقرّاء والفقهاء... وكان فيه خير وتقوى، وميل إلى الصالحين، وخضوع لموعظتهم يعجبه من يبيّن له عيوب نفسه، فينكسر ويبكي.

● قُتِل صائمًا في رمضان، أتاه باطني في هيئة صوفيّ يناوله قصّة، فأخذها منه، فضربه بالسكين في فؤاده، فتلف، وقتلوا قاتله وذلك سنة

---

(١) « السير» (٢٠/ ٣١١).

(٢) « الثبات عند الممات» ص(١٨٢).

(٣) «السير» (١٨/ ٣٩٥).

خمس وثمانين وأربع مئة، بقرب نهاوند، وكان آخر قوله: «لا تقتلوا قاتلي، قد عفوت، لا إله إلا اللَّه».

● قيل: إنـه ما جلس إلا عـلى وضوء، وما تـوضأ إلا تنفّـل، ويصوم الاثنين والخميس. . .

كان حليمًا رزينًا جوادًا صاحب فتوّة واحـتمال ومعروف كثير إلى الغاية، ويُبالغ في الخضوع للصالحين.

● وقيل: كان يتصدق كل صباح بمائة دينار.

قال ابن عـقيل: بهر الـعقول سيرة النـظام جودًا وكرمًا وعـدلاً، وإحياءً لمعالم الدين، كانـت أيامه دولة أهل العلم، ثم خُتِم له بـالقتل وهو مار إلى الحج في رمضان، فمات مَلِكا في الدنيا، ملكًا في الآخرة ـ رحمه اللَّه ـ.

*** الإمام القدوة العابد الواعظ الزَّبْيدِيّ محمد بن يحيى القرشي:**

● قال ابن عساكر: قـال ولده إسماعيل: كان أبي في كل يـوم وليلة من أيام مرضه يقـول: اللَّه اللَّه، نحوًا من خمسـةَ عشرَ ألف مرة[١]، فـمـا زال يقولها حتى طفئ[٢].

*** أبو يحيى زكـريا بن يحيى الناقـد تلميذ أحمد بن حـنبل: «اشترى من اللَّه حوراء بأربعة آلاف ختمة»:**

● قال ابن الجوزي عنه: «كان عابدًا، وكان أحمد بن حنبل ـ يقول عنه: هذا رجل صالح.

وكان يقول: اشتريت من اللَّه تعالى حوراء بأربعة آلاف ختمة، فلما كان

---

(١) أنكر شيخ الإسلام ابن تيمية الذكر بالاسم المفرد فقط اللَّه اللَّه.

(٢) «السير» (٢٠/ ٣١٩).

آخر ختمة سمعت الخطاب من الحوراء وهي تقول:

«وفيت بعهدك أنا التي اشتريتني». فيقال إنه مات عن قريب[١].

*** عبد العزيز بن جعفر بن أحمد أبو بكر غلام الخلال: «أنا عندكم إلى يوم الجمعة»:**

له المصنفات الحسان الكبار.

● قال أبو يعلى محمد بن الحسين: بلغني أن عبد العزيز بن جعفر، قال في علته: أنا عندكم إلى يوم الجمعة. فقيل له: يعافيك اللَّه. فقال: سمعت أبا بكر الخلال، يقول: سمعت أبا بكر المروزي يقول: عاش أحمد بن حنبل ثمان وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة، ودفن بعد الصلاة، وعاش أبو بكر المروزي ثمان وسبعين سنة ومات يوم الجمعة، ودفن بعد الصلاة، وعاش أبو بكر الخلال ثمان وسبعين سنة ومات يوم الجمعة، ودفن بعد الصلاة. وأنا عندكم إلى يوم الجمعة ولي ثمان وسبعون، فلما كان يوم الجمعة مات ودفن بعد الصلاة[٢].

*** الحسن بن حامد أبو عبد اللَّه: «هذا وقته عند لقاء اللَّه تعالى»:**

انتهى إليه المذهب الحنبلي، وله التصانيف الواسعة الكثيرة، وتوفي في طريق مكة بقرب واقصة بعد رجوعه من الحج سنة ثلاث وأربعمائة، وكان قد استند إلى حجر قبل موته فجاءه رجل بقليل ماء، وقد أشفى على التلف. فقال: من أين هذا؟ فقال له: ما هذا وقته، فقال: بلى! هذا وقته عند لقاء اللَّه تعالى[٣].

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص(٦١٦).
(٢) «مناقب الإمام أحمد» ص(٦٢٢ ـ ٦٢٣).
(٣) المصدر السابق ص(٦٢٥).

*** أبو بكر أحمد بن علي بن أحمد العُلبيّ: «يا رب ها هنا، يا رب ها هنا»:**

● قال عنه ابن الجوزي: «أحد المشهورين بالزهد والصلاح».

سمع الحديث على القاضي أبي يعلى، وقرأ عليه شيئًا من المذهب، وكان يعمل بيده تجصيص الحيطان، ثم ترك ذلك ولازم المسجد ليُقرئ القرآن ويؤم الناس؛ كان عفيفًا لا يقبل من أحد شيئًا، وكان يذهب بنفسه كل ليلة إلى دجلة فيأخذ في كوز له ماء يفطر عليه، وكان يمشي بنفسه في حوائجه ولا يستعين بأحد، وكان إذا حج يزور القبور بمكة ويجيء إلى قبر الفضيل بن عياض، ويخط بعصاه، ويقول: يا رب ها هنا، يا رب ها هنا، فاتفق أنه خرج في سنة ثلاث وخمسمائة إلى الحج وكان قد وقع من الجمل في الطريق دفعتين؛ فشهد عرفة محرمًا، وتوفي عشية ذلك اليوم في أرض عرفات، فحمل إلى مكة وطيف به البيت، ودفن في يوم النحر إلى جنب قبر الفضيل ابن عياض[1].

*** الإمام الحافظ شيخ الوعاظ ابن الجوزي:**

شيخ وقته وإمام عصره، صاحب التصانيف في فنون العلم، من التفاسير، والفقه، والحديث، والوعظ، والرقائق، والتواريخ، وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه.

وله في الوعظ العبارة الرائقة. والإشارات الفائقة.

وإشارة تبكي الجنيد وصحبه … في رقّة ما نالها ذو الرّمة

كان إذا وعظ اختلس القلوب، وتشقّقت النفوس دون الجيوب، انتفع الناس بكلامه، فكان يتوب في المجلس الواحد مائة وأكثر، وكان يجلس

(١) المصدر السابق ص(٦٣٣ ـ ٦٣٤).

بجامع المنصور يومًا أو يومين في السنة فتغلق المحال، ويحرز الجمع بمائة ألف. وأقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف.

● ومجالسه الوعظية لم يكن لها نظير، ولم يسمع بمثلها، وكانت عظيمة النفع، يتذكّر بها الغافلون، ويتعلم منها الجاهلون، ويتوب فيها المذنبون، ويسلم فيها المشركون. وقد ذكر في تاريخه: أنه تكلم مرة فتاب في المجلس على يده نحو مائتي رجل...

وقال في آخر كتاب «القصاص والمذكرين» له: قد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل،... وأسلم على يدي أكثر من مائة ألف».

كم كان لي من مجلس لو شُبِّهَتْ حالاته لتشبَّهتْ بالجنّة

قال سبط ابن الجوزي:

«نزل عن المنبر، فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشائين في داره. قال: وحكت لي والدتي أنها سمعته يقول قبل موته: إيش أعمل بطواويس؟ يرددّها. قد جئتم لي هذه الطواويس.

ورآه تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان الحربي على منبر من ياقوت مرصّع بالجوهر، والملائكة جلوس بين يديه، والحق تعالى حاضر يسمع.

قلت: وأنبأني أبو الربيع علي بن عبد الصمد بن أحمد عن أبيه قال: قال عفيف الدين معتوق القليوبي: رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول:

لعمرك قد أوذي وعُطِّل منبر وأعيي على المستفهمين جوابُ

قال: فانتبهت من نومي، فقلت: ترى أي شيء قد جرى؟ فجاءنا الخبر وقت العصر بموت ابن الجوزي، فقلت:

ولم يبق مَنْ يُرجى لإيضاح مشكل وأصبح ربْع العلم وهو خراب[1]

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٣٩٩ - ٤٣٠).

● وقال الذهبي في «السير»:

أوصَى أن يُكتَبَ على قبره:

يا كثيـــرَ العفْـــوِ عَـــمَّنْ كَثُـــرَ الذَّنْـــبُ لـــديـــهِ

جَـاءَكَ المُـــذنِـبُ يَـرْجُـــو الـ صَّفْـــحَ عَـنْ جُـرمِ يَـدَيـــهِ

أنَـــا ضَيْـــفٌ وَجَـــزَاءُ الـ ضَّيْـفِ إحســـانٌ إلَـــيْـــهِ[1]

ومن شعره ـ رحمه اللَّه ـ:

يـا ســـاكن الدنيـــا تـأهَّبْ وانـتـظـــر يـــوم الـفـراقِ

وأعِـــدَّ زادًا لـلـرحيـــل فســـوف يُحْـــدَى بالرِّفـــاقِ

وابـــك الذنـــوب بأدمـــعٍ تـنـهـــلّ من ســـحب المـــآقي

يا مـن أضـــاع زمانــــه أرَضيـتَ ما يـفـنـــى ببـــاق

*** الإمام الحـافظ القـدوة العـابد الأثري أبـو محمـد عبـد الغنـي بن عبد الواحد المقدسي: «ما هذا؟ اذكروا اللَّه، قولوا: لا إله إلا اللَّه»:**

شيخ أهل الورع والتأله في عصره، المشبّه بابن حنبل في زمانه.

● قال الـضياء: سمـعت أبا مـوسى يقـول: مرض أبي في ربـيع الأول مرضًا شديدًا منعـه من الكلام والقيام، واشتدّ ستةَ عشـرَ يومًا، وكنت أسأله كثيرًا: ما يـشتهي؟ فيقول: أشتهـي الجنة، أشتهي رحمة اللّـه، لا يزيد على ذلك، فجئته بماء حـار فمدّ يده فوضأته وقت الفجر، فقـال: يا عبد اللَّهِ قم صل بنا وخفف، فصليت بالجماعـة، وصلّى جالسًا، ثم جلستُ عند رأسه، فقـال: اقرأ ﴿يس﴾، فقرأتها، وجعل يدعـو وأنا أؤمن، فقلت: هنا دواء تشربه، قال: يا بني ما بقي إلا الموت، فقلـت: ما تشتهي شيئًا؟ قال: أشتهي

---

(١) انظر: الترجمة في «السير» (٢١/ ٣٦٥ ـ ٣٨٤).

النَّظرَ إلى وجه اللَّهِ سبحانه، فقلت: ما أنت عني بـراض؟ قال: بلى واللَّه، فقـلت: ما توصـي بشيء؟ قال: مـا لي علـى أحد شيء، ولا لأحدٍ عـليَّ شيء، قلـت: توصيني؟ قال: أوصـيك بتقوى اللَّـه والمحافظة على طـاعته، فجاء جماعـة يعودونه، فسلموا، فردّ عـليهم، وجعلوا يتحـدثون، فقال: ما هذا؟ اذكروا اللَّه، قولوا: لا إله إلا اللَّه، فلما قـاموا جعل يذكر اللَّه بشفتيه، ويشيـر بعينيـه، فقمت لأناولَ رجلاً كـتابًا من جانـب المسجد فرجـعت وقد خرجت روحُه ـ رحـمه اللَّه ـ وذلك يوم الاثنـين الثالث والعشريـن من ربيع الأول سنة ست مئة، وبقـي ليلة الثلاثاء في المسجد واجتـمع الخَلْق من الغد فدفناه بالقرافة[١].

ولقد أورد الضياء عدة منامات للحافظ تدل على علو منزلته منها:

سمعت الفـقيه أحمد بن محمد بن عـبد الغني سنه اثنتـي عشرة يقول: رأيت البارحـة أخاك الكمال عبد الرحـيم ـ وكان تُوفي في تلك الـسنة ـ في النوم، فـقلت: يا فلان أيـن أنت؟ قال: في جنـة عدن، فقلت: أيمـا أفضل الحافظ أو الـشيخ أبو عُمر؟ فـقال: ما أدري، وأما الحافـظ فكل ليلة جـمعة يُنـصب له كـرسي تحت الـعرش، ويقرأ عـلى الحديـث، ويُنثـر عليـه الدر والجوهر، وهذا نصيبي منه، وكان في كمه شيء[٢].

● وسمعت القاضـي الإمام عمر بن علي الهكاري بنـابلس يقول: رأيت الحافظ كأنـه قد جاء إلى بيت المقدس، فـقلت: جئت من غيـر راكب، فعل اللَّه بمن جئت من عندهم! قال: أنا حملني النبي ﷺ[٣].

(١) «السير» (٢١/ ٤٦٩).
(٢) «السير» (٢١/ ٤٧٠).
(٣) «السير» (٢١/ ٤٧١).

* الإمام الحافظ العماد المقدسي:

الشيخ العالم القدوة الزاهد بركة الوقت أخو الحافظ عبد الغني.

● قال الحافظ الضياء: سمعت التقي أحمد بن محمد بن الحافظ يقول: رأيتُ الشيخ العماد في النوم على حصان، فقلتُ: يا سيدي الشيخ، إلى أين؟ قال: أزورُ الجبار عز وجل.

● قال الضياء: تُوفي العماد - رحمة اللَّه عليه - سنة أربع عشرة وست مئة، وكان صلى المغرب بالجامع وكان صائمًا، فذهب إلى البيت وأفطر على شيء يسير، ولما أخرجت جنازتُه اجتمع خلقٌ فما رأيتُ الجامعَ إلا كأنه يوم الجمعة من كثرة الخلق، وكان الوالي يطردُ الخلق عنه وازدحموا حتى كاد بعضُ الناس أن يهلك، وما رأيتُ جنازة قط أكثر خلقًا منها.

● وحُكي عنه أنه لما جاءه الموت جعل يقول: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث، واستقبل القبلة وتشهد[1] .

«في ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٠١، ١٠٤ ـ ١٠٥).

● «حكت زوجة الشيخ، قالت: كان قبل موته يكثر أن يقول: قد قرب الأمر، ما بقي إلا القليل».

وحكى سبط ابن الجوزي في حديثه عن عظم جنازة العماد قال:

«فلما كان الليل نمت وأنا متفكر في جنازته، وذكرت أبيات الثوري التي أنشدها في المنام».

نظرتُ إلى ربي كفاحًا، فقال لي ... هنيئًا رضائي عنك يا ابن سعيد

فقد كنتَ قوّامًا إذا أقبل الدجى ... بعبرة مشتاق وقلب عميد

فدونك، فاختر أي قصر أردته ... وزرني، فإني منك غير بعيد

---

(١) «السير» (٢٢/ ٥٤).

وقلت: أرجو أن العماد يرى ربه كما رآه سفيان عند نزول حفرته، ونمت فرأيت العماد في النوم، وعليه حلّة خضراء، وعمامة خضراء، وهو في مكان متسع كأنه روضة، وهو يرقى في درجة مرتفعة، فقلت: يا عماد الدين، كيف أنت؟ فإني واللَّه متفكر فيك، فنظر إليّ وتبسّم على عادته، وقال:

رأيت إلهي حين أُنزلتُ حُفرتي ... وفارقت أصحابي وأهلي وجيرتي

فقال: جُزيت الخير عني، فإنني ... رضيتُ، فها عفوي لديك ورحمتي

رأيت زمانًا تأمل الفوز والرضا ... فُوقِّيت نيراني، ولُقِّيت جنتي

قال: فانتبهت مرعوبًا وكتبت الأبيات:

وذكر الضياء هذا المنام، عن أبي المظفر السبط، وذكر منامات أخر.

منها: قال: سمعت الفقيه الإمام أبا محمد عثمان بن حامد المقدسي يقول: رأيت الحق عز وجل في النوم، والشيخ العماد عن يمينه، ووجهه مثل البدر وعليه لباس ما رأيت مثله.

قال: وسمعت الفقيه الإمام عبد الحميد بن محمد بن ماضي المقدسي، يقول: شممت من قبر الشيخ العماد مرتين رائحة طيبة، ـ رحمه اللَّه تعالى ـ.

*** القسيم بن القسيم، الملك العادل، تقيّ الملوك، ليث الإسلام محمود بن زنكي:**

نور الدين حامل رايتي العدل والجهاد، قل أن ترى العيون مثله.

كسر الفرنج مرّات، ودوّخهم وأذلهم.

قال الذهبي أيضًا: كان بطلاً شجاعًا، ذا تعبد وخوف وورع، وكان يتعرض للشهادة، سمعه كاتبه أبو اليُسر يسأل اللَّه أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير.

قال له القطب النيسابوري: باللَّه لا تُخاطر بنفسك، فإن أُصبت في

معركة لا يبقى للمسلمين أحد إلا أخذه السيف، فقال: ومن محمود حتى يُقال هذا؟! حفظ اللَّه البلاد قبلي، لا إله إلا هو.

قال ابن واصل: كان يقول: طالما تعرّضت للشهادة، فلم أُدركها.

قال الذهبي: قلت: قد أدركها على فراشه، وعلى ألسنة الناس: نور الشهيد[1].

*** أسد الدين شيركوه بن شاذي: «فاتح الديار المصرية عم صلاح الدين»:**

مقدم جيوش نور الدين زنكي بمصر، وكان أحد الأبطال المذكورين، والشجعان الموصوفين، تُرعب الفرنج من ذكره.

طرد الفرنج لما أحاطوا ببلبيس، ودخل القاهرة وتمكن وبغته الأجل بالخَوانيق شهيدًا[2].

*** بطل الإسلام وقاهر الصليبيين السلطان صلاح الدين الأيوبي: «تبسّم وتهلّل وجهه وفاضت روحه إلى بارئها عند سماع قوله تعالى: ﴿لا إله إلا هو عليه توكلت﴾»:**

قال القاضي ابن شداد في ذكر وفاة صلاح الدين:

«لما كانت ليلة الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وهي الليلة الثانية عشرة من مرضه - رحمه اللَّه - اشتد مرضه وضعفت قوته، ووقع في أوائل الأمر من أول الليل، وحال بيننا وبينه النساء، واستحضرت أنا والقاضي الفاضل في تلك الليلة وابن الزكيّ، ولم يكن

(١) انظر: الترجمة في «السير» (٢/ ٥٣١ - ٥٣٩).

(٢) «السير» (٢٠/ ٥٨٧ - ٥٨٩).

عادته الحضور في ذلك الوقت، وعرض علينا الملك الأفضل أن نبيت عنده، فلم ير القاضي الفاضل ذلك رأيًا، فإن الناس كانوا في كل ليلة ينتظرون نزولنا من القلعة، فخاف أن لا ننزل فيقع الصوت في البلد، وربما نهب الناس بعضهم بعضًا، فرأى المصلحة في نزولنا، واستحضار الشيخ أبي جعفر إمام الكلاّسة، وهو رجل صالح يبيت في القلعة، حتى إن احتُضر ـ رحمة اللَّه عليه ـ حضر عنده، وحال بينه وبين النساء، وذكّره بالشهادة وذكر اللَّه تعالى، ففعل، ونزلنا وكل من يود فداءه بنفسه، وبات في تلك الليلة ـ رحمة اللَّه عليه ـ على حال المنتقلين إلى اللَّه تعالى، والشيخ أبو جعفر يقرأ عنده القرآن ويذكّره باللَّه تعالى، وكان ذهنه غائبًا من ليلة التاسع، لا يكاد يفيق إلا في الأحيان، وذكر الشيخ أبو جعفر أنه لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾، سمعه وقول يقول ـ رحمة اللَّه عليه ـ : «صحيح»؛ وهذه يقظة في وقت الحاجة، وعناية من اللَّه تعالى به، فللَّه الحمد على ذلك. وكانت وفاته ـ رحمة اللَّه عليه ـ بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء سابع عشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وبادر القاضي الفاضل بعد طلوع الشمس فحضر وفاته ـ رحمة اللَّه عليه ـ ووصلتُ وقد مات، وانتقل إلى رضوان اللَّه ومحل كرامته. ولقد حُكي لي أنه لمّا بلغ الشيخ أبو جعفر إلى قوله تعالى: ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ**﴾، تبسم وتهلل وجهه وسلمها إلى ربه... ثم اشتغل بتغسيله وتكفينه، فما مُكِّنا أن ندخل في تجهيزه ما قيمته حبة واحدة إلا بالقرض، حتى في ثمن التبن الذي يُلتُّ به الطين وغسّله الدَّوْلعي الفقيه، وندبت إلى الوقوف على غسله، فلم يكن لي قوة تحمل ذلك المنظر»[1] .

---

(١) «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية»، أو «سيرة صلاح الدين» للقاضي ابن شداد ص(٢٤٦ ـ ٢٤٧).

وهكذا مضى مجدد الجهاد في عصره إلى ربه، متبسمًا متهلل الوجه متوكلاً عليه.

ثم انقضت تلك السنون وأهلُها فكأنّها وكأنهم أحلام

*** الإمام العلاّمة سيد الفصحاء في عصره القاضي الفاضل عبد الرحيم البيْساني: «دعا بالموت فأصبح ميتًا»:**

● قال عنه العماد المقدسي: قضي سعيدًا، ولم يُبقِ عملاً صالحًا إلا قدّمه، ولا عَهْدًا في الجنّة إلاّ أحكمه، ولا عقد برّ إلا أبرمه، فإن صنائعه في الرقاب، وأوقافه متجاوزة الحساب، لا سيّما أوقافه لفكاك الأسرى، وأعان المالكية والشافعية بالمدرسة، والأيتام بالكتّاب، كان للحقوق قاضيًا، وفي الحقائق ماضيًا، والسلطان له مطيع، ما افتتح البلاد إلا بأقاليد آرائه.

● وقال الذهبي: له الدين، والعفاف، والتقى، مواظب على أوارد الليل والصيام والتلاوة. كان قليل اللذات، كثير الحسنات، دائم التهجد، يكثر تشييع الجنائز، وعيادة المرضى، وله معروف معروف في السر والعلانية.

● حكى القاضي ضياء الدين ابن الشهرزوري أن القاضي الفاضل لمّا سمع أن العادل أخذ مصر، دعا بالموت خشية أن يستدعيه وزيره ابن شكر أو يُهينه فأصبح ميتًا، وكان ذا تهجد ومعاملة.

قال الذهبي: تُوفي مسكوتًا[1]، أحوج ما كان إلى الموت، عند تولي الإقبال وإقبال الإدبار، وهذا يدلّ على أن للّه به عناية[2].

***

(١) يعني: فجاءة.

(٢) انظر: «السير» (٢١/٣٣٨ ـ ٣٤٤).

*** الإمام محدث الشام، شيخ الإسلام ، ثقة الدين أبو القاسم بن عساكر يقول عند الموت: «وعليكم السلام» فعلم جلساؤه حضور الملائكة:**

هو الحافظ، صاحب تاريخ دمشقَ، لا يُلحق شأوُه، ولا يُشقه غُباره، ولا كان له نظير في زمانه كما قال الذهبي في «السير».

● قال أبو شامة: أخبرني من حضره قال: صلى الظهر، وجعل يسأل عن العصر، وتوضأ، ثم تشهد وهو جالس، وقال: رضيتُ باللَّه ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، لقنني اللَّه حُجتي وأقالني عثرتي ورحم غُربتي. ثم قال: وعليكم السلام، فعلمنا أنه حضرت الملائكة ثم انقلب ميتًا[1] .

*** شيخ الإسلام، الحافظ شيخ المُعَمِّرين السِّلَفي:**

● قال الإمام أبو شامة: سمعت شيخنا علم الدين السخاوي يقول: سمعت أبا طاهر السلفي يُنشد لنفسه ما قاله قديمًا:

أنا من أهل الحديـ ـث وَهُمْ خَيرُ فِئَةْ
جُزْت تسعين وأر جو أن أجوزَنَّ المئة

قال: فقيل له: قد حقق اللَّه رجاءك، فعلمت أنه قد جاوز المئة.

قال الذهبي: وبلغني أن مدة مُقامه بالإسكندرية ما خرج منها إلى بستان ولا فُرْجة سوى مرّة واحدة، بل كان ملازمًا مدرسته.

تُوفيّ الحافظ في يوم الجمعة سنة ست وسبعين وخمس مئة. ولم يزل يُقرأ عليه الحديث يوم الخميس إلى أن غربت الشمس من ليلة وفاته، وهو يردّ

---

(١) «السير».

على القارئ اللحن الخفيّ، وصلى يوم الجمعة الصبح عند انفجار الفجر وتوفي بعدها فُجاءة[١] . ونال الحافظ فضل الموت يوم الجمعة.

* الحافظ شيخ المحدّثين أبو موسى المَدِيْني الأصبهاني الشافعي:

«قال الذهبي: كان حافظ المشرق في زمانه. سمعت شيخنا العلاّمة أبا العباس بن عبد الحليم - يعني ابن تيمية - يثني على حفظ أبي موسى ويُقدِّمه على الحافظ ابن عساكر باعتبار تصانيفه ونفعها.

● كان أبو مسعود كوتاه يقول: أبو موسى كنز مخفيّ.

● وقال الحسين بن يُوحن الباوريّ: كنت في مدينة الخان[٢] ، فسألني سائل عن رؤيا، فقال: رأيت كأن رسول اللَّه ﷺ تُوُفِّيَ، فقال: إنْ صدقتْ رؤياك، يموت إمام لا نظير له في زمانه، فإن مثل هذا المنام رُئي حال وفاة الشافعي والثوري وأحمد بن حنبل، قال: فما أمسيْنا حتى جاءنا الخبر بوفاة الحافظ أبي موسى المديني.

● وعن عبد اللَّه بن محمد الخُجَنْدِيّ، ، قال: لما مات أبو موسى، لم يكادوا أن يفرغوا منه، حتى جاء مطر عظيم في الحرّ الشديد، وكان الماء قليلاً بأصبهان، فما انفصل أحد عن المكان مع كثرة الخلق إلا قليلاً، وكان قد ذكر في آخر إملاء أملاه: أنَّهُ متى مات مَن له منزلة عند اللَّه، فإن اللَّه يبعث سحابًا يوم موته علامة للمغفرة له، ولمن صلّى عليه»[٣] .

رحمك اللَّه أبا موسى فهذا موت الربانيّين، مطر وسحاب في يوم صائف... وما يمليه عن موت المقرّبين في آخر درس له يكون وصف جنازته.

---

(١) انظر: الترجمة في «السير» (٢١/ ٥ - ٣٩).

(٢) مكان بأصبهان.

(٣) انظر: الترجمة في «السير» (٢١/ ١٥٢ - ١٥٩).

*** الإمام العادل والوزير الكامل أبو المظفَّر يحيى بن محمد بن هُبَيرة سأل اللَّه الشهادة فنالها وهو ساجد:**

قال ـ رحمه اللَّه ـ: « اتباع السنة سبب لكل خير، فإني صليت الفريضة يومًا في مسجدنا، ثم قلت: يستحب أن تُصلى السنة في غير موضع الفرض ومضيت إلى البيت فصليتها، ثم اشتاق قلبي إلى رؤية اللَّه عز وجل، فقلت: اللَّهم أرني نفسك. فنمت تلك الليلة، فرأيته عز وجل[1] ».

وأنشد ابن هبيرة هذه الأبيات، وكان ابن سمعون كثيرًا ما ينشدها:

ركبت بحار الحب جهلاً بقدرها ... وتلك بحار لا يفيق غريقها

وسرنا على ريح تدل عليكم ... فبانت قليلاً ثم غاب طريقها

إليكم بكم أرجو النجاة وما أرى ... لنفسي منها سائقًا فيسوقها[2]

● قال ابن الجوزي: كان الوزير يتأسف على ما مضى من زمانه ويندم على ما دخل فيه. ثم صار يسأل اللَّه عز وجل الشهادة، ويتعرّض بأسبابها. وكان الوزير ليس به قلبة في يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى سنة ستين وخمسمائة، ونام ليلة الأحد في عافية، فلما كان وقت السحر قاء، فحضر طبيب كان يخدمه، فسقاه شيئًا، فيقال: إنه سمّه فمات، وسُقي الطبيب بعده بنحو ستة أشهر سمّا، فكان يقول: سُقيت كما سقيت، فمات[3] .

وطبيبه هذا: هو ابن رشادة كما قال الذهبي في «السير».

● قال ابن الجوزي: رأيت في وقت غُسله آثارًا بوجهه وجسده، تدل على أنه مسموم.

---

(١) وهذا جائز كما قال ابن تيمية والشيخ ابن باز ـ رحمهما اللَّه ـ.

(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب (١/ ٢٧٦) ـ دار المعرفة.

(٣) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٢٨٥).

● «وذكر مصنف سيرته: أنه كان ثار بـه بلغم وهو في قصره بالخالص، ثم خرج مع المستنجد للصيد، فسقي مسهلاً لأجل البلغم، فاستأذن الخليفة في الدخول إلى بغداد للتداوي، فأذن له، فدخل يوم الجمعة في موكب عظيم. وصلى الجمعة وحضر الناس عنده يوم السبت. فلما كان وقت صلاة الصبح يوم الأحد عاوده البلغم، فوقع مغشيًّا عليه، فصرخ الجواري، فأفاق فسكتهن، قال: ثم تناول مشروبًا فاستفرغ به، ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة وصلى قاعدًا، فسجد، فأبطأ عن القعود من السجود، فحرّكوه فإذا هو ميت ـ رحمه اللَّه ـ»[1] .

مات يحيى ولم نجد بعد يحيى ملكًا ماجدًا به يُستعان
وإذا مات من زمان كريم مثل يحيى به يموت الزمان[2]

● «قال مصنف سيرته: حدثني أبو حامد أحمد بن عيسى الفقيه الحنبلي ابن الشيخ الصالح أبو عبد اللَّه بن زفر، قال: رأيت في المنام ـ وأنا بأرض جزيرة ابن عمر ـ كأن جماعة من الملائكة يقولون لي: قد مات في هذه الليلة ببغداد وليّ من أولياء اللَّه تعالى فاستيقظت منزعجًا، فحدثت بالمنام الجماعة الذين كانوا معي، وأرّخنا تلك الليلة فلما قدمت بغداد سألت: من مات في تلك الليلة؟ فقيل لي: مات بها الوزير عون بن هبيرة.

● وحدثني الوزير أبو شجاع محمد بن الوزير أبي منصور، قال: كنت كثير الوقوع في الوزير ابن هُبيرة، فرأيته في المنام في بستان لم أر له في الدنيا شبيهًا، ومعه ملك يجني له من ثماره، ويترك في فمه فهممت بدخول البستان، فصاح الملك عليّ: وقال: هذا البستان قد وهبه اللَّه تعالى لهذا بعد أن غفر له، فلا سبيل لأحد أن يدخله إلا بإذنه. فاستيقظت مرعوبًا، وتبت

(١) «الذيل» (١/ ٢٨٦).
(٢) «الذيل» (١/ ٢٨٦).

إلى اللَّه عز وجل من ذكره إلا بالرحمة عليه والاستغفار له.

قال: وحدثني عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن عبد الواحد المقرئ قال: رأيت الوزير ابن هبيرة في النوم، فسألته عن حاله؟ فأجابني بهذين البيتين:

قد سألنا عن حالنا فأجَبْنَا ... بعد ما حالَ حالنُا وحُجبنا

فوَجَدْنا مضاعفًا ما كسبنا ... ووجدنا مُمَحَّصًا ما اكتسبنا

قال صاحب سيرته: ولو استقصيت ما ذكر له من المنامات الصالحة لجاءت بمفردها كتابًا ضخمًا»[(١)] .

* شيخ الإسلام الحَجْريّ: «يخبر أنه يموت في المحرّم فمات فيه»:

المقرئ، المحدث الحافظ أبو محمد عبد اللَّه بن محمد بن علي بن عبد اللَّه بن عبيد اللَّه الرُّعيني الحَجْري، الأندلسي.

قال الأبّار: كان غايةً في الورع والصلاح والعدالة.

كان زمانًا يُخبر أنه يموت في المحرم لرؤيا رآها، فكان كل سنة يتهيأ ومات عبيد اللَّه في المحرم سنة إحدى وتسعين وخمس مائة.

● قال ابن فرتون: ظهرت لأبي محمد بن عُبيد اللَّه كرامات، حدّثنا شيخنا الراوية محمد بن الحسن بن غاز، عن بنت عمه ـ وكانت صالحة، وكانت استُحيضت مدّة ـ قالت: حُدِّثتُ بموت ابن عبيد اللَّه، فشقّ عليّ أن لا أشهده، فقلت: اللَّهم إن كان وليًّا من أوليائك، فأمسك عني الدم حتى أصلي عليه، فانقطع عني لوقته، ثم لم أره بعد»[(٢)] .

* * *

(١) «الذيل» (١/ ٢٨٨).

(٢) «السير» (٢١/ ٢٥١ ـ ٢٥٤).

* **أسد الشام الزاهد العابد اليُونيني: «مات وهو صائم»:**

الشيخ عبد اللَّه بن عثمان بن جعفر اليُونيني.

قال سبط ابن الجوزي: كان شجاعًا ما يبالي بالرجال قلّوا أو كثروا، وما فاتته غزاة.

● وكان أمّارًا بالمعروف لا يهاب الملوك، حاضر القلب، دائم الذكر.

قال الشيخ علي القصّار: كنت أهابه كأنه أسد، فإذا دنوت منه وددت أن أشق قلبي وأجعله فيه.

● وكان لا يقوم لأحد تعظيمًا للَّه، ولا يدخر شيئًا، له ثوب خام، وكان ربما جاع ويأكل من ورق الشجر.

توفي وهو صائم، وقد جاوز ثمانين سنة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[١].

* **شيـخ الإسلام عَلَم الـزهاد محيـي الدين الـنووي: «يدعو الـلَّه أن يموت بأرض فلسطين فاستجاب اللَّه منه»:**

المجتهد الرباني، الإمام القدوة، حسنة الأنام كما قال الذهبي.

محرر المذهب ومهذبـه، كان على جانب كبير في العلـم والعمل والزهد والتقشـف، والاقتصاد في العـيش والصبر علـى خشونته، والتـورع الذي لم يبلغنا عن أحد في زمانه ولا قبله بدهر طويل كما قال ابن كثير.

● قال ابن العطار تلميذه:

«كنت جالسًا بين يديه قبل انتقالـه بشهرين ونحوها، وإذا بفقير قد دخل عليه، وقال للشـيخ: فلان من بلاد (صَرْخَد)[٢] يسلّم علـيك، وأرسل معي

---

(١) انظر: «السير» (٢٢/ ١٠١ ـ ١٠٣).

(٢) بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق.

هذا الإبريق لك.

فقبله الشيخ، وأمرني بوضعه في بيت حوائجه، فتعجّبت منه لقبوله، فشعر بتعجبي، فقال:

«أرسل إليّ بعض الفقراء زربولاً[1]، وهذا إبريق، فهذه آلة السفر.

ثم بعد أيام يسيرة كنتُ عنده، فقال لي: «قد أُذِن لي في السفر».

فقلت: كيف أُذِن لك؟

قال: بينا أنا جالس هنا - يعني بيته في المدرسة الرّواحية، وقُدّامه طاقة مشرفة عليها - مستقبل القبلة؛ إذ مرّ عليّ شخص في الهواء من هُنا، ومرّ كذا - يشير من غرب المدرسة إلى شرقها -، وقال: قُم سافرْ لبيت المقدس»، وكنت حملتُ كلام الشيخ على سفر العادة، فإذا هو السفر الحقيقي، ثم قال لي: «قم حتى نودّع أصحابنا وأحبابنا» فخرجت معه إلى القبور التي دُفِن فيها بعض مشايخه، فزارهم، وقرأ شيئًا، ودعا، وبكى، ثم زار أصحابه الأحياء، كالشيخ يوسف الفقاعي، والشيخ محمد الإخميمي، وشيخنا الشيخ شمس الدين ابن أبي عمر شيخ الحنابلة.

ثم سافر صبيحة ذلك اليوم، وجرى معه وقائع، ورأيت منه أمورًا تحتمل مجلدات، فسافر إلى (نوى)، وزار القدس، والخليل - عليه السلام -، ثم عاد إلى (نوى)، ومرض عقب زيارته بها في بيت والده، فبلغني مرضه، فذهبت من دمشق لعيادته، ففرح - رحمه اللّه بذلك -، ثم قال لي: «ارجع إلى أهلك».

وودعْتُه وقد أشرف على العافية يوم السبت العشرين من رجب سنة ست وسبعين وست مئة، ثم توفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب فبينا أنا

(١) الزربول: النعل.

نائم تـلك الليلـة؛ إذ منادٍ ينادي عـلى سدة جامـع دمشق في يوم الجـمعة: الصـلاة علـى الشـيخ ركـن الدين المـوقع، فـصاح الـناس لـذلك الـنداء، فاستيقظت، فقلت: إنا للَّه وإنا إليه راجعون.

فلم يكن إلا ليلة الجمعة عشية الخميس؛ إذ جاء الخبر بموته ـ رحمه اللَّه ـ فنُودي يوم الجمعة عـقب الصلاة بموته، وصُلِّي عليه بجـامع دمشق، فتأسّف المسلـمون عليـه تأسفًا بلـيغًا، الخاص والـعام، والمادح والذام، ورثـاه الناس بمراثي كثيرة»[(١)] .

قال التـاج السبكـي: لما مات النـووي بنوى ارتجت دمـشق وما حولـها بالبكاء، وتأسف عليه المسلمون أسفًا شديدًا.

● «وقال اللخمي في ترجمته المفردة عـن غير واحد من العلماء بدمشق: إنه لما خرج مـنها إلى نوى، خرج مـعه جماعة من الـعلماء وغيرهـم لظاهر دمشق، وسـألوه متى الاجتـماع؟ فقال: بعـد مائتي سنـة، فعلموا أنـه عنى القيامة»[(٢)] .

● وقال ابن شاكر الكتبي في «عيون التواريخ» (٢١/ ١٦٤):

«وكان محيي الدين يسأل اللَّه تعالى أن يموت بأرض فلسطين، فاستجاب اللَّه تعالى منه».

● وانظر إلـى الجبل الربـاني النواوي: «لما تُوفي ـ رحمـه اللَّه تعـالى ـ ودُفِن، أراد أهله وأقاربه وجـيرانه أن يبنوا على ضريحه قُبّـة، وأجمعوا على ذلك؛ إذ جاء ـ رحمه اللَّه ـ في النوم إلى أكبر امرأة من قرائبه ـ أظنها عمته ـ وقال لهـا: «قولي لأخي والجماعـة لا يفعلوا هـذا الذي قد عزموا علـيه من

(١) «تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محـيي الدين» لعلاء الدين بن العطار ص(٩٧ ـ ١٠٠) ـ تحقيق مشهور حسن ـ دار الصميعي.

(٢) «السخاوي» (٧٥).

البنيان؛ فإنه كلما بنوا شيئًا ؛ يُهدَم عليهم».

فانتَبَهَتْ منزعجة، فقصّت عليهم الرؤيا، فامتنعوا من البنيان وحوّطوا على قبره بحجارة تمنع الدواب وغيرها»[1] .

فرحم اللَّه النووي الذي قال فيه التاج السبكي:

«كان قطب زمانه، وسيد وقته، وسرّ اللَّه بين خلقه.

وقال الذهبي في «العبر»: «كان مع تبحره في العلوم وسعة معرفته بالحديث والفقه واللغة وغير ذلك بما قد سارت به الركبان ـ رأسًا في الزهد، وقدوة في الورع، عديم المثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قانعًا باليسير، راضيًا عن اللَّه، واللَّه عنه راض، مقتصد إلى الغاية في ملبسه ومطعمه وإنائه، تعلوه سكينة وهيبة، فاللَّه يرحمه ويسكنه الجنة بمنه»[2] .

*** الشيخ الإمام الزاهد، شيخ الإسلام، علم الأولياء عبد القادر الجيلاني:**

عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني سلطان المشايخ.

قال ابن السمعاني: «إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح، ديّن خيّر، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة».

قال الشيخ موفق الدين صاحب «المغني»: لم أسمع عن أحد يُحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر، ولا رأيت أحدًا يُعَظّم من أجل الدين أكثر منه».

وذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية: أنه لم تتواتر

(١) «تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين» ص(١٩٧).

(٢) «العبر» (٥/ ٣١٢).

كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر، فإن كراماته نقلت بالتواتر»[(١)].

وقال الذهبي بعد أن نعت الجيلاني بأنه: «الشيخ الإمام الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين»، قال في نهاية الترجمة في «السير» (٢٠/ ٤٥١):

«وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودواعيه، واللَّه الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه».

قال ابن الجوزي: «توفي الشيخ عبد القادر . . . وبلغ تسعين سنة.

وسمعت أنه كان يقول عند موته: رفقًا رفقًا. ثم يقول: وعليكم السلام، وعليكم السلام. أجيء إليكم، أجيء إليكم. وسمعت من يحكي أنه قال عند موته: أنا شيخ كبير، ما وُعِدنا بهذا».

مات من كانت الأقاليم تسقى ... الغيث أغوارها به والنجود

ولو أن النفوس تفدى لما مات ... ومنا على الثرى موجود

سيد الأولياء في الشرق والغرب ... وبحر الفضائل المورود[(٢)]

* الإمام القدوة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين ابن قدامة صاحب «المغني» يموت وهو يسبِّح:

● قال ابن النجار: كان إمام الحنابلة بجامع دمشق، على قانون السلف، عليه النور والوقار، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه.

قال الضياء: كان ـ رحمه اللَّه ـ إمامًا في التفسير وفي الحديث ومشكلاته، إمامًا في الفقه، بل أوحد زمانه فيه، إمامًا في علم الخلاف،

---

(١) «الذيل» (١/ ٢٩٢).

(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٢٩٩ ـ ٣٠١).

أوحد في الفرائض، إمامًا في أصول الفقه.

وقال أبو شامة: كان إمامًا في العلم والعمل[1] .

● كان الإمام ابن قدامة: «لا يكاد يسمع دعاءً إلا حفظه ودعا به، ولا يسمع ذكر صلاة إلا صلاّها، ولا يسمع حديثًا إلا عمل به، وكان لا يترك قيام الليل من وقت شيبوبته، وقلّل الأكل في مرضه قبل موته حتى عاد كالعود. ومات وهو عاقد على أصابعه يسبّح»[2] .

قال ابن رجب الحنبلي في «الذيل» (٢/ ٤٢ ـ ١٤٤):

«توفي ـ رحمه اللَّه ـ يوم السبت يوم عيد الفطر سنة عشرين وستمائة بمنزله بدمشق. وصلى عليه من الغد، وحمل إلى سفح قاسيون. فدفن به».

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: حكى إسماعيل بن حمّاد الكاتب البغدادي.

قال: رأيت ليلة عيد الفطر كأن مصحف عثمان قد رفع من جامع دمشق إلى السماء، فلحقني غمّ شديد. فتوفي الموفق يوم العيد.

قال: ورأى أحمد بن سعد ـ أخو محمد بن سعد الكاتب المقدسي، وكان أحمد هذا من الصالحين ـ قال: رأيت ليلة العيد ملائكة ينزلون من السماء جملة، وقائل يقول: انزلوا بالنوبة. فقلت: ما هذا؟ قالوا: ينقلون روح الموفق الطيبة في الجسد الطيب.

قال: وقال عبد الرحمن بن محمد العلوي: رأيت كأن النبي ﷺ مات، وقُبر بقاسيون يوم عيد الفطر. قال: وكنا بجبل بني هلال، فرأينا على قاسيون ليلة العيد ضوءًا عظيمًا، فظننا أن دمشق قد احترقت، وخرج أهل

---

(١) انظر: الترجمة في «السير» (٢٢/ ١٦٥ ـ ١٧٣).

(٢) «شذرات الذهب» لابن عماد الحنبلي (٥/ ٢٨).

القرية ينظرون إليه، فوصل الخبر بوفاة الموفق يوم العيد».

والعلـم قـد أمسى كـأنّ بواكيًا تبـكي عليـه وحبله يتقطّـعُ

وتعطّلت تلك المجالس وانقضت تلك المحافلُ، ليتها لو ترجعُ

*** الإمام الثبت مقدم أصحاب الحديث ببغداد محمد بن ناصر بن محمد السلامي الفارسي:**

الحافظ أبو الفضل البغدادي.

قال ابن الجوزي: كان حافظًا متقنًا، ثقة من أهل السنّة. وكان كثير الذكر، سريع الدمعة. وهو الذي تولى تسميعي الحديث، وعنه أخذت ما أخذت من علم الحديث.

وقال: قرأت عليه ثلاثين سنة، ولم أستفد من أحد كاستفادتي منه.

وقال أبو موسى المديني: هو مقدم أصحاب الحديث في وقته ببغداد.

قال ابن النجار: كان ثقة نبيلاً، حجة، حسن الطريقة، متدينًا فقيرًا، متعففًا نظيفًا نزهًا، وقف كتبه على أصحاب الحديث.

رأيت بخطه وصية له أوصى بها، ذكر فيها صفة ما يخلفه من التركة، وهو ثياب بدنه، وكلها خِلَق مغسولة، وأثاث منزله ـ وكان مختصرًا جدًّا ـ وثلاثة دنانير، لم يذكر سوى ذلك.

وقال ابن السمعاني في كتابه: ديّن خيّر، كثير الصلاة، دائم التلاوة للقرآن الكريم مواظب على صلاة الضحى.

وقال الحافظ أبو محمد بن الأخضر: له في كل وصف شريف سيرة حسنة، يعلو شخصه المهابة كأنه أحد الصحابة.

● قال ابن الجوزي: حدثني أبو بكر بن الخضري الفقيه، قال: رأيته في

المنام، فقلت: يا سيدي، ما فعل اللَّه بك؟ فقال: غفر لي، وقال لي: قد غفرتُ لعشرة من أصحاب الحديث في زمانك؛ لأنك رئيسهم وسيدهم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[1] .

* الفقية الزاهد الحكيم الورع أبو حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني:

● قال ابن الجوزي: وكان زاهدًا عابدًا، كثير الصوم، يضرب به المثل في الحلم والتواضع وقال: كان من العلماء العاملين بالعلم، كثير الصيام والتعبد، شديد التواضع، مؤثرًا الخمول، وكان المثل يضرب بحلمه وتواضعه، وما رأينا له نظيرًا في ذلك، وقال: كان الشيخ أبو حكيم تاليًا للقرآن. يقوم الليل ويصوم، وله الورع العظيم وكان يكتب بيده، فإذا خاط ثوبًا فأعطي الأجرة مثلاً قيراطًا، أخذ منه حبة ونصفًا وردّ الباقي، وقال: خياطتي لا تساوي أكثر من هذا. ولا يقبل من أحد شيئًا.

● قال ابن الجوزي: رأيت بخطه ـ يعني: أبا حكيم على ظهر جزء له: رأيت ليلة الجمعة عاشر رجب سنة خمس وأربعين ـ فيما يرى النائم ـ كأن شخصًا في وسط داري قائمًا، قلت: من أنت؟ قال: أنا الخضر. قال: تأهّب للذي لا بد منه من الموت الموكل بالعباد، ثم كأنه علم أني أريد أن أقول له: هل ذلك عن قرب؟ فقال: قد بقي من عمرك اثنا عشر سنة تمام سني أصحابك. وعمري يومئذ خمس وستون سنة. قال ابن الجوزي: فكنت دائمًا أترقّب صحة هذا، ولا أفاوضه في ذكره لئلا أنعي له نفسه، فمرض ـ رحمة اللَّه عليه ـ اثنين وعشرين يومًا. فكان مقتضى حساب منامه أن يبقى له سنة، فتأولت ذلك، وقلت: لعله دخول سنة لا تمامها[2] .

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨).

(٢) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤١).

* **الفقيه الزاهد، العارف الواعظ، أبو الحسن علي بن عمر الحرّاني:**

إمام الجامع بحرّان، من أهل الخير والصلاح والدين.

توفي - رحمه اللَّه - في آخر نهار يوم عرفة - وقيل: ليلة عيد النحر.

ورثاه الإمام فخر الدين ابن تيمية فقال:

وروحه قُبضت في ليلة شرفت ... يحظى بها كل محبوب وكل ولي

بكت عليه عيون الناس كلهم ... وأوحش الكل من سهل ومن جبل

بكت عليه الزوايا الخاليات كما ... قد كان يؤنسها من غير ما ملل

بكت دفاتره حزنًا له وأسى ... لأنه كان عنها غير مشتغل

عليه طيب سلام غير منفصل ... على مّر ليالي الدهر متصل[1]

* **الفقيه أبو العبّاس أحمد بن أبي غالب الأبرودي الحبابيني:**

● قال ابن النجار: قرأت في كتاب أبي بكر عبيد اللَّه بن علي المارستاني بخطه قال: دخلت على أحمد الحبابيني عائدًا، فأنشدني متمثلاً:

سيبكي عليّ باكي العين بعد موته ... ويبكي عليّ باكي البكاء إلى الحشر

فنفسي أعدّي فضل زاد من التقى ... فإنك في الدنيا ورجلاك في القبر[2]

* **الفقيه الزاهد، ناصح الإسلام، وفقيه العراق أبو الفتح نصر بن فتيان المعروف بابن المنّى:**

قال الإمام ناصح الدين بن الحنبلي عن شيخه ابن المنى:

«رحلت إليه فوجدت مسجده بالفقهاء والقرّاء معمورًا، وكل فقيه عنده

---

(١) «الذيل» (١/ ٢٤١ - ٢٤٤).

(٢) «الذيل» (١/ ٣٤٣).

من فضله وإفضاله مغموراً، فأنخت راحلتي بربعه، وحططت زاملة بغيتي على شرعه، فوجدت الفضل الغزير، والدين القويم المنير، والفخر المستطيل المستطير، والعالم الخبير، فتلقاني بصدر بالأنوار قد شُرح، ومنطق بالأذكار قد ذكر ومُدِح، وبباب إلى كل باب من الخيرات قد شُرِع وفُتح.

وسُئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسي؟ فقال: شيخنا أبو الفتح كان رجلاً صالحًا، حسن النية والتعليم، وكانت له بركة في التعليم. قلّ من قرأ عليه إلا انتفع.. وكان يقنع بالقليل، وربما يكتفي ببعض قرصة، ولم يتزوج، وقرأت عليه القرآن، وكان يحبنا ويجبر قلوبنا. قرأ عليه الفقه خلق كثير من أعيانهم الشيخ الموفق، والحافظ عبد الغني وأخوه الشيخ العماد. وكان كثير الذكر والتلاوة للقرآن لا سيما في الليل. ليس فيه تيه الفقهاء ولا عجب العلماء.

قال جامع سيرته: ابتدأ به المرض بعد نصف شعبان، وكان مرضه الإسهال وذلك من تمام السعادة؛ لأن مرض البطن شهادة. ولما ازداد مرضه أقبل الناس إلى عيادته من الأكابر والعلماء، والتلامذة والأصحاب.

فحدّثني صاحبه أبو محمد إسماعيل بن علي الفقيه، وهو الذي تولّى تمريضه قال: قال لي الشيخ يوم الخميس ثاني رمضان: أي فخر، آخر تعبك معي يوم الأحد؟ قال: وهكذا كان. فإنه توفي يوم السبت رابع شهر رمضان.

* الشيخ نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد الشيرازي شيخ الحنابلة بالشام في وقته:

كان الشيخ الموفق وأخوه أبو عمر، إذا أشكل عليهما شيء سألاه.

قال ولده ناصح الدين عبد الرحمن: «لما مرض مرض الموت، رآني وقد بكيت، فقال: إيش بك؟ فقلت: خير، فقال: لا تحزن عليّ؛ أنا ما توليت

قضاء، ولا شحنكية، ولا حبست ولا ضربت، ولا دخلت بين الناس، ولا ظلمت أحدًا، فإن كان لي ذنوب، فبيني وبين اللَّه عز وجل. ولي ستون سنة أفتي الناس، واللَّه ما حابيت في دين اللَّه تعالى.

وكان يقول قبل موته بسنين: سنتي سنة ست وثمانين، إلى أن دخلت سنة ست وثمانين، فقال: هذه سنتي، فقلنا: كيف تقول هذا؟ قال: هذي سنة أبي وجدي؛ لأن أباه مات سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وجده مات سنة ست وثمانين وأربعمائة، وكان الأمر كما قال.

وقال ولده: قال لي قبل أن يموت بسنة: رأيت الحق عز وجل في منامي، فقال لي: يا نجم أما علمتك وكنت جاهلاً؟ قلت: بلى يا رب، قال: أما أغنيتك وكنت فقيرًا؟ قلت: بلى يا رب، قال: أما أمتّ سواك وأحييتك؟ وجعل يعدّد النعم. ثم قال: قد أعطيتك ما أعطيت موسى بن عمران»[1].

*** مصلح الدين محمد بن أحمد بن علي بن الحمامي العابد أستاذ الأئمة:**

● قال أبو عبد اللَّه الخليلي بأصبهان: كان جدي لأمي محمد بن أحمد الحنبلي المعروف بالمصلح قبل عقد الثمانين من عمره يختم القرآن في يومين، فلما جاوز الثمانين كان يختم كل يوم القرآن. وكانت قراءته بالليل قراءة تذكر وتفكر.

قال أبو عبد اللَّه: وسمعت محمد بن محمد الخبازي المديني جارنا ـ وكان من أهل الخير والصلاح تلاّء للقرآن، ملازمًا للمسجد في أكثر أوقاته، لم تكن تفوته صلاة الجماعة إلا نادرًا ـ يقول: لما بلغ مصلح الدين عقد الثمانين قال: أسأل اللَّه أن يمهلني إلى التسعين، وأن يوفقني كل يوم ختمة،

(١) «الذيل» (١/٣٦٨ ـ ٣٦٩).

فاستجيبت دعوته، فكان يختم كل يوم ختمة[1].

* **الفقيه الزاهد سعد بن عثمان بن مرزوق القرشي: «توفي ساجدًا»:**

قال ابن رجب الحنبلي:

«رأى رجل في بغداد النبي ﷺ، وهو يقول: لولا الشيخ سعد نزل بكم بلاء، أو كما قال.

ثم سعى الشيخ سعد إلى الجمعة وما عنده خبر بهذا المنام، فانعكف الناس به يتبركون به وازدحموا، فرموه مرّات، وكأن مناديًا ينادي في قلوب الناس، وهو يقول: أعوذ بالله من الفتنة، إيش بي؟ إيش بالناس؟ حتى ضرب الناس عنه وخلص منهم.

وقال القادسي: هو أحد الزهاد الأبدال الأوتاد، ومن تشد إليه الرحال، ومن كان لله عليه إقبال الصائم في النهار، القائم في الظلام.

● وقال ابن النجّار: كان عبدًا صالحًا، مشهورًا بالعبادة والمجاهدة والورع، والتقشف، والقناعة، والتعفف، وكان خشن العيش، مخشوشنًا، كثير الانقطاع عن الناس.

● وذكر القادسي أنه تُوفي يوم الثلاثاء ساجدًا.

● وذكر ابن النجار: أنه كان قد قرأ في الصلاة التي توفي فيها ﴿**فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ**﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩][2].

* **شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي الأنصاري: «إن استأثر الله بي في الصيف فلا بد من نطع مخافة المطر»:**

رحم الله الإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن علي أبو إسماعيل الهروي.

---

(١) «الذيل» (١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١).

(٢) «الذيل» (١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٦).

● قال ابن تيمية في «الأجوبة المصرية» شيخ الإسلام مشهور، معظم عند الناس. هو إمام في الحديث، والتصوف والتفسير. وهو في الفقه على مذهب أهل الحديث، يعظم الشافعي، وأحمد. ويقرن بينهما في أجوبته في الفقه ما يوافق قول الشافعي تارة وقول أحمد أخرى، والغالب عليه اتباع الحديث على طريقة ابن المبارك ونحوه.

وقال ابن رجب الحنبلي: كان سيدًا عظيمًا، وإمامًا عارفًا، وعابدًا زاهدًا، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات، كثير السهر بالليل، شديد القيام في نصر السنة والذب عنها والقمع لمن خالفها. وجرى له بسبب ذلك محن عظيمة.

قال ـ رحمه اللَّه ـ:

نهواكَ نحنُ ونحن منك نهابُ أهوىً وخوفًا إن ذاك عُجابُ!

شَخَص العقولُ إليكَ ثم استَحْسَرَتْ وتَحَيَّرتْ في كُنْهِكَ الألبابُ

تُوفي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ يوم الجمعة بعد العصر ثاني عشرين ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. ودُفن يوم السبت.

بكَازِيَا رِكَاه ـ مقبرة بقرب هَراة ـ . وكان يومًا كثير المطر، شديد الوحل. وقد كان الشيخ يقول في حياته: إن استأثر اللَّه بي في الصيف فلا بدّ من نطع مخافة المطر، فصدّق اللَّه ظنه في ذلك»[1].

صيف ومطر إنّ ذاك عجابُ.

*** الشريف أبو جعفر الهاشمي عبد الخالق بن عيسى بن أحمد العباسي:**

● قال ابن الجوزي: كان عالمًا فقيهًا، ورعًا عابدًا، زاهدًا، قوّالاً بالحق،

(١) «الذيل» (١/ ٥١ ـ ٦٧).

لا يُحابي، ولا تأخذه في اللَّه لومة لائم.

قال عنه ابن السمعاني: إمام الحنابلة في عصره بلا مدافعة.

وقال ابن خيرون: مقدم أهل زمانه شرفًا، وعلمًا وزهدًا.

وقال ابن عقيل: كان يفوق الجماعة من أهل مذهبه وغيرهم في علم الفرائض.

وكان عند الإمام - يعني الخليفة - معظمًا حتى إنه وصّى عند موته بأن يغسله، تبركًا به. وكان حول الخليفة ما لو كان غيره لأخذه. وكان ذلك كفاية عمره فواللَّه ما التفت إلى شيء منه، بل خرج ونسي مئزره حتى حُمل إليه. قال: ولم يُشهد منه أنه شرب ماء في حلقة على شدة الحرّ، ولا غمس يده في طعام أحدٍ من أبناء الدنيا.

وقال ابن رجب: كان معظمًا عند الخاصة والعامة، زاهدًا في الدنيا إلى الغاية، قائمًا في إنكار المنكرات بيده ولسانه، مجتهدًا في ذلك.

قال ابن الجوزي: لما احتُضر القاضي أبو يعلى أوصى أن يُغسله الشريف أبو جعفر، فلما احتضر القائم بأمر اللَّه قال: يغسلني عبد الخالق، ففعل، ولم يأخذ مما هناك شيئًا. فقيل له: قد وصّى لك أمير المؤمنين بأشياء كثيرة، فأبى أن يأخذ مما هناك شيئًا.

وفي فتنة ابن القشيري، قام فيها الشريف قيامًا كليًّا، ومات في عقبها.

قال القاضي أبو الحسين: أُخِذ الشريف أبو جعفر في فتنة أبي نصر بن القشيري، وحُبس أيامًا فسرد الصوم وما أكل لأحدٍ شيئًا.

قال: ودخلت عليه تلك الأيام ورأيته يقرأ في المصحف، فقال لي: قال اللَّه تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ تدري ما الصبر؟ قلت: لا، قال: هو الصوم. ولم يفطر إلى أن بلغ منه المرض، وضجّ الناس من حبسه،

وأُخرج إلى الحريم الطاهوي بالجانب الغربي فمات هناك.

وذكر ابن الجوزي أنه لما اشتد مرضه، تحامل بين اثنين، ومضى إلى باب الحجرة، فقال: جاء الموت، ودنا الوقت، وما أحبّ أن أموت إلا في بيتي بين أهلي فأُذِن له فمضى إلى بيت أخته بالحريم.

قال: وقرأت بخط أبي علي بن البناء قال: جاءت رقعة بخط الشريف أبي جعفر، ووصيته إلى أبي عبد اللَّه بن جردة فكتبها. وهذه نسختها:

«ما لي ـ يشهد اللَّه ـ سوى الحبل والدلو، وشيء يخفى عليّ لا قدْر له. والشيخ أبو عبد اللَّه، إن راعاكم بعدي، وإلا فاللَّه لكم. قال اللَّه عز وجل: ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ** ﴾، ومذهبي: الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، وما عليه أحمد، ومالك، والشافعي، وغيرهم ممن يكثر ذكرهم، والصلاة بجامع المنصور إن سهّل اللَّه تعالى ذلك عليهم، ولا يعقد لي عزاء، ولا يشق عليّ جيب، ولا يُلطم خد. فمن فعل ذلك فاللَّه حسيبه».

وتوفي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ليلة الخميس سحرًا. ورآه بعضهم في المنام، فقال له: ما فعل اللَّه بك؟ قال: لما وُضعت في قبري رأيت قبّة من درة بيضاء لها ثلاثة أبواب، وقائل يقول: هذه لك، ادخل من أي أبوابها شئت.

ورآه آخر في المنام، فقال: ما فعل اللَّه بك؟ قال: التقيت بأحمد بن حنبل فقال لي: يا أبا جعفر، لقد جاهدت في اللَّه حق جهاده، ولقد أعطاك اللَّه الرضى ـ رضي اللَّه عنه ـ[1].

* * *

---

(١) «الذيل» (١/ ١٥ ـ ٢٤).

*** الفقيه الزاهد: علي بن عمرو بن علي الحراني، أبو الحسن بن الضرير: «كم تنام، قد انهدم رُبع الإسلام»:**

صحب أبو الحسن الحراني القاضي أبا يعلى وتفقّه عليه. وكان من أكابر شيوخ حرّان تُوفي بسروج في شعبان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. وذكره أبو الحسين، فقال: الصالح التقي، وحكى لي ابنه خليفة، قال: حكى لي رجل من أهل سروج من الصالحين: أنه رأى في تلك الليلة قائلاً يقول له: يا فلان، إلى متى تنام؟ قم، قد انهدم ربع الإسلام. قال: فانتبهت، وانزعجتُ، ثم عدت نمتُ، فرأيت القائل يقول: كم تنام، قد انهدم ربع الإسلام. قال: فقعدتُ واستغفرت اللَّه تعالى. وقلتُ: إيش هذا؟ ثم نمتُ، فقال لي: يا فلان، قد انهدم ربع الإسلام. قد مات عليّ بن عمرو. قال: فأصبحت وقد مات ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[1].

*** المقرئ أبو البركات بن الحنبلي محمد بن سعد العسّال: «يموت الرجل على ما عاش عليه»:**

● «كان ـ رحمه اللَّه ـ من القرّاء المجوّدين، الموصوفين بحسن الأداء وطيب النغمة. يُقصد في رمضان، لسماع قراءته في صلاة التراويح، من الأماكن البعيدة. وكان ديّنًا صالحًا.

سمع منه ابن ناصر، والسلفي. قال: وكان من أحسن الناس تلاوة للقرآن، وكتب الحديث الكثير معنا وقبلنا. وهو حنبلي المذهب. علق الفقه عن ابن عقيل. توفي يوم الثلاثاء سابع رمضان سنة تسع وخمسمائه. وصُلي عليه بجامع القصر وكان الجمع متوفرًا»[2]. سبحان اللَّه! مَنْ كان يقصده

---

(١) «الذيل» (١/ ٨٦ ـ ٨٧).

(٢) «الذيل» (١/ ١١٣).

الناس في رمضان لسماع قراءته في صلاة التراويح من الأماكن البعيدة يموت في رمضان. . . فهو شهره.

*** أبو الحسن عقيل ابن شيخ الحنابلة ابن عقيل: «هان عليّ القتل والمقتول لجلالة القاتل»:**

كان ـ رحمه اللَّه ـ فقيهًا فاضلاً. مات وهو وشاب، وله من العمر سبع وعشرون سنة.

قال والده الإمام ابن عقيل: «مات ولدي عقيل. وكان قد تفقه وناظر، وجمع أدبًا حسنًا، فتعزّيت بقصة عمرو بن عبد ودّ الذي قتله علي ـ رضي اللَّه عنه ـ، فقالت أمه ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... ما زلتُ أبكي عليه دائم الأبدِ

لكنّ قاتله مَنْ لا يُقاد به ... مَن كان يُدعى أبوه بيضة البلدِ

فأسلاها، وعزّاها جلالة القاتل، وفخرها بأن ابنها مقتوله. فنظرتُ إلى قاتل ولدي الحكيمِ المالك، فهان عليّ القتل والمقتول لجلالة القاتل.

وذكر عن الإمام أبي الوفاء أنه أكبّ عليه وقبّله، وهو في أكفانه. وقال: يا بُنيّ، استودعتك اللَّه الذي لا تضيع ودائعه. الرب خير لك مني. ثم مضى وصلى عليه بجنان ثابت[1].

*** أبو منصور هبة اللَّه ابن شيخ الحنابلة ابن عقيل: «للَّه تعالى فيّ اختيار، فدعني مع اختياره»:**

حفظ أبو منصور هبة اللَّه القرآن وتفقه، وظهر منه أشياء تدل على عقل غرير، ودين عظيم. ثم مرض وطال مرضه، وأنفق عليه أبوه مالاً في

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ١٦٣، ١٦٤).

المرض، وبالغ قال أبو الوفاء - ابن عقيل - قال لي ابني، لـمّا تقارب أجله: يا سيدي قد أنـفقتَ وبالغتَ في الأدويـة، والطب، والأدعية، ولله تـعالى فيّ اختيار، فدعني مع اختياره. قال: فواللّـه ما أنطق اللّه سبحانه وتعالى ولدي بهذه المقالة التي تشاكل قول إسحاق[1] لإبراهيم: ﴿**افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**﴾ إلا وقد اختاره اللّه تعالى للحظوة.

توفي - رحمه اللّه تعالى - وله نحو أربع عشرة سنة[2] .

يا سبحان اللّه ابن أربع عشرة سنة، ويقول هذا... وهل بعد الرضا من مقام؟! أحبّه إليه أحبه إلى اللّه.

«حمل أبـو الوفا - رحمه الـلّه - في نفسه مـن شدة الألم أمرًا عظـيمًا، ولكنه تصبّر ولم يظهر منه جزع. وكان يقول: لولا أن القلوب تُوقف باجتماع ثان لتفطرت المرائر لفراق المحبوبين».

* قاضي المارستان محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري الكعبي البغدادي:

قال - رحمه اللّه -: ما ضيّعت ساعة من عمري في لهو أو لعب.

تفرّد - رحمه اللّه - بعلو الإسنـاد، ورحل إليه المحدثون من البلاد. ولم يخلّف بعده من يقوم مقامه في علمه.

● مرض وبـقي ثـلاثة أيام قـبـل مـوته لا يفتـر من قراءة الـقرآن، وأوصـى أن يكتـب عـلى قبـره ﴿**قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ**﴾ [ص: ٦٧ - ٦٨][3] .

---

(١) بل هو إسماعيل عليه السلام.

(٢) «الذيل» (١/ ١٦٥).

(٣) «الذيل» (١/ ١٩٢ - ١٩٥).

*** الشيخ الزاهد العابد أبو عمر محمد بن أحمد المقدسي: «مات وهو عاقد على أصابعه يسبح»:**

أخو الشيخ الموفق ابن قدامة.

قال أخوه الموفق عنه: هو شيخنا، ربّانا وأحسن إلينا، وعلّمنا وحرص علينا... وكان يؤثرنا ويدع أهله محتاجين، وبنى المدرسة والمصنع بعلو همته. وكان مجاب الدعوة، وما كتب لأحد ورقة للحمى إلا شفاه اللّه[١].

● قال ولده عبد اللّه: إنه في آخر عمره سرد الصوم، فلامه أهله، فقال إنما أصوم أغتنم أيامي؛ لأني إن ضعفت عجزت عن الصوم، وإن مت انقطع عملي.

قال الحافظ الضياء تلميذه: كان لا يترك قيام الليل من وقت شبوبيته، وسافر هو وجماعة، فقام في الليل يصلي ويحرس الجماعة، وقلّل الأكل في مرضه قبل موته، حتى عاد كالعود. ومات وهو عاقد على أصابعه يُسبّح[٢].

● وقال الضياء وأبو المظفر سبط ابن الجوزي: كان حسن الوجه، عليه أنوار العبادة، نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام[٣].

وكان ـ رحمه اللّه ـ يجاهد في سبيل اللّه، ويحضر الغزوات مع صلاح الدين.

وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزي:

«أقام مريضًا أيامًا، ولم يترك شيئًا من أوراده فلما كان عشية الاثنين ثامن

---

(١) «الذيل» ص(٥٧).

(٢) «الذيل» (٢/ ٥٢ ـ ٥٣).

(٣) «الذيل» (٢/ ٥٦).

عشر ربيع الأول ـ يعني سنه سبع وستمائة ـ جمع أهله واستقبل القبلة، ووصّاهم بتقوى اللَّه ومراقبته، وأمرهم بقراءة يس وكان آخر كلامه ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [البقرة: ١٣٢][(١)] .

● وكان قبل وفاته بليلة رأى إنسان كأن قاسيون قد وقع أو زال من مكانه فأوّلوه بموته.

● ولما دُفِن رأى بعض الصالحين في منامه تلك الليلة النبي ﷺ وهو يقول: مَنْ رأى أبا عمر ليلة الجمعة فكأنما رأى الكعبة، فاخلعوا نعالكم قبل أن تصلوا إليه. ومات ـ رحمه اللَّه ـ عن ثمانين سنة، ولم يخلف دينارًا ولا درهمًا ولا قليلاً ولا كثيرًا.

وقال أبو شامة في مذيله: أول ما وقفت على قبره وزرته. وجدت بتوفيق اللَّه عز وجل رقة عظيمة وبكاءً صالحًا. وكان معي رفيق لي، وهو الذي عرّفني قبره، وجد أيضًا مثل ذلك.

قال أبو شامة: وأخبرني بعض أصحابنا الثقات أنه رأى الإمام الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ في المنام، فسأله إلى أين تمضي؟ فقال أزور أحمد بن حنبل، فأتبعته أنظر ما يصنع، فدخل دارًا، فسألت: لمن هي؟ فقيل: للشيخ أبي عمر ـ رحمه اللَّه ـ.

تبكي عليه عيون الناس قاطبة ... إذ كان في كل عين منه إنسانُ

وكان في كل قلب منه نور هدى ... فصار في كل قلب منه نيران

وكل حي رأينا فهو ذو أسف ... وكل ميت رآه فهو فرحان

لا زال يسقي ضريحًا أنت ساكنه ... سحائب غيثها عفو وغفرانُ

كم ميّت ذكره حيّ، ومتصف ... بالحيّ ميت، له الأثواب أكفان[(٢)]

(١) «الذيل» (٢/ ٥٦ ـ ٥٩).

(٢) «الذيل» (٢/ ٥٩ ـ ٦١).

*** الفقيه المفسِّر، الخطيب الواعظ محمد بن الخضر بن تيمية فخر الدين شيخ حرّان مات وهو يصلي:**

كان الشيخ فخر الدين رجلاً صالحًا، يُذكر له كرامات وخوارق.

وقال الناصح ابن الحنبلي: انتهت إليه رياسة حرّان، وله خطبة الجمعة، وإمامة الجامع، وتدريس المدرسة النورية، وله القبول من عوام البلد، والوجاهة عند ملوكها، وكان في ملازمته التفسير والوعظ مع الطريقة الظاهرة الصلاح.

وقال ابن حمدان الفقيه: كان شيخ حران، ومدرسها، وخطيبها ومفسرها، مغرًى بالوعظ والتفسير، مواظبًا عليهما.

قال - رحمه اللَّه -:

أتت رحلتي، وقد أتاني المسيرُ ... وزادي من النسك نزر حقيرُ

وقلبي على جمرات الأسى ... من الخوف من خالقي مستطيرُ

وكم زلة قد تقحمتها ... فدمعي لها وعليها غزير

مضى عمري، وانقضت مدتي ... ولم يبق من ذاك إلا اليسير

كأني بكم حاملين السرير ... بشخصي، وناهيك ذاك السرير

يُقِلّونه شَرْجعًا مثقلاً ... عُلومًا لجنبيه منها صريرُ

إلى منزلٍ ليس في ربعه ... أنيس لساكنه أو نصير

سوى عمل صالح بالتقى ... فنعم الأنيس، ونعم الخفير

قال ولده عبد الغني: لما مات الوالد كان في الصلاة؛ لأني ذكّرته بصلاة العصر. وأخذته إلى صدري، فكبر وجعل يحرّك حاجبه وشفتيه بالصلاة حتى شخص بصره - رحمه اللَّه تعالى -(١).

---

(١) «الذيل» (٢/ ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨).

وقد ذكر ولده له منامات صالحة رئيت له بعد وفاته وهي كثيرة جداً جمعها في جزء.

قال: حدثتني ابنة عم والدي - وكانت صالحة - قالت: رأيت بعد موت الشيخ في منامي، كأنني أسمع صوت ضجّة من السماء. فقلت: لمن عندي: ما هذا الصوت والضجّة؟ قال: هذا ضجيج الملائكة لأجل انقطاع التفسير وتعطله بالجامع بعد وفاة الشيخ.

قال: وحدّثني أبو الحسن بن إبراهيم بن البقش النجار - وكان يلازم الشيخ لسماع الحديث - قال: رأيت الشيخ بعد موته في المنام على كرسي يعظ، وتحته رجال ونساء كثير فسمعته يُنْشد:

تجلى الحبيبُ لأحبابه ... فطوبى لمن كان يعنى به
فلما تجلّى لهم كبّروا ... وخرّوا سجوداً على بابه[1]

*** يوسف بن عبد الرحمن، الواعظ الشيهر محيي الدين ابن الشيخ جمال الدين أبو الفرج أستاذ دار الخلافة قتل شهيداً:**

● قال الحافظ الذهبي: كان إمامًا كبيرًا، وصدرًا معظمًا.

وقال ابن الساعي عنه: هو من العلماء الأفاضل، والكبراء الأماثل، أحد أعلام العلم ومشاهير الفضل. ظهرت عليه آثار العناية الإلهية، مذ كان طفلاً، فعني به والده. وأسمعه الحديث، ودرّبه من صغره على الوعظ، وبورك له في ذلك، وصار له قبول تام، وبانت عليه آثار السعادة. وكان كامل الفضائل، معدوم الرذائل. ولي أستاذ دارية الدار، فلم يزل كذلك إلى أن قُتِل صبرًا شهيدًا بسيف الكفار عند دخول هولاكو ملك التتار إلى بغداد.

---

(١) «الذيل» (٢/ ١٥٨ - ١٦١).

● وكانت خاتمة سعادته الشهادة.

قال الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش: بلغني عن الشيخ محمد بن سكران الزاهد المشهور، أنه قال: رأيت أستاذ الدار ابن الجوزي في النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: كفرت ذنوبنا سيوفُهم ﵁[1] .

*** شاعر عصره وحسّان وقته يحيى بن يوسف الصرصري الأنصاري:**

«كان صالحًا قدوة، عظيم الاجتهاد، كثير التلاوة، شديدًا في السنة، منحرفًا على المخالفين لها».

«لما دخل هولاكو وجنده الكفار إلى بغداد كان الشيخ يحيى بها. فلما دخلوا عليه قاتلهم. ويقال إنه قتل منهم بعكّازه. ثم قتلوه شهيدًا ﵁ وكان ـ رحمه الله ـ قد رأى النبي ﷺ في منامه وبشره بالموت على السنة ونظم في ذلك قصيدة طويلة معروفة. وقد حدث[2] .

*** علي بن سليمان بن أبي العزّ الخبّاز:**

● كان زاهدًا صالحًا، كبير القدر، قدوة، له أتباع ومريدون. وله زاوية ببغداد، وأحوال وكرامات.

قال الذهبي: كان شيخنا الدباهي يصفه ويعظّمه.

وسمع منه الدمياطي، وحدّث عنه في معجمه، وقال: قُتل شهيدًا في وقعة التتر في محرم سنة ست وخمسين وستمائة. ويقال: إنه ألقى على باب زاويته على مزبلة ثلاثة أيام، حتى أكلت الكلاب من لحمه، وأنه كان قد

---

(١) «الذيل» (٢/٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٢) «الذيل» (٢/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣).

أخبر عن نفسه بذلك في حياته رضي الله عنه.

وكان المستنصر بالله يزوره، ويرسل الشيخ محمد الركاب دار يأتيه من خبزه فيستشفي به»(١).

لئن أكلت الكلاب من لحمه فوالله لقد عظم الأجر... ما ضرّهم ما أصابهم جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة.

* الشيخ المحدّث الكاتب أبو العباس أحمد بن عبد الدايم بن نعمة:

انتهى إليه علو الإسناد، وكانت الرحلة إليه من أقطار البلاد.

سمع منه وروى عنه الأئمة الكبار كالشيخ محيي الدين النووي، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والشيخ تقي الدين ابن تيمية.

توفي يوم الاثنين سابع رجب سنة ثمان وستين وستمائة.

ورأى رجل ليلة موته في المنام كأن الناس في الجامع، وإذا ضجّة. فسأل عنها؟ فقيل له: مات هذه الليلة مالك بن أنس، قال: فلما أصبحت جئت إلى الجامع، وأنا مفكِّر، وإذا إنسان ينادي: رحم الله من حضر جنازة الشيخ زين الدين بن عبد الدايم ـ رحمه الله ـ(٢).

* الزاهد علي بن عثمان بن الوجوهي المقرئ: «أَمِثْل ابن الوجِوهي يُقال ذلك؟!»:

● قال ابن رجب الحنبلي: «أنبأني غير واحد عن الظهير ابن الكازروني، قال: حكى لي الشيخ رشيد الدين بن أبي القاسم أن العدل محب الدين مصدق حدّثه، قال: رأيت ابن الوجوهي بعد موته، فقلت: ما فعل الله بك؟

(١) «الذيل» (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).
(٢) «الذيل» (٢/ ٢٨٠).

فقال: نزلا عليّ، وأجلساني وسألاني، فقلت: ألمثلِ ابن الوجوهي يُقال ذلك؟! فأضجعاني ومضيا ـ رحمه الله ـ[1].

* الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البعلي:

● قال عنه ابن رجب الحنبلي في «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٢٠): «كان فقيهًا محدثًا، كثير الاشتغال بالعلم، وكان مواظبًا على قراءة جزءين من القرآن في الصلاة في كل ليلة. توفي يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة. وأخبرني بعض أقاربه. وكان يخدمه في مرضه الذي تُوفِّي فيه ـ قال: آخر ما سمعت عند موته، أن قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر قوله لا إله إلا الله**»، ثم مات.

* قاضي القضاة عبد الله بن حسن بن عبد الله المقدسي: «مات وهو يتوضأ»:

ولي القضاء في آخر عمره، وتولّى مدرسة الحديث بالصدرية والعالمية، ثم بدار الحديث الأشرفية، وكان فقيهًا عالمًا خيِّرًا صالحًا منفردًا بنفسه حميد السيرة في القضاء. توفي فجأة وهو يتوضأ للمغرب آخر نهار الأربعاء سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة. وكان قد حكم ذلك اليوم بالمدينة، ثم توجّه آخر النهار إلى السفح. ودفن من الغد بتربة الشيخ أبي عمر وحضره جمع كثير[2].

* جُنَيْد عصره، الزاهد القدوة العارف عماد الدين، ابن شيخ الحزاميين:

الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي الحزامي.

---

(١) «الذيل» (٢/ ٢٨٤ ـ ٢٥٥).

(٢) «الذيل» (٢/ ٤١٨ ـ ٤١٩).

كان الشيخ تقي الدين بن تيمية يعظمه ويجلّه، ويقول عنه: هو جُنيد وقته، وكتب إليه كتابًا من مصر أوله: «إلى شيخنا الإمام العارف القدوة السالك».

قال عنه البرزالي: رجل صالح عارف، صاحب نسك وعبادة، وانقطاع وعزوف عن الدنيا.

وقال الذهبي: كان سيدًا عارفًا كبير الشأن، منقطعًا إلى اللَّه تعالى... وكان داعية إلى السنة، ومذهبه مذهب السلف الصالح في الصفات. يمرها كما جاءت. وقد انتفع به جماعة صحبوه، ولا أعلم خلّف بدمشق في طريقته مثله.

قال ابن رجب الحنبلي: «كان معمور الأوقات بالأوراد والعبادات، والتصنيف، والمطالعة، والذكر والفكر، مصروف العناية إلى المراقبة والمحبة، والأنس باللَّه، وقطع الشواغل والعوائق عنه، حثيث السير إلى وادي الفناء باللَّه والبقاء به، كثير اللهج بالأذواق والتجليات، والأنوار القلبية، منزويًا عن الناس، لا يجتمع إلا بمن يحبه، ويحصل له باجتماعه به منفعة دينية.

ولم يزل على ذلك إلى أن توفي آخر نهار السبت سادس عشر ربيع الآخر سنة إحدى عشر وسبعمائة[1].

ولا أجل من الاستقامة على العبادة... وأقلّ القليل من يثبت على حاله مع اللَّه إلى الممات.

*** محمد بن أحمد بن أبي نصر بن الدباهي الزاهد أبو عبد اللَّه بن أبي العبّاس: «استقامة حتى الممات... وموت بالاستسقاء وتلك شهادة»:**

• قال الشيخ كمال الدين بن الزملكاني عنه: شيخ صالح، عارف

(١) «الذيل» (٢/ ٣٦٠).

زاهد، كثير الرغبة في العلم وأهله، والحرص على الخير، والاجتهاد في العبادة، تخلّى عن الدنيا وخرج عنها، ولازم العبادة، والعمل الدائم والجد واستغرق أوقاته في الخير، متقشف ورع، صلب في الدين، محب للصالحين وأهل الخير، منقطع عن الناس، يقوم الليل ويكثر الصوم، ويطيل الصلاة بخشوع وإخبات واستغراق، وإذا رآه إنسان عرف الجدّ في وجهه، يقوم فيما يظهر له من الحق، ويأمر بما يمكنه من المعروف وينهى عما يقدر على النهي عنه من المنكر ولم يزل كذلك حتى توفي[١] .

● قال عنه البرزالي: أحد المشايخ العارفين الصالحين، وافر الإخلاص، متّبع للسنة، سيد من السادات.

وقال الذهبي: كان إمامًا فقيه النفس، عارفًا بمعاملات القلوب... ترك أباه ونعمته وتجرّد. ابتلي بضيق النفس سبعة أشهر، ثم بالاستسقاء ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[٢] .

*** الفقيه المحدث الزاهد شرف الدين أبو الحسين علي بن محمد بن أحمد اليونيني البعلي: «يموت شهيدًا ليلة الجمعة في رمضان بعد إسماعه الحديث»:**

● قال عنه الذهبي: «كان إمامًا محدثًا، متقنًا مفيدًا، فقيهًا مفتيًا، خبيرًا باللغة والغريب، غزير الفوائد، مُكْرَمًا بين الملوك والأئمة مهيبًا كثير التواضع... عظيم الهيبة.

وقال في آخر طبقات الحفاظ: انتفعت به، وتخرّجت به. وكان عارفًا بقوانين الرواية حسن الدراية».

---

(١) «الذيل» (٢/ ٣٦١).
(٢) «الذيل» (٢/ ٣٦١ ـ ٣٦٢).

توفي يوم الخميس حادي عشر رمضان سنة إحدى وسبعمائة ببعلبك.

وكان موته بشهادة ـ رحمه اللَّه ـ، فإنه دخل إليه ـ يوم الجمعة خامس رمضان، وهو في خزانة الكتب بمسجد الحنابلة ـ شخص، فضربه بعصى على رأسه مرات وجرحه في رأسه بسكين، فاتقى بيده، فجرحه فيها، وأمسك الضارب، وضُرِب ضربًا عظيمًا، وحُبس، وأظهر الاختلال.

وحمل الشيخ إلى داره، وأقبل على أصحابه يحدثهم، وينشدهم على عادته، وأتم صيامه يومه، ثم حصل له بعد ذلك حمى، واشتد مرضه حتى توفي يوم الخميس المذكور في الساعة الثامنة منه، وغبطه الناس بموته شهيدًا في رمضان ليلة الجمعة عقب رجوعه من دمشق، وإفادته الناس، وإسماعه الحديث رضي الله عنه[1].

*** محدث بغداد الزاهد الأثري عفيف الدين أبو محمد عبد الرحيم ابن محمد العلثي: «طوبى له»:**

● قال أبو العلاء الفرضي: كان شيخنا عالمًا، فقيهًا محدثًا، مكثرًا مفيدًا زاهدًا عابدًا، من بيت الحديث، تابعًا للسنّة، شديدًا على المبتدعة، ملازمًا لقراءة القرآن والعبادة.

وقال البرزالي عنه: محدث بغداد في وقته؛ موصوف باتباع السنة ونصرها، والذبّ عنها.

قال الذهبي: وله أتباع وأصحاب، يقومون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. سمع منه بدمشق الكبار: كالمزي والبرزالي والشيخ تقي الدين ابن تيمية.

● توفي بطريق مكة الشامي ـ بذات عرق ـ عند عوده من الحج ـ يوم

(١) «الذيل» (٢/٣٤٦).

الجمعة وقت الصلاة سابع عشر المحرم سنة خمس وثمانين وستمائة، وحكي عنه: أنه لما مرّ على الوادي المذكور متوجهًا إلى مكة ـ شرّفها اللَّه تعالى ـ من دمشق رأى قبور جماعة ماتوا هناك من قبل، فقرأ، واستغفر لهم، وقال: طوبى لمن دُفِن معكم، فتوفي لـمّا عاد، ودُفِن معهم، ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[1].

*** الشيخ الفقيه المحدث الزاهد فخر الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن يوسف البعلي: «أنا أعيش عمر الإمام أحمد، لكن شتّان ما بيني وبينه»:**

قال البرزالي: كان من خيار المسلمين، وكبار الصالحين.

● كان الشيخ الفقيه اليونيني يحبه، ويقدّمه على أولاده، حتى جعله إمامًا لمسجد الحنابلة إلى أن انتقل إلى دمشق.. ولي مشيخة الحديث بمشهد عروة، وبدار الحديث النورية ـ وبالصدرية وكان دائم البشر، يحب الخمول ويؤثره، ويلازم قيام الليل من الثلث الآخر، ويتلو بين العشاءين، ويصوم الأيام البيض، وستًا من شوّال، وعشر ذي الحجة والمحرّم. ولا يخل بذلك. ذكر ذلك كله ولده الشيخ عز الدين.

قال: ولقد أخبر بأشياء، فوقعت كما قال لخلائق. وذلك مشهور عند من يعرفه. ولقد قال لي في صحته وعافيته: «أنا أعيش عمر الإمام أحمد، لكن شتان ما بيني وبينه» فكان كما قال.

وقال ابن اليونيني: كان رجلاً صالحًا زاهدًا، فاضلاً عابدًا... رافقته في طريق مكة، فرأيته قليل المثل في ديانته وتعبده، وحسن أوصافه، وكان من خيار الشيوخ علمًا وعملاً، وصلاحًا وتواضعًا، وسلامة صدر، وحسن سمت، وصفاء قلب، وتلاوة قرآن وذكر. وكان أحد عباد اللَّه الصالحين.

---

(١) «الذيل» (٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦).

توفي ليلة الأربعاء سابع رجب سنة ثمان وثمانين وستمائة بدمشق. ودفن من الغد بالقرب من قبر الشيخ موفق الدين بروضة الجبل ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[1].

*** الحافظ البرزالي صاحب التاريخ والمعجم: «كان إذا قرأ حديث الرجل الذي مات محرمًا بكى فمات محرمًا»:**

قال الحافظ ابن ناصر الدمشقي: «مات بخليص مُحرِمًا في ثالث ذي الحجة، سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة».

ولقد حكى بعض مشايخنا عنه أنه كان إذا قرأ الحديث، ومرّ به حديث ابن عباس في قصة الرجل الذي كان مع النبي ﷺ فوقصته ناقته، وهو محرم فمات. . . الحديث، وفيه: «**فإنه يُبعث يوم القيامة مُلبّيًا**» فكان إذا قرأه يبكي، ويرقّ قلبه، فمات محرمًا بخليص»[2].

رُوحٌ دَعَاها للوِصال حَبيبُها ... فسعت إليه تُطيعُهُ وتُجيبُهُ
يا مُدّعي صدق المحبّةِ هكذا ... فِعْلُ الحبيب إذا دعاه حبيبُهُ

*** شيخ الإسلام مجدد عصره ابن تيمية: «يموت عند قوله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾»:**

شهرة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم تغني عن الإطناب في ذكره فهو أشهر في الدنيا من الدنيا قال عنه الحافظ المزي: لم يُرَ مثله منذ أربعمائة سنة.

وقال الشيخ القدوة أبو عبد اللَّه محمد بن قوام: ما أسلمت معارفنا إلا

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٣١٩ ـ ٣٢٠).
(٢) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي ص(٢١٧) ـ المكتب الإسلامي.

على يد ابن تيمية.

قال له ابن دقيق العيد لما اجتمع به: ما كنت أظن أن اللَّه بقي يخلق مثلك.

مات شيخ الإسلام في سجنه بقلعة دمشق... دخل القلعة ورأى بابها فقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾، وقال: ما يصنع أعدائي بي أنا جنتي وبستاني في صدري أينما رحت فهي معي. إن معي كتاب اللَّه وسنة نبيه، إن قتلوني فقتلي شهادة، وإن نفوني عن بلدي فنفيي سياحة، وإن سجنوني فأنا في خلوة مع ربي. إن المحبوس من حُبِس عن ربه، وإن الأسير من أسره هواه، وتفرّغ شيخ الإسلام في سجنه للقرآن وقراءته وجعل يقول: «لو يعلمون ما أسدوا إليّ من الجميل بسجنهم إياي في القلعة ما كافأتهم عليها بملئها ذهبًا».

قال ابن رجب الحنبلي:

«مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين، ثم مرض بضعة وعشرين يومًا، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه، ولم يفجأهم إلا موته. وكانت وفاته في سحر ليلة الاثنين عشرين ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وأخبر أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعا في الحادية والثمانين، فانتهيا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ ـ ٥٥].

وهذه الخاتمة الطيبة لشيخ الطيبين وإمام العلماء العاملين الربانيين تختم بها حياته ومحنه وآلامه توحي بعلو مكانته.

*** الإمام الجبل إسحاق بن إبراهيم أبو يعقوب المَرْوزي، ابن راهُويَه شيخ الإسلام، شيخ البخاري:**

● قال أحمد بن حنبل وذكر إسحاق: لا أعرف له بالعراق نظيراً.

وقال محمد بن أسلم الطوسي: لو كان الثوري في الحياة لاحتاج إلى إسحاق.

وقال ابن خزيمة: واللَّه لو كان إسحاق في التابعين لأقرّوا له بحفظه وعلمه وفقهه.

وقال محمد بن أسلم الطوسي حين مات إسحاق: ما أعلم أحدًا كان أخشى للَّه من إسحاق، يقول اللَّه: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨]، وكان أعلم الناس.

● توفي إسحاق ليلة نصف شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

وفي ليلة موته يقول الشاعر:

يا هَدَّةً مَا هُدِدْنا ليلةَ الأحدِ ... في نصف شعبان لا تنسى مدى الأبد

قال أبو عمرو المستمْلِي النيسابوري: أخبرني علي بن سلمة الكرابيسي، وهو من الصالحين، قال: رأيت ليلة مات إسحاق الحنظلي كأن قمرًا ارتفع من الأرض إلى السماء، من سكّة إسحاق، ثم نزل فسقط في الموضع الذي دُفِن فيه إسحاق. قال: ولم أشعر بموته فلما غدوتُ إذا بحفّار يحفر قبر إسحاق، في الموضع الذي رأيت القمر وقع فيه»[1].

* * *

(١) «طبقات الشافعية» للسبكي (٢/ ٨٨).

*** الإمام محمد بن منصور بن محمد، أبو بكر بن الإمام أبي المظفر ابن الإمام أبي منصور بن السمعانيّ:**

تاج الإسلام أبو بكر الإمام ابن الإمام ابن الإمام.

قال فيه الحافظ السِّلَفي:

هو المُزَنيُّ إبّان الفتاوَى — وفي علم الحديث الترمذي

وجاحظُ عصرِه في النثر صدْقًا — وفي وقت التشاعُر بحتري[1]

وفي النحو الخليلُ بلا خلافٍ — وفي حفظ اللغات الأصمعي

قال الحافظ أبو سعد[2]: من عجيب ما اتفق، أن آخر مجلس أملاه، كان افتتاحه بقوله ﷺ: «**إن أمامكم عقبة كئودًا، لا يجوزها المُثقّلون، فأنا أحب أن أتخفّف لتلك العقبة**».

وكان قد وصل في التفسير الذي ذكره في مجلس الوعظ إلى قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ الآية.

وتُوفي عقيب ذلك، ابن ثلاث وأربعين سنة، في يوم الجمعة، ثاني صفر، سنة عشر وخمسمائة[3].

*** الإمام الكبير الفَرْد في علم الخلاف أبو الفتح الـمِيهني أسعد بن محمد بن أبي نصر:**

تفقّه على الإمام أبي المظّفر السمعاني.

قال أبو سعد بن السمعاني: سمعت أبا بكر محمد بن علي الخطيب

---

(١) وددت لو قال: وفي الشعر الأديب البحتري.

(٢) هو ابن الحافظ أبي بكر ويلقب أيضًا بتاج الإسلام، وهو حافظ كبير.

(٣) «طبقات الشافعية» للسبكي (٧/ ١٠).

يقول سمعت فقيهاً من أهل قَزْوين، وكان يخدم الإمام أسعد في آخر عمره بهمذان، قال: كنا معه في بيت، وقت أن قَرُب ارتحاله، فقال لنا: اخرجوا من ها هنا، فخرجنا، فوقفت على الباب وتسمّعت، فسمعته يلطم وجهه ويقول: وا حسرتا على ما فرّطت في جنب اللَّه، وجعل يبكي ويلطم وجهه، ويردّد هذه الكلمة إلى أن مات ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[1].

*** الحسن بن سلمان بن الفتى النهرواني أبو علي الأصبهاني مدرس النِّظامية:**

قال عنه تلميذه أبو المعمّر المبارك بن أحمد الأنصاري: لم ترَ عيناي مثله.

قال السبكي في «طبقات الشافعية» (٧/ ٦٢):

«سُئل في بعض مجالسه التي كان يجلس فيها للتذكير، عن علامة قبول الصوم، فقال: أن يموت في شوّال، قبل التلبّس بسيئ الأعمال، فمات في شوال بعد تأدية فرض رمضان، يوم الاثنين الخامس من شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة، ودُفِن بتربة الشيخ أبي إسحاق».

*** الإمام الجليل أبو المحاسن الرُّوياني عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد صاحب «البحر»:**

أحد أئمة المذهب الشافعي. كان يُلقّب فخر الإسلام، وله الجاه العريض، والعلم الغزير والدين المتين، والمصنفات السائرة في الآفاق والشهرة بحفظ المذهب، يُضرب المثل باسمه في ذلك، حتى يُحكى أنه قال: لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي.

---

(١) «طبقات الشافعية» (٧/ ٤٣).

قال السبكي: ولي القاضي أبو المحاسن قضاء طبرستان، وكان القاضي فيما أحسب مدرس نظامية طبرستان، ثم انتقل إلى آمل، وهي وطن أهله، فأقام بها إلى يوم الجمعة عند ارتفاع النهار حادي عشر المحرم سنة اثنتين وخمسمائة، فقتلته الملاحدة حسدًا، ومات شهيدًا بعد فراغه من الإملاء[١] .

*** جمال الإسلام أبو الحسن السُّلَمِي علي بن المُسَلَّم توفي ساجدًا في صلاة الفجر:**

أحد مشايخ الشافعية بالشام.

روى عنه الحافظ ابن عساكر والسلفي. ولزم الغزالي مدة مقامه بدمشق.

قال الغزالي بعد خروجه من الشام: خلّفت بالشام شابًّا إن عاش كان له شأن. يعني: جمال الإسلام، فكان كما قد تفرّس فيه. وكان على فتاويه عمدة أهل الشام، وكان يكثر من عيادة المرضى وشهود الجنائز... وكان يعقد مجلس التذكير، ويُظهر السنّة ويرد على المخالفين، ولم يخلف بعده مثله.

تُوفِّي ساجدًا في صلاة الفجر في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة[٢] .

*** الأمير الفقيه ضياء الدين الهكّاري أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى: «مات مرابطًا في حصار عكّا»:**

أكبر أمراء الدولة الصلاحية.

تفقّه بالجزيرة على الإمام أبي القاسم بن البزري، ثم انتقل لحلب،

---

(١) «طبقات الشافعية» (٧/ ١٩٥).

(٢) «طبقات الشافعية» (٧/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

وسمع الحديث من أبي طاهر السلفي، وأبي القاسم بن عساكر.

اتصل بخدمة الملك أسد الدين شيركوه، وصار إمامه في الصلوات وتوجّه معه إلى مصر، وكان أحد الأسباب المعينة على سلطنة صلاح الدين بعد عمه، وكان ذا شجاعة وشهامة فأمره أسد الدين ثم رفع صلاح الدين منزلته ونقله من إمرة إلى إمرة، حتى صار أكبر أمراء الدولة وأُسر مرة فافتداه السلطان صلاح الدين بستين ألف دينار.

توفي في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة. مات بمخيّمه على حصار عكا وهو مجاهد للفرنج[١].

* أمير المؤمنين المسترشد باللَّه قُتِل وهو صائم وهو يقرأ القرآن:

«قال ابن السمعاني: كان ذا رأي وهيبة ومضاء وشجاعة، أحيا رمائم الخلافة، وشدّ أركان الشريعة، وضبط أمور الخلافة وردّها ورتّبها أحسن الترتيب.

والمسترشد أبلغ مما يُوصف به، وقد آل أمره إلى أن خرج في سنة تسع وعشرين وخمسمائة إلى همذَان، للإصلاح بين السلاطين السلجوقية، وكان معه كثير من الأتراك، فغدر به أكثرهم، ولحقوا بالسلطان مسعود، ثم التقى الجمعان، فلم يلبثوا إلا قليلاً وانهزموا عن المسترشد، وذلك في شهر رمضان، وقُبض على المسترشد باللَّه وعلى خواص دولته، وحملوا إلى قلعة هناك بقرب همذان، فحبسوا فيها، وبقي المسترشد مع السلطان مسعود إلى النصف من ذي القعدة من السنة، وحُمِل معهم إلى مراغة من أذربيجان، ثم إن الباطنية ألقوا عليه جماعة من الملاحدة، وكان قد أُنزِل ناحية من العسكر فدخلوا عليه يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة، وفتكوا به وبجماعة معه

(١) «طبقات الشافعية» (٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦، ٣٦٥).

كانوا على باب خَرْكاهِهِ(١)، وقُتلوا جميعًا ضربًا بالسكاكين وحمل هو إلى مراغة ودُفِن هناك.

ويُحكى أن المسترشد كان إذ ذاك صائمًا، وقد صلى الظهر وهو يقرأ في المصحف، فدخلوا عليه فقتلوه، ثم أُضرِمت عليهم النار... فرضي اللَّه عنه، لقد عاش حميدًا ومات شهيدًا فقيدًا(٢).

* الشيخ الجليل أبو الحسين العِمْراني اليماني يحيى بن أبي الخير بن سالم:

شيخ الشافعية بإقليم اليمن، صاحب «البيان» وغيره من المصنفات الشهيرة. كان إمامًا زاهدًا ورعًا عالمًا خيّرًا مشهور الاسم، بعيد الصيت، أعرف أهل الأرض بتصانيف أبي إسحاق الشيرازي، يحفظ «المهذب» عن ظهر قلب.

قال ابن سَمُرة: وكان ورده في الليلة أكثر من مائة ركعة، بِسُبْع من القرآن العظيم مات ـ رحمه اللَّه ـ مبطونًا شهيدًا في ربيع الآخر قبل الفجر من ليلة الأحد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، ولم يترك صلاة في مرض موته، وكان نزعه ليلتين ويومًا بينهما، يسأل عن كل وقت صلاة، ويصلي بالإيماء(٣).

* الإمام فخر الدين الرازي، ابن خطيب الري محمد بن عمر التيمي البكري: «يا كريم، جاءك الفقير المحتاج فأحسِن إليه»:

شيخ الشافعية وإمام المتكلمين.

---

(١) شيء يشبه الخيمة.

(٢) «طبقات الشافعية» (٧/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠).

(٣) «طبقات الشافعية» (٧/ ٣٣٨).

● قال الكمال محمود بن عمر الرازي: سمعت الإمام فخر الدين يوصي بهذه الوصية لما احتُضِر لتلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني:

«يقول العبد الراجي رحمة ربه، الواثـق بكرم مولاه، محمد بن عمر بن الحسن الرازي، وهو أول عهده بالآخرة وآخر عهده بالدنيا، وهو الوقت الذي يلين فـيه كل قاس، ويـتوجه إلى مولاه كـل آبق: أحمد الـلَّه بالمحامـد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجـهم، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقـات شهادتهـم، وأحمده بالمحـامد التي يـستحقـها، عرفتـها أو لم أعرفها، لأنه لا مناسبة للتراب مع رب الأرباب.

وصلواته عـلى ملائكته المـقربين، والأنبياء المـرسلين، وجميع عـباد اللَّه الصالحين.

اعلموا أخلائي في الدين، وإخواني في طلب اليقين، أن الناس يقولون: إن الإنسان إذا مـات انقطع عمـله، وتعلّقه عـن الخلق، وهذا مخـصص من وجهين: الأول أنه إن بقي منه عمل صالـح صار ذلك سببًا للدعاء، والدعاء له عند اللَّه تعالى أثر، والثاني: ما يتعلق بالأولاد وأداء الجنايات.

● أما الأول: فاعلموا أني كنت رجلاً محبّا للعلم، فكنت أكتب من كل شيء شيئًا لأقف على كميته وكيفيته، سواء كان حقًّا أو باطلاً، إلا أن الذي نطق به في الـكتب المعتبرة أن العـالم المخصوص تحت تدبير مـدبره المنزه عن مماثلة التحيّزات موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة، ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن؛ لأنه يسعى في تسليم العـظمة والجلال للَّه، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقـضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البـشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخـفيّة، فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة، من وجوب وجوده، ووحْدته، وبراءتـه عن الشركاء، كما في القِدم

والأزلية، والتدبير والفعالية، فذلك هو الذي أقول به، وألقى اللَّه به، وأما ما ينتهي الأمر فيه إلى الدقة والغموض، وكل ما ورد في القرآن والصحاح، والمتعيّن للمعنى الواحد، فهو كما قال، والذي لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين، إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فكلّ ما مدّه قلمي، أو خطر ببالي، فأستشهد، وأقول: إنْ علمت مني أني أردت به تحقيق باطل، أو إبطال حق، فافعل بي ما أنت أهله، وإن علمت مني أني ما سعيت إلا في تقديسٍ اعتقدتُ أنه الحق، وتصورت أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي، فذاك جهد المقلّ، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة، فأغثني، وارحمني، واستر زلتي، وامح حوبتي، يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينقص ملكه بخطا المجرمين.

وأقول: ديني متابعة الرسول ﷺ، وكتابي القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما، اللَّهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، أنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: «**أنا عند ظن عبدي بي**»، وأنت قلتَ: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾ [النمل: ٦٢]، فهب أني ما جئت بشيء، فأنت الغني الكريم، فلا تخيّب رجائي، ولا ترد دعائي، واجعلني آمنًا من عذابك، قبل الموت، وبعد الموت، وعند الموت، وسهِّل عليّ سكرات الموت، فإنك أرحم الراحمين.

● وأما الكتب التي صنفتها، واستكثرت فيها من إيراد السؤالات، فليذكرني مَن نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التفضّل والإنعام، وإلا فليحذف القول السيئ؛ فإني ما أردت إلا تكثير البحث، وشحذ الخاطر، والاعتماد في الكل على اللَّه.

● الثاني: وهو إصلاح أمر الأطفال، فالاعتماد فيه على اللَّه.

ثم إنه سرد وصيته في ذلك، إلى أن قال: وأمرت تلامذتي، ومَن لي عليه حق، إذا أنا متّ، يُبالغون في إخفاء موتي، ويدفنوني على شرط الشرع، فإذا دفنوني قرءوا عليّ ما قدروا عليه من القرآن، ثم يقولون: «يا كريم، جاء الفقير المحتاج فأحسن إليه»، هذا آخر الوصية[1] .

ومن شعره في آخر حياته:

نهاية إقدام العقول عِقَالُ ... وأكثر سَعْي العالَمين ضلالُ

وأرواحنا في غفلة من جُسومنا ... وحاصل دُنيانا أذىً ووَبَالُ

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوَى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وكم مِن جبالٍ قد عَلتْ شرفاتِها ... رجالٌ فزالوا والجبالُ جبالُ

وكَم قد رأينا من رجالٍ ودولةٍ ... فبادوا جميعًا مُزعَجين وزالوا[2]

*** الأمير الكبير الوزير فخر الدين أبو الفضل الجُوَيني يوسف بن شيخ الشيوخ: «واللَّه لأسبقنّك إلى الجنة»:**

الأمير الكبير مقدم جيوش الإسلام الصالحية.

قدم دمشق مع السلطان، فنزل دار أسامة، فدخل عليه العماد النّحاس، فقال له: يا فخر الدين، إلى كمْ؟ ما بقي بعد اليوم شيء. فقال: يا عماد الدين، واللَّه لأسبقنك إلى الجنة. فصدق إن شاء اللَّه قوله، واستشهد على يد الإفرنج يوم وقعة المنصورة ومن شعره:

إذا تحققتمُ ما عند صاحبكم ... من الغرام فذاك القدرُ يكفيه

أنتم سكنتم فؤادي وهو منزلكمْ ... وصاحب البيت أدرى بالذي فيه[3]

---

(١) «طبقات الشافعية» (٨/ ٩٠ ـ ٩٢).

(٢) «طبقات الشافعية» (٨/ ٩٦).

(٣) «طبقات الشافعية» (٨/ ٣٦٤).

* **حافظ الدنيا وشيخ المحدِّثين الإمام الذهبي:**

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الإمام الجبل، من يضرب المثل باسمه في العلم.

قال السبكي في «طبقات الشافعية» (٩/ ١٠٥ ـ ١٠٦):

«رآه الوالد ـ رحمه اللَّه ـ قبل المغرب، وهو في السِّياق، وقال له: كيف تَجدك؟ فقال: في السياق، ثم سأله: أَدَخَل وقت المغرب؟ فقال له الوالد: ألم تُصلِّ العصر؟ فقال: بلى، ولكن لم أصلِّ المغرب إلى الآن، وسأل الوالد ـ رحمه اللَّه ـ عن الجمع بين المغرب والعشاء تقديمًا، فأفتاه بذلك، ففعله ومات بعد العشاء قبل نصف الليل».

من للحديث وللسارين في الطلب ... من بعد موت الإمام الحافظ الذهبي
من للرواية للأخبار ينشرها ... بين البرية من عُجْم ومن عَرَبِ
مَن في القراءات بين الناس نافعُهُم ... وعاصمٌ ركنها في الجَحفل اللجب
وإن تَغِبْ ذاتُ شمس الدين لا عجب ... فأي شمس رأيناها ولم تَغِبِ
هو الإمام الذي روّتْ روايته ... وطبّق الأرض من طلاّبه النجب
ثبت صدوق خبير حافظ يقظٌ ... في النقل أصدق أنباءً من الكتب
كالزُّهْر في حَسَب والزَّهْرِ في نسبٍ ... والنهرِ في حَلَبٍ والدهرِ في رُتَبِ

* **قاضي القضاة مجد الدين أبو إبراهيم التميمي الشيرازي البالي:**

إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن تيكروز.

كان مشهورًا بالدين والخير والمكارم، وحفظ القرآن وكثرة التلاوة.

● أمر بعضهم بإظهار الرفض في أيامه، فقام في نصر الدين قيامًا بليغًا، وأُوذي بهذا السبب، وقيل: إنه رُبِط وأُلقِي به إلى الكلاب والأسود، فشمّته ولم تتعرض له، فعظم قدره وعُلِم أنه من أولياء اللَّه،

وكان ذلك سببًا في خذلان الرافضة.

● ولما مات أحد أولاده الثلاثة، أفضل الدين أحمد، سأله بعض الحاضرين عن سنّه، فقال: رأيت أني أُعطيت أربعة وتسعين دينارًا، وأعطى ولدي أحمد اثنين وعشرين، فسألت المُعطي: ما هذا؟ فقال: هذه سِنُو عمركما، فاستوفي أحمد اثنين وعشرين، وأما أنا فبقى لي تسع سنين، فكان الأمر كما ذكر.

توفي سنة ست وخمسين وسبعمائة، عن أربع وتسعين سنة بشيراز[1].

* الحافظ الكبير البَرْقاني أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب:

● كان إمامًا، حافظًا، ذا عبادة وفضائل جمة. أخذ عنه الخطيب، وقال: لم نر في شيوخنا أثبت منه.

قال أبو محمد الخلاّل: البرقاني نسيج وحده.

وقال محمد بن يحيى الكرماني الفقيه: ما رأيت في أصحاب الحديث أكثر عبادة من البرقاني.

«مات في أول يوم من رجب، سنة خمس وعشرين وأربعمائة ببغداد دخل إليه محمد بن علي الصوري قبل وفاته بأربعة أيام، فقال له: هذا اليوم السادس والعشرون من جمادى الآخرة، وقد سألت اللَّه أن يؤخر وفاتي حتى يهلَّ رجب، فقد رُوِي أن للَّه فيه عتقاء من النار، عسى أن أكون منهم، فاستجيب له»[2].

* شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد... بن عائذ:

● قال عنه الذهبي: إنه إمام المسلمين حقًّا، وشيخ الإسلام صدقًا، وأهل

---

(١) «طبقات الشافعية» (٩/٤٠١ ـ ٤٠٢).

(٢) «طبقات الشافعية» (٤/٤٨).

عصره كلهم مذعنون لعلو شأنه في الدين والسيادة، وحسن الاعتقاد وكثرة العلم ولزوم طريقة السلف.

● وعظ المسلمين في مجالس التذكير ستين سنة.

● بينا هو يعظ الناس إذ دُفع إليه كتاب ورد من بخارى، مشتملاً على ذكر وباء عظيم، وقع بها، واستُدعي فيه أغنياء المسلمين بالدعاء على رءوس الأملاء، في كشف ذلك البلاء عنهم ووُصف فيه أن واحداً تقدّم إلى خبّاز، يشتري الخبز، فدفع الدراهم إلى صاحب الحانوت، فكان يزنها، والخباز يخبز والمشتري واقف، فمات الثلاثة في الحال، فاشتد الأمر على عامة الناس.

فلما قرأ الكتاب هاله ذلك، واستقرأ من القارئ قوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ**﴾ ونظائرها، وبالغ في التخويف والتحذير، وأثر فيه ذلك، وتغيّر في الحال، وغلبه وجع البطن من ساعته، وأُنزل من المنبر، فكان يصيح من الوجع، وحُمل إلى الحمام، إلى قريب من غروب الشمس، فكان يتقلب ظهراً لبطن، ويصيح ويئن، فلم يسكن ما به، فحمل إلى بيته، وبقي فيه ستة أيام لم ينفعه علاج.

فلما كان يوم الخميس، سابع مرضه، ظهرت آثار سكرة الموت عليه، وودع أولاده، وأوصاهم بالخير، ونهاهم عن لطم الخدود، وشق الجيوب، والنياحة، ورفع الصوت بالبكاء. ثم دعا بالمقرئ أبي عبد اللَّه خاصته، حتى قرأ سورة يس، وتغيّر حاله، وطاب وقته، وكان يعالج سكرات الموت، إلى أن قرأ إسناداً فيه ما روي أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه دخل الجنة**»، ثم توفي من ساعته، عصر الخميس، وحملت جنازته من الغد، عصر الجمعة سنة تسع وأربعين وأربعمائة[1].

---

(١) «طبقات الشافعية» (٤/ ٢٧٧ ـ ٢٧٩).

حكى الفقيه أبو المحاسن بن الشيخ أبي الحسن القطّان؛ في عزاء شيخ الإسلام، أنه رأى في النوم كأنه في خان الحسن، وشيخ الإسلام على المنبر، مستقبل القبلة يذكر الناس، إذ نعس نعسة، ثم انتبه، وقال: نَعَسْتُ نَعْسَةً، فلقيت ربي، ورحمني، ورحم أهلي، ورحم من شيّعني.

*** يهودي يُسلم لرؤيا رآها لوالد شيخ الإسلام الصابوني:**

كان أبو نصر عبد الرحمن بن أحمد الصابوني من كبار الواعظين بنيسابور ـ وهو والد شيخ الإسلام إسماعيل الصابوني ـ قد فُتك به واغتيل نهارًا.

قال يهودي: اغتممت لوفاة أبي نصر الصابوني، وقتله، فاستغفرت له، ونمت، فرأيته في المنام، وعليه ثياب خضر، ما رأيت مثلها قط، وهو جالس على كرسي، بين يديه جماعة كثيرة من الملائكة، وعليهم ثياب خضر، فقلت: يا أستاذ، أليس قد قتلوك؟ قال: فعلوا بي ما رأيت. فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: يا أبا حوايمرد (كلمة بالفارسية) لمثلي يُقال هذا؟ غفر لي، وغفر لمن صلّى عليّ، كبيرهم وصغيرهم، ومن يكون على طريقي.

قلت: أما أنا فلم أصلِّ عليك.

قال: لأنك لم تكن على طريقي.

فقلت: إيش أفعل لأكون على طريقك؟

فقال: قل أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأشهد أن محمدًا رسول اللّه.

فقلت ذلك؛ ثم قلت: أنا مولاك.

قال: لا، أنت مولى اللّه.

قال اليهودي: فانتبهت، فجاء من عنده إلى قبره، وذكر ما رأى من المنام، وقال: أنا مولاه، وأسلم عند قبره، ولم يأخذ شيئًا من أحد، وقال:

إني غني، أسلمت لوجه اللَّه، لا لوجه المال.

قال أبو سهل بن هارون، قال أبو بكر الصيدلاني، وكان من الصالحين: كنت حاضراً قبره؛ حين جاء اليهودي فأسلم[1].

* الرئيس أبو علي المنيعي، الحاجِّي حسان بن سعيد المخزومي: «احفظ هذا الثوب لكفني، ألقى اللَّه فيه»:

هو واقف الجامع المنيعي، بنيسابور، الذي كان إمام الحرمين خطيبه، وقبله أبو إسماعيل الصابوني شيخ الإسلام.

كان ـ رحمه اللَّه ـ على قدم عظيم من الاجتهاد في العبادة، والتواضع، والبر، وكثرة الصدقات والصلاة، يقوم الليل ويصوم النهار، ويلبس خشن الثياب، وفي الشتاء يكسو قريبًا من ألف فقير.

ولما وقع القحط سنة إحدى أو اثنتين وستين وأربعمائة أنفق أموالاً عظيمة، وكان ينصب القِدْر، ويفرّق أكثر من ألف مَنّ خبزًا كل يوم للفقراء، ويفرّق طعامًا كثيراً، كل ذلك غير ما يتصدق به سرًّا.

روى عنه محيي السنّة البغوي، وأبو المظفر عبد المنعم القشيري.

عمد ـ رحمه اللَّه ـ إلى خالص ماله لبناء الجامع المنيعي بنيسابور، وأنفق في بنائه الأموال الجزيلة، وكان لا يفتر آونة من ليل، ولا ساعة من نهار، إلى أن تم وأقيمت الجمعة فيه.

قال ابن السمعاني: بلغني أن عجوزًا جاءته وهو يبني جامع نيسابور، ومعها ثوب يساوي نصف دينار، وقالت: سمعت أنك تبني الجامع فأردتُ أن يكون لي في النفقة المباركة أثر، فدعا خازنه، واستحضر ألف دينار، واشترى بها منها الثوب، وسلّم المبلغ إليها، ثم قبض منها الخازن الثوب، ثم قال له:

---

(١) «طبقات الشافعية» (٤/ ٢٨١).

أنفق هذه الألف منها في بناء المسجد، وقال: احفظ هذا الثوب لكفني؛ ألقى اللَّه فيه[١] .

*** الوزير الجواد ابن بقية: «علوٌّ في الحياة وفي الممات»:**

«أطعم ابن بقية الوزير المساكين والفقراء، وأكرم العلماء، فغار منه السلطان واحتال عليه حتى قتله وصلبه، فلما ارتفع على الخشبة مصلوبًا، وقفت الأمة كلها بوقوفه، فطافت به قلوب المحبين، ونامت بغداد على أصوات البكاء، فترجّل أبو الحسن الأنباري عن فرسه إلى خشبة الصلب، وسلّم على الجثمان ودشّنه بتلك القصيدة التي من لم يحفظها ففي تذوقه للشعر نظر:

عُلُوٌّ في الحياةِ وفي المماتِ ... بحقٍّ أنتَ إحدى المعجزاتِ

كأنكَ قائمٌ فيهم خطيبًا ... وهم وقفوا قيامًا للصلاةِ

مددتَ يديك نحوَهُمُ احتفاءً ... كمدهمو إليهم بالهباتِ

ولما ضاقَ بطنُ الأرضِ عنْ أنْ ... يُوارى فيه تلك المكرماتِ

أصاروا الجو قبرك واستعاضوا ... على مثواك صوت النائحاتِ

لعظْمِكَ في النفوس تُبات تُرعى ... بحرّاسٍ وحُفّاظ ثقاتِ

وتُوقدُ حولَكَ النيرانُ ليلاً ... كذلك كنت أيامَ الحياةِ

وما لك تربةٌ فأقولُ تُسقى ... لأنك نصب هطلِ الهاطلاتِ

أصبحت خشبة ابن بقية مسرحًا، تلقى عليه قصائد المادحين، وخطب المثنين، وأصبح من قتله في صَغار، كأنه طُلِيَ بالقار[٢] .

---

(١) «طبقات الشافعية» (٤/ ٣٠٠، ٣٠١).

(٢) «مصارع العشاق» للشيخ عائض القرني ص(٦٧ ـ ٦٨) ـ دار الوطن.

* محمد بن حميد الطوسي يموت شهيدًا على أيدي الروم:

«حضر محمد بن حُميد الطوسي القتال مع الروم، فوقف يقطع رءوسهم من الفجر إلى الظهر. وما أحسن الذبح على الطريقة الإسلامية!!

فرّ أصحابه فخجـل أن يفرّ؛ لأن صاحب الشريعة لا يُقرّ، فتـكسر سيفه ومال رأسه، فكفّنه أبو تمام بقصيدته الخالدة:

لقد مات بين الضرب والطعن ميتةً ... تقوم مقام النصر إنْ فاتهُ النصرُ

تردى ثياب الموت حمراً فما أتى ... لها الليلُ إلا وهي من سندسٍ خضرُ

ثوى طاهرَ الأردان لم تبقَ بقعةٌ ... غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبرُ[1]

* أحمد بن أبي الحَوَاري ريحانة الشام:

أحمد بن عبد اللَّه بن ميمون التغلبي أبو الحسن الزاهد تلميذ أبي سليمان الداراني.

قال يحـيى بن معـين: أظن أهل الشام يـسقيهم اللَّه به الغـيث، وقال أبو داود: ما رأيت أحدًا أعلم بأخبار النساك منه.

قال حبـيب بن ندبـة: دخلتُ على أحـمد بن أبي الحـواري ـ وما رأيت بعينيّ مثل أحمد بن أبي الحواري وهو في الموت، وقد صار مثل الخيط، وقد أخرج يده من تحت الإزار وهـو يبكي، وقد شالها إلى السـماء، وهو يقول: وا خطرَاه، وَا مُخاطرَتَاه»[2].

* بشر بن منصور السُّليمي: «أتعجل قدومي على خالقي»:

- قال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت أحدًا أخوف للَّه منه.

وقال القواريري: هو أفضل من رأيت من المشايخ.

---

(١) «مصارع العشاق» ص(٣٣).

(٢) «وصايا العلماء عند الموت» ص(٩٧).

قال رجل لبشر بن منصور حين حُضر: كأنك أراك تسرُّ من الموت، قال: فعجب من تعجبي، وقال: أتعجّل قدومي على خالقي، أرجو خيره كمقامي مع مخلوق أخافه؟![1] .

*** الإمام العَلَمَ: الطيبي الحسين بن محمد: «يموت وهو ينتظر الفريضة»:**

● قال ابن حجر: كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلاً على نشر العلم، متواضعًا حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، شديد الحب للَّه ورسوله، كثير الحياء.

كان يشتغل في التفسير من بكرة إلى الظهر، ومن ثمّ إلى العصر في الحديث إلى يوم مات؛ فإنه فرغ من وظيفة التفسير وتوجه إلى مجلس الحديث، فصلى النافلة وجلس ينتظر الإقامة للفريضة فقضى نحبه متوجهًا إلى القبلة[2] .

*** عليٌّ بن الفتح الحلبي: «إلهي، إلى متى ترددني في دار الدنيا محزونًا؟! فاقبضني إليك»:**

● «قال أبو زرعة الدمشقي: خرج علي بن الفتح الحلبي يوم النحر، فرأى الناس يتقرّبون إلى اللَّه تعالى، فقال: يا رب أرى الناس يتقربون بألوان الذبائح، وإني تقرّبت إليك بحزني، ثم غُشي عليه، فأفاق، ثم قال: إلهي، إلى متى ترددني في دار الدنيا محزونًا؟ فاقبضني إليك، فوقع من ساعته ميتًا»[3] .

---

(١) «وصايا العلماء عند الموت» ص(١٠٤).

(٢) «بغية الوعاة» (١/ ٥٢٣)، و«الدرر الكامنة» (٢/ ١٣٢).

(٣) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٤٠).

* **قتيل القرآن الإمام شيخ الإسلام: يحيى بن سعيد القطّان:**

● قال أحمد بن حنبل: ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد.

توفي - رحمه اللَّه - سنة مائة وثمان وتسعين من الهجرة.

● «عن علي بن عبد اللَّه قال: كنا عند يحيى بن سعيد فقال لرجل: اقرأ. فقرأ ﴿**حم**﴾ الدخان، فلما أخذ في القراءة نظرت إلى يحيى بن سعيد يتغيّر، فلما بلغ ﴿**إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الدخان: ٤٠] صعق يحيى ابن سعيد وغشي عليه، وارتفع صدره من الأرض، وتقوّص وانقلب فأصاب الباب فقار ظهره، وسال الدم، وصرخ النساء، فخرجنا فوقفنا بالباب، حتى أفاق بعد كذا أو كذا، ثم دخلنا عليه فإذا هو نائم على فراشه وهو يقول: ﴿**إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ قال علي: فما زالت به تلك القرحة حتى مات - رحمه اللَّه -»(1).

* **رياح بن عمرو القيسي:**

أبو المهاجر - رحمه اللَّه - كان كثير الخشية والمراقبة، متألهًا كبير القدر.

قال علي بن أبي مريم: قال لي رياح القيسي: لي نيف وأربعون ذنبًا، قد استغفرت لكل ذنب مائة ألف مرة.

● «قال الحارث بن سعيد: أخذ بيدي رياح، فقال: هلم يا أبا محمد؛ حتى نبكي على مرّ الساعات ونحن على هذه الحال. قال: وخرجت معه إلى المقابر، فلما نظر إلى القبور صرخ، ثم خرّ مغشيًا عليه، قال: فجلست واللَّه عند رأسه، فأفاق، فقال: ما يبكيك؟ قلت: لما أرى بك؟. قال: لنفسك فابك. ثم قال: وا نفساه وا نفساه، ثم غشي عليه. قال: فرحمته واللَّه مما نزل به، فلم أزل عند رأسه حتى أفاق، فوثب وهو يقول: ﴿**تِلْكَ**

(1) «صفة الصفوة» (٣/٣٦٦).

إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾، ومضى على وجهه وأنا أتبعه ولا يكلمني، حتى انتهى إلى منزله، فدخل وأصفق بابه، ورجعت إلى أهلي، ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيرًا حتى مات[١] .

* الإمام الحافظ أبو عمر الطَّلمنكي أحمد بن محمد المعافري: «اقرءوا وأكثروا؛ فإني لا أتجاوز هذا العام»:

● «قال ابن بشكوال في كتابه الصلة:

كان ـ رحمه اللَّه ـ أحد الأئمة في علم القرآن العظيم لعظيم قراءته، وإعرابه، وأحكامه، وناسخه ومنسوخه، ومعانيه. وكانت له عناية كاملة بالحديث ونقله، وروايته وضبطه. . . حافظًا للسنن، إمامًا فيها، عارفًا بأصول الديانات، مظهرًا للكرامات على هدي وسنة.

وكان سيفًا مجردًا على أهل الأهواء والبدع، قامعًا لهم، غيورًا على الشريعة، شديدًا في ذات اللَّه».

وأخبرنا أبو القاسم بن بقي الحجاري، قال: خرج علينا أبو عمر الطلمنكي يومًا ونحن نقرأ عليه، فقال: اقرءوا وأكثروا؛ فإني لا أتجاوز هذا العام، فقلت له: ولم؟ قال: رأيت البارحة منشدًا ينشدني ويقول:

اغتنموا البِرَّ بشيخٍ ثوى ... يفقده السُّوقةُ والصِّيدُ[٢]

قد ختمَ العُمْرَ بعيدٍ مضى ... ليس له من بعده عيدُ

قال: فتوفي في ذلك العام»[٣] أي سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠). (٢) الصيد: أعالي الناس.

(٣) الديباج المُذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي ص(١٧٨ ـ ١٨٠) تحقيق د. الأحمدي أبو النور ـ مكتبة دار التراث.

*** الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري الخزرجي:**

من أعيان المذهب المالكي أصله من سَرَقُسْطة ثم استوطن «مراكش» بعد رحلته إلى الأندلس.

كان محدثًا مكثرًا ثقة، ضابطًا مقرئًا مجوّدًا، حافظًا للفقه ذاكرًا لمسائله عارفًا بأصوله.

اشتد كلفه بالعلم وحرصه عليه، وتواضع في التماسه شغفًا به، فأخذه عن الكبير، والصغير، والنظير، واستكثر من ذلك حتى اتسعت روايته، وجلّت معارفه.

وفي رحلته لمراكش عرفه أحد سراة «لمتونة» فرغب إليه أن ينقطع إلى صحبته.. وضمن له أن يعطيه ألف دينار ذهبًا مرابطية. فامتنع عن ذلك، وقال: «واللَّه لو أعطيتني ملء الأرض على أن أخرج عن طريقتي، وأفارق ديدني من خدمة أهل العلم، ومداخلة الفقراء، والانخراط في سلكهم، ما رضيت» فعجب اللمتوني من علو همته.

وتولى أحكام مراكش، والصلاة بمسجدها، ثم أحكام بلنسية فكان بها قاضيًا... وكانت مواهب أبي يعقوب عبد المؤمن - أمير المؤمنين له جزيلة، وأعطياته مترادفة، وصلاته متوالية -، وربما وصله في المرة الواحدة بخمسمائة دينار، فلا يثبت عنده منها شيء، ولا يقتني منها درهمًا، ما اكتسب شيئًا قط من عرض الدنيا، ولا وضع مدرة على أخرى، مقتنعًا باليسير، راضيًا بالدون من العيش، مع الهمة العلية، على هذا قطع عمره إلى أن فارق الدنيا، ولم تكن همته مصروفة إلا إلى العلم وأسبابه.

وتوفي بمراكش في سنة تسع وستين وخمسمائة.

ولم يخلف - رحمه اللَّه - لا دينارًا ولا درهمًا، ولا عبدًا ولا أمة ولا

عقارًا ولا ثيابًا إلا أشياء لا قدر لقيمتها؛ لما كان عليه من المواساة والصدقة والإيثار ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[(١)] .

*** الإمام أبو إسحاق الجبنياني البكري: عند موته ما وُجد عنده غير أمداد شعير في قلّة مكسورة:**

إبراهيم بن أحمد بن علي بن أسلم أحد أئمة المسلمين، وأبدال أولياء اللَّه الصالحين.

كان من أعلم الناس باختلاف العلماء، يحسن تفسير القرآن وإعرابه، وناسخه ومنسوخه، لم يترك حظه من دراسة العلم بالليل إلا عند ضعفه، قبل موته بقليل.

وكان أبو الحسن القابسي يقول: الجبنياني إمام يُقتدى به.

وكان أبو محمد بن أبي زيد يُعظّم شأنه ويقول: طريق أبي إسحاق خالية لا يسلكها أحد في الوقت.

وكان إذا رُئي ذُكِر اللَّه تعالى من هيبته.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ سنة تسع وستين وثلاثمائة، وسنه تسعون سنة، وما وجد له من الدنيا قليل ولا كثير غير أمداد شعير في قلة مكسورة[(٢)] .

*** الإمام أبو إبراهيم التجيبي إسحاق بن إبراهيم بن مسرّة: «رأى أن الملائكة تتوفاه فمات»:**

من أهل الأندلس:

«كان خيرًا فاضلاً ديّنًا ورعًا، مجتهدًا، عابدًا، من أهل العلم والفهم،

---

(١) «الديباج المذهب» (١/ ٢١١ ـ ٢١٤).

(٢) «الديباج» (١/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

والدين المتين، والزهد والتقشف، والبعد من السلطان، لا تأخذه في اللَّه لومة لائم، حافظًا للفقه على مذهب مالك وأصحابه، متقدمًا فيه، صدرًا في الفتوى، صلبًا في الحق، من الراسخين في العلم، وكان الحاكم أمير المؤمنين معظمًا له، وكان قليل الهيبة للملوك، متصرّفًا مع الحق حيثما تصرف. توفي إسحاق ليلة الجمعة من رجب سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وسنه خمس وسبعون سنة. رأى قبل موته أنه مات، وأن الملائكة تتوفاه، فخرجت رؤياه على وجهها[1] .

*** أسد بن الفرات العالم المجاهد:**

كانت وفاة أسد بن الفرات أمير الجيش وقاضيه في حصار سرقوسة من غزوة صقلية سنة ثلاث عشرة ومائتين. للَّه دره من أمير جيش وعالمه وقاضيه، وهكذا يموت الربانيون[2] .

*** الحافظ الشهيد أبو الربيع بن سالم الكلاعي الحميري:**

الإمام سليمان بن موسى بن سالم.

كان بقية الأكابر من أهل العلم بصقع الأندلس، حافظًا للحديث مبرّزًا في نقده، تام المعرفة بطرقه، خطيبًا بجامع بلنسية واستقضي فعرف بالعدل والجلالة.

وكان من أولي العزم والبسالة والإقدام، يحضر الغزوات ويباشر بنفسه القتال، ويُبلي البلاء الحسن، آخرها الغزوات التي استشهد فيها سنة أربع وثلاثين وستمائة[3] .

---

(١) «الديباج» (١/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧).

(٢) «الديباج» (١/ ٣٠٦).

(٣) «الديباج» (١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦، ٣٨٨).

ما أطيب هذه الخاتمة.. وانظر إلى شعره الذي يعبّر عن رضا نفسه.

أمولى الموالي ليس غيرك لي مَوْلى ... وما أحد يا ربٍّ منك بذا أولى

تبرأت من حولي إليك وقوتي ... فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا

وهب لي الرضا ما لي سوى ذاك مُبتغى ... ولو لقيت نفسي على نيله الهولا

*** أبو محمد عبد اللَّه بن محمد بن فرحون اليعمري: «ما أنا بغافل»:**

«كان من أكابر الأئمة الأعلام، ومصابيح الظلام، عالمًا بالفقه والتفسير، وفقه الحديث ومعانيه، وكان بارعًا في علم العربية.

أقام مدرسة للطائفة المالكية، وتصدّر للاشتغال بالحرم النبوي أكثر من خمسين سنة، وكان عليه مدار أمور الناس بالمدينة النبوية، وناب في القضاء نحو أربعة وعشرين سنة. وكان كهفًا لأهل السنّة.

وكان كثير التلاوة ليلاً ونهارًا.

وكان يُحيي غالبًا الثلث الأخير من الليل بالصلاة والتلاوة من حداثة سنه إلى أن ثقل بمرض الموت ـ رحمه اللَّه ـ، وكان مواظبًا على الصلوات في الصف الأول من الروضة النبوية نحو ستين سنة، وما يُفتح باب الحرم في السَّحَر إلا وهو على الباب. وحج نحو خمس وخمسين حجة.

● ولما حج آخر حجاته قال: هذه حجة الوداع. فلما أحس بالمرض أمر بحفر قبره في بقعة مخصوصة وأوصى أن يعتق عند قبره عبيد، وأن يُتصدق على الفقراء بصدقة واسعة.

وأخرج من ماله وصايا وتبرعات وصدقات وأوقافًا نحو ثلاثين ألفًا، ووقف على الفقراء فرنًا تصرف غلته عليهم في كل يوم، وأعتق في حياته عدة عبيد وإماء.

وكان له خادم في الحرم تقرّب به لخدمة الضريح النبوي، وكان مطمئن

النفس بلقاء اللَّه عز وجل مستحضراً لما ينبغي استحضاره.

ولما دخل في السياق ذكرّته: فقال: ما أنا بغافل. توفي ـ رحمه اللَّه ـ يوم الجمعة سنة تسع وستين وسبعمائة[١].

*** الشيخ أبو علي سند بن عنان بن إبراهيم الأزدي: «أهلاً بالنفس الطاهرة الزكيّة العالمة»:**

تلميذ أبي بكر الطرطوشي وأبي الطاهر السلفي. قال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد: كان فاضلاً، كان من زهّاد العلماء، وكبار الصالحين، فقيهًا فاضلاً، وجلس لإلقاء الدرس بعد الطرطوشي وألف كتابًا حسنًا في شرح المدونة في نحو ثلاثين سفرًا سمّاه «الطراز».

● قال تميم بن معين البادسي ـ وكان من الفقهاء ـ: رأيت رسول اللَّه ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول اللَّه! اكتب لي براءة من النار، فقال لي: «امض إلى الفقيه سند يكتب لك براءة، فقلت له: «ما يفعل؟»، فقال: قل له: «بأمارة كذا وكذا» فانتبهت فمضيت إلى الفقيه سند، فقلت له: «اكتب لي براءة من النار»، فبكى وقال: «مَنْ يكتب لي براءة من النار؟!»، فقلت له الأمارة، قال: فكتب لي رقعة.

ولما أدركت تميمًا الوفاة أوصى أن تُجعل الرقعة في حلقة، وتدفن معه.

● قال الفقيه أبو القاسم بن مخلوف بن عبد اللَّه بن جارة: أخبرني من أثق به: أنه رأى الفقيه أبا علي سند بن عنان بعد موته، قال: فقلت له: «ما فعل اللَّه بك؟»، فقال: «عُرِضت على ربي، فقال لي: أهلاً بالنفس الطاهرة الزكية العالمة»[٢].

---

(١) «الديباج» (١/ ٤٥٤ ـ ٤٥٩).

(٢) «الديباج» (١/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠).

*** القاضي أبو العباس عبد اللَّه بن طالب بن سفيان التميمي: «اللَّهم لا تمتني وأنا قاض»:**

تفقّه بسحنون وكان من كبار أصحابه، ولم يكن شيء أحب إليه من المذاكرة في العلم.

قال ابن اللبّاد: ما رأيت بعيني أفقه من ابن طالب إلا يحيى بن عمر.

قال أبو العرب: كان عادلاً في قضائه، ورعًا في حكمه، قليل الهيبة في الحق للسلطان، وما سمعتُ العلم قطّ أحلى ولا أطيب منه من ابن أبي طالب.

● وكان يقول في قضائه: اللَّهم لا تمتني وأنا قاض، فمات بعد عزله بنحو شهر.

وامتحن ـ رحمه اللَّه ـ وسُجن وسقي سُمًّا. وقيل: إن السودان ركضوا بطنه حتى مات.

قال بعضهم: سمعته عند محنته وسجنه يقول ـ وهو مسجون ـ في سجوده ومناجاته ربه عز وجل: «اللَّهم إنك تعلم أني ما حكمتُ بجورْ، ولا آثرتُ عليك أحدًا من خلقك في حكم من أحكامي ولا خفت فيك لومة لائم»[1].

*** أبو محمد الأصيلي عبد اللَّه بن إبراهيم: «أحسن جزائي في مصيبتي يا أرحم الراحمينَ»:**

قال الدارقطني: حدّثني أبو محمد الأصيلي، ولم أر مثله!

وَلِي قضاء سَرَقسطة، وقام بالشورى بقرطبة، حتى كان نظير ابن أبي زيد

---

(١) «الديباج» (١/ ٤٢٢).

بالقيروان وعلى هديه. توفي ـ رحمه اللَّه ـ يوم الخميس سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

● كان آخر ما سُمع منه حين احتضِر: «اللَّهم إنك قد وعدت الجزاء على المصيبة، ولا مصيبة عليّ أعظم من نفسي، فأحسن جزائي فيها يا أرحم الراحمين».

وكان كثيرًا ما يذكر الأربعمائة، وما يكون فيها من الفتن ويدعو اللَّه عز وجل أن يقبضه قبلها، فأجاب اللَّه دعاءه[١].

* الإمام عبد العزيز بن أبي حازم الأعرج تُوفِّي في سجدة الجمعة:

واسم أبي حازم: سلمة بن دينار.

تفقّه عبد العزيز مع مالك على ابن هرمز، وسمع أباه، وزيد بن أسلم، ومالكًا.

روى عنه ابن وهب، وابن مهدي، وجماعة.

وكان إمام الناس بعد مالك وشوور معه، وقال مالك فيه: إنه لفقيه.

توفي بالمدينة فجأة في سجدة يوم الجمعة، في الروضة، بمسجد النبي ﷺ سنة أربع وثمانين ومائة[٢].

* أبو عثمان: عبد الحكم بن عبد اللَّه بن عبد الحكم: «دُخِّن عليه بالكبريت حتى مات في محنة خلق القرآن»:

سمع من أبيه، ومن ابن وهب وغيرهما من رواة مالك، وكان من أكابر أصحاب ابن وهب، ولم يكن في أصحاب ابن وهب أتقن منه.

---

(١) «الديباج» (١/ ٤٣٣ ـ ٤٤٤).

(٢) «الديباج المذهب» (٢/ ٢٣).

توفي بمصر في سجن يزيد التركي سنة سبع وثلاثين ومائتين.

وقيل: إن موت عبد الحكم إنما كان بسبب المحنة في القرآن، وأنه دُخِّن عليه بالكبريت حتى مات، وأنه لم يرجع؛ فضُرِب نحو ثلاثين سوطًا في غلالة - رحمه اللَّه تعالى - ورضي عنه[1].

*** أبو حفص الإسكندري عمر بن أبي اليمن اللخمي «تاج الدين الفاكهاني»: «ومتى نسيت العهد حتى أَذْكُرَا»:**

كان فقيهًا فاضلاً، على حظ وافر من الدين المتين، والصلاح العظيم، واتباع السلف الصالح وله شرح «العمدة» في الحديث لم يسبق إلى مثله لكثرة فائدته.

توفي - رحمه اللَّه تعالى - بالإسكندرية في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة.

● لما حضرته الوفاة جعل بعض أقاربه، يتشهد بين يديه، ليذكره، ففتح عينيه وأنشد:

وغدا يُذكّرني عهودًا بالحِمَى ... ومتى نسيت العهد حتى أذكُرا؟

ثم تشهّد وقضى نحبه[2].

*** أبو الفضل الممسي العباس بن عيسى بن محمد يموت شهيدًا:**

كان فقيهًا فاضلاً عابدًا. أثنى عليه أهل مصر، سمع من موسى القطّان. وكان يتكلم في علم مالك كلامًا عاليًا. وكان من أهل المروءة، والصيانة. وألفّ الأحدابي في فضائله. قال أبو عبد اللَّه الأحدابي: كان أبو الفضل صالحًا قوّامًا صوامًا ورعًا حافظًا للفقه، والحجة لمذهب مالك».

---

(١) «الديباج المذهب» (٢/ ٤١).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٨١ - ٨٢).

وقال أبو محمد بن أبي زيد ـ عند قتل أبي الفضل ـ وددت أن القيروان سُبِيَت ولم يُقتل أبو الفضل. وكان يثني عليه جداً.

● لما انصرف ـ رحمه اللَّه ـ من رحلته لزم الانقباض والنسك إلى أن مات قتيلاً شهيداً سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وهو على حالته من الاجتهاد، وكان من علو الهمة والنزاهة على غاية.

● قال ابنه محمد: كان أبي لا يدخل أحد مرحاضه سواه، وفيه آنيته، وجميع ما يحتاج إليه، ومفتاحه معه، فيوم قُتِل سمعنا آنيته انكسرت فيه ولها وجبة، فقالت الوالدة: أعطانا اللَّه خيرها! فإذا بها الساعة التي استشهد فيها ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[1] .

* الشيخ أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم:

شارك أباه في رحلته، وشيوخه، وعُنِي هو وأبوه بجمع الحديث واللغة، ويقال إنهما أول من أدخل كتاب العين في الأندلس، وكان قاسم عالمًا بالفقه والحديث، مقدّمًا في المعرفة بالغريب[2] ، والنحو، والشعر، ورعًا ناسكًا، مجاب الدعوة.

● سأله الأمير أن يليَ القضاء، فامتنع، فأراد أبوه أن يكرهه عليه، فسأله أن يمهله ثلاثة أيام يستخير اللَّه تعالى، فمات في الثلاثة أيام! فكانوا يرْون أنه دعا على نفسه بالموت[3] .

---

(١) «الديباج» (٢/ ١٢٩ ـ ١٣١).

(٢) له كتاب «غريب الحديث» رواه عنه ابنه، وهو كتاب حسن مشهور، قال الحميدي: ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وأثنى عليه، وقال: ما شآه أبو عبيد إلا بتقدم العصر. و«شآه» أي: سبقه.

(٣) «الديباج» (٢/ ١٤٧).

*** الإمام الحافظ إبراهيم بن محمد بن خليل البرهان الطرابلسي: «يموت مطعونًا وهو يتلو القرآن»:**

أخذ الفقه على البلقيني وابن الملقن، واللغة على مجد الدين صاحب القاموس، والحديث على الزين العراقي والبلقيني وابن الملقن.

● قال السخاوي عنه: كان إمامًا علاّمة حافظًا خيّرًا ديّنًا ورعًا متواضعًا، وافر العقل حسن الأخلاق متخلّقًا بجميل الصفات، محبًّا للحديث وأهله، متعففًا عن التردد إلى بني الدنيا قانعًا باليسير، طارحًا للتكلف رأسًا في العبادة والزهد والورع، مديم الصيام والقيام، مواظبًا على الاشتغال والأشغال والإقبال على القراءة بنفسه، حافظًا لكتاب اللَّه كثير التلاوة له، صبورًا على الإسماع ربما أسمع اليوم الكامل من غير ملل ولا ضجر، عرض عليه قضاء الشافعية ببلده فامتنع وأصر على الامتناع؛ فصار بعد ذلك كل واحد من قاضييها الشافعي والحنفي من تلامذته.

لما دخل التقي الحصني حلب أتى إليه الحافظ إبراهيم وقال له: لعلك التقي الحصني، ثم سأله عن شيوخه فسمّاهم. فقال له: إن شيوخك الذين سمّيتهم عبيد ابن تيمية أو عبيد من أخذ عنه، فما بالك تحطّ أنت عليه. فما وسع التقي إلا أن أخذ نعله وانصرف ولم يجسر أن يردّ عليه. ولم يزل على جلالته وعلوّ مكانه حتى مات مطعونًا سنة ٨٤١ وهو يتلو[1] .

*** الإمام أحمد بن عبد اللَّه بن بدر العامري الغزي الدمشقي يموت مبطونًا:**

برع في الفقه وأصوله، واشتهر برئاسة الفتوى بدمشق، وله تصانيف

---

(١) «البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن التاسع» للشوكاني (١/ ٢٨ ـ ٣٠) ـ دار المعرفة.

منها: «شرح جمع الجوامع»، و«شرح مختـصر المهمات للأسنوي» في خمسة أسفار وجاور بمكة ثلاث سنين متفرقة، وكانت وفاته بها مبطونًا سنة ٨٢٢.

قال ابن حـجر في أنبـائه: وبلغنـي أن صديقه الـنجم المرجـاني رآه في النوم. فقال له: ما فعل اللَّه بك؟ فتلى عليه ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ الآية[1].

*** السلطـان محمد بن أبي عامر المـعافري الحاجب المنصـور: «يجمع غبار معاركه ليصير في حنوطه»:**

نسـيج فريـد بين الرجـال تولى الحـكم في أصـعب الفـترات في حـياة الأندلس فتصدى لرفع راية الجهاد في سـبيل اللَّه، وقاد الحرب طوال حياته، فأحرز من الانتصارات ما لم يحصل عليه رجل في الأندلس ووصل في غزوه إلى «شنت ياقب» أعظم مدن النصارى.

يقول صاحب «البـيان المغرب»: «كان من قوة رجاء المنصـور، أنه اعتنى بجمـع ما علِق بـوجهه من الغـبار في غزواته ومـواطن جهاده؛ فـكان الخَدَم يأخذونه عنـه بالمناديل في كل منزل مـن منازله حتى اجتمع لـه صرة ضخمة عَهِد بتصبيره فـي حنوطه، وكان يحملها حيث سار مع أكـفانه، توقعًا لحلول منيته، وقـد كان اتخذ الأكفان من أطيب كـسبه من الضيعة المـوروثة عن أبيه وغزل بـناته، وكـان يسأل الـلَّه تعالـى أن يتوفـاه في طريـق الجهاد، فـكان كذلك».

آثـــاره تـنـبـيـك عـن أخـبـــاره ... حـتى كـأنك بـالـعـيـــون تـــراه

تـالـلَّـه لا يـأتـي الـزمـان بمـثـلـه ... أبـداً ولا يـحـمـي الـثـغـور سـواه

هكذا كُتب على قبره لما دُفِن بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته[2].

---

(١) «البدر الطالع» (١/ ٧٥).

(٢) «البيان المغرب» (٢/ ٤٣٠).

*** السلطان مراد فاتح البلغار والبوسنة والهرسك: «يسأل الله الشهادة قبل معركة قوص أوه فينالها»:**

هذا البطل العظيم الذي فتح اللَّه على يديه جميع البلاد البلغارية، ووقع في أسره ملك البلغار شيمان. هذا الملك العظيم الذي أدّب لازار ملك الصرب وأمراء البوسنة والهرسك، وفتح بلاد البوسنة في معركة قوص أوه اسمع خبر موته وهو واللَّه أطيب من الشهد:

كانت الليلة التي سبقت وقوع مركة «قوص أوه» الحاسمة، ليلة بلغت فيها القلوب الحناجر، وأقبل السلطان مراد نحو ربه عز وجل يلحّ عليه في الدعاء ويستنزله النصر للإسلام والمسلمين، وأن يرزقه الشهادة في سبيله.

وينقل المؤرخ التركي عبد القادر داده أوغلو في كتابه: «التاريخ العثماني المصور» نص دعاء السلطان مراد، في تلك الليلة على النحو التالي: « إلهي ومولاي، تقبّل دعائي وتضرّعي، وأنزل علينا برحمتك غيثًا يطفئ من حولنا غبار العواصف، واغمرنا بضياء يبدّد من حولنا ظلمات الليل البهيم، حتى نتمكن من إبصار مواقع عدونا، فنقاتله في الغد في سبيل دينك العزيز.

إلهي ومولاي، إن الملك والقوة لك، تمنحهما لمن تشاء من عبادك، وأنا عبدك العاجز الفقير إلى رحمتك، تعلم سري وجهري، وأقسم بعزتك وجلالك أنني لا أبتغي من جهادي حطام الدنيا الفانية، ولكنني أبتغي رضاك ولا شيء غير رضاك.

يا رب اجعلني فداءً للمسلمين جميعًا، ولا تجعلني سببًا في هلاك أحد من المسلمين في سبيل غير سبيلك القويم، ونجّهم يا رب من الوقوع في أسر الكافرين، وانصرهم على عدوهم.

إلهي ومولاي، إنْ كان في استشهادي نجاة لجند المسلمين، فلا تحرمني الشهادة في سبيلك لأنعم بجوارك، ونعم الجوار جوارك.

إلهي ومولاي، لقد شرفتني بأن هديتني إلى طريق الجهاد في سبيلك فزدني تشريفًا بالموت في سبيلك».

ويروي المؤرخ التركي «خوجا سعد الدين» في كتابه «تاريخ التواريخ» أن السلطان المؤمن أمضى الليل كله وهو يدعو بمثل هذا الدعاء، حتى إذا بزغ الفجر، وأذن المؤذنون لصلاة الفجر، هرع جند الإسلام يؤدونها، ويرددون وراء قائدهم الدعاء في هديرٍ شقّ سكون الليل، ووصلت أصداؤه إلى جموع الكافرين، تزلزل أقدامهم، وتوقع الخوف في أفئدتهم.

وصدق السلطان المؤمن ربه، فصدقه ربه وعده؛ فنصر جنده، وهزم الأحزاب وحده، وقُتل لازار ملك الصرب، واختار اللَّه السلطان مراد شهيدًا في سبيله عز وجل، بضربة خنجر من جندي صربي، أصابت من السلطان مقتلاً وهو يتفقد جرحى المسلمين في المعركة.

للَّه درك من سلطان، وبوركت روحك في رحاب اللَّه إن شاء اللَّه مع النبين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

* أستاذ الأستاذين وشيخ المحدثين الحافظ ابن حجر العسقلاني:

«خرجت روحه عند قوله تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾»:

● قال الحافظ السخاوي:

«فكان ابتداء مرضه ـ في ذي القعدة من سنة اثنين وخمسين وثماني مئة بعد أن بلغني أنه قصّ على جماعة مجلس الإملاء في ربيع الأول من السنة التي توفي فيها، أنه رأى في المنام بعض الرواة، وأظنه أبا مصعب، وأنه قدّم إليه مائدة فيها عشرة أرغفة، العاشر منها مكسور منه شيء يسير، فأوّله له بعض الحاضرين بعشر سنين تفاؤلاً، فما كان إلا دون عشرة أشهر ومات[1].

---

(١) «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوي (٣/ ١١٨٥) ـ دار ابن حزم.

وتزايد الألم بالمعـدة، وصار يحس بشيء ثقيل على معـدته، بحيث كان يقول: هذه بقايا الغبن من سنة تسع وأربعين وتوابعها، وينشد قول الفرزدق.

قوارضُ تأتيـني ويحتقرونهـــا وقد يملأ القَطْرُ الإنـــاء فيفعـــمُ

وقال سبطه أنه أنشده في مرضه هذا:

عـــمـــارة الجســـم نَـفَـس وهَــدْمُــــه إذا احـــتـــبـــس

ولم يترك - رحمه اللَّه - جمعة، بل ولا جماعة. نعم، لم يستطع صلاة عيد الأضحى، وكان يوم الثلاثاء بعد أن سمعنا عليه «فضل عشر ذي الحجة» لابن أبي الدنيا يوم عرفة، وهو آخر شيء سمعناه، بل سُمِع عليه مطلقًا.

وكان - رحمـه اللَّه - قد استشـعر بالوفاة بحـيث كان إذا أخبر بالمـنامات وشبهها مما يـدل على رجاء صحته وحصول برئه، يـقول: أما أنا، فلا أراني إلا في تناقص، وما أظن الأجل إلا قد قرُب، ثم ينشد:

ثـاء الثلاثين قد أوهت قوى بدني فكيف حالي في ثــــاء الثمانينا

ويقول: اللَّهم حرمتني عافيتك، فلا تحرمني عفوك.

بل سمعت شيخنا بعد وفاة مُستـملي مجلسه الزين رضوان - وكانت في رجب سنة وفاته - يقول: هذه أمارة الرحيل.

وتردّد الأطباء للحافظ، ولم يكن يرى استخدام أهل الذمة في ذلك، بل سمعتـه مرارًا يقول - وأظنه لـغيره - أيأتمن المسلـمون على أموالهـم وأبدانهم أعداءهم.

ثم عظم الكـرب واشتد الخطب، وهرع الناس كبارهـم وصغارهم، من الأمراء والقضاة العلماء والمباشرين والطلـبة والصلحاء أفواجًا أفواجًا لعيادته، واستغاثوا مبتهلين إلى اللَّه تعالى في طلب عافيته.

ومِمّن جاء لعيادته الشيخ مدين، وأحـضر له كتابًا كان في عاريته، وعُدَّ

هذا من مكاشفاته.

وفي يوم الثلاثاء أطال قاضي المالكية وجماعة الجلوس معه، واستأنس به، وبعد أن ظهروا استدعى بالوضوء، وأخذ يتوضأ، فما تمكن، ومن يومئذ اشتد مرضه جدًّا، بحيث صار يصلي الفرض جالسًا، وترك قيام الليل، وصُرِع يوم الأربعاء، ثم تكرر ذلك منه، وسُمِع منه يوم الجمعة عند الأذان لها إجابة المؤذن.

وكانت وفاته ليلة السبت ثامن عشر ذي الحجة، بعد العشاء بنحو ساعة رمل، بعد أن جلس حوله سبطه ومِنْ جماعته الفخر بن جَوْشن، والشيخ شمس الدين السنباطي، والشهاب الدوادار، وقرؤوا عنده سورة ﴿**يس**﴾ مرة، ثم أعيدت إلى قوله تعالى: ﴿**سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ**﴾، ثم مات.

وتولى السنباطي المذكور تغميضه، وأخذ ولدُه يوم السبت في تجهيزه، فغُسل بحضرة الشيخ زين الدين البُوتيجي، ويقال: إنه لم يخرج منه كثير شيء[1] نعم ﴿**سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ**﴾ ومن أولى بهذا من الحافظ ابن حجر الذي اختلط حب القرآن والسنة بدمه.

قال الحافظ السخاوي: « بلغني عن الشمس الدميري ـ أحد الموقِّعين ـ أنه رأى ليلة وفاة الحافظ ابن حجر أن البحر قد نشف، ولم يبق منه إلا مقدار مجراة فيها ماء يسير، بحيث أنه توضأ منه، فصار يصعد معه الرمل لقلّته. قال: فلما أصبحتُ سمعت بموته.

● وبلغني عن البرهان التَرَقِّي ـ أحد الموقعين بالدَّست ـ أن زوجته استيقظت صبيحة الليلة التي تُوفي فيها الحافظ ابن حجر، ولم تكن علمت بموته وهي مرعوبة، وقالت: سمعت قائلاً يقول: الصلاة على شيخ

---

(١) «الجواهر والدرر» (٣/ ١١٨٧ ـ ١١٩٣).

من آل بيت النبوّة.

● وبلغني عن بعض الأعيان المعتبرين ممن أخذت عنه أنه رأى عقب وفاته كلا من الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعيّ والليث بن سعد الفهمي أعاد اللَّه علينا من بركاتهما، وهما في همّة، وأنه سألهما أو أحدهما أو واحدًا ممن حضر عن سبب ذلك، فأجيب بالاهتمام بضيافة ابن حجر ـ رحمة اللَّه عليهم أجمعين ـ.

● وأخبرني العلاّمة الزين قاسم الحنفي أنه رآه بعد موته، وسأله عن حاله، فقال: بشَّرني بشّرني بشَّرني، وكررها، ومدّ يده. قال: قلتُ له: طيِّب طيب، أو كما قال.

● وأخبرني الشيخ برهان الدين بن سابق نزيل المنكوثمرية وإمامها أنه رأى وهو ببيت المقدس الحافظ ابن حجر في المنام وعليه حلّة بيضاء حرير، بطائنها من ذهب يلمع، وعلى رأسه عمامة بيضاء في هيئة لم يُرَ أبهج منه فيها، وأنه ناوله شيئًا، وأمره بالسلام على أهل بيته»[1].

*** قاضي طرابلس أحمد بن أبي بكر بن منصور الإسكندريّ: «يكرر الشهادة نحو ثلاثين مرة عند موته»:**

● قال الذهبي: فاضل متفنن عارف بالمذهب يتعانى بالتجارة مع رأي جيد وحزم.

● وكان شجاعًا وعنده عُدد لقتال الفرنج.

قال الذهبي: كتب إليّ شهاب الدين بن مري أن شمس الدين لما احتضر اجتمعنا حوله فأظهر فرحًا واستبشارًا وكرّر كلمتي الشهادة، وقال: ساعدوني وآنسوني فإن للنفس انزعاجًا عند الفراق، وإذا رأيتموني مت مسلمًا فاشكروا

---

(١) «الجواهر والدرر» (٣/ ١٢٠٠ ـ ١٢٠٢).

ربكم عـلى الهدايـة لهذا الديـن العظيـم، ثم كرّر الشـهادة نحو ثـلاثين مرة ومات[١] .

*** الشيخ المنفلوطي محمد بن إبـراهيم وليّ الدين الديباجيّ: «انزعوا عني ثيابي فقد أُحضِرت لي ثياب من الجنة»:**

● قال عنه الحافظ ابن حجر:

«كان يعرف بابن خطيب ملوي. تفقّـه بأبيه وغيره ونشأ على قدم صدق في العبادة والأخذ عـن أدب الشيوخ، وله اليد الطولى فـي المنطق والأصلين والفقـه والتصوف، كثـير التواضع والانـطراح، كثير الإنـصاف خبيرًا بـدينه ودنياه.

● ونقل العثماني الصفديّ قاضي صفـد في «طبقات الشافعية» أنه حصل له عند موته ما يـدل على نجاته، وأنه قال: «انزعوا عني ثيـابي فقد أُحضِرت لي ثياب من الجنة»، أو نحو من هذا الكلام[٢] .

*** الإمام ابن قبـيلة الشافعي: مـحمد بن عوض البـكري: «مات وهو يصلي الصبح»:**

قُبض ـ رحمه اللَّه ـ بدهروط وهو يصلي الصبح في سنة ٧٧٤[٣] .

*** إمام الحفاظ المقدم أبو الحجّاج المزّي يموت وهو يقرأ آية الكرسي:**

الإمام يوسـف بن الزكي عـبد الرحمن بـن يوسف مشـيخته نـحو ألف شيخ، وأخذ عن النووي. وهو صاحب «تهذيب الكمال».

---

(١) «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ١٢١ ـ ١٢٢).

(٢) «الدرر الكامنة» (٣/ ٣٩٥).

(٣) «الدرر الكامنة» (٤/ ٢٤٤).

قال الذهبي: كان خاتمة الحفّاظ وناقد الأسانيد والألفاظ وهو صاحب معضلاتنا وموضح مشكلاتنا، كان خَيِّرًا ذا ديانة وسلامة باطن. وفيه حياء وحلم وسكينة. مات سنة ٧٤٢ وهو يقرأ آية الكرسي ثم دُفن بمقابر الصوفية بالقرب من ابن تيمية[١].

*** الشيخ جمال الدين التبريزي: «مات في آخر سجدة من صلاة الظهر»:**

أسلم على يديه أهل جبال كامر وهي جبال متصلة بالصين وتتّصل ببلاد التبت.

كان نحوًا من أربعين سنة يسرد الصوم، وكانت له بقرة يفطر على حليبها ويقوم الليل كله.

قال ابن بطوطة: «أخبرني بعض أصحابه أنه استدعاهم ـ استدعى أهل الجبال ـ قبل موته بيوم واحد وأوصاهم بتقوى اللّه، وقال لهم: إني أسافر عنكم غدًا إن شاء اللّه وخليفتي عليكم اللّه الذي لا إله إلا هو، فلما صلى الظهر من الغد قبضه اللّه في آخر سجدة منها، ووجدوا في جانب الغار الذي كان يسكنه قبرًا محفورًا عليه الكفن والحنوط، فغسّلوه وكفّنوه وصلوا عليه ودفنوه به».

● كتب ـ رحمه اللّه ـ إلى الشيخ بهاء الدين الملتاني كتابًا قال فيه: «يا أخي! من شرب من بحر مودته يحيى حياة لا موت بعدها، ومن لم يذق من صافي المحبة يخرج من الدنيا كالبهائم صفر اليدين، وإذا مات صار جيفة ومات موتًا لا حياة بعده، كما قال أصدق القائلين: ﴿**وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ**

---

(١) «الدرر الكامنة» (٥/ ٢٣٣ ـ ٢٣٧).

أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[1] .

*** الفقيه اليمني العلامة الزاهد، الورع القانت حاتم بن منصور الحملاني: «مات وهو يصلي صلاة التسبيح»:**

كان ـ رحمه اللَّه ـ عالمًا عاملاً ورعًا تقيًا فاضلاً رأسًا في العبادة وإمامًا يُقتدى به في الزهادة. أستاذ أهل زمانه في الفقه والأُصولين، وعنه أخذ الزاهد الشهير إبراهيم الكينعيّ، وكان لا يدخّر شيئًا لغده.

قال تلميذه الكينعي في نعته:

صلى حاتم زهاء أربعين سنة إمامًا، ما ترك صلاة واحدة في جماعة ولا سجد للسهو في جميع هذه المدة إلا ست مرّات. وكان لا يدع البكاء في الصلاة مطلقًا. اهـ.

وقال في «الطبقات»: روى الثقة أنه قُبضت روحه وهو يصلي صلاة التسبيح مستلقيًا من المرض[2] .

مات سنة ٧٦٥ ـ رحمه اللَّه ـ.

*** السَّمهودي يموت شهيدًا تحت هدم عقب صلاة المغرب وقراءة سورة الواقعة:**

عبد اللَّه بن أحمد بن أبي الحسن السمهوديّ الشافعي.

ناب في قضاء بلده عن الجلال البلقيني فمن بعده. ولم يكن يصرف شيئًا من أوقاته في غير عبادة مع الورع التام.

ومات شهيدًا تحت هدم عقب صلاة المغرب وقراءته سورة الواقعة سنة

---

(١) «الإعلام بمَن في تاريخ الهند من الأعلام» للشيخ عبد الحي الندوي (٢/ ٢١ ـ ٢٣).

(٢) «ملحق البدر الطالع» (١/ ٦٧).

ست وثمانمائة[1] .

*** البهاء الكازروني رئيس المؤذنين بمكة آخر كلامه النطق بالشهادتين:**

- عبد اللَّه بن علي بن عبد اللَّه البهاء الكازروني رئيس المؤذنين بمكة.

صح عن من حضره وقت الاحتضار أنّه سمعه وهو في النزع يقول: أنا ما أعرفك يا شيطان، أو أنت الشيطان، أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمدًا رسول اللَّه، ثم فاضت روحه. ولعل ذلك ثمرة ذكره للَّه في الأسحار[2] .

توفي سنة ثمان وثمانمائة.

*** ابن العطار يحيى بن أحمد التنوخي القاهري الشافعي: «يذكر اللَّه ويتبسم ويخبر برؤية الخضرة والياسمين»:**

كان يحيى أديبًا فاضلاً متفننًا ذكيًّا، ذا عقل وافر، وهيئة لطيفة نورانية ظاهرة وحشمة وسكون وهمة عظيمة مع من يقصده.

قال البقاعي: مات على حالة حسنة، أُخبرت أنه ما زال يذكر اللَّه جهرًا فلما عجز صار سرًا حتى طلعت روحه مع التبسّم والإخبار برؤية الخضرة والياسمين. مات ـ رحمه اللَّه ـ ولم يخلّف بعده مثله في كل خصلة من خصاله مات سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة[3] .

* * *

(١) «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للسخاوي (٥/ ٥ ـ ٦).

(٢) «الضوء اللامع» (٥/ ٣٤).

(٣) «الضوء اللامع» (١٠/ ٢١٧ ـ ٢١٨).

*** ابن عنان الشافعي العالم الصالح الناسك يموت بعد الصلاة:**

قال نجم الدين الغزي في «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة»:

«كان سيدي محمـد بن عنان ممّن اشتهر بالجد في العـبادة والاجتهاد في الطاعة وقيام الليل وحفظ الأوقات من التضييع.

● وكان لا يترك قيام الـليل صيفًا ولا شتاء من حين كـان صغيرًا، وكان يتهيأ لقيام الليل من صلاة العصر فلا يستطيع أحد أن يكلمه حتى يصلي الوتر بعد العـشاء فإذا قام للتهـجد من الليل لا يتجـرأ أحد أن يكلمه حتـى يصلي الضحى.

وكان على وضـوء دائمًا وكان يقول: مـن ادعى مجالسة الـلَّه عز وجل وهو يمكث على حدث لحظة واحدة فهو قليل الأدب.

● قال الشيـخ عبد الوهاب: لما حضـرته الوفاة فوق سطـوح جامع باب البحر بخط المقسم مات نصفه الأسفـل فصلى وهو جالس بالإيماء، فلما فرغ من الصلاة أشار إليّ أضجعوني فأضجعناه فما زال يهمهم بشفتيه والسبحة في يده حتى كانت آخر حركة يده وشفته طلوع روحه[1].

*** إبراهيم أحد موالي الروم:**

العالـم العامل المولـى الأجل كان والده مـن سادات العجم ومـن أكابر أولياء اللَّه.

● كان إبراهيم منقـطعًا عن الناس في العلم والعبـادة زاهدًا ورعًا يستوي عنده الذهب والمدر. وكان متواضعًا خاشعًا.

لما كان في مرض موته وهو قريب من الاحـتضار فتح عينيه، فقال: «إن

---

(١) «الكواكب السائرة» (١/ ٣٩ ـ ٤٠).

اللَّه تعالى كريم لطيف شاهدت من كرمه ولطفه ما أعجز عن شكره». ومات في تلك الليلة[١].

*** الشيخ الإمام شيخ الفقهاء وأستاذ الأولياء الشيخ علي بن عطية ابن علوان الهيتي الشافعي:**

الشيخ علوان ممن أجمع الناس على جلالته وتقدمه وجمعه بين العلم والعمل وانتفع به الناس وبتآليفه في الفقه والأصول.

وقال عنه محدث حلب زين الدين بن الشماع الحلبي: أقمت عند شيخ الوقت سيدي علوان الشافعي فأكرمني وأنزلني في خلوته، وسمعت منه أشياء، وقد أذكرني حاله قول علي بن الفضيل بن عياض لأبيه: يا أبة ما أحلى كلام أصحاب محمد ﷺ!، قال: يا بني: وتدري لِمَ حَلِي؟ قال: لا، قال: لأنهم أرادوا به اللَّه تعالى، وكذلك أقول في سيدي علوان.

كانت وفاة الشيخ علوان بحماة سنة ست وثلاثين وتسعمئة.

● قال ولده سيدي محمد في «تحفة الحبيب»: وقد أخبرني بموته قبل حلول مرضه.

قال: وفي يوم موته طلب أن يتيمم، ثم دخل في الصلاة فبينما هو عند قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ إذ خرجت روحه، أو وصلت إلى الغرغرة. مات وقد قارب الثمانين، وصُلِّي عليه غائبة بعد صلاة الجمعة بالجامع الأموي، وعرض خطيبه الجلال البصروي لذكره في الخطبة فانتحب الناس بالبكاء عليه[٢].

---

(١) «الكواكب السائرة» (٢/ ٨٣ ـ ٨٤).

(٢) «الكواكب السائرة» (٢/ ٢٠٦ ـ ٢١٣).

*** الشـيخ العـلاّمة شرف الـدين العـيثاوي لا هَـمّ له إلا السـؤال عن الأذان:**

الفقيه يونس بن عبد الوهاب العيثاوي.

قال صاحب «الكواكـب السيارة»: «حدثني شيخنـا ـ ولده ـ أنه كان في مرضه الذي مات فيه لا يجري على لسانه غير السؤال عن الأذان ثم يشرع في الصلاة حتى مات ـ رحمه اللَّه تعالى ـ»[١] .

*** السلطان العـادل المجاهد محمود بن محمد الكـجراتي: «اللَّهم إن هذا أول منازل الآخرة فسهّله واجعله من رياض الجنة»:**

السلطان محمود بيكره كان من خيـار السلاطين، وقام بالملك سنة اثنتين وستين وثمانمائة.

فتح قلعة بيـت ودوازكا وفيها صنم من أشهر أصنام المـشركين في الهند يحجون إليه.

● ومن مـآثره الجميـلة قيـامه بالعـدل والإحسان وإنـفاذ أمر الشـرع في السياسة.

ومن مكـارمه قيامه بـتربية الـعلماء والصـالحين وقيامه بـتعميـر البلاد، وتأسيس المساجـد والمدارس، وتكثير الزراعة وغرس الأشجـار المثمرة، وبناء الحدائق والبساتين وتحريض الناس على ذلك.

● وفي مرض الموت فتح القبر وجـلس عنده، وقال: «اللَّهم إن هذا أول منازل الآخرة فسهله واجعله من رياض الجنة، ثم ملأه فضة وتصدّق بها»[٢] .

---

(١) «الكواكب السائرة» (٣/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣).

(٢) «الإعلام» للندوي (٤/ ٣٠٤ ـ ٣١٠).

*** السلطان الفاضل العادل مظفر الحليم الكجراتي: «شرعت بقراءة معالم التنزيل، إلا أني أرجو أن أختمه في الجنة إن شاء الله تعالى»:**

السلطان المحدث الفقيه مظفر بن محمود بن محمد الكجراتي صاحب الرياستين قام بالملك سنة ٩١٧هـ.

قال الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه «المسلمون في الهند»:

«ومنهم السلطان الفاضل العادل، المحدث الفقيه مظفر حليم الكجراتي، الذي روى عنه التاريخ من نوادر الإخلاص والإيمان، والاحتساب والتقوى، والعمل بالعزيمة، والعدل والإيثار، والحمية في الدين، والتبحر في العلم، ما يندر وجوده في سير كبار الزهاد والربانيين وكبار المخلصين فضلاً عن الملوك والسلاطين.

● كان يقتفي آثار السنة السنية في كل قول وفعل، ويعمل بنصوص الأحاديث النبوية، وكثيرًا ما يذكر الموت ويبكي.

● وفي آخر أيامه وكان يوم الجمعة قام إلى المحل واضطجع إلى أن زالت الشمس، فاستدعى بالماء وتوضأ وصلى ركعتي الوضوء وقام من مصّلاه إلى بيت الحرم، واجتمعت النسوة عليه آيسات باكيات يندبن أنفسهن حزنًا على فراق لا اجتماع بعده، فأمرهن بالصبر المؤذن بالأجر، وفرق عليهن مالاً، ثم ودّعهن واستودعهن الله سبحانه، وخرج وجلس ساعة، ثم استدنى منه راجه حسين المخاطب بأشجع الملك وقال له: قد رفع الله قدرك بالعلم، أريدك تحضر وفاتي وتقرأ عليّ سورة ﴿يس﴾ وتغسلني بيدك وتسامحني، ثم سمع أذانًا فقال: أهو الوقت؟ فأجاب أسد الملك: هذا أذان الاستدعاء لاستعداد صلاة الجمعة ويكون في العادة قبل الوقت، فقال: أما صلاة الظهر فأصليها عندكم، وأما صلاة العصر فعند ربي في الجنة إن شاء الله تعالى، ثم أذن للحاضرين في صلاة الجمعة واستدعى مصلاه وصلى، ودعا الله سبحانه

بوجه مقبل عليه وقلب منيب إليه، دعاء من هو مفارق للقصر مشرف على القبر، ثم كان آخر دعائه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقام من مصلاة وهو يقول: استودعك اللَّه، واضطجع على سريره وهو مجتمع الحواس ووجهه يلتفت إلى القبلة، وقال: لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه، وفاضت نفسه والخطيب على المنبر يدعو له، وفي ذلك عبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد[1].

● قال الشيخ أبو الحسن الندوي:

«قال السلطان حليم - في مرض وفاته - تحديثا بنعمة اللَّه -: «ما من حديث رَوَيْته عن أستاذي المسند العالي «مجد الدين» بروايته عن مشايخه، إلا وأحفظه، وأسنده، وأعرف لراويه نِسْبَته، وثقته، وأوائل حاله إلى وفاته. وما من آية، إلا وقد مَنَّ اللَّه عليّ بحفظها، وفَهْم تأويلها، وأسباب نزولها، وعِلْم قراءتها. وأما الفقه، فإني أستحضر منه ما أرجو به مفهوم «مَن يُرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدِّين». ولي مدة أشهر أصرف وقتي باستعمال ما عليه الصوفية[2] وأشتغل بما سنّه المشايخ لتزكية الأنفاس عملاً بما قيل: «مَنْ تشبّه بقوم فهو منهم». وها أنا أطمع في شمول بركاتهم متعللاً بعسى ولعلّ وكنت شرعت بقراءة «معالم التنزيل»، وقد قاربتُ إتمامه، إلا أني أرجو أن أختمه في الجنة إن شاء اللَّه تعالى.

وفاضت روحه، وهو يدعو بدعاء يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام»[3].

---

(١) «الإعلام» (٤/٣١٦ - ٣٢٥).

(٢) يعني: الزهاد والفقراء لا المبتدعة المشعوذين.

(٣) «المسلمون في الهند» لأبي الحسن الندوي ص(٥١ - ٥٣).

يا ملكا أيامه لم تزل   لفضله فاضلة فاخرةْ
ملكت دنياك وخلّفتها   وسرتَ حتى تملك الآخرةْ

*** الشيخ محمد بن أحمد ابن عبد الهادي العمري: «ديننا حق ودينكم شك»:**

● «كان من خير خلق اللَّه، مهاب الشكل، عليه نور الولاية والصلاح، وله وقائع وكرامات كثيرة جدًّا، وكان يُستسقى به الغيث.

● وكان تمرّض مدة طويلة، وأخبرني بعض الإخوان أنه قبل أن يموت بيومين أُسكت فلم يتكلم بشيء إلا صبيحة وفاته فسمعه ابنه الشيخ محمد يقول: ديننا حق ودينكم شك، قال: فقال له: يا سيدي: ألست عن ربك براض؟ فقال: بلى، وكان هذا آخر كلام قاله»(١) .

*** شيخ الإسلام نجم الدين الغزّي صاحب «الكواكب السائرة»: «بالذي أرسلك ارفق بي»:**

الشيخ محمد بن محمد بن محمد محدث الشام ومسندها.

جلس تحت قبة النسر بالجامع الأموي سبعة وعشرين عامًا لإقراء الناس الحديث.

● وقع له قبل موته بيومين أنه طلع إلى بساتينه أوقاف جده واستبرأ الذمة من الفلاحين وطلب منهم المسامحة، وفي اليوم الثاني دار على أهله ابنته وابنتها وغيرهم وزارهم، وأتى إلى منزله وصلى المغرب، ثم جلس لقراءة الأوراد وأخذ يسأل عن أذان العشاء، وأخذ في ذكر لا إله إلا اللَّه وهو مستقبل القبلة، ثم سُمع منه، وهوَ يقول: بالذي أرسلك ارفق بي فدخلوا

---

(١) «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» لفضل اللَّه المحبي (٣/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤).

عليه فرأوه قد قضى نحبه ولقي ربه ـ رحمه الله تعالى ـ[١] .

*** الأمير منجك بن محمد بن منجك اليوسفيّ:**

قال ـ رحمـه الله ـ عند حالـة نزعه: أعوذ باللـه من الشيطان الـرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، يا حي يـا قيوم برحمتـك أستغيث، والصـلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى خاتم الرسل الكرام الذي هدانا ودلّنا على سبيل الله، أشهد الله عليّ وملائكته بأني أشهد أن لا إله إلا الله، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والـقدر خيره وشره من الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم[٢] .

*** الفقـية الصالح الحسن بن صالح الحـداد الصنعانـي المؤذن :«آخر كلامه أشهد أن لا إله إلا الله»:**

رأس أهل العبـادة والاجتهاد، كهف الـضعفاء والأرامل، المؤذن بـجامع صنعاء.

● لما حضـرته الوفاة قال: أسـندوني أصلي العـصر فصلاّها، ثـم سلم والتفـت يمينًا وشمالاً ورفـع أصبعه السـبّابة، وقال: أشهد أن لا إلـه إلا الله ففاضت نفسه سنة ١١٩٥، ـ رحمه الله تعالى ـ وإيانا آمين[٣] .

*** الإمام الزاهد الصوّام القوّام محمد الكبير السرغيني:**

ولي الخطبة والإمامـة والتدريس بجامع الحمراء بفاس. اخـتصر صحيح مسلم.

وكان ـ رحمه الله ـ مـن أهل المجاهدة في العلم والدين والمحـافظة على

---

(١) «خلاصة الأثر» (٤/ ١٨٩ ـ ٢٠٠).

(٢) «خلاصة الأثر» (٤/ ٤٠٩ ـ ٤٢٣).

(٣) «ملحق البدر الطالع» (٢/ ٧٠ ـ ٧٢).

اتباع السنة وطريق المهتدين. وكان ـ رحمه اللَّه ـ ينكر البدع، ويقول: من أظهر بدعة أخمد سنّة. يقول الشيخ محمد بن الطيب القادري في كتابه «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني»:

«حدثني تلميذه الأخ في اللَّه الفقيه الدِّيِّن التقي سيدي عبد الوهاب بن محمد الدرعاوي، وكان ممن يلازم مجلس درسه، أنه رآه بعد موته في النوم، فقال له: ما فعل اللَّه بك يا سيدي؟ فقال: غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة أنا ومن اجتمع عليّ.

● واتفقت لي رؤيته بعد موته، وقبل الشروع في غسله فرأيت في وجهه ضحكة بيِّنة جداً مع ما لا يوصف من الجمال والبهاء. والحاصل أني لم أر مثله ولم أر بعدُ في اتباع السنة والحرص على إحيائها مثله[1] .

* موت صالح:

● قال أبو الفضل الرياشي: سمعت الأصمعي يقول: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينا أنا في بعض سككها، إذْ طلع أعرابي جِلْف جاف، على قَعود[2] له، متقلد سيفه، وبيده قوس، فدنا وسلم، وقال لي: ممّن الرجل؟ قلت: من بني الأصمع، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: مِن موضع يُتلى فيه كلام الرحمن. قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟! قلت: نعم.

قال: اتل عليّ شيئًا منه، فقلت له: انزل عن قعودك، فنزل، وابتدأت سورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، قال: يا أصمعي، هذا كلام الرحمن؟ قلت: أي

---

(١) «نشر المثاني» (٤/ ٨٤ ـ ٨٩).

(٢) الناقة.

والذي بعث محمدًا بـالحق إنه لكلامه، أنزله على نبيـه محمد ﷺ، فقال لي: حسبك، ثم قام إلى ناقته فنحرهـا، وقطّعها بجلدها، وقال: أعنّي على تفريقـها، ففرقناها عـلى من أقبل وأدبر ثم عمـد إلى سيفه وقوسه فـكسرها وجعلها تحت الرحل، وولى مدبـرًا نحو البادية وهو يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فأقبلت على نفسي باللوم، وقلت: لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي، فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة، فبينا أنا أطوف بالكعبة، إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق فالتفتّ فـإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مصفارّا، فسلم عليّ وأخذ بيـدي، وأجلسني من وراء المقام، وقال لي: اتـل كلام الرحمن، فأخذت في سورة الذاريات، فلما انـتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، صاح الأعرابي: وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا. ثم قال: وهل غير هذا؟ قلت: نعـم، يقول اللَّه عز وجل: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾، فصاح الأعرابي، وقال: يا سبحان اللَّه، مَن الذي أغضب الجليل حتى حلف؟ ألم يصـدّقوه حتى ألجئوه إلى اليمين؟ قالها ثلاثًا، وخرجت فيها روحه»[١].

* أبو عبد اللَّه الحربي الزاهد: «اللَّهم اقبضني إليك ولا تفتني»:

● عن إبراهيم بن شبـيب بن شيبة قال: كنا نتجالـس في الجمعة، فأتى رجل علـيه ثوب واحد ملتـحف به، فجلـس إلينا، فألـقى مسألة، فمـا زلنا نتكلم في الفقه حتى انصرفنا. ثم جاءنا في الجمعة المقبلة فأحببناه وسألناه عن منزله، فقال: أنزل «الحربية»، فسألناه عن كـنيته، فقال: أبو عبد اللَّه. فرغبنا في مجالسته ورأيناه مجلس فقه.

فمكثنا بذلك زمـانًا، ثم انقطع عنا، فقال بعضنا لـبعض: ما حالنا؟ قد

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٨٢)، و«كتاب التوابين» لابن قدامة ص(٢٧٩).

كان مجلسنا عـامرًا بأبي عبد اللَّه، وقد صار موحشًا، فوعـد بعضًا بعضًا إذا أصبحنا أن نأتي الحربية فنسأل عنه، فأتينا الحربية وكنا عددًا، فجعلنا نستحيي أن نسأل عن أبي عبد اللَّه، فنظرنا إلى صبيان قد انصرفوا من الكتاب، فقلنا: أبو عبد اللَّـه؟ فقالوا: لعلكم تعنـون الصياد؟ قلنا: نعم. قـالوا: هذا وقته، الآن يجيء.

فقعدنا ننتظره، فإذا هو قد أقبل مـؤتزرًا بخرقة وعلى كتفه خرقة، وعلى كتفه أطيار مذبّحة وأطيار أحياء. فلما رآنا تبسّم، وقال: ما جاء بكم؟ فقلنا: فقدناك وقد كنت عمرت مجلسك، فما غيّبك عنا؟ قال: إذًا أصدقكم:

كان لنا جار كنت أستعير منه كـل يوم ذاك الثوب الذي كنت آتيكم فيه، وكان غريبًا فخرج إلى وطنـه، فلم يكن لي ثـوب آتيكم فيه، هـل لكم أن تدخلوا المنزل فتـأكلوا مما رزقكم اللَّه عز وجل؟ فقال بعضـنا لبعض: ادخلوا منزله، فجاء إلى الباب فسلم ثم صبـر قليلاً، ثم دخل فأذن لنا فدخلنا، فإذا هو قد أتى بقـطع من البواري[1] فبسطها لنا، فقعـدنا، فدخل إلى المرأة فسلّم إليها الأطـيار المذبحة وأخذ الأطيار الأحـياء، ثم قال: أنا آتيكـم إن شاء اللَّه عن قريب فأتى السوق فباعها واشترى خبزًا.

فجاء وقد صنعت المـرأة ذلك الطير وهيّأته، فقدّم إلينـا خبزًا ولحم طير، فأكلنا فجـعل يقوم فيأتينا بالملـح والماء، فكلما قام قال بعضنـا لبعض: رأيتم مثل هـذا؟ ألا تُغيّرون أمـره وأنتم سادة أهـل البصرة؟ فـقال أحدهم: علـيّ خمسمائة، وقال الآخر عليّ ثلاثمائة.

وقال هذا، وقال هذا، وضمن بعضهم أن يأخذ له من غيره، فبلغ الذي جمعوا في الحساب خـمسة آلاف درهم، فقالوا: قوموا بنا نذهـب فنأتيه بهذا

---

(١) الحصير.

ونسأله أن يغيّر بعض ما هو فيه.

فقمنا فانصرفنا على حالنا ركبانًا، فمررنا بالمرْبد، فإذا محمد بن سليمان أمير البصرة قاعد في منظرة له، فقال: يا غلام ائتني بإبراهيم بن شبيب بن شيبة من بين القوم فجئت فدخلت عليه، فسألني عن قصتنا، ومن أين أقبلنا، فصدقته الحديث. فقال: أنا أسبقكم إلى بره؛ يا غلام ائتني ببدرة دراهم، فجاء بها، فقال: احمل هذه البدرة مع هذا الرجل حتى تدفعها إلى مَن قد أمرناه.

ففرحت ثم قمت مسرعًا، فلما أتيت الباب سلّمت، فأجابني أبو عبد اللَّه، ثم خرج إليّ، فلما رأى الفرّاش والبدرة على عنقه كأني سفّيت في وجهه الرماد، وأقبل عليّ بغير الوجه الأول، فقال: ما لي ولك يا هذا؟ أتريد أن تفتنني؟ فقلت: يا عبد اللَّه اقعد حتى أخبرك، إنه من القصة كذا وكذا، وهو الذي تعلم أحد الجبّارين - يعني محمد بن سليمان -، ولو كان أمرني أن أضعها حيث أرى لرجعت إليه فأخبرته أني قد وضعتها، فاللَّه اللَّه في نفسك. فازداد عليّ غيظًا، وقام فدخل منزله وأصفق[1] الباب في وجهي، فجعلت أقدم وأؤخر ما أدري ما أقول للأمير. ثم لم أجد بُدًّا من الصدق، فجئت فأخبرته الخبر، فقال: حَرُوريّ واللَّه، يا غلام عليّ بالسيف، فجاء بالسيف، فقال له: خذْ بيد هذا الغلام حتى يذهب بك إلى هذا الرجل، فإذا أخرجه إليك فاضرب عنقه وائتني برأسه.

قال إبراهيم: أصلح اللَّه الأمير، اللَّه اللَّه، فواللَّهِ لقد رأينا رجلاً ما هو من الخوارج، ولكن أذهب فآتيك به، ما أريد بذلك إلا افتداءه منه، قال: فضمننيه، فمضيت حتى أتيت الباب فسلمت، فإذا المرأة تحنّ وتبكي، ثم فتحت الباب وتوارت، فأذنت لي فدخلت، فقالت: ما شأنكم وشأن

(١) «أصفق الباب وصفق الباب» بمعنى: أغلقه وردّه.

أبي عبد اللَّه؟ فقلت: وما حاله؟ قالت: دخل فمال إلى الرَّكِيّ[1] فنزع منها ماءً فتوضأ، ثم سمعته يقول: اللَّهم اقبضني إليك ولا تفتني. ثم تمدد وهو يقول ذلك، فلحقته وقد قَضى فهو ذاك ميت، فقلت: يا هذه، إن لنا قصة عظيمة، فلا تحدثوا فيه شيئًا. فجئت محمد بن سليمان وأخبرته الخبر، فقال: أنا أركب فأصلي على هذا.

قال: وشاع خبره بالبصرة، فشهده الأمير وعامّة أهل البصرة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ»[2].

* عابد يموت عند سماع آية: «وا شباباه»:

● عن منصور بن عمار قال: حججت حجة، فنزلت سكة من سكك الكوفة، فخرجت في ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول: إلهي! وعزتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك إذ عصيتك، وما أنا بنكالك جاهل، ولكن خطيئة عرضت لي، أعانني عليها شقائي، وغرّني سترك المرخيّ عليّ، وقد عصيتك بجهدي، وخالفتك بجهلي، ولك الحجة عليّ، فالآن مِن عذابك من يستنقذني؟ وبحبل مَن أتّصل إذا قطعت حبلك مني؟ واشباباه! واشباباه!

قال: فلما فرغ من قوله، تلوت آية من كتاب اللَّه ﴿... **نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ**﴾ الآية، فسمعت حركة شديدة، ثم لم أسمع بعدها حسّا، فمضيت. فلما كان الغد رجعت من مدرجتي[3]، فإذا بجنازة قد وُضِعت، وإذا بعجوز كبيرة، فسألتها عن أمر الميت، ولم تكن عرفتني، فقالت: هذا رجل لا جزاه اللَّه إلا جزاءه، مرّ بابني البارحة وهو

---

(١) الركيّ: البئر.

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٩ ـ ١٢).

(٣) أي طريقي.

قائم يصلي، فتلا آية من كتاب اللَّه، فلما سمعها ابني تفطرت مرارته، فوقع ميتًا»[١] .

* سعيد العابد: «لولاك ما طابت ولا طاب الطَّرَب»:

• قال ميسرة الخادم: غزونا في بعض الغزوات فصادفنا العدو، فإذا بفتى مقنّع في الحديد، فحمل على الميمنة حتى ثَناها، وحمل على الميسرة حتى ثناها، وحمل على القلب حتى ثناه، ثم أنشأ يقول:

أحسن بمولاك سعيدُ ظنًّا ... هذا الذي كنتَ له تمنّى

تنحَّ يا حُورَ الجنان عنّا ... ما لك قاتلنا ولا قُتلنا

لكن إلى سيِّدنا اشتقنا ... قد علم السِّرَّ وما أعلنَّا

قال: فحمل فقاتل فقتل منهم عددًا، ثم رجع إلى مصافه فتكالب عليه العدو فإذا به قد حمل على الناس وأنشأ يقول:

قد كنتُ أرجو، ورجائي لم يَخِبْ ... أن لا يضيع اليوم كدِّي والتعبْ

يا مَن ملا تلك القصور باللُّعَب ... لولاكَ ما طابت ولا طاب الطَّرَب

قال: فحمل فقتل منهم عددًا ثم رجع إلى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل الثالثة وأنشأ يقول:

يا لُعبة الخُلدْ قِفي ثم اسمعي ... ما لكِ قاتلنا فُكفِّي وأرْبعي

ثم ارجعي إلى الجنان فأسرعي ... لا تطمعي، لا تطمعي، لا تطمعي

قال: فحمل فقاتل حتى قُتِل[٢] .

* * *

(١) «التوابين» ص(٢٩٠).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣).

* عابد آخر: «أما فيكم مَن يبكي لوقوفي بين يدي ربي؟!»:

• قال يزيد الرقاشي: دخلت على عابد بالبصرة وإذا أهل بيته حوله، فإذا هو مجهود قد أجهده الاجتهاد. قال: فبكى أبوه فنظر إليه، ثم قال: أيها الشيخ، ما الذي يُبكيك؟ قال: يا بني! أبكي فَقْدك وما أرى من جَهْدك. قال: فبكت أمه. فقال: أيتها الوالدة الشفيقة الرفيقة: ما الذي يُبكيكِ؟ قالت: يا بُنيّ أبكي فراقك وما أتعجّل من الوحشة بعدك.

قال: فبكى أهله وصبيانه، فنظر إليهم، ثم قال: يا معشر اليتامى بعد قليل، ما الذي يبكيكم؟ قالوا: يا أبانا نبكي فراقك وما نتعجّل من اليُتم بعدك. قال: فقال: أقعدوني أقعدوني ألا أرى كلكم يبكي لدنياي، أما فيكم من يبكي لآخرتي؟ أما فيكم مَن يبكي لما يلقاه في التراب وجهي؟ أما فيكم مَنْ يبكي لمساءلة منكر ونكير إيّاي؟ أما فيكم مَنْ يبكي لوقوفي بيْن يدي اللّه ربي؟ قال: ثم صرخ صرخة فمات[1].

* عابد آخر: «كُفّ فقد كشفت قناع قلبي»:

قال حُصَيْن بن قاسم الوزّان: كنّا عند عبد الواحد بن زيْد وهو يعظ فناداه رجل من ناحية المسجد: كُفّ يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي، فلم يلتفت عبد الواحد ومرّ في الموعظة. فلم يزل الرجل يقول: كفّ يا أبا عبيدة فقد كشفت قناع قلبي، وعبد الواحد يعظ ولا يقطع موعظته حتى واللّه حشرج الرجل حشرجة الموت، ثم خرجت نفسه.

قال: فأنا واللّه شهدتُ جنازته يومئذ فما رأيت بالبصرة يومًا أكثر باكيًا من يومئذ[2].

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/١٨).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/١٨).

* عابد آخر: «أما إنّ للناس موقفًا لا بُدّ أن يقفوه»:

● عن ابن السماك قال: دخلت البصرة، فقلت لرجل كنت أعرفه: دُلّني على عُبّادكم. فأدخلني على رجل عليه لباس الشّعر، طويل الصمت لا يرفع رأسه إلى أحد. قال: فـجعلت أستنطقـه الكلام فلا يكلمنـي. فخرجت من عنده، فقال لي صاحبي: ها هنا ابن عجوز هل لك فيه؟ قال: فدخلنا عليه، فقالت العجوز: لا تذكروا لابني شيئًا من ذِكْر جنة ولا نار فتقتلوه عليّ، فإنه ليس لي غيره.

قال: فدخلنـا على شاب عليه من اللـباس نحو ما على صاحـبه منكّس الرأس طويل الصمت فرفع رأسه فنظر إلـينا، ثم قال: أما إن للناس موقفًا لا بدّ أن يقـفوه، قال: فقلت: بـين يديْ من رحمك الـلَّه؟ قال: فشهق شـهقة فمات.

قال ابن السماك: فـجاءت العجوز، فقالت: قتلتـم ولدي. قال: فكنت فيمن صلّى عليه[1] .

* والان بن عيسى، أبو مريم القزويني ـ رحمه اللَّه ـ:

● عن السـري بن يحيى، عن والان بـن عيسى ـ رجل من أهـل قزوين كان من الصالحين ـ قال: غرّني[2] القمر ليلة فخرجت إلى المسجد فصليت ما قضى اللَّه لي وسبّـحت ودعوت. فغلبتني عيناي، فرأيت جـماعة أعلم أنهم ليسوا من الآدميين بأيديهم أطباق عليـها أرغفة ببياض الثلج، فوق كل رغيف دُرّ أمثال الرمّان، فقالوا: كُل. قلت: أريد الصوم. قالوا: يأمرك صاحب هذا البيـت أن تأكل. فأكـلت وجعلتُ آخـذ ذلك الدر لأحتمـله فقيـل لي: دعْه

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٠).

(٢) أي: خدعني.

نغرسه لك شجراً ينبت لك خيراً من هذا. فقلت: أين؟ فقالوا: في دار لا تخرب، وثمر لا يتغيّر، ومُلك لا ينقطع، وثياب لا تبلى، فيها رضىً وغنىً وقرة العين أزواج وضيئات مرضيّات راضيات لا يَغَرن ولا يُغَرن، فعليك بالانكماش فيما أنت فيه. فإنما هي غفوة حتى ترتحل فتنزل الدار.

فما مكث جمعتين حتى توفي.

قال السري بن يحيى: فرأيته في الليلة التي تُوفي فيها، وهو يقول لي: ألا تعجَبْ من شيء غُرس لي يوم حدّثتك، وقد حمل. قلت: حمل بماذا؟ قال: لا تسأل بما لا يقدر على صفته أحد، لم يُرَ مثل الكريم إذا حلّ به مطيع رضي الله عنه(١).

* زاهد زمانه فتح الموصلي: «أتقرب إليك بطول حزني»:

فتح بن سعيد الموصلي يكنى أبا نصر.

● قال أبو إسماعيل صاحبه وخادمه عنه: كان والله كهيئة الروحانيين معلّق القلب بما هناك، ليست له في الدنيا راحة.

قال: شهدت العيد ذات يوم بالموصل ورجع بعدما تفرّق الناس ورجعت معه، فنظر إلى الدّخان يفور من نواحي المدينة فبكى، ثم قال: قد قرّب الناس قربانهم، فليت شعري ما فعلتَ في قرباني عندك أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشيًّا عليه. فجئت بماء فمسحت به وجهه، فأفاق، ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: قد علمت طول غمي وحُزني وترددادي في أزقة الدنيا، فحتى متى تَحْبِس أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشيًّا عليه فجئت بماء فمسحت على وجهه فأفاق. فما عاش بعد ذلك إلا أيامًا حتى مات ـ رحمه الله ـ.

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٨٠ ـ ٨١).

● وعن إبراهيم بن موسى قال: رأيت فتحًا الموصلي في يوم عيد أضحى، وقد شمّ ريح القُتار[١] ، فدخل إلى زقاق فسمعته يقول: تقرّب المتقربون بقربانهم وأنا أتقرّب إليك بطول حزني يا محبوب، كم تتركني في أزقة الدنيا محبوسًا؟ ثم غُشي عليه وحمل فدفنّاه بعد ثلاث[٢] .

*** عابد: «قضى حوائجي من جاء بكم إلى جزيرتي»:**

● قال عبد الواحد بن زيد: ركبنا في مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة، فإذا فيها رجل يعبد صنمًا. فقلنا له: مَنْ تعبد؟ فأومأ إلى الصنم، فقلنا: إن معنا في المركب مَنْ يُسَوِّي مثل هذا. ليس هذا بإله يُعبد؟ قال: فأنتم مَن تعبدون؟ قلنا: اللَّه عز وجل. قال: وما اللَّه؟ قلنا: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه. فقال: كيف علمتم به؟ قلنا: وجّه هذا الملك إلينا رسولاً كريمًا فأخبرنا بذلك. قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: لما أدى الرسالة قبضه اللَّه. قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى ترك عندنا كتاب الملِك. قال: أروني كتاب الملك، فينبغي أن تكون كتب الملوك حسانًا. فأتيناه بالمصحف، فقال: ما أعرف هذا. فقرأنا عليه سورة من القرآن فلم نزل نقرأ، ويبكي حتى ختمنا السورة. فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصى. ثم أسلم وحملناه معنا وعلّمناه شرائع الإسلام وسورًا من القرآن. فلما جنّ علينا الليل وصلينا العشاء أخذنا مضاجعنا. فقال لنا: يا قوم هذا الإله الذي دللتموني عليه إذا جن عليه الليل ينام؟ قلنا: لا يا عبد اللَّه، هو عظيم قيّوم لا ينام. قال: بئس العبيد أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام. فأعجبنا كلامه. فلما قدمنا عبّادان قلت لأصحابي:

---

(١) القُتار: رائحة الشواء.

(٢) «صفة الصفوة» (٤/١٨٨ ـ ١٨٩).

هذا قريب عهد بالإسلام فجمعنا له دراهم وأعطيناه، فقال: ما هذه؟ قلنا: تُنفقها. قال: لا إله إلا اللَّه دللتموني على طريق ما سلكتموها، أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنمًا من دونه ولم يضيّعني، يضيّعني وأنا أعرفه؟!. فلما كان بعد أيام قيل لي: إنه في الموت. فأتيته فقلت: هل من حاجة؟ فقال: «قضى حوائجي مَن جاء بكم إلى جزيرتي».

قال عبد الواحد: فحملتني عيني فنمتُ عنده، فرأيت مقابر عبّادان روضة وفيها قبّة، وفي القبة سرير عليه جارية لم نر أحسن منها. فقالت: سألتك باللَّه إلاّ ما عجّلت به فقد اشتد شوقي إليه. فانتبهتُ فإذا به قد فارق الدنيا فغسّلته وكفّنته وواريته. فلما جنّ الليل نمتُ فرأيته في القبة مع الجارية وهو يقرأ ﴿**وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤][1].

* غلام عابد يناجي مولاه: «احشرني من حواصل الطيور» فيستجيب دعاءه:

● قال أبو قدامة الشامي: كنت أميرًا على الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، فدعوت الناس إلى الغزو ورغّبتهم في الثواب، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها. ثم تفرّق الناس وركبت فرسي وسرتُ إلى منزلي، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تنادي: يا أبا قُدامة. فقلتُ: هذه مكيدة من الشيطان فمضيت ولم أُجب. فقالت: ما هكذا كان الصالحون. فوقفت، فجاءت ودفعت إليّ رُقعة وخرقة مشدودة، وانصرفتْ باكية. فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها مكتوب: إنك دعوتنا إلى الجهاد ورغّبتنا في الثواب، ولا قُدرة لي على ذلك، فقطعت أحسن ما فيّ، وهما ضفيرتايَ

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠).

وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك[1] ، لعل اللَّه يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي، فلما كانت صبيحة القتال فإذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتل فتقدمت إليه، وقلتُ: يا فتى أنت غلام غِرّ راجل ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا، فقال: أتأمرني بالرجوع؟ وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ** ﴿١٥﴾ **وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [الأنفال: ١٥ ـ ١٦].

فحملته على هجين كان معي فقال: يا أبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم. فقلت: أهذا وقت قرض؟ فما زال يلح عليّ حتى قلت: بشرط إن منّ اللَّه بالشهادة أكون في شفاعتك. قال: نعم. فأعطيته ثلاثة أسهم فوضع سهمًا في قوسه، وقال: السلام عليك يا أبا قدامة. ورمى به فقتل روميًا. ثم رمى بالآخر، وقال: السلام عليك يا أبا قدامة فقتل روميًّا. ثم رمى بالآخر، وقال: السلام عليك سلام مودع.

فجاءه سهم فوقع من بين عينيه فوضع رأسه على قربوس[2] سرجه. فتقدمت إليه، وقلت: لا تنسها. فقال: نعم، ولكن لي إليك حاجة: إذا دخلت المدينة فأت والدتي وسلِّمْ خرجي إليها وأخبرها فهي التي أعطتك شعرها لتقيد به فرسك، وسلِّم عليها فإنها في العام الأول أصيبت بوالدي، وفي هذا العام بي ثم مات.

فحفرتُ له ودفنته. فلما هممنا بالانصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته على ظهرها. فقال أصحابي: إنه غلام غرّ ولعله خرج بغير إذن أمه. فقلت:

---

(١) قال ابن الجوزي: هذه امرأة حسن قصدها وغلطت في فعلها، لأنها جهلت أن ما فعلت منهي عنه، فلينظر إلى قصدها.

(٢) القَرَبوس: حنو الفرس.

إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا. فقمت وصليت ركعتين ودعوت اللَّه عز وجل فسمعت صوتًا يقول: يا أبا قدامة اترك ولي اللَّه. فما برحتُ حتى نزلت عليه طيور بيض فأكلته. فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته فلما قرعتُ الباب خرجت أخته إليّ، فلما رأتني عادت، وقالت: يا أماه هذا أبو قدامة ليس معه أخي، فقد أُصبنا في العام الأول بأبي، وفي هذا العام بأخي.

فخرجت أمه إليّ فقالت: أمُعَزِّيًا أم مهنّئًا؟ فقلت: ما معنى هذا؟ فقالت: إن كان مات فعزّني، وإن كان استشهد فهنئني.

فقلت: لا بل مات شهيدًا. فقالت: له علامة فهل رأيتها؟ قلتُ: نعم لم تقبله الأرض ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها، فقالت: الحمد للَّه. فسلّمت إليها الخرج ففتحته فأخرجت منه مِسْحًا وغُلاً من حديد، وقالت: إنه كان إذا جنّه الليل لبس هذا المسح وغلّ نفسه بهذا الغُلّ وناجى مولاه، وقال في مناجاته: احشرني من حواصل الطيور. فقد استجاب اللَّه دعاءه[١].

*** يوسف بن أسباط الزاهد: «خرج من الدنيا وليس عنده درهم»:**

قال عنه الذهبي: «من سادات المشايخ... نزل الثغور مرابطًا»[٢].

● قالت زوجته: كان يقول: أشتهي من ربي ثلاث خصال. قلت: وما هُنّ؟ قال: أشتهي أن أموت حين أموت، وليس في ملكي درهم، ولا يكون عليّ دين، ولا على عظمي لحم. قالت: فأُعطي ذلك كله. ولقد قال لي في مرضه: أبقي عندك نفقة؟ فقلت: لا. قال: فماذا تَرَيْن؟ قلت: أُخرج هذه الخابية للبيع. فقال: يعلم الناس بحالنا ويقولون ما باعوها إلا وثَمَّ حاجة

(١) «صفة الصفوة» (٤/١٩٨ ـ ٢٠١).

(٢) «السير» (٩/١٦٩ ـ ١٧١).

شديدة. فأخرج إليّ شيئًا كان أهداه إليه بعض إخوانه فباعه بعشرة دراهم، وقال: اعزلي منها درهمًا لحنوطي، وأنفقي باقيها. فمات وما بقي غير الدرهم!!

توفي يوسف بن أسباط قبل المائتين بسنة[١] .

*** الإمام الوليّ أبو داود عمر بن سعد الحفري:**

● قال وكيع بن الجرّاح: «إن كان يُدفع بأحد في زماننا، فبأبي داود الحفري».

قال أبو حمدون الطيّب المقرئ: دفنّا داود الحفري ـ رحمه اللَّه ـ، وتركنا بابه مفتوحًا، ما كان في البيت شيء[٢] .

*** أبو محمد عبد اللَّه التاهرتي يقول: ادخل يا ملك الموت:**

ذكر أبو إسحاق السبائي أن أبا محمد عبد اللَّه التَّاهرتيَّ اعتل علة شديدة حتى يئسوا منه، فقال للذي يخدمه:

«إني لست أموت من هذه العلة، وأنا أفيق منها إن شاء اللَّه تعالى، فإذا كان المرضة الثانية بعدها توقعوا موتي.

قال أبو إسحاق السبائي: ما أراه إلا دعا اللَّه عز وجل فأُخبر بذلك في منامه. وقال أبو مالك سعد بن مالك الدباغ:

شهدته وقد احتُضر وحوله جماعة، فَتَذَاكَرُوا الموت وسكراته، وشدته وغمراته، ثم قال:

ادخُل يا ملك الموت، وأقبل يبتسم وينظر عن يمينه، وشَممْنَا رائحة طيبة»[٣] .

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦).

(٢) «السير» (٩/ ٤١٦ ـ ٤١٧)، و«تهذيب الكمال».

(٣) «رياض النفوس» (٢/ ٨٢).

*** الشيخ أبو بكر بن المقبول الزيلعي يقول لبناته: ما جئت عندكم إلا لأموت عن قريب:**

● مرض الشيخ أبو بكر بن المقبول الزيلعي بمكة مرضًا أشرف فيه على الموت، فدخل عليه الفقيه مقبول، وحزن عليه لمّا رأى حاله اشتد ومرضه زاد، وقال في نفسه: إن هذا مرض الموت.

فبمجرد ورود هذا الخاطر عليه قال له: يا مقبول لا تَخَفْ عليّ، فإني لا أموت إلا باللِّحْيَةِ، وهي قرية باليمن.

فعوفي من ذلك المرض، وقَدِمَ اللحيةَ، فلما دخل بيته تباشر أهله بقدومه، وفرحوا، وجمعوا النساء ليفعلن على عهادتهن من القطرنة والغناء وغير ذلك.

فنادى بناته وقال لهن: ما هذا الذي تفعلنه؟ أنا ما جئت عندكم إلا لأموت من قريب. فصحن لما يعرفن من حاله، فتوفي - رحمه اللَّه - باللحية، كما قال[1] .

*** أبو العباس أحمد بن محمد الديبلي وأحواله الطيبة عند الموت:**

● ذكر تاج الدين عبد الوهاب السبكي في «الطبقات الوسطى» أن أبا العباس النَّسوي قال: لما اعتل أبو العباس أحمد بن محمد الديبلي علّته التي تُوفي فيها، وتوليت خدمته، شهدت منه في علّته أحوالاً سنيَّة، وقال لي: إنه يموت ليلة الأحد.

وقال لي:

تنحَّ فإني أريد أن أجمع بين صلاتين (يعني: صلاة المغرب وصلاة العشاء).

---

(١) «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» (١/ ٩٩).

وركع وأوتر، ثم أخذ في السياق، وهو حاضر معنا إلى نصف الليل، فقمت وطرحت نفسي ساعة، ثم رجعت إليه، فلما رآني قال:

أيُّ وَقْت هذا؟

قلت: قَرْبَ الصُّبحِ.

فقال: حَوِّلوني إلى القبلة.

فأخذ يقرأ مقدار خمسين آية، ثم خرجت روحه، مات ـ رحمه اللَّه ـ سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة[١].

*** الفقيه الشافعي محمد بن الحسين الآجري:**

● دخل محمد بن الحسين الأجُري الفقيه الشافعي مكة المكرمة، فأعجبته الإقامة بها فقال: اللَّهم ارزقني بها سنة. فسمع هاتفًا يقول: بل ثلاثين سنة، فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة ومات ـ رحمه اللَّه ـ بمكة سنة ستين وثلاثمائة[٢].

*** أبو علي الحسن بن نصر السويسي يقول لزوجته: ما أشك في أني بالغداة أموت:**

● نقل المالكي في «الرياض» عن محمد ولد أبي علي الحسن بن نصر السويسي أن أباه قال له:

يا بُنَيِّ ارْبِطْ لي حَبلاً في السقف، لعلي أقدرِ أصَلِّي قائمًا، وكان ذلك في علته التي مات فيها.

قال: فربطت له الحبل، وحملناه حتى وقف على نفسه وأمسك الحبل فغُلب ولم يستطع القيام كما كان، فبكى وقال:

---

(١) من «هامش الطبقات الكبرى» (٣/ ٥٥).

(٢) «الوافي بالوفيات» (٢/ ٣٧٣).

وَا غَوْثَاه، يااللَّه، حِيلَ بيني وبين طاعة ربِّي، فقلت له:

يا أبي صلِّ جَالسًا، وأنت تعلم أن الفَرض يُصَلَّى مِن جلوس مع الضرورة، فكيف النفل؟

فقال لي: يا بُنَيّ العمرُ قَصيرٌ، والعملُ قليلٌ، وإنما أردت أن أعمل أكثرَ مما عَمِلتُ، فالحمد للَّه على ما قَضَى وقَدَّرَ.

قال ابنه محمد: ولما طالت بأبي العلة قال لوالدتي:

يا عائشة طالت علتي، وتوليت مني خيرًا، وتعبت معي تعبًا كثيرًا، وأنت في ذلك مثوبة مأجورة، لا تملي ولا تزهدي في خدمتي، واصبري فإني ما أشكُّ في أن أجلي قد قَرُب، فيذهب أجرك بقلة الصبر، سمعتُ هاتفًا يقول لي من هذا الطاق:

يا حسن، غدًا صلاة الظهر يُفرج عنك، فما أشك في أني بالغداة أموت.

فكان كذلك ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[1].

* الشيخ الصالح علي بن إسماعيل العثماني:

• «كان الشيخ الصالح علي بن إسماعيل العثماني من ذرية سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه.

ولما دخل شهر شعبان من سنة تسع وخمسين وخمسمائة قال لتلاميذه:

إني لا أصوم مع الناس شهر رمضان المعظم المستقبل، وهو ـ يومئذ ـ صحيح ليس به ألم، فعجبوا من مقاله، ولم يبق إلا ثلاثة أيام من شعبانٍ، فمات في آخر يوم من شعبان قبل دخول رمضان عليه.

---

(١) «رياض النفوس» (٢/ ٣٩٣).

ولما كان اليوم الذي توفي فيه تطهَّر وتوضأ وتطيَّب، وقال لخدمته:

لم يبق لكم من خدمتي إلا اليوم، ثم دخـل إلى بيته فصلى ركعتين ونام على فراشه. فلـما حان وقت صلاة الظهر أتاه خديمه يوقـظه للصلاة فوجده ميتًا ـ رحمه اللَّه ورضي عنه ـ»[1] .

* معاوية بن قرّة يخبر ابنه أنه لن يستكمل يومه:

• «قال قريش بن أنس: قـدم معاوية بن قرة من سفر، فدخـل على ابنه إياس بن معاوية فقال:

إن هذا اليوم ما ينبغي أن أكون فيه حيًّا، إني رأيت في النوم كأني وأبي نستبق إلى غاية، فأدركناها معًا، وقد بلغت اليوم سن أبي.

قال: فما أخرج إلا ميتًا»[2] .

* الشـيخ سنان زاده الـقسطنـطيني يـقول للمـولى أبي السـعود: «لا يُصلي عليّ إمامًا إلا أنت»:

• كان المولى أبو السـعود العمادي صاحب التفسير قـد وقع خلاف بينه وبين الشيخ حسن بن أحمد الرومي الخلوتي المـشهور بسنان زاده القسطنطيني فحنق المـولى أبو السعود، وحـلف أنه إن مات الشيـخ سنان قبله لا يـحضر للصلاة عليه، فقال له:

خفِّض عليك لا يُصلي عليّ إمامًا إلا أنت، وليس لك محيد عن ذلك.

فاتفق أن يوم موت الشيخ سنان توفيت ابنة السلطن سليمان، وأحضرت الجنازة في الجامع، ودُعي أبو السعود للصلاة عليهما، وكان لم يبلغه نبأ وفاة الشيخ، فقدم للصلاة على الجنازتين.

---

(١) «مشاهد الناس عند الموت» للشيخ عبد الرحمن خليف ص(٥٦).

(٢) «الحلية» (٢/ ٣٣٠).

ولما أتم الصلاة سأل، فقيل له: هذا الشيخ سنان فكفر عن يمينه، وكان بعد ذلك إذا طرأ ذكره يعظمه ويذكر أحواله[1].

* إياس بن قتادة المجاشعي: «لأن أموت مؤمنًا هازلاً أحب إليّ أن أموت منافقًا سمينًا»:

رأى - رحمه اللَّه - شيبة في لحيته فقال: أرى الموت يطلبني وأراني لا أفوته، يا رب أعوذ بك من فُجَاءَاتِ الأمور.

ثم قال: يا بني سعد إني قد وهبت لكم شبابي فَهَبوا لي شيبتي ولزم بيته. فقال له أهله: تموت هزلاً.

فقال: لأن أموت مؤمنًا هازلاً أحب إليَّ من أموت منافقًا سمينًا.

وروي أنه قال: لا أراني حُميرًا لحاجات بني تميم، والموت يطلبني.

فنزل الشبيكة - من منازل البصرة - فاتخذها مسجدًا، فلم يزل يعبد اللَّه حتى مات - رحمه اللَّه -[2].

* القاضي أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي:

● لما تقدمت السن بأبي جعفر صرف عن القضاء ثم أريد للعمل فأبى، وأحب أن يتأهب للموت فقال:

أحب أن يكون بين الصرف عن القضاء والقبر فرجة، ولا أنزل عن القلنسوة إلى الحفرة وقال:

تركت القضاء لأهل القضا ... ء، وأقبلت أسمو إلى الآخرة

فإن يك فَخْراً جَليلَ الثنا ... ء، فقد نلت منه يَداً فاخرة

وإن كان وِزْراً فَأَبْعِدْ بِهِ ... فلا خَيْرَ فِي إمْرَةَ وازِره[3]

---

(١) «خلاصة الأثر» (٢/ ٢٠).

(٢) «ربيع الأبرار» للزمخشري (٢/ ٤٤٠).

(٣) «الوافي بالوفيات» (٦/ ٢٣٦).

* آخر كلام الشيخ أبي مدين: اللَّه الحق:

«لما فشا ذكر أبي مدين في البلاد، وشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور، وقال له:

إنا نخاف منه على دولتكم، فإن له شبهًا بالإمام المهدي، وأتباعه كثيرون بكل بلد فوقع في قلبه، وأهمه شأنه، فبعث إليه في القدوم عليه ليختبره، وكتب لصاحب بجاية بالوصية به والاعتناء وأن يحمل خير محمل.

فلما أخذ في السفر شق على أصحابه، وتحيَّروا وتكلموا فسكتهم وقال لهم:

إن منيتي قربت، ولغير هذا المكان قدِّرت، وأنا شيخ كبير ضعيف، لا قُدرة لي على الحركة، فبعث اللَّه تعالى من يحملني إليه برفق، ويسوقني إليه أحسن سوق، وأنا لا أرى السلطان ولا يراني.

فطابت نفوسهم، وذهب بؤسهم، وعلموا أن ذلك من كراماته.

فاتحلوا به على أحسن حال، حتى وطئوا به حوز تلمسان فبدت له رابطة العُبَّاد، فقال لأصحابه: ما أصلحه للرقاد، فمرض مرض موته، فلما وصل وادي يسر اشتد به المرض ونزلوا به هناك فكان آخر كلامه : اللَّه الحق»[1] .

* الشيخ محمد بن عمر المعلم يكرر سورة الإخلاص ثم تفيض روحه:

● كان السيد محمد بن عمر الملقب بالمعلم قد جمع ليلة وفاته جميع الأصحاب، وأوصى بما وردت به السنة والكتاب، وجعلهم عن يمينه وشماله، وأعلمهم بساعة انتقاله، وأمرهم بقراءة القرآن بإخلاص، وكرر هو سورة

---

(١) «نفح الطيب» (٩/ ٣٤٩).

الإخلاص، ولم يزل يكررها إلى أن فاضت روحه عند آخرها ـ رحمه اللَّه ـ وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثمانمائة[١].

*** الشيخ الصالح أبو بكر الشعيبي يقول لأولاده: «احفروا لي قبراً، فأنا أموت بعد يومين»:**

كان أبو بكر الشعيبي الولي الزاهد من قرية الشعيبية من قرى ميافارقين.

قال سعد الدين الجويني: كان الشعيبي من صلحاء الأبدال، صاحب عِلم وعَمل، ورياضيات ومجاهدات.

وكان أكثر أوقاته يتكلم على الخاطر، وكان كثيراً ما يقول عقب كلامه: اللَّهم ارْحَمنَا.

فسألته عن التتار قبل أن يطرقوا البلاد فزفر زفرة ثم أنشد:

وَمَا كُلُّ أَسْرَارِ النّفوس مُذَاعَةٌ ... وَلا كُلُّ مَا حَلَّ الْفُؤَادَ يُقَالُ

خرج إلى قريته الشعيبية، وقال لأولاده:

احْفروا لي قَبْرًا، فأنا أموت بعد يومين.

فحفروا له، ثم مات في اليوم الذي عينه سنة إحدى وأربعين وستمائة ـ رحمه اللَّه ـ[٢].

*** خائف وجل يخاف أن تردَ تلبيته:**

- «قال عبد اللَّه بن الجلاء:

كنت بذي الحليفة وأنا أيد الحج، والناس يُحرِمون، فرأيت شابًّا قد صُبَّ عليه الماء يريد الإحرام وأنا أنظر إليه، فقال:

---

(١) «جامع الكرامات» (١/ ٢٦٠).

(٢) «الوافي بالوفيات» (١٠/ ٢٦٩).

يا رب أريد أن أقول لبيك اللَّهم لبيك، وأخشى أن تجيبني: لا لبيك ولا سعديك.

وبقي يردد هذا القول مراراً كثيرة، وأنا أتسمع عليه، فلما أكثر قلت له: ليس لك بُد من الإحرام.

فقال: يا شيخ أخشى إن قلت: لبيك اللَّهم لبيك، أجابني: «لا لبيك ولا سعديك».

فقلت له: أحسِّن ظنك وقل معي: لبيك اللَّهم لبيك.

فقال: لبيك اللَّهم وطولها، وخرجت نفسه مع قوله اللَّهم فسقط ميتًا»[1].

*** وخائف غلب عليه الحياء:**

● قال أبو الأديان:

ما رأيت خائفًا إلا رجلاً واحدًا، كنت بالموقف، فرأيت شابًّا مطرقًا منذ وقف الناس إلى أن سقط قرص الشمس، فقلت:

يا هذا ابسط يديك بالدعاء.

فقال: ثَمَّ وحشة.

فقلت: هذا يوم العفو عن الذنوب.

فبسط يده، ففي بسط يديه وقع ميتًا[2].

● قال ابن خلكان: «قيل لأبي الأسود الدؤلي عند الموت: أبشر بالمغفرة، فقال: وأين الحياء ممن كانت له المغفرة[3].

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/٤٠٨).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٤١٠).

(٣) «وفيات الأعيان» (٢/٥٣٩).

* **عبد اللَّه بن دارس يبكي على انقطاعه عن العبادة:**

● قال عبد اللَّه بن نصر: اعتل ابن دارس، وجئنا إليه نعوده، فأصبنا عنده يحيى بن عمر، وحمديس القطان، وجبلة، وأكابر أصحاب سَحْنُون، هؤلاء قعودًا عند رأسه، وهو مسجى إلى القبلة، ودموعه تنصب، فقال له يحيى بن عمر:

أصلحك اللَّه ما الذي أبكاك؟

فقال: واللَّه ما بكيت خوفًا من الموت؛ لأنه كأس لا بد منه، ولا بد من قدومي على اللَّه عز وجل لأني أقدم على كريم رحيم، ولا بكيت إلا على تمتعكم بعدي بتلاوة القرآن، وقيام الليل، وصيام النهار، والتهجد، والتبتل، وانقطاع عملي، ثم قال لهم:

إن لي إليكم حاجة.

هذه الجبة الصوف والكساء، ختمت فيهما القرآن ثمانية آلاف ختمة ليلاً ونهارًا، كفنوني فيهما.

وهذه الحُصرُ كنت أسجد عليها في سواد الليل، اجعلوها معي في لحدي، وقليل من الشعير تصدقوا به.

وهذه السطحية (المزادة) حبِّسوها، واللَّه ما خلفت شيئًا يسألني اللَّه عنه غير هذا.

ثم أسأل اللَّه الاجتماع معكم على الحوض مع النبي ﷺ وأصحابه، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، ثم قضى ـ رحمه اللَّه ـ[1].

---

(١) «رياض النفوس» للمالكي (١/ ٤٨٠).

*** القاضي ابن وافد قاضي القضاة بقرطبة:**

لما تغلَّـب البرابرة على قرطبـة وتم الصلح، وخُلع هشـام، وهم أحنق الناس على ابن وافد، فـاستخفى، وشُدِّد الطلب فيه، فُعثـر عليه عند امرأة، فحُمل راجلاً مكشـوف الرأس مهانًا، يُقاد بعمامته في عـنقه، والمنادي ينادي عليه:

هذا جزاء قاضي النصارى، ومُسبب الفتنة وقائد الضلالة.

وكان يقول مجاوبًا:

كَذَبْتَ بِفِيكَ الحَجَرُ، بَلْ والـلَّهِ ولِيُّ المؤمنين، وعدو المارقين ﴿**أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: ٧٧]، والناس تتقطع قلوبهم لما نزل به.

فلقيه بعض أعدائه في هذه الحال فقال له:

كيف رأيت صنع اللَّه بك؟

فقال: ما أتهم قضاءه، كان ذلك في الكتاب مسطورًا.

ولقيه بعض أصحابه فقال:

تُرى أن أبـلغ أمرك أبـا العبـاس بن ذكوان؟ (وكـان مقبـول القول عـند البرابرة).

فقال: لا حاجة لي في ذلك...

فأدخل على المـستعين سليمان بن الحـكم في تلك الحال، فأكثـر توبيخه وأغرتـه به البرابـرة، فأمر بصـلبه، وشُـرع في ذلك، فاضـطرب البلـد له، وَوَرَدَتْ عليه شفاعة أبيه الحكم، وشفاعة ابني ذكوان، وابن حومل، وجماعة من الفقهاء والصـالحين الذين لا يرى ردهم يرغبون إليه في شـأنه، ويقبحون إليه ما أمر به فيه.

فرفع عنه الصلب والمثلة، وأمر بضمـه إلى المطبق، وتثقيفه، وكان شديد

الصبر في محبسه، كثير التبسم والحديث، متعاهدًا لصالح نفسه وجسمه من الاغتسال والاستياك والاستحداد، حتى عذله بعض من جمعته وإياه المحنة في ذلك المكان على فعله، فقال:

وما لي لا ألهى عما لا بد لي منه وأصل الراحة، واللَّه إني لأرجو لها الحور غاديًا أو رائحًا، وسواكي طري، وجسمي نقي، أو نحو هذا.

ولم يبعد ـ رحمه اللَّه ـ أن اعتل في محبسه فمات، فتكلم الناس أن حيلة وقعت عليه ـ فاللَّه أعلم بذلك ـ فأُخرج ميتًا في نعش، منتصف ذي الحجة سنة أربع وأربعمائة فوضعه الأعوان بالميضاة، موضع غسل المحاويج.

فاحتمله قوم إلى دار صهره ابن الأغبس الفقيه، فَسدَّ الباب في وجه النعش وتبرأ منه تقية.

وسمع الزاهد حماد بن عمار بالقصة، فبادره، وسار بنعشه إلى منزله، فقام بأمره. وكان من عجيب الاتفاق أن ابن وافد كان أودع عند هذا الرجل كفنه، وحنوطه وقارورة من ماء زمزم لجهازه، فتم مراده، وعدت من كراماته ـ رحمه اللَّه ـ[1].

* مشهد من مات عندما صدم بإهانة الإسلام:

روى ابن الجوزي عن أبي عبد اللَّه الحافظ أن الروم الأسبان لما استولوا على أشبيلية سنة ست وأربعين وستمائة هال صوت الناقوس وخرس الأذان أبا الحسن علي بن جابر الدباج اللخمي الأشبيلي، فما زال يتأسف ويضطرب إلى أن قضى نحبه بعد أيام ـ رحمه اللَّه ـ وقد عاش ثمانين سنة[2].

---

(١) «ترتيب المدارك» (٧/ ١٧٩).

(٢) «غاية النهاية» لابن الجزري (١/ ٥٢٨).

* قتيل القرآن وقتيل المواعظ والأحزان:

كنا في مجلس صالح المري وهو يتكلم، فقال لفتى بين يديه: اقرأ يا فتى. فقرأ الفتى قول اللَّه تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨].

فقطع صالح عليه القراءة وقال:

كيف يكون لظالم حميم أو شفيع، والمطالب له رب العالمين؟ إنك واللَّه لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأنكال إلى الجحيم حفاة عراة، مسودة وجوههم، مزرقة عيونهم، ذائبة أجسادهم، ينادون يا ويلنا يا ثبورنا ما نزل بنا؟ ماذا حل بنا؟ أين يُذهب بنا؟ ماذا يُراد منا؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران، فمرة يُجَرّون على وجوههم ويسحبون عليها منكبين، ومرة يقادون إليها مقرنين، من بين باكٍ دمًا بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت.

إنك واللَّه لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظراً لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك.

ثم نَحَبَ وصاح: يا سوء منلقباه وبكى، وبكى الناس.

فقام فتى من الأزْدِ فقال:

أكلُّ هذا في القيامة يا أبا بشر؟

قال: نعم واللَّه يا ابن أخي، وما هو أكثر، لقد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم، فما يبقى منها إلا كهيئة الأنين من المدنف، فصاح الفتى:

إنا للَّه، وا غفلتاه عن نفسي أيام الحياة، وا أسفاه على تفريطي في طاعتك، يا سيداه، وا أسفاه على تضييعي عمري في دار الدنيا.

ثم بكى، واستقبل القبلة وقال:

اللَّهم إني استقبلك في يومي هذا بتوبة لا يخالطها رياء لغيرك، اللَّهم فاقبلني على ما كان فيّ، واعف عما تقدم من فعلي، وأقل عثرتي، وارحمني ومن حضرني، وتفضل علينا بجودك وكرمك، يا أرحم الراحمين، لك ألقيت معاقد الآثام من عنقي، وإليك أنبت بجميع جوارحي، صادقًا لذلك قلبي، فالويل لي إن لم تقبلني.

ثم غُلب فسقط مغشيًّا عليه، فحُمل بين القوم صريعًا فمكث صالح وإخوته يعودونه أيامًا، ثم مات والحمد للَّه فحضره خلق كثير يبكون عليه ويدعون له.

فكان صالح كثيرًا ما يذكره في مجلسه فيقول: وبأبي قتيل القرآن وبأبي قتيل المواعظ والأحزان[1].

* أبو السَّرَى واصل بن عبد اللَّه:

كان أبو السَّرَى واصل بن عبد اللَّه يأوي إلى مسجد السدرة بالقيروان، يركع ويسجد فيه إلى صلاة العصر، فإذا قيل له: أُرْفُقْ بنفسك.

قال: أنا رجل مطالب مديان.

أنشد بعض القراء وهو جالس هذه الأبيات:

كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكَ يَدْعُو خَوَاطِرِي ... وَآخَرَ يَدْعُونَا نَاظِرِي وَلِسَانِي

فَمَا نَظَرَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مَنْظَرًا ... يَسُوءُكَ إِلاَّ قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي

ولا خَطَرَتْ فِي السِّرِّ دُونَكَ خَطْرَةٌ ... بِنَفْسِيَ إِلاَّ عَرَّجَا بِعِنَانِي

وَإِخْوَانِ صِدْقٍ قَدْ سَمِعْتُ حَدِيثَهُمْ ... فَأَمْسَكْتُ عَنْهُمْ نَاظِرِي وَلِسَانِي

---

(١) «مشاهد الناس عند الموت» ص(٩٩).

وَمَا الدَّهْرُ أَسْلَى عَنْهُمُو غَيْرَ أَنَّنِي رَأَيْتُكَ مَشْهُودًا بِكُلِّ مَكَانِ

فبكى وصاح، وفارق الدنيا، مات سنة ست وسبعين وثلاثمائة ودُفن باب سلم ـ رحمه اللَّه ـ[1] .

* أبو يوسف حجاج بن أبي يعقوب يموت بعد قراءة آية الكرسي:

كان أبو يوسف حجاج بن أبي يعقوب قد انتقل من القيروان إلى مصر، فمات بها، ودُفن بالمقطم سنة تسع وأربعين وثلاثمائة.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ قد سمع قارئًا يقرأ آية الكرسي، فلم يزل يرددها وهو يبكي حتى حمل إلى بيته، ففاضت نفسه ـ رحمه اللَّه تعالى ـ.

* الشيخ أبو جعفر أحمد بن مُعتب بن أبي الأزهر الأزدي شهيد القرآن:

نقل القاضي عياض عن أبي العز أن أبا جعفر أحمد بن مُعتب بن أبي الأزهر الأزدي كان عالمًا بالحديث والرجال، حسن التفسير، ونقل القاضي يونس عن أبي العرب أن ابن معتب كانت له صلاة طويلة بالليل وبكاء، حتى كان يسمع جيرانه بكاءه وصراخه.

وقال أبو بكر بن اللبَّاد حضرت مشهد الذكر يوم السبت لسبع خلون من ذي القعدة سنة سبع وستين ومائتين، وأحمد بن معتب حاضر، وكان له بكاء ونوح، وكان القراء إذا علموا به تحركوا فقرأوا، وغيَّروا، وأخذوا في التغيير.

دَعِ الدُّنْيَا لِمَنْ جَهِلَ الصَّوَابَا فَقَدْ خَسِرَ الْمُحِبُّ لَهَا وَخَابَا

فلما وصلوا:

يَظَلُّ نَهَارَهُ يَبْكِي بِبَثٍّ وَيَطْوِي اللَّيْلَ بِالأَحْزَانِ دَابَا

---

(١) «معالم الإيمان» (٣/ ١٠٥).

تحرك وبكى.

ثم قرأ قارئ: ﴿يَا عِبَادِي لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٨ - ٦٩]. فصاح ابن معتب صيحة شديدة، ثم سقط على وجهه، فأقام ساعة، وأسنده إنسان إلى صدره، وكُلِّم فلم يتكلم، وقد أغلق عينيه، ثم قاء شيئًا أخضر.

فلما انقضى المجلس وخُتم بالدعاء أردنا أن نحمله على دابة فلم نستطع، إذ كان لا يثبت، فجئنا بمحمل على جمل فحُمل وأُخرج من المسجد، وكلٌّ من في المسجد يبكي كأنه مأتم.

حُمل في شق الجمل، وزامله ابن عم له، ثم أُتي به إلى داره، فقاء شيئًا أخضر ولم يتكلم، وتركناه لشأنه.

فلمَّا كان بعد العشاء الآخرة توفي - رحمه اللَّه -، وما تكلم وما فتح عينيه.

قال ابن اللباد: وحضرتُ غُسله، وقد كُسي نورًا وبياض بدن، وصُلِّي عليه العصر، صلى عليه حمديس القطان، وفات كثيرًا من الناس الصلاةُ عليه لكثرتهم ونودي على جنازته أيها الناس لا تفتكم جنازة أحمد بن معتب شهيد القرآن[1].

وروى بعض هذا المشهد أبو بكر المالكي في «رياض النفوس» مضيفًا أن أبا جعفر بن معتب مر في ذلك اليوم بموضع قبل دخوله مسجد السبت فسمع قائلاً يقول:

الْعَفْوُ أَولَى بِمَنْ كَانَتْ لَهُ الْقُدَرُ ... لاَ سِيَّمَا عَنْ مُقِرٍّ لَيْسَ يَنْتَصِرُ
أَقَرَّ بِالذَّنْبِ إِجْلاَلاً لِسَيِّدِهِ ... فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهْوَ يَعْتَذِرُ

(١) «ترتيب المدارك» (٤/ ٣٥٣).

فبكى وخشع، ودعا للقائل وللذين حضروا، ثم مضى ودخل مسجد السبت.. إلى آخر ما مر من خَبَرِه[١].

كما روى أبو عبد اللَّه الخُشَني قصة وفاة ابن معتب من (موعظة) عن أبي بكر بن اللبَّاد فقال: حضرته في مجلس السبت وقد سمع شيئًا من أولئك القراء، فصاح صيحة ثم خرّ، وانبعث الزبد من فيه، واحتُمل في نَعْشٍ إلى داره، فما سُمعت منه كلمة حتى مات ـ رحمه اللَّه تعالى ـ.

ثم قال الخُشَني: قال ابن حارث، ولم أوقف أبا بكر بن اللباد عما سمع (من العظة) وقد سمعت في ذلك اختلافًا من الناس، فقائل يقول إنه سمع: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، وقائل يقول: إنه سمع بيت شعر فيه ذكر النار، فكان من أمْرِه ما كان[٢].

* أبو سعيد بن السمعاني يرق عند وعظه فيغشى عليه ويموت:

نقل تاج الدين السبكي عن أبي سعيد بن السمعاني أن أبا العباس الطَّبري كان من أخشع الناس قلبًا إذا قص، فمن ذلك ما يُحكى أنه كان يقص على الناس بطرسوس، فأدركته روعة مما كان يصف من جلال اللَّه وعظمته، وملكته خشية مما كان يذكر من بأسه وسطوته فخر مغشيًّا عليه ومات.

توفي بطرسوس سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[٣].

* أبو خالد عبد الخالق المتعبِّد يغلب عليه الخوف فيموت:

قال أبو جعفر بن بطونة سمعت أبي يقول:

حضرت جنازة في باب تونس (من مدينة القيروان) وحضرها أبو خالد

---

(١) «رياض النفوس» (١/ ٤٧١).

(٢) «قضاة قرطبة وعلماء أفريقية» ص(١٨٩).

(٣) «طبقات الشافعية» (٣/ ٥٩).

عبد الخالق المتعبِّد، فذكَر بعضُ من حضر الآخرةَ وأهوالها، فصاح عبد الخالق ثم ولَّى نحو الفحص هاربًا على وجهه.

قال فمضينا في إثره، فأصبناه جاثيًا على ركبتيه، خارًّا على وجهه، فحملناه على دابة.

ثم أقمنا بعد ذلك أيامًا نعوده، حتى مات من شدة الخوف ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وكان ذلك سنة عشرين ومائتين[1] .

* وشاب يموت خوفًا:

روى أبو الحسن عليُّ بن محمد الأنصاري عن أبيه أنه قال:

حضرت مسجد السبت القديم، وكان مبنيًّا بالطوب، فقال القوّالون أشعارًا في الزهد، فبكى الناس بكاءً عظيمًا، حتى امتلأ المسجد بالبكاء وارتفعت أصواتهم، فقال رجل جالس بجواري:

لقد طاب المسجد اليوم، فقال له رجل كبير السن شيخ:

يا هذا حَالَ المسجدُ عما كنا عهدناه قبل هذا الوقت (يعني: تحوَّل عما كان) ثم قال:

أعرف أني حضرته يومًا فقام ابن السامة فقرأ: ﴿**أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [فصلت: ٤٠].

فقام شاب من الركن يبكي ويصيح:

الأمان باللَّه.

فرجع القارئ إلى الآية من أولها، فقال الشاب: الأمان باللَّه.

فرجع القارئ مرة ثالثة: فصاح الشاب:

---

(١) «رياض النفوس» (١/ ٣٢٦).

الأمان بالله، وخر ميتًا ـ رحمه الله تعالى ـ[1] .

* أبو نضرة:

قال أبو نعيم:

انطلق الحسن البصري وإياس إلى أبي نضرة يعودانه، فقال له أبو نضرة: ادن مني يا أبا سعيد.

فدنا منه الحسن، فوضع أبو نضرة يده على عنق الحسن، وقبَّل خده.

فقال الحسن: يا أبا نضرة إنك والله لولا هول المطلع لسر رجالاً من إخوانك أن يكونوا فارقوا ما ها هنا.

فقالوا: يا أبا سعيد اقرأ سورة، وادعُ بدعوات.

فقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين، وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: اللَّهم مَسَّ أخانا الضر وأنت أرحم الراحمين.

فبكى أبو نضرة، وبكى الحسن، فبكى أهل البيت رحمةً لأخيهم.

قال إياس: فما رأيت الحسن بكى بكاءً أشد منه، وقال أبو نضرة: يا أبا سعيد، كن أنت الذي يُصلي عليَّ[2] .

* أبو عقال بن غليون ختم الله عمره في الصلاة:

قال المالكي في «رياض النفوس»:

كان أبو عقال بن غليون قد جرد أذياله في الصِّبا، وأطال من عنانه في الهوى، منهمكًا في البطالة، صاحب لهو وصبوة، مع مروءة وفتوة، إلى أن تناهت حدود القضاء فشمر وارعوى، وآثر ما يبقى على ما يفنى، فبكى وناح

---

(١) «رياض النفوس» (١/ ٤٩٦).

(٢) «الحلية» (٣/ ٩٨).

على ما سلف من أيامه، وعلى ما قارف من آثامه، صائمًا نهاره، قائمًا ليله، حتى كان يُضرب به المثل في العبادة...

ثم رحل من القيروان إلى مكة.

قال أبو بكر بن سعدون:

رأيت أبا عقال على جبل الرحمة يوم عرفة جاثيًا بين يدي اللَّه عز وجل على ركبتيه، باسطًا ذراعيه، شاخصًا ببصره، ودموعه تُسكب سكبًا، فقلت له: إنه ليوم عظيم، ألا تَدعو؟

فقال لي: يا ابن سعدون هو يعرف حاجتي، وفي أي شيء جئت.

وقال أبو القاسم الجوهري: حدثنا أبو علي الواسطي قال:

لقيت أبا إسحاق المقرئ بطرسوس، قال: لقيت أبا عقال بمسجد الخيف من منىً، وعليه خيشتان مؤتزرًا بواحدة، ومرتديًا الأخرى، فقلت له: حدثني بأشد شيء مرّ عليك في الحجاز، وحوله جماعة يكتبون كلامه، فقال لي:

كان معي سبعون صاحب رَكْوَةٍ (وعاء للماء من جلد) فوقع القحط، فماتوا وبقي منهم ستة أثر الضيم فيهم، وبقينا ليالي لم نُطعَم، فوقع في سري أن آتي الركن، فألتزمه فلعلي أن أموت على ذلك، فعلقته حبوًا من الجوع، فطرأ على قلبي أبيات فرجعتْ إليَّ نفسي وهي:

عَقَدْتُ عَلَيْكَ مُكْمَنَاتِ خَوَاطِرِي ... عَقْدَ الرَّجَاءِ فَأَلْزَمْتكَ حُقوقَا

إنَّ الزَّمَانَ عدَا عَلَيَّ فَزَادَنِي ... عِلْمًا بأَنَّكَ سَيِّدي تَحْقِيقَا

مَا نَالَنِي ضُرٌّ بِوَجْهِ مَسَاءَةٍ ... إلاَ وَجَدْتُ بِهِ إِلَيْكَ طَرِيقَا

حَسْبِي بأَنَّكَ عَالِم بِمَصَالِحِي ... إذْ كُنْتَ مَأمونًا عَلَيَّ شَفِيقَا

أَمْضِ الْقَضَاءَ عَلَى الرِّضَا مِنِّي بِهِ ... إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي الْبَلاءِ رَفِيقَا

فرجعتْ إليَّ نفسي واستندت إلى زمزم، فما استويت جالسًا حتى أتى

إليَّ أسود على رأسه مِكْتل فيه خبز ولحم مشوي وصرة دراهم، فقال لي:

أنت ابن غلبون؟

فقلت له: نعم.

فوضعه بين يدي ومضى، فأومأت إلى أصحابي فكنت فيه كأحدهم.

وقيل: إن أخت عقال كتبت إليه من القيروان كتبًا كثيرة ترغب إليه في الرجوع إلى المغرب لتجتمع به وتسر برؤيته قبل أن يفرِّق الموت بينهما، فكل كتاب وصل إليه منها ألقاه من يديه ولم يقرأه.

فلما طال ذلك عليها أوصت إليه بغير كتاب وقالت: بحق الثدي الذي رضعته معك إلا أريتني وجهك قبل الموت وفراق الدنيا. ما لك في حين صباك وجناياتك، وكثرة ما يطرأ علينا بسببك كنت عندنا، وحين صرنا نفتخر بك ونتبرك برؤيتك فارقتنا؟

فقال لرسولها: قل لها ما كنتُ لأدع بلدًا عرفت اللَّه عز وجل فيه، وأمضي إلى بلد عصيت اللَّه فيه، أخشى أن تقتضيني العوائد.

ثم قَدِمَتْ عليه أخته بعد ذلك، وأقامت معه بمكة حتى ماتت.

كانت وفاة أبي عقال ـ رحمه اللَّه ـ في شهر رمضان، وذلك أنه لما صلى ترويحة أو اثنتين فسجد الناس، وسجد، ثم قام الناس وبقي أبو عقال ساجدًا بحاله، فظن مَن وراءه أنه نام في سجوده. فلما انقضت الترويحة التي كانوا فيها ذهبوا يحركونه فإذا هو قد مات.

فصعد رجل على الحِجْر فقال:

أيها الناس إن اللَّه تبارك وتعالى أراد أن ينشر لأبي عقال في أرضه اليوم عَلَمًا[1].

---

(١) «رياض النفوس» (١/ ٤٢٧).

* أبو عبد اللَّه غَزِّيَّة يموت وهو قائم في الصلاة:

قال الشيخ محمد الكناني:

كان أبو عبد اللَّه غَزِّيَّةَ لا يفتر لسانه عن ذكر اللَّه، وكان يؤذن احتسابًا، وله صوت جهوري حسن، قلَّ مَن يؤذِّن مثله.

قال الكناني:

وأخبرني الشيخ أبو الفلاح صالح الجودي قاضي القيروان أنه عاده حين حضرته الوفاة، فسأل عن العصر، فقيل له: المؤذِّن أذَّن الآن، فقام وصلى الركعة الأولى تامة، وفي آخر الثانية سقط على الأرض ميتًا ـ رحمه اللَّه ـ[1].

* عبد اللَّه بن إبراهيم الأصيلي:

لما حضرت الوفاة أبا محمد عبد اللَّه بن إبراهيم الأصيلي من الجزيرة الخضراء كان آخر ما سمع منه لدى احتضاره قوله:

اللَّهم إنك وعدت بالجزاء عند كل مصيبة، ولا مصيبة عليّ أعظم من نفسي فأحسن جزائي عنها، يا أرحم الراحمين.

ثم خفَتَ.

وكان قد أعَدَّ قبره لنفسه، يقف عليه ويتعظ به، توفي ـ رحمه اللَّه ـ ليلة الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[2].

* الشيخ صدقة الضرير: «ارفق بحبيبك يا حبيبي»:

كان الشيخ صدقة الضرير المتعبد إذا حبس اللَّه عن الناس الغيث أتوا إلى

---

(١) «تكميل معالم الإيمان» ص(٢٣٢).

(٢) «ترتيب المدارك» (٧/ ١٤٤).

صدقة يسألونه الدعاء، فأتوا إليه يومًا، وقد أصاب البلد قحط شديد، فسألوه الدُّعاء، فرفع يديه إلى السماء، ودعا بدعاء عظيم ثم قال:

يا رب، الساعة، الساعة.

فما خرج الناس عنه حتى أغاثهم اللَّه عز وجل بالمطر، وكانت آخر كلمة سمعت منه وهو يجود بنفسه:

أُرْفُقْ بحَبِيبك يا حبيبي.

ثم فاضت نفسه ـ رحمه اللَّه ـ[1].

* القاضي إسماعيل بن حماد الأزدي يموت بعد صلاة الاستسقاء:

قال الكاتب ابن أزهر:

ارتفع المطر، فخرج القاضي إسماعيل بن حماد الأزدي قاضي بغداد إلى المصلى، فصلى ركعتين بسبح اسم ربك، وهل أتاك حديث الغاشية، ثم صعد المنبر، وخطب خطبتين، وحوَّل رداءه، وحدَّث بحديث طويل خشع له الناس، وبكى وانصرف خاشعًا.

فقبض ليلة استسقائه وقت صلاة العشاء، لثمان بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة عن اثنتين وثمانين سنة[2].

* يزيد بن ميسرة يختم حياته بالصدقات:

باع يزيد بن ميسرة كل ما كان يملك من شيء فتصدَّق بثمنه، حتى باع منزله الذي كان يسكنه، وكان يقول بعد ذلك: اللَّهم لا أكون عذرت، اللَّهم

---

(١) «رياض النفوس» (٢/ ١٢٩).

(٢) «المرقبة العليا» لأبي الحسن النباهي ص(٣٥) ـ طبع دار الكتاب المصري.

عجِّل قبضي إليك، فلم يلبث إلا يسيراً حتى قبضَه اللَّه[١] .

* أحمد الدينوري يموت وهو يكتب الحديث الشريف:

نقل تاج الدين السبكي عن القاضي أبي زُرْعَةَ رَوْحِ بن محمد سِبْط ابن السني أنه قال: سمعت عمي علي بن أحمد الدينوري يقول: كان أبي ـ رحمه اللَّه ـ يكتب الحديث، فوضع القلم في أنبوبة المحبرة، ورفع يديه يدعو اللَّه تعالى فمات، وذلك في أواخر سنة أربع وستين وثلاثمائة ـ رحمه اللَّه ـ[٢] .

* محمد النيسابوري يقول: «قد جاءوا ببراءتي من السماء»:

نقل تاج الدين السبكي عن أبي عبد اللَّه الحاكم صاحب «المستدرك» أن محمد النيسابوري ولدت له بنت وهو ابن تسعين سنة، وتوفي وزوجته حُبْلَى.

قال: بلغني أن زوجته قالت له: عند وفاته قد قربت ولادتي.

فقال: سلميه إلى اللَّه، فقد جاءوا ببراءتي من السماء، وتَشَهَّدَ ومات في الوقت.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ست وسبعين وثلاثمائة[٣] .

* أبو إسحاق ابن قرقول:

وقال الشيخ أبو العباس الناصري:

كان أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف المعروف بابن قَرَقُول صاحب كتاب

---

(١) «الحلية» (٥/ ٢٤٢).

(٢) «طبقات الشافعية» (٣/ ٣٩).

(٣) «طبقات الشافعية» (٣/ ٧٠).

«مطالع الأنوار» قد صلى الجمعة بجامع فاس سادس أيام شوال من سنة تسع وستين وخمسمائة.

ولما حان أول وقت صلاة العصر أخذ يتلو سورة الإخلاص، وجعل يكررها بسرعة، ثم تشهَّد ثلاث مرات، وسقط على وجهه ساجدًا فوقع ميتًا ـ رحمه اللَّه ـ[١].

*** الأمير محمد بن أبي القاسم الهكّاري يتمنى الشهادة فيفوز بها:**

كان الأمير أبو عبد اللَّه محمد بن أبي القاسم الهكّارِي سمحًا، لطيفًا، دينًا، ورعًا، بارًّا بأهله، وبالفقراء والمساكين، كثير الصدقات.

بنى بالقدس مدرسته للشافعية، ووقف عليها الأوقاف، وبنى مسجدًا قريبًا من الخليل عليه السلام عند يونس عليه السلام على قارعة الطريق وكان يتمنى الشهادة دائمًا ويقول:

ما أحسَن وَقْعَ سيوفِ الكفَّارِ على أنْفي وَوَجْهِي.

استشهد على الطور، وأبْلَى يومَ استشهاده بلاءً حسنًا، وكانت له المواقف المشهورة في قتال الإفرنج...

ولما مات شهيدًا حُمل إلى بيت المقدس فدُفن هناك، وكانت وفاته ـ رحمه اللَّه ـ سنة أربع عشرة وستمائة[٢].

*** شيخ الزهاد والعباد إبراهيم بن أدهم يحب أن تختم حياته بالجهاد فيكون له ما أراد:**

غزا أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم في البحر مع أصحابه (فأصابه إسهال).

فكان يختلف في الخلاء في الليلة التي مات فيها خمسًا وعشرين مرة كل

---

(١) «الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى» (٢/ ١٨٦).

(٢) «الوافي بالوفيات» (٤/ ٣٥٠).

مرة يجدد الوضوء.

فلما أحسّ بالموت قال:

أوتروا لي قوسِي.

ثم قبض عليها، وتوفي وهي في كفه، فدُفن في جزيرة في البحر في بلاد الروم.

توفي - رحمه اللَّه - سنة إحدى وستين ومائة[1].

* القاضي الأندلسي أبو الربيع سليمان الحِمْيَري جاهد فاستشهد:

كان القاضي أبو الربيع سليمان الحِمْيَرِيُّ خطيبًا مفوهًا، وكان هو المتكلم عن الملوك في مجالسهم، والمبين عنهم لما يريدونه على المنبر في المحافل، ولُي الخُطبة بالمسجد الجامع من بلنسية.

من مؤلفاته كتاب (الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفاء) في أربعة مجلدات.

خرج مجاهدًا في واقعة (أنيشة) على ثلاثة فراسخ منها.

ولما انهزم بعض من كانوا معه جعل يناديهم والراية بيده قائلاً:

أَعَنِ الْجَنَّةِ تَفِرُّونَ؟ وثبت - رحمه اللَّه - إلى أن توفي مقبلاً غير مدبر، وذلك ضحى يوم الخميس الموفي عشرين من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وستمائة وهو ابن سبعين سنة إلا شهرًا.

ورثاه أبو عبد اللَّه بن الأبَّار في قصيدة تزيد على مائة بيت ذكر منها أبو الحسن النباهي أربعة وستين بيتًا منها:

سَقَى اللَّهُ أشْلاءً بِسَفْحِ (أنيشَةَ) سَوَافِحَ يُزْجِيهَا ثِقَالُ الْغَمَائِمِ

---

(١) «الوافي بالوفيات» (٥/٣١٨).

وَصَلَّى عَلَيْهَا أنْفُسًا طَابَ ذِكْرُهَا ... بِطَيِّبِ أَنْفَاسِ الرِيَاحِ النَّوَاسِمِ
لَقَدْ صَبَرُوا فِيهَا كِرَامًا وَصَابَرُوا ... فَلا غَرْوَ إنْ فَازوا بِصَفْوِ الْمَكَارِمِ
وَمَا بَذَلوا إلا نفوسًا نَفِيسَةً ... تَحِنّ إلَى الأخْرَى حَنِينَ الرَّوَائِمِ

ـ رحمهم اللَّه ورضي عنهم ـ[1] .

*** القاضي محمد بن يحيى بن بكر الأشعري يقول يوم موته: «هذا يوم الفرح»:**

كان القاضي محمد بن يحيى بن بكر الأشعري من ذرية الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وكان ملازمًا أيام قضائه للإقراء مع التعليم، وربما نحا في أحكامه إنحاء مصعب بن عمران أحد قضاة قرطبة، فكان لا يقلد مذهبًا، ويقضي بما يراه صوابًا، وإن قلنا إنه كان في شدائد أحكامه أشبه علماء وقته بسحنون بن سعيد لم يكن في ذلك ببعيد.

استمر على عمله من الاجتهاد والرغبة في الجهاد إلى أن فُقد ـ رحمه اللَّه ـ في مصاف المسلمين يوم المناجزة الكبرى بظاهر (طريف) شهيدًا محرِّضًا يشحذ البصائر، ويشير على الأمير أن يُكثر من قول: ﴿ **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾، وقد كثَّف دابته التي كان عليها راكبًا، فنزل وهو رابط الجأش مجتمع القوى، وقال لمن أشار عليه بالركوب:

انصرف هذا يوم الفرح.

يشير ـ واللَّه أعلم ـ إلى قول اللَّه تعالى في الشهداء:

﴿ **فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِه** ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

ولقد ظفر ـ رحمه اللَّه ـ بالفرحة الكبرى في تلك المناجزة عام واحد

---

(١) «المرقبة العليا» ص(١٩).

وأربعين وسبعمائة[١] .

*** أبو عبد اللَّه محمد الدُّكالي: «حالي حال من اشتاق إلى لقاء اللَّه في هذه الحالة»:**

● روى أبو عبد اللَّه الأنصاري المعروف بالرَّصَّاع عن أبي الحسن الحياتي أنه قال: دخلت مصر فوجدت الشيخ سيدي أبا عبد اللَّه محمد الدُّكالي مريضًا، فوقفت على موضعه، فاستأذنت فخرجت زوجته، ودخلت عليه فسألته عن حاله.

فقال لي: يا فقيه حالي حال من اشتاق إلى لقاء اللَّه في هذه الحالة.

قال أبو الحسن ثم خرجت، فأنا بالباب وإذا بالزوجة أدركتني وقالت: يا سيدي، الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ قضى نحبه[٢] .

*** مطرف بن عبد اللَّه بن الشخير والنور الذي على وجهه يوم موته:**

● روى ابن سعد عن ثابت البناني أنه ورجلاً آخر دخلا على مطرف بن عبد اللَّه بن الشخير يعودانه، فوجداه مغمًى عليه، قال: فسطعت منه ثلاثة أنوار: نور من رأسه، ونور من وسطه، ونور من رجليه، فهالنا ذلك، فلما أفاق قلنا له: لقد رأينا شيئًا هالنا، قال: وما هو؟ فأخبرناه، قال: ورأيتم ذلك؟ قالنا: نعم، قال: تلك ألف لام ميم السجدة وهي تسع وعشرون آية، سطع أولها من رأسي، وأوسطها من وسطي، وآخرها من رجلي، وقد صعدت تشفع لي، وهذه تبارك تحرسني، قال ثابت: فمات ـ رحمه اللَّه ـ.

---

(١) «المرقبة العليا» ص(١٤٦).
(٢) «فهرست أبي عبد اللَّه الرصّاع» ص(٧٣).

(يعني: أن السورتين كان يقرؤهما كل ليلة)[١] .

* الشيخ أحمد أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين والنور الذي عليه من بركة فتاواه:

● نقل ابن خلكان عن أبي صالح المؤذن أن أبا محمد الجويني مرض سبعة عشر يومًا، وأوصاني أن أتولى غُسله وتجهيزه.

فلما توفي غسلته، فلما لففته في الكفن رأيت يده اليمنى إلى الإبط زهراء منيرة من غير سوء، وهي تتلألأ، تلألؤ القمر، فتحيرت وقلت في نفسي: هذه بركات فتاواه.

توفي أبو محمد الجويني بنيسابور في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ـ رحمه اللَّه ـ[٢] .

* أبو إسحاق السبائي القيرواني: «وطِيب موته»:

● قال أبو الحسن القابسي: لما احتُضر أبو إسحاق رأى من حضره نورًا دخل من باب البيت، فدار في البيت حتى أتى وجهه، ثم زال عن وجهه، ومر على صدره، ثم إلى رجليه، ثم خرج من البيت.

فقُبض الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ وكانت وفاته لثمانٍ بقين من رجب سنة ست وخمسين وثلاثمائة ومولده سنة سبعين ومائتين[٣] .

* أبو الحسن علي بن أبي بكر العرشاني:

● كان في مرض موته يصلي قائمًا وقاعدًا، وعلى جنبه، ولما صار في النزع سمعوه يقول: لبيك لبيك.

---

(١) «شرح الصدور» ص(٣).

(٢) «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٧).

(٣) «ترتيب المدارك» (٦/ ٧٥).

فقالوا: من تعني؟ وفي رواية: من تجيب؟

فقال: اللَّه دعاني، ارفعوني إلى ربي، ثم توفي عقب ذلك ـ رحمه اللَّه ـ وكانت وفاته في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وخمسمائة[١].

*** أبو بكر بن مسلم الحضرمي: ﴿وعجلت إليك ربي لترضى﴾:**

● لما احتُضر أبو بكر ابتدأ القرآن فانتهى في سورة طه إلى قوله اللَّه تعالى: ﴿ **وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ** ﴾ [طه: ٨٤].

ففاضت نفسه ـ رحمه اللَّه ـ وذلك سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة[٢].

*** أبو حفص عمر بن عبد اللَّه المعروف بابن الإمام الصدفي:**

● لما احتُضر أبو حفص دعا بشراب فأُتي به.

ثم أومأ بيده إلى السلام.

فقلنا: رأيت الملائكة؟

قال: رأيت. . .

وجعل يومئ بيده حتى فاضت نفسه.

وقال بعضهم: لما حضرت أبا حفص الوفاة قال: بُشِّرْتُ.

قلت: بماذا؟

قال: أما تقرأ: ﴿ **يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ** ﴾ [التوبة: ٢١][٣].

---

(١) «طبقات فقهاء اليمن» ص(١٧٢).

(٢) «ترتيب المدارك» (٦/ ٢٧١).

(٣) «ترتيب المدارك» (٦/ ٥١).

*** الحكم بن المطلب القرشي المخزومي وملك الموت:**

● كان من أجواد قريش من أهل المدينة، وكان من أبر الناس بأبيه قال قبيل موته: هذا ملك الموت يقول: إني بكل سَخِيٍّ رفيق.

ومات عقب كلامه هذا[١].

*** أبو القاسم إسماعيل بن محمد الحافظ المعروف بجوجي:**

● كان إمامًا في التفسير والحديث والأدب والورع والزهد، قال أحمد الأسواري الذي تولى غُسله، وكان ثقة: إنه أراد أن ينحي عن سوأته الخرقة، فجذبها الشيخ إسماعيل من يده وغطى بها فرجه.

فقال الغاسل: أحياة بعد الموت؟

توفي ـ رحمه اللّه ـ سنة خمس وثلاثين وخمسمائة[٢].

*** أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الضبي المعروف بابن البرذون، وأبو بكر بن هذيل: «وثبات على عقيدة أهل السنة حتى الموت»:**

● كان أبو إسحاق من شيوخ السنة المعروفين بالذبّ عن مذهب الإمام مالك، ولم يكن في نشأة القيروان أقوى على الحجة والمناظرة منه.

وكان أبو بكر بن هذيل على مثل طريقته، فرفع أمرهما إلى أبي عبد اللّه الشيعي أو لأخيه أبي العباس، وذكر من أمرهما أنهما يطعنان في دولة الشيعة فصدر الأمر بحبس ابن البرذون وابن هذيل.

ثم أمر عامل القيروان حسن بن أبي خنزير بضرب ابن هذيل خمسمائة سوط، وبضرب رقبة ابن البرذون، فغلط ابن أبي خنزير، فضرب بن

(١) «الوافي بالوفيات» (١٣/ ١٢٣).
(٢) «الوافي بالوفيات» (٩/ ٢٠٩).

البرذون، وقتل ابن هذيل.

ثم تنبه من الغد فقتل ابن البرذون.

ولما جُرِّد إبراهيم بن البرذون ليقتل، قال له حسن بن أبي خنزير: ترجع عن مذهبك؟

فقال له: أعَنِ الإسلام تَستتِيبُنِي؟

فقُتل، ربُطت أجسامهما بالحبال، وجرتهما البغال، مكشوفين بالقيروان، وصُلبا نحو ثلاثة أيام، ثم أُنزِلا ودُفنا.

وكانت الحادثة سنة تسع وتسعين ومائتين[١].

وذكر الدباغ في «معالم الإيمان» أن جر الشيخين كان على وجوههما من باب تونس إلى باب أبي الربيع فصُلبا هناك.

كما نقل الدباغ عن المالكي بسنده أن عبيد اللَّه لما وصل إلى رقادة أرسل إلى القيروان من أتاه بابن البرذون وابن هذيل، فلما وصلا إليه وجداه على سرير ملكه جالسًا، وعن يمينه أبو عبد اللَّه الشيعي، وعن يساره أبو العباس أخوه، فلما وقفا بين يديه قال لهما أبو عبد اللَّه وأبو العباس: اشهدا أن هذا رسول اللَّه، وأشارا إلى عبيد اللَّه.

فقالا جميعًا بلفظ واحد:

واللَّه الذي لا إله إلا هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان أنه رسول اللَّه ما قلنا إنه رسول اللَّه.

فأمر عبيد اللَّه بعقابهما على نحو ما تقدم[٢].

كما ذكر أبو عبد اللَّه الخشني قصة جلدهما وقتلهما، ووصف ابن

(١) «ترتيب المدارك» باختصار (١١٨/٥).

(٢) «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» (١٧٨/٢).

البرذون بأنه كان تلميذًا لسعيد بن الحداد، وكان ذا بأسٍ شديدٍ، وأبهةٍ نبيلةٍ، وكان شديد التحكك بالعراقيين[١] .

*** أبو جعفر محمد بن خيرون المعافري الأندلسي القيرواني: «وقتله بيد الشيعة»:**

● قال الشيخ أبو الحسن القابسي ﷺ: ذكر لي من أثق به أنه كان جالسًا عند ابن أبي خنزير ـ لعنه اللَّه ـ في سقيفته، فدخل عليه شيخ ذو هيئةٍ جميلةٍ، وقد علاهُ صفار وسمت وخشوع، وعلى رأسه منديل مهلبي، فلما رآه ابنُ خنزير بكى، فقال له: ما الذي أباك؟

قال: السلطان ـ يعني عبيد اللَّه ـ وجَّه إليَّ يأمرني أن آمر بدوسِ هذا الشيخ حتى يموت، وهو ابن خيرون.

ثم أمر به فأُدخل إلى المجلس، ثم بُطح على ظهره، وطلع السودان فوق السرير، فقفزوا عليه بأرجلهم حتى مات.

ولما مات أخذوه وحملوه على بغل وألقوه في حفير.

كان ذلك لجهاده في الدين، وبُغضهِ لعبيد اللَّه وجنده، وكان الذي عمل عليه وسعى به هو المروذي لعنة اللَّه عليه[٢] .

*** الشيخ محمد بن إسحاق الجبلي قاضي برقة: «واستشهاده على يد الشيعة»:**

● وممن مضى في هذه السبيل الشيخ محمد بن إسحاق الجبلي قاضي مدينة برقة ـ رحمه اللَّه ـ.

---

(١) «قضاة قرطبة وعلماء أفريقية» ص(٢٨١).

(٢) «رياض النفوس» (٢/ ٥٥). وقد كان محمد بن عمر المروذي معتقدًا لمذهب الشيعة.

كان سبب استشهاده أنه أتاه عامل برقة المعروف بابن كافي فقال له: إن غداً العيد.

فقال القاضي: إن رُئي الهلال الليلة كان كما قلت، وإن لم يُر لا أخرج؛ لأنه لا يمكنني أن أفطر الناس يومًا من رمضان، وأتقلد ذنوب الخلق.

فقال له: بهذا وصل كتاب مولاي.

فالتمس الناس الهلال في تلك الليلة فلم يروه، فأصبح العامل إلى القاضي بالطبول، والبنود، وهيئة العيد.

فقال له: لا واللَّه لا أخرج، ولا أخطب ولا أصلي العيد ولا أتقلد أن أفطر الناس يومًا من رمضان ولو عُلقت بيدي.

فمضى العامل، فجعل من خطب وصلى، وكتب بما جرى إلى مولاه ـ في القيروان ـ فلما وصل إليه الخبر أمر برفعه إليه، فلما وصل قال له: إما أن تتنصل وأعفو عنك، وإلا فعلت بك ما قلت.

فامتنع من الدخول في دعوته، وقال له: اعمل ما شئت.

فنصب له صاريًا عند الباب الأخير من أبواب الجامع الذي يلي درب المهدي، وعُلق بيده إليه في الشمس، فأقام كذلك ضاحيًا للشمس في شدة الحر يومه ذلك، فلما كان بالعشي مات ـ رحمه اللَّه ـ.

وكان يطلب من يسقيه الماء في ذلك الحال، فلا يجسر أحد من الناس أن يسقيه لشدة خوفهم.

فلما مات أخذوه ومضوا به فصلبوه على خشبة بباب أبي الربيع ـ رحمه اللَّه ـ[1].

(١) رياض النفوس» (٢/ ٤٠٤).

وذكر الدباغ أن الخليفة الذي جرت محنة هذا القاضي على يديه، هو إسماعيل المنصور ابن القائم سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

* إبراهيم بن ميمون الخراسي الصائغ:

● كان إبراهيم ـ رحمه اللَّه ـ من القانتين، وكان إذا رفع المطرقة وسمع النداء تركها وورد الصلاة.

ولما أمر أبو مسلم الخراساني بقتله قال: دعني أصلي ركعتين، وقال: اللَّهم إن كان العمل الذي عملته غير رضا فاجعل هذا القتل كفارة.

قال يحيى بن معين تولى قتله رجل لم يحسن القتل، فبقي يومه هذا يتشحط في دمه، وكان قتله ـ رحمه اللَّه ـ سنة إحدى وثلاثين ومائة[١] .

* قاسم بن ثابت بن عبد العزيز الفهري خشي الإكراه على تولي القضاء فدعا فمات:

قال أبو الحسن النباهي:

ومن أهل (سَرَقُسطَةَ) قاسم بن ثابت بن عبد العزيز الفهري صاحب كتاب «الدلائل في شرح غريب الحديث» دُعي للقضاء ببلده فامتنع من ذلك و(سرقسطة) هي إحدى مدن جزيرة صقلية الواقعة بالشمال الشرقي للبلاد التونسية.

فلما اضطره الأمير وعزم عليه استمهله ثلاثة أيام يستخير فيها اللَّه عز وجل، فمات خلال تلك المدة، فكان الناس يرون أنه دعا اللَّه عز وجل في الاستكفاء، فكفاه وستره، وصار حديثه موعظة في زمانه.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ سنة اثنتين وثلاثمائة[٢] .

---

(١) «كتاب المحن» ص(٢٧٥) لأبي العرب التميمي ـ دار الغرب الإسلامي.

(٢) «المرقبة العليا» ص(١٣).

*** أبو الحسن حسن بن محمد الخولاني الكانشي ـ رحمه اللَّه ـ:**

وكان أبو الحسن حسن بن محمد الخولاني الكانشي قد سُمع عند احتضاره يقول: لا يا عدو اللَّه حتى يردوا الرداء.

فقيل له: ما هذا؟

قال: إبليس عند رأسي يقول: نجوت مني.

كما سُمع يقرأ عند خروج نفسه ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وهو ابن تسع وتسعين[1].

*** عابد يقول عند الموت: ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها﴾:**

دخل الشعبي على رجل مريض يعوده، فوجد عنده رجلاً يلقنه لا إله إلا اللَّه وهو يكثر عليه.

فقال له الشعبي: أرفق به.

فتكلم المريض وقال: يُلقِّنني أو لا يلقنني، فإني لاأدعها، ثم قرأ: ﴿**وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا**﴾ [الفتح: ٢٦].

فقال الشعبي: الحمد للَّه الذي نجى صاحبنا هذا[2].

*** أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري:**

دخل المُزَيِّنُ على أبي يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري وهو في النزع.

---

(١) «ترتيب المدارك» (٦/ ٥٠).

(٢) «جمع الشتيت على التثبيت» ص(٧٧).

فقال له: قل لا إله إلا اللَّه.

فتبسم وقال: إياي تعني، وعزة من لا يذوق الموت، ما بيني وبينه إلا حجاب العزة، ومات فورًا.

فكان المُـزَيِّنُ يأخذ بلحيـة نفسه ويقول: حجام مثلي يلقِّن الأولياء الشهادة، وا خَجْلتاه منه، وكان يبكي كلما ذكر ذلك[1].

*** عابد عند الموت:**

وقال محمد بن إسماعيل الصنعاني: قيل لبعض الصالحين وهو في السياق:

قل: لا إله إلا اللَّه، ففتح عينيه وأنشد:

وَغَدًا يُذَكِّرُني عهودًا بِالْحِمَى ... وَمَتَى نَسِيتُ العَهْدَ حَتَّى أذْكرا[2]

*** عبد اللَّه بن إدريس الأودي: قد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة:**

عبد اللَّه بن إدريس الأودي:

قال الإمام أحمد بن حنبل كان ابن إدريس نسيج وَحْدِه. وقال الحسن ابن الربيع البوراني: أتى كتاب الرشيد إلى ابن إدريس وأنا شاهد، فقرئ: من عبد اللَّه هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى محمد بن إدريس. قال فشهق وغشي عليه، فلما أفاق قال: إنا للَّه، صار يعرفني حتى يكتب إليّ، أي ذنب بلغ بي هذا؟

ولما حضرته الوفاة بكت ابنته، فقال: لا تبكي، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.

---

(١) «الوافي بالوفيات» (٨/ ٤٢٤).

(٢) «جمع الشتيت» ص(٧٧).

توفي ـ رحمه اللَّه ـ آخر سنة اثنتين وتسعين ومائة[١] .

* أحمد علي المنجور الفارسي:

كان ـ رحمه اللَّه ـ لا يفتر عن قراءة القرآن إلا زمن المطالعة أو التأليف أو الإقراء أو ضرورياته، ولما حضرته الوفاة كان يقول: مَوتٌ بحبٍّ اللَّه ورسوله ﷺ[٢] .

* أبو العباس أحمد بن سريج يُبشَّر بالمغفرة قبل موته:

كان أبو العباس أحمد بن سريج الفقيه الشافعي رأى في مرضه الذي مات فيه كأن القيامة قد قامت.

وإذا الجبار سبحانه يقول: أين العلماء؟ فجاءوا، فقال: ماذا عَمِلتم فيما عَلِمْتُمْ؟ فقالوا: يا ربنا قصَّرنا وأسأنا، فأعاد السؤال، كأنه لم يرض به، وأراد جوابًا آخر.

فقلت: أما أنا فليس في صحيفتي الشرك، وقد وعدت أن تغفر ما دونه.

فقال: اذهبوا فقد غفرت لكم.

ثم مات ابن سريج ـ رحمه اللَّه ـ بعد ثلاثة أيام[٣] .

* محمد بن عبد اللَّه بن الغازي القرطبي:

نقل السيوطي عن الزبيدي وابن الفرضي أن محمد بن عبد اللَّه بن الغازي القرطبي رحل من الأندلس إلى البصرة، فأخذ عن علمائها، ثم عاد إلى الأندلس فأدخل معه علمًا كثيرًا.

---

(١) «غاية النهاية» (١/ ٣٢٧).

(٢) «درة الحجال» (١/ ١٦٣).

(٣) «وفيات الأعيان» (١/ ٦٧).

مات - رحمه اللَّه - بطنجة (لما خرج من الأندلس ثانية وهو يريد المشرق).

كما قال ابن الجوزي في «غاية النهاية» (١/ ٤٤١) وذلك سنة ست وتسعين ومائتين، وقال عند احتضاره:

الحمدُ اللَّه ثُمَّ الحمدُ للَّهِ كَمْ ذَا على الموت مِنْ سَاهٍ وَمِنْ لاهِ
مَاذَا يُشَاهِدُ ذَوِ الْعَيْنَيْنِ مِنْ عَجَبٍ عِنْدَ الْخروجِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ
يَا ذَا الذي هوَ في لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ طُوبَى لِعَبْدٍ مُنِيبِ الْقَلْبِ أَوَاهِ

*** عمرو بن عُبيد يرجو المغفرة لما كان عليه من اتباع رضا اللَّه:**

قال ابن خلكان:

سئل الحسن البصري عن عمرو بن عُبيد فقال:

لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته، وكأن الأنبياء ربته، إن قام بأمر قعد به، وإن قعد بأمر قام به، وإن أمر بشيء كان ألزم الناس له، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، ما رأيت ظاهرًا أشبه بباطن، ولا باطنًا أشبه بظاهر منه.

قال ابن خلكان:

ولما حضرته الوفاة قال لصاحبه: نزل بي الموت ولم أتأهب له، ثم قال:

اللَّهم إنك تعلم أنه لم يُسنح لي أمران في أحدهما رضى لك، وفي الآخر هوى لي إلا اخترت رضاك على هواي فاغفر لي.

توفي - رحمه اللَّه - وهو راجع من مكة إلى البصرة بموضع يُقال له: مُرّان سنة أربع وأربعين ومائة[1].

---

(١) «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٦٢).

* **ابن السمّاك ـ رحمه اللَّه ـ:**

قال أبو جعفر الربعي لما حضرت الوفاة محمد بن صبيح بن السماك قال: اللَّهم إني وإن كنت أعصيك، لقد أحببت فيك من يُطيعك.

ومن كلامه ما رواه أبو الحسين علي بن الحسين الفقيه، وهو أنه قال:

إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت، وعاش ما بعده، فسأل الرجعة فأسعف بطلبه، وأُعطي حاجته، فهو متأهب مبادر فافعل، فإن المغبون من لم يقدِّم من ماله شيئًا، ومن نفسه لنفسه.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ بالكوفة سنة ثلاث وثمانين ومائة[١] .

* **أبو القاسم بن عبد الصمد الدينوري: «سيدي لهذه الساعة خَبَأْتُك»:**

ذكر تاج الدين عبد الوهاب السبكي أن أبا القاسم عبد الصمد بن عمر الدينوري تفقه على أبي سعيد الإصطخري، وكان يُضرب به المثل في مجاهد النفس، واستعمال الصدق والتقشف، والأمر بالمعروف.

وكان يدق السعد للعطارين بالأجرة، ويقتات من ذلك (والسِعد نوع من الطيب).

ولما حضرته الوفاة جعل يقول:

سيدي لهذه الساعة خَبَأْتُكَ (يعني: أعددت لهذه الساعة عفوك ومغفرتك).

توفي ـ رحمه اللَّه ـ ببغداد يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة سبع وتسعين وثلاثمائة[٢] .

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١٧٦).

(٢) «طبقات الشافعية» (٣/ ١٢٩).

*** أبو الفضـل يوسف بن مسرور مولى نجم الـصيرفي يدعـو اللَّه أن يخرجه من دار الفتن:**

قال يونس:

ما رأيت أحدًا سُرَّ بالموت من أبي الفضل يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفي، كان يقول:

واللَّه لـو أعلم أن أحدًا تُـجاب دعوته لسـألته أن يسـأل اللَّه تعـالى لي الموت.

فقلت له:

أصلحك اللَّه أو نحب أن تموت؟

فقال: وكيف لا أحب الخروج من دار فيها الفتن وإبليس وكذا وكذا إلى دار أرجو فيها الاجتماع مع محمد ﷺ؟

وتحدث أبو علي الحسن بن فتحون فقال:

كنت يومًا جالسًا عند أبي محمد البرقي حتى دخل عليه أبو الفضل فقال له:

إن شئت تدعو وَنؤَمِّن، أو نَدْعو وَتؤَمِّن.

فقال أبو الفضل:

أيَّ ذلك شئتَ.

وأخذ أبو الفضل في الدعاء وأخذ الآخر يؤمِّن على دعائه يسألان اللَّه تعالى الموت، فما أتى بعد ذلك شهر حتى مات أبو الفضل، ثم شهر آخر بعده حتى مات محمد البرقي ـ رحمهما اللَّه تعالى ـ[1].

---

(١) «رياض النفوس» (٢/ ٢٣٦).

*** الملك المعتصم بالله أبو مروان عبد الملك بن الشيخ السعدي: «يموت في معركة وادي المخازن فيها»:**

لما خرج ملك البرتغال «سبستيان» - يحمل في يمناه كتابه المقدس - بـ ١٢٥,٠٠٠ مقاتل مقابل أربعين ألف مجاهد بقيادة عبد الملك المعتصم بالله إلى وادي المخازن كتب عبد الملك المعتصم بالله إلى سبستيان: «إن سطوتك قد ظهرت في خروجك من أرضك، وجوازك العدوة، فإن ثبتّ إلى أن نقدم عليك، فأنت نصراني حقيقي شجاع، وإلا فأنت كلب بن كلب»[1] .

وفي يوم الأحد عبر سبستيان ومن معه جسر وادي المخازن، حيث يحتّم قبالة الجيش المغربي. وفي جنح الليل أمر عبد الملك المعتصم أخاه أبا العباس أحمد المنصور في كتيبة من الجيش، بنسف قنطرة جسر وادي المخازن، إتمامًا للخطة التي وضعها، فالوادي لا معبر له سوى هذه القنطره وذلك ليعزل عدوه عن أسطوله بالشاطئ وكانت المعركة في صباح الاثنين ٣٠ جمادى الآخرة (٩٨٦هـ) - (أغسطس ١٥٧٨م) ووقف السلطان عبد الملك المعتصم بالله خطيبًا في جيشه مذكرًا بوعد الله للصادقين المجاهدين بالنصر، وذكر أنه إن انتصرت الصليبية اليوم، فلن تقوم للإسلام بعدها قائمة ورغم تدهور صحة السلطان عبد الملك المعتصم بالله، الذي رافقه المرض وهو في طريقه من مراكش إلى القصر الكبير «وادي المخازن»، خرج بنفسه ليردّ الهجوم الأول، منطلقًا كالسهم شاهرًا سيفه يفتح لجنده الطريق إلى صفوف البرتغاليين، ولكن المرض غالبه فغلبه، فعاد إلى محفته، وما هي إلا دقائق حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

وأطبق أجفانه وهو موقن بالنصر الذي وعد الله به عباده الصادقين

---

(١) «الاستقصا» (٥/ ٧٩).

المؤمنين المجاهدين، وأمر هذا الرجل عجب في الحزم والشجاعة، لقد مات وهو واضع سبابته على فمه، مشيرًا أن يكتموا الأمر حتى يتم النصر، ولا يضطربوا وكذلك كان، فلم يطلع على وفاته إلا حاجبه رضوان العلج، وأخوه أحمد المنصور، وصار حاجبه يقول للجند: «السلطان يأمر فلانًا أن يذهب إلى موضع كذا، وفلانًا أن يلزم الراية، وفلانًا يتقدم، وفلانًا يتأخر»[1]، وانتصر المسلمون وهزم صليبوا البرتغال وقتل ملكهم سبستيان.

يقول عنه طبيبه الخاص: «جاءتنا أخبار مفادها أن العدو يريد اجتيازًا للقنطرة التي كانت مقامة على النهر المسمى بوادي المخازن، فتقدم المولى أحمد وظلّ الملك في الساقة إلى أن ضرب المعسكر، وكان يظن أن العدو سيقدم على القتال بنفسه في مساء ذلك اليوم، فأمر بتنظيم رماة المكاحل، وطلب ـ سامحه اللَّه ـ الفرس وهو يكاد يلفظ نفسه، فامتطى صهوته ضد إرادتي، وتقدم فترك خلفه جميع الفرسان الذين قدموا معه، ليشرف بنفسه على تنظيم الرماة، ولاحظت لما كان راكب على فرسه، أن قد أصابه إغماء فاقتربت منه متوسلاً إليه، أن ينزل إلى فراشه، حيث يمكنه أن يستمر في إصدار أوامره، فلم يكتف بالامتناع من ذلك، بل أخرج سيفه، وجعل يلوح به فوق رؤوس أصحابه ليتركوه وشأنه»[2].

ويقول طبيبه أيضًا: «كان سر اللَّه عظيمًا، فقد هلك في ظرف ساعة، ثلاثة ملوك، كان اثنان منهم عظيمين، وكانت المعجزة الكبرى في أن ملكًا ميتًا غلب ملك البرتغال في لحظة قصيرة، حتى ليظن أن ذلك الأمر كان من فعل السحر»[3].

---

(١) «الاستقصا» (٥/ ٨٠)، و«وادي المخازن» للدكتور شوقي أبو خليل ص(٦٥ ـ ٦٦) طبع دار الفكر.

(٢) «وادي المخازن» ص(٩٣ ـ ٩٤).

(٣) المصدر السابق ص(٩٩).

وفي نهاية المعركة وجه أبو العباس أحمد المنصور الذهبي في طلب الشرفاء، وقوّاد الفرسان والرماة جميعًا، وخطب فيهم بنفسه، قائلاً لهم: «إن أخاه قد مات ميتة القائد المغوار» وجاب المنادي ينادي في الميدان، ويصيح «رحم اللَّه مولاي عبد الملك، ونصر مولاي أحمد»(١) .

*** النضر بن راشد العبدي: «لو أعْولت عليّ كل أنثى لعصيتها شوقًا إلى الحور العين»:**

كان ـ رحمه اللَّه ـ قد دخل على امرأته والناس يقتتلون، فقال لها: كيف أنت إذا أُتيت بأبي ضمرة في لبد مُضرّجًا بالدماء؟ فشقت جيبها ودعتْ بالويل، فقال: حسبك، لو أعولت عليّ كل أنثى لعصيتها شوقًا إلى الحور العين، ورجع فقاتل حتى استشهد، ـ رحمه اللَّه ـ(٢) .

*** شهيد: «واللَّه لأعرضنك اليوم على اللَّه، أخذك أوْ تركك»:**

كم في الإسلام من مغاوير وأُسْد لا نعرفهم.. وما ضرّهم أن لا نعرفهم.. ولكنّ الذي أكرمهم بالشهادة يعرفهم.

● عن عبد اللَّه بن قيس، أبي أمية الغفاري قال: كنا في غزاة لنا. فحضر العدو فَصِيحَ في الناس، فهم يثوبون إلى مصافّهم، إذا رجل أمامي، رأس فرسي عند عَجُز فرسه، وهو يخاطب نفسه ويقول: أيْ نفس، ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟! فقلت لي: أهلك وعيالك، فأطعتك ورجعت؟! ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟! فقلتِ: أهلُك وعيالك فأطعتك ورجعت؟! واللَّه لأعرضنَّك اليوم على اللَّه، أخذك أو تركك. فقلتُ: لأرمقنّه اليوم. فرمقته، فحمل الناس على عدوهم، فكان في أوائلهم. ثم إن العدو حمل على الناس

(١) «وادي المخازن» ص(١٠١).
(٢) «تاريخ الطبري» (٤/ ١٤١).

فانكشفوا فكان في حماتهم، ثم إن الناس حملوا فكان في أوائلهم، ثم حمل العدو فانكشف الناس فكان في حماتهم. قال: فواللَّه ما زال ذلك دأبه حتى رأيته صريعًا. فعددت به وبدابته ستِّين، أو أكثر من ستين طعنة[1].

* حسن أولو بادلي: «أول مسلم وطئ أرض القسطنطينية»:

في حصار القسطنطينية، في محاولة فتحها، تكلم الجنود عن أسوار القسطنطينية التي أُحكم تحصينها، والزيت المغلي الذي يصبونه على المسلمين فيهلكهم، وإذا بصوت شاب في مقتبل العمر من «أولوباد» يُسمّى «حسن أولوبادلي» يرتفع ويقول: «وهل جئنا إلى هنا إلا لنهلك في سبيل اللَّه عز وجل؟! يا إخوتي؛ كيف نخاف من زيت الكافرين المغلي إذا كنا مجاهدين حقًّا؟! وهل تركنا قريتنا، وأهلنا، وأحبابنا إلا من أجل لقاء ربنا عز وجل شهداء في سبيله؟!».

وأقبل الجند يبايعون حسنًا على أن يكونوا أول من يجيب نداء قائدهم المجاهد في الغد، وتواعدوا أن يكون هدفهم الثغرة التي أحدثتها مدافع الإسلام قريبًا من باب في الجهة الشمالية للقسطنطينية. ولما اشتد القتال، واستمر الكرّ والفرّ، وقوافل الشهداء تزداد لحظة بعد لحظة، في تلك الأثناء، كان حسن، وثلاثون من أبناء قريته «أولوباد» يتقدمون بخفة وحذر نحو الثغرة التي حدّدوها هدفًا لهم في ليلتهم السابقة، وتمكّن حسن وعدد من إخوانه المجاهدين من النجاة من السهام المنهمرة من السماء، حتى إذا بلغوا الثغرة اندفعوا إلى داخل المدينة مكبرين مهللين، فتلقفتهم مئات السيوف والرماح، وانهمرت عل أجسادهم مئات الأسهم، واندلقت فوق رؤوسهم قدور الزيت المغلي، ولكن حسن وإخوانه لم يأبهوا لكل هذا العناء، فقاتلوا قتالاً لا يقدر

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٢١).

عليه إلا رجال صنعهم الإسلام، وتمكنوا بعون اللَّه من الوصول إلى أحد أبواب القسطنطينية ففتحوه وبينما كان جند الإسلام يندفعون إلى داخل القسطنطينية ويتواثبون إلى أعالي سورها يزيلون رايات الكفر من فوقها، ويضعون مكانها الرايات الإسلامية، كان حسن أولوبادلي وإخوانه يستشهدون واحدًا إثر واحدٍ عن بكرة أبيهم، وصدى تكبيراتهم لا يفتأ يزلزل الأرض من تحت أقدام أعداء الإسلام.

وسجل التاريخ بمداد من نور أن حسن أولوبادلي، كان أول مسلم وطئت قدماه أرض القسطنطينية[1] .

*** الشيخ سعيد ملاًّ الكردي: «يا جنرال سوف نصفي حسابنا يوم الحساب الأخير»:**

الشيخ المجاهد سعيد ملاّ الكردي شيخ أكبر القبائل الكردية الذي تصدى لمؤامرات الردة التي قادها العلماني أتاتورك.

● حين أعلن أتاتورك إلغاء الخلافة في ١٩٢٤م ثار ضده الشيخ سعيد ملاّ سنة ١٩٢٥م، واندفعت معه الجماهير المسلمة تحت راياته الخضراء التي كُتبَ عليها: لا إله إلا اللَّه، محمد رسول اللَّه، وكوّن الشيخ جيشًا من الأكراد، وتمكّن من السيطرة على مناطق شاسعة، حتى وصل إلى «ديار بكر» فحاصرها، وكاد يسيطر عليها، لولا أن أتاتورك سارع فقذف بكل ما لديه من قوات زاد تعدادها عن ثمانية فرق عسكرية كاملة التجهيز، استعملت في تقدمها أبشع أساليب البطش والتنكيل، واضطر الشيخ سعيد ملاّ - أمام هذه القوة الغاشمة - إلى التراجع إلى الجبال الوعرة؛ ليبدأ من هناك شن حرب

---

(١) «مواقف بطولة من صنع الإسلام» لزياد أبو غنيمة ص(٢١ - ٢٥). دار التوزيع والنشر الإسلامية.

عصابات ضد قوات أتاتورك، فأحكم أتاتورك الحصار حول الشيخ، ومنع وصول أية إمدادات إليه.

وفي ميدان ديار بكر الرئيسي، انعقدت محكمة الطغاة، لمحاكمة الشيخ سعيد ملاّ وإخوانه، فحكمت بإعدامه مع عدد كبير من إخوانه، وأمر أتاتورك بأن تبقى أجسادهم الطاهرة معلقة على أبواب مسجد ديار بكر الكبير.

وكان الشيخ سعيد ملاّ قد أظهر أثناء المحاكمة رباطة جأش لا يقدر عليها إلا الأبطال، ولقد ظلّ ـ رحمه اللَّه ـ محتفظًا برباطة جأشه حتى آخر لحظة من حياته، وتوجّه إلى رئيس المحكمة العسكرية التي حكمت بإعدامه قائلاً: «سوف نصفي حسابنا يوم الحساب الأخير»، ثم توجّه إلى قائد الحملة العسكرية التي هزمته قائلاً: يا أمير اللواء، تعال ودِّع غريمك، ثم تقدم من منصة الإعدام، وأمسك حبل المشنقة بيديه، وساعد الجلاّد في وضعه حول عنقه، وأجمعت المراجع التركية التي وصفت تنفيذ حكم الإعدام بالشيخ الملاّ، أن صوته شقّ عنان السماء مرددًا بشموخ «لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه». وتدلى الجسد الطاهر على أبواب مسجد ديار بكر شاهد صدق على أن جماهير الشعب التركي المسلم قدّمت القوافل المتتالية من الشهداء؛ دفاعًا عن دينها ووفاءً لعهدها مع اللَّه»[1] .

* أبو سعيد الخرّاز: «لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقًا»:

قال رُويم: حضرت وفاة أبي سعيد الخرّاز وهو يقول:

حنينُ قلوب العارفينَ إلى الذِّكرِ ... وتذكارهم وقت المناجاة للسِّرّ

أُديرَت كؤوسٌ للمنايا عليهمُ ... فأَغْفَوْا عن الدنيا كإغفاء ذي الشكر

هُمُومهمُ جوّالة بمعسكرٍ ... به أهلُ ودِّ اللَّه كالأنجم الزهرِ

---

(١) «مواقف بطولة من صنع الإسلام» ص(٤٤ ـ ٤٨).

فأجسامهم في الأرض قتلى بحبّه ... وأرواحهم في الحُجْبِ نحو العلا تسري
فما عرّسوا إلا بقرب حبيبِهم ... وما عرّجوا من مسٍّ بؤسٍ ولا ضُرٍّ

وقيل للجنيد: إن أبا سعيد الخرّاز كان كثير التواجد عند الموت، فقال: لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقًا[١] .

* السيد الوليّ الرباني الفضيل بن عياض:

لما حضرت فضيلاً الوفاة غُشي عليه، ثم فتح عينيه وقال: وا بعد سفراه، وا قلة زاداه[٢] .

* أبو علي الروذباري: «هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زُيِّنَتْ»:

قال أبو حامد الغزالي: «يُحكى عن فاطمة - أخت أبي علي الروذباري - قالت: لما قرب أجل أبي علي الروذباري - وكان رأسه في حجري، فتح عينيه وقال: هذه أبواب السماء قد فُتحت وهذه الجنان قد زينت، وهذا قائل يقول: يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإنْ لم تردها ثم أنشأ يقول:

وحقك لا نظرت إلى سواك ... بعين مودّة حتى أراكا[٣]

* * *

* الولي الكبير والسيد المكرم: بشر بن الحارث الحافي: «القدوم على اللَّه شديد»:

● قيل لبشر لما احتُضِر - وكان يشق عليه -: كأنك تحب الحياة؟ فقال:

---

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي، (٤/ ٥١٢) - دار الريّان للتراث.
(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٥١٢).
(٣) المصدر السابق (٤/ ٥١٣).

«القدوم على اللَّه شديد»[١] .

* السري السقطي:

• قال الجنيد: دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي ... والذي أصابني من طبيبي

فأخذت المروحة لأروّحه فقال: كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق؟ ثم أنشأ يقول:

القلبُ محترِقٌ والدمع مستبقٌ ... والكرب مجتمعٌ والصبرُ مفترقُ

كيفَ القرارُ على من لا قرارَ له ... ممّا جَناهُ الهوى والشوق والقلقُ

يا رب إن يك شيء فيه لي فرج ... فامنن عليّ به ما دام بي رمقُ[٢]

* الكناني:

قيل للكناني لما حضرته الوفاة ما كان عملك؟ فقال: لو لم يقرب أجلي ما أخبرتكم به! وقفت على باب قلبي أربعين سنة، فكلما مرّ فيه غير اللَّه حجبته عنه[٣] .

* الحكم بن عبد الملك: «إن ملك الموت يقول لي: إني بكل سخي رفيق»:

• حُكي عن المعتمر قال: كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق، فقلت: اللَّهم هوِّن عليه سكرات الموت، فإنه كان وكان ـ فذكرتُ

---

(١) «الإحياء» (٤/ ٥١٣).

(٢) (٤/ ٥١٣).

(٣) «الإحياء» (٤/ ٥١٣، ٥١٤).

محاسنه - فأفاق فقال: من المتكلم؟ فقلت: أنا! فقال: إن ملك الموت عليه السلام يقول لي: إني بكل سخي رفيق، ثم طفئ(١) .

* **رُويم:**

● قيل لرُويم عند الموت: قل لا إله إلا اللَّه، فقال: لا أحسن غيره(٢) .

* **صالح بن مسمار:**

قيل لصالح بن مسمار: ألا توصي بابنك وعيالك؟ فقال: إني لأستحي من اللَّه أن أوصي بهم إلى غيره(٣) .

* **أبو سليمان الداراني:**

لما احتُضِر أبو سليمان الداراني أتاه أصحابه فقالوا: أبشر فإنك تقدم على رب غفور، فقال لهم: ألا تقولون احذر فإنك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير؟(٤) .

* **أبو بكر الواسطي:**

لما احتُضِر - رحمه اللَّه - قيل له: أوصنا. فقال: احفظوا مراد الحق فيكم.

● واحتضر أحدهم فبكت امرأته فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: عليك أبكي! فقال: إنْ كنت باكية فابكي على نفسك! فلقد بكيت على هذا اليوم أربعين سنة(٥) .

---

(١) «الإحياء» (٤/ ٥١٣، ٥١٤).

(٢) «الإحياء» (٤/ ٥١٤).

(٣) «الإحياء» (٤/ ٥١٣).

(٤) «الإحياء» (٤/ ٥١٣).

(٥) «الإحياء» (٤/ ٥١٣).

*** الداعية المجاهد والأديب الرائد الشيخ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ وتقبّله في عداد الشهداء ـ إن شاء اللَّه ـ:**

في شهر أغسطس سنة ١٩٥٢ أعدّ رجال الثورة حفلاً لتكريم الشيخ سيد قطب والذي كانوا يعتبرونه «ميرابو الثورة المصرية» أو «الأب الروحي» لها.

وفي الحفل قال سيد قطب: «. . . ولقد كنتُ في عهد الملكية، مهيئًا نفسي للسجن في كل لحظة، وما آمن على نفسي في هذا العهد أيضًا، فأنا في هذا العهد مهيئ نفسي للسجن، ولغير السجن، أكثر من ذي قبل!».

وهنا وقف جمال عبد الناصر، وقال بصوته الجهوري ما نصّه: «أخي الكبير سيد، واللَّه لن يصلوا إليك إلاّ على أجسادنا، جثثًا هامدة، ونعاهدك باسم اللَّه، بل نجدد عهدنا لك، أن نكون فداءَك حتى الموت!!!».

والعجيب أن عبد الناصر الذي أقسم بهذا، هو الذي حكم عليه بالإعدام، وأمر بتنفيذ ذلك الإعدام، بعد أربعة عشر عامًا كاملة من هذا التاريخ.

وقبل وفاته قال: «لقد عرفت أن الحكومة تريد رأسي هذه المرة، فلست نادمًا لذلك، ولا متأسفًا لوفاتي، وإنما أنا سعيد للموت في سبيل دعوتي، وسيقرر المؤرخون في المستقبل من كان على الحق».

ويقول في تقريره الذي كتبه للمحكمة «إنه آن أن يقدّم إنسان مسلم رأسه ثمنًا لإعلان وجود حركة إسلامية»[١] .

وقال في رسالتين أرسل بهما من خلف الأسوار الغليظة:

«أمّا أنا، فأجدني خيرًا من أيِّ وقتٍ مضى، في عقيدتي وإيماني، وفي

---

(١) «لماذا أعدموني» لسيد قطب ص(٧).

وضوح هذه العقيدة وهذا الإيمان في نفسي.. وفي وضوحِ إدراكي وتصوري لهذا الأمرِ ومقتضياته.. ووضوحِ الهدفِ والوسيلةِ والطريقِ والغاية...

وكلُّ هذا خيرٌ جزيلٌ جميل، يرجحُ كل ما أديتُه ثمنًا له، من راحتي وصحتي.. والحمد للَّه..».

وقال في الثانية:

«لقد وجدتُ اللَّه، كما لم أجدهُ من قبلُ قط.. لقد عرفتُ منهجه وطريقه، كما لم أعرفه من قبلُ قط.. ولقد اطمأنْنتُ إلى رعايته، ووثقْتُ بوعده للمؤمنين، كما لم أطمئن من قبلُ قط..

وأنا بعد ذلك ـ على ما عهدتني ـ مرفوعُ الرأس، لا أحنيه إلا للَّه.. واللَّه يفعلُ ما يشاء.. واللَّه غالبٌ على أمره، ولكن أكثرَ الناس لا يعلمون...»[1].

ويوم أن نطق الدجوي بالحكم على سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ قال الشيخ سيد «الحمد للَّه» وساوموه في ليلة التنفيذ قال لأخته حميدة: «إنهم لا يستطيعون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، إن الأعمار بيد اللَّه، وهم لا يستطيعون التحكم في حياتي، ولا يستطيعون إطالة الأعمار ولا تقصيرها. كل ذلك بيد اللَّه. واللَّه من ورائهم محيط»[2].

سألهُ أحدُ إخوانه: لماذا كنت صريحًا كلَّ الصراحة في المحكمة التي تملكُ رقبتك؟ قال: لأن التورية لا تجوز في العقيدة، وليس للقائد أن يأخذ بالرُّخص!

---

(١) مجلة «كلمة الحق» السنة الأولى ـ العدد الثاني مايو ١٩٦٧ ص(٤٠).

(٢) «أيام من حياتي» لزينب الغزالي (١٨٣ ـ ١٨٤).

ولما سمعَ الحكم عليه بالإعدام. قال: الحمد للّه. لقد عملتُ خمسة عشر عامًا لنيل الشهادة.

وعندما طُلبَ منه الاعتذار، مقابل إطلاق سراحه، قال: لن أعتذرَ عن العمل مع اللَّه!

وعندما طُلبَ منه كتابة كلماتٍ يسترحمُ عبد الناصر قال: إن أصبع السبابة الذي يشهدُ للَّه بالوحدانية في الصلاة، ليرفضُ أن يكتب حرفًا يقر به حكم طاغية.

وقال ردًّا على ذلك الطلب: لماذا أسترحم؟ إن سجنتُ بحق فأنا أقبلُ حكمَ الحق! وإن سجنتُ بباطل فأنا أكبرُ من أن أسترحم الباطل!!![1].

● وفي ليلة تنفيذ حكم الإعدام فيه نشر التلفزيون في نشرته الإخبارية المسائية مساء يوم الأحد ١٩٦٦/٨/٢٨ صورة لسيد قطب لحظة خروجه من السجن الحربي ليستقل السيارة إلى سجن الاستئناف ليتم إعدامه، ورأى الناس سيد قطب منتصب القامة، رافع الرأس، مشرق الوجه، منبسط الأسارير، يودع الناس بابتسامة مشرقة، ولما ركب السيارة كانت الابتسامة المشرقة ما زالت تملأ وجهه..

ولما همت السيارةُ بالسير، نظر سيِّد قطب إلى الواقفين بجانب شباك السيارة، والابتسامةُ المشرقةُ كما هي.

والتُقطَتْ صورةُ هذه الابتسامةُ، ونُشرتْ في الصحف، وصارت تُنشرُ في الكتُب التي تتحدث عن الشهيد. وفي المجلات التي تتكلمُ عنه بمناسبة استشهاده...

إن هذه الابتسامة الساحرةَ تعني الكثير، وتوحي بالكثير، وتدلُّ على

---

(١) «لماذا أعدم سيد قطب وإخوانه» ص(٢).

الكثيـر، وقد قال سيِّد قطب مـن خلالها الكثيـر، وحمَّلها كل ما يـريد قوله للأجيال القادمة!

إنها ابتسامةُ الفـرح والرضا، ابتسامةُ السعادة والراحة، ابتسـامةُ الطمأنينة واليقين، ابتسامةُ الظفر والفوز.

ولما همت الـسيارةُ بالسيـر، نظر سيِّد قطـب إلى الواقفين بجـانب شباك السيارة، والابتسامةُ المشرقةُ كما هي.

والتُقطَتْ صورةُ هـذه الابتسامةُ، ونُشرتْ في الصحـف، وصارت تُنشرُ في الكتُبَ الـتي تتحدث عن الشهيد. وفـي المجلات التي تتكلمُ عنـه بمناسبة استشهاده...

إن هذه الابتسـامة الساحرةَ تعـني الكثير، وتـوحي بالكثيـر، وتدلُّ على الكثيـر، وقد قال سيِّد قطب مـن خلالها الكثيـر، وحمَّلها كل ما يـريد قوله للأجيال القادمة!

إنها ابتسامةُ الفـرح والرضا، ابتسامةُ السعادة والراحة، ابتسـامةُ الطمأنينة واليقين، ابتسامةُ الظفر والفوز.

وكأن سيِّد لم يكـن ذاهبًا للموت، بل ذاهبٌ للعرس، وهـو في الحقيقة ذاهبٌ للعرس، في جناب الفردوس - إن شاء اللَّه -.

وصدقَ الشاعر في كلامه عن هذه الابتسامة:

يـا شـهـيـدًا رفـعَ الـلَّـهُ بـه ... جـبـهـةَ الحـق عـلـى طـولِ المـدى

سـوفَ تَـبـقـى فـي الحـنـايـا عَـلَـمًـا ... حـاديًـا لـلـرَّكـبِ رَمْـزًا لـلـفِـدى

مـا نَـسـيـنـا أَنْـتَ قـد عـلَّـمْـتَـنـا ... بـسـمـةَ المؤمـنِ فـي وجْـهِ الـرَّدى[1]

---

(١) «لماذا أُعدم سيد قطب وإخوانه» ص(٣).

للَّه در سيد قطب حين يفسّر معنى الشهيد لما اقترب منه أحد الضباط - وهو في قفصه - أثناء المحاكمة، وسأله عن معنى «شهيد» فردّ عليه سيد قائلاً: «شهيد» يعني: أنه شهد أن شريعة اللَّه أغلى عليه من حياته.

- وللَّه دره حين يقول عن «قوة الكلمة» وحياتها وحيويتها:

«إنه ليست كل كلمةٍ تبلُغُ إلى قلوب الآخرين، فتحركُها وتجمعُها وتدفعُها.. إنها الكلماتُ التي تقطرُ دماء، لأنها تقتاتُ قلب إنسانٍ حي..

كل كلمةٍ عاشتْ، قد اقتاتت قلب إنسان!

إن أصحابَ الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئًا كثيرًا، ولكن بشرطٍ واحد.. أن يموتوا هم لتعيش أفكارُهُم. أن يُطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم. أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ويقدموا دماءهم فداءً لكلمة الحق!

إن أفكارنا وكلماتنا تظلُ جُثثًا هامدة، حتى إذا متنا في سبيلها وغذيناها بالدماء، انتفضت حية، وعاشت بين الأحياء..»[1].

للَّه دره:

علوٌّ في الحياة وفي الممات ... بحق تلك إحدى المكرمات

وللَّه در يوسف العظم حين كتب عن «بسمة الشهيد الصامت».

يقول يوسف العظم في ديوانه «في رحاب الأقصى»:

إلى الصامت الذي دكّ صروح المهرّجين، وبدّد شمل الغوغائية الرخيصة وأخرس بصمته وابتسامته في السجن ألسنة السوء فباتت في هذيان محموم لا تدري ما تقول!

إلى الصامت الذي استعلى صمته على كل أبواق التضليل وأقلام الهوان وهو في طريقه إلى حبل المشنقة!

---

(١) «مذابح الإخوان في سجون ناصر» ص(١١٨).

إلى روح سيد قطب في عليّين.. بإذن اللَّه!.

اكتب حياتكَ بالدَّمِ. واصمتْ ولا تَتكلَّمِ
فالصمتُ أبلغُ في جراحِ الحادثاتِ من الفَم
والصمتُ أقوى من رنينِ القيدِ.. حول المِعْصَمِ
والصمتُ أكرمُ عند ربكَ من سَفاهَةِ مُجْرمِ
إنْ تاهَ بالظُّلمِ الغشومُ فَتِهْ بعزّةِ مسلمِ
ولئن خَطوتَ إلى العلى فعلى حياهِ الأنجُمِ
اكتب حياتك باليقينْ.. واسلك دروب الصالحينْ
فالصمتُ من حرٍّ يفوقُ زئيرَ آسادِ العرينْ
وظلام سجنك في فؤادك غُرَّةُ الصبحِ المُبينْ
إن طأطأ الباغي الجبينَ... فأنتَ وضّاءُ الجبينْ
أو عربد الجلاّدُ يومًا واستبدَّ بغيرِ دينْ
فلأنت حصنٌ للعقيدةِ لا يَذلُّ ولا يلينْ
اكتب حياتكَ بالألمْ واصرعْ عدوَّكَ بالقَلَمْ
فمدادُه أقسى على صدرِ الغشومِ من السَّقَمْ
وسطوره فيها البراكينُ التي تُلقي الحِمَمْ!
في وجه «فرعون» الذي داس الكرامة مُذْ حكم
وقسا على شعب ضعيف باعه بيع النَّعَمْ..!!
جلاّدُه المأفون لم يَذُقِ السكينةَ أو يَنَمْ...!![1].

(١) «بسمة الشهيد الصامت» من ديوان «في رحاب الأقصى» ليوسف العظم ص(٩٥ ـ ٩٨) المكتب الإسلامي.

*** لا نحابي في الحق أحدًا:**

قد مضى سـيد قطب إلى ربه. . ولهذا الـداعية الكبير سجـل حافل في الصبـر على الطاعة وتحـمل الأذى، ويكفيـه أنه قدّم روحه لدينـه، ومع هذا السجل إلا إن للشيخ سيد ـ رحمه اللَّه ـ أفكارًا تخالف عقيدة السلف جمعها الشيخ الدويش في «المنهل الزلال في الـردّ على أخطاء الظلال»، ويكفي هذا الكتاب ليبين ما للرجل وما عليـه، بجوار كلام الشيخ الألباني، وهو خير من أنصف سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ.

أخـي: نعم نوضح الأخطاء ونقول مع هذا «حـاسب نفسك لنفسك فإن غيرها عن الأنفس عليها حسيب غيرك».

فالشـيخ كان داعيـة ولم يكن عـالمًا، فنأخـذ من قوله ونـترك، وولاؤنا لعقيـدتنا السلفيـة، ونحن نحبّ منه ما وافـق هذه العقيدة، ونقـدّر له جهاده وبذله من أجل دينه.

وأما كتاباته في «العدالة الاجتماعية» وكـلامه فيها عن الصحابة فلا يقبل أبدًا، فهم شموس ديننا وأقماره. . . ولو عـمل أحدنا ما عمل ما بلغ ذرة من عملهم. . . فغفر اللَّه له ورحمه.

*** محمد عوّاد ـ رحمه اللَّه ـ أول قتيل في مذبحة السجن الحربي سنة ١٩٦٥ العملاق الذي أذلّ الأقزام ولم يأخذوا منه حرفًا واحدًا:**

محمد عوّاد أول قتلى «الإخوان المسلمون» في مذبحة السجن الحربي عام ١٩٦٥ نسأل اللَّه أن يتقبله في عداد الشهداء.

كان ـ رحمه الـلَّه ـ مدرسًا إلـزاميًّا يعمل في إحدى المـدارس الابتدائية

---

(١) «مذابح الإخوان في سجون ناصر» ص(١١٨).

بالقرب من قريته الزوامل ـ شرقية، ولم يكن قد تجاوز العقد الثالث من عمره حين قُتل.

● جلس يومًا مع الشيخ عبد الفتاح إسماعيل، وقال له عبد الفتاح: لا تبئس يا ابن عوّاد فقد يمكن اللَّه للمسلمين وتكون أنت ضمن قوّاد دولة الإسلام!!!

فانتفض محمد عواد من مكانه وكأن لدغة أصابته وقال: ما على هذه الدنيا بايعت، ولكن بايعت على أن أرمى برصاصة هنا... وأشار إلى رقبته.

*** الشيخ عامر شيخ القرّاء عند موته يموت على ما عاش عليه:**

أحسن الناس هِجِّيرى عند الموت، من كان سلوكه حميدًا، ونيته سليمة، ومعتقده محققًا، فإنه يلهج بما كان عليه من الضياء والنور.

من كان على الخير في حياته لقي الخير عند مماته.

قال رسول اللَّه ﷺ: «**من مات على شيء بعثه اللَّه عليه**»[(١)].

قال المناوي: أي يموت على ما عاش عليه.

يقول الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في مقاله «تباريح» بالمجلة العربية: «حدثني أخي الشيخ محفوظ الشنقيطي، مدير عام العلاقات بمجمع الملك فهد للمصحف الشريف، عن شيخ القرّاء بالمجمع الشيخ عامر السيد عثمان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ أنه فقد حباله الصوتية في السنوات السبع الأخيرة من حياته، وكان يدرّس تلاميذه القراءة فلا يفصح لهم إلا بشهيق وإيماء، ثم مرض مرض الوفاة، وكان طريح السرير الأبيض بالمستشفى، ففوجئ أهل المستشفى بالرجل المريض فاقد الحبال الصوتية يقعد ويدندن

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والحاكم عن جابر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤١٩).

بكلام اللَّه، بصـوت جهوري جذاب، مدة ثلاثة أيام ختم فـيهنّ القراءة، من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ثم أسلم الروح إلى بارئها»[١] .

*** داعي السمـاء عمر بن محمد الـعقيل المؤذن يصـدح بجمل الأذان عند موته:**

يقول أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري:

«وكان خال أبي وابن عم جدي عمر بن محمد العقيل، ـ رحمهم اللَّه ـ مؤذنًا بمـسجدنا الحسـيني خمسـة وثلاثين عامًـا، أدركت منها ربـع قرن، لم يتخلف عن فرض واحد لحرّ أوْ قرّ، ومات فـي الرياض وعمره تسعون عامًا، وكان مقعدًا، فـلما حضرته الوفاة بـعد صحوة الموت وجده ابنه مـحمد واقفًا بعد أن كان مقعدًا، ويصدح بجمل الأذان: اللَّه أكبر»[٢] .

*** شيخ المتهجدين والعابدين بمـصر الشيخ إبراهيم عزت: «يموت في العشر الأخير من رمضان بعد الصيام ويكفن بملابس إحرامه»:**

للَّـه در شيخ العـباد إبراهـيم عزت. . الـذي يصدق فيـه قول رسولـنا ﷺ .

الشيخ الـذي أبكى الآلاف بصدقه وإخـلاصه ووعظه الجميـل، وتأثر به الشباب وكان أمّة ـ رحمه اللَّه ـ.

في شهـر رمضان سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م عقد الشيخ الـنيّة على الـسفر لأداء العمرة والاعتكاف بالمسجد الحرام في العشر الأواخر من الشهر الكريم.

وقبل أن تصل الباخرة إلى ميناء جدة، وفي إحدى ليالي الوتر من الثلث

---

(١) المجلة العربية، العدد ١٧١، ص(٧٠ ـ ٧١).

(٢) المجلة العربية، العدد ١٧١، ص(٧٠ ـ ٧١).

الأخير، بعد انقضاء يوم من الصيام، أفطر الشيخ «إبراهيم عزت» وصلى المغرب مع مرافقيه، ثم استأذنهم للراحة، فلم يحن وقت صلاة العشاء إلا وكانت روحه قد صعدت إلى خالقها، وله من العمر ثلاث وأربعون عامًا، وتم دفنه في مكة المكرّمة بعد أن صلى عليه آلاف المسلمين في الحرم الشريف مكفنًا في رداء إحرامه، وبهذه الخاتمة الصالحة والموتة الطيبة حقق اللَّه لعبده إحدى أمنياته[1] إذا كان يكثر من الدعاء بالموت في بلد حبيبه ﷺ.

وعند ذاك سيدي وعند ذاك

سينتهي السؤال

ستهدأ الودائع التي في داخل الصدور

سنستقر في مرافئ الأمان[2].

*** شيخ الوعّاظ الشيخ عبد الحميد كشك: «يموت وهو ساجد في يوم الجمعة»:**

للَّه درّ إمام الوعاظ وشيخهم من كان مدرسة في الوعظ لا تدانيها مدرسة.. مَن كان رجل عامة يصل صوته إلا الألوف المؤلفة في جميع أرجاء البسيطة.. ذلكم الجبل الراسخ.. والعملاق الذي سخر من الأقزام والطواغيت وعرّى كذبهم وزيفهم في مسجده «عين الحياة» في كل جمعة فمنعوه من الخطابة في مسجده، واشتاق إليه منبره، وبكته عيدانه.. فما منعوه أن يموت يوم الجمعة.. عند الزوال.. كان يدعو اللَّه أن يموت في سجوده، ومات العابد البكّاء في سجوده ليعلم الناس أن الشيخ صدق اللَّه

---

(١) «الشيخ إبراهيم عزت» للدكتور حسن عبد السلام ص(٣١).

(٢) قصيدة «لحظة الوصال» للشيخ إبراهيم عزت من كتاب «الشيخ إبراهيم عزت» للدكتور حسن عبد السلام ص(١٠٩).

فصدقه، مات الشيخ كشك في السجود أقرب ما يكون الإنسان من ربه.. ويا لمسك الختام للعابد الواعظ الإمام!!.

*** ربّاني الأمة وداعية الإسلام العلاّمة أبو الحسن الندوي رحل الشيخ في معتكفه بعد أن توضأ واستعد للصلاة.. وشرع يقرأ سورة الكهف[١] :**

يقول الشيخ القرضاوي:

«في سنة رحيل العلماء الأعلام، وفي العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، وفي يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وقبل صلاة الجمعة وقد توضأ الشيخ واستعدّ للصلاة، وشرع يقرأ سورة الكهف من كتاب اللَّه تعالى: كما تعوّد كل جمعة. وافى الأجل المحتوم العلم المفرد، والداعية الرباني، والعلاّمة المتميز، العربي الأرومة، الحسني النسب، الهندي الجنسية، العالمي المعطاء، شيخ الأمة ولسانها الناطق بالحق، الداعي إلى الخير: السيد أبا الحسن علي الحسني الندوي، وهو أشهر من أن يُعرّف، وأعظم من أن يُؤدَّى حقه بكلمات.

لقد قدّر اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ على أمتنا في هذا العام: أن تودع عددًا من كبار العلماء وخيارهم علمًا وعملاً ودعوة إلى اللَّه، ابتداء بعلاّمة الجزيرة الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز، ومرورًا بأديب الفقهاء وفقيه الأدباء الشيخ علي الطنطاوي، ومن بعده الفقيه الكبير المجدّد العلامة الشيخ مصطفى الزرقا، وبعده المحدّث الكبير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وختم هذا

---

(١) للشيخ الندوي ـ رحمه اللَّه ـ أشياء تخالف عقيدة السلف وخاصة في كتاباته باللغة الأردية جمعها الشيخ صلاح مقبول الهندي، وكل يؤخذ من قوله ويترك، ونسأل اللَّه أن يعفو عنا وعنه.. ولقد كتبنا وختمنا أحوال الصالحين بذكر موته.. ولكننا لا نقبل كتاباته وثناءه على محيي الدين بن عربي أو عبد القادر الجزائري، وبعض صوفياته «والاستمداد» كما هو من طريقة «جماعة التبليغ» فعفا اللَّه عنه ورحمه.

الموكب الحافل بهذا الإمام الجليل الشيخ أبي الحسن الندوي».

ثم يقول: كيف لا أتحدث عن هذا الإمام الرباني الإسلامي القرآني المحمدي وهو أخي وشيخي وحبيبي - رضي اللَّه عنه وأرضاه».

ويقول: «وإني لأتقرب إلى اللَّه تعالى بحبه، وأرجو أن أحشر معه ﴿**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩].

ولا غرو أن يختلف الناس على أشخاص العلماء، ولكنهم يتفقون على أبي الحسن... وعزائي إلى المسلمين في أنحاء الأرض في فقد هذا العالم الداعية الإمام الذي قلّ أن يجود الزمان بمثله»[1].

يقول الدكتور جابر قميحة في رثاء الشيخ أبي الحسن الندوي:

أبا الحسن الندوي والروح مثقل ... بكل عوادي الحزن والقلب ينزف

أأرثيك؟ لكن مَن أعزِّي وإنني ... قصير مدى الأشعار، والكون يرجف

ففي الأرض من هول الفجيعة مأتم ... تقيم به الأحزان حرّى.. وتعكف

مشارق تبكي يتمها ومغارب ... وقد غبت عنها والنوازل تقصف

وإنك يا ندوي بالحق أمة ... إمام جليل زاهد متعفف[2]

* * *

(١) «جريدة الشعب ١١ من يناير سنة ١٩٩٩ الصفحة الثالثة.

(٢) قصيدة «إمام المسلمين أبو الحسن الندوي» الصفحة الثانية عشرة، من جريدة الشعب ٤ من فبراير «سنة ٢٠٠٠».

*** الطيبـون الذين ماتوا غرقًا وهـم ذاهبون لسماع درس العـلم نسأل اللَّه لهم أن يكونوا من الشهداء:**

رجال في زمن عزّ فيه الرجال من أبناء مـحافظتِي بني سويف ـ من أبناء الدعوة السلفية بمركز سمسطا وهم:

عبيـد اللَّه بن حامد الأنـقط من قرية نور الـدين، وشعبان عبـد الوهاب محـمد، وخالـد عبد الـوهاب محـمد، وسـعد رشوان، ورمـضان مفـتاح عبد الجليـل من قفطان لا يغيّب ذكـراهم عن مخيلتي مـرّ الأيام... وكانوا على موعد لسـماع أول محاضرة لي بقرية مازورة.. وكانـوا في الطريق إلى مازورة وانقلـب بهم الجرّار الزراعي في المـياه، وهم متوضئـون تالون لأذكار المساء... ماتـوا غرقى وهم يرددون الأذكار فنسأل اللَّه لهم أن يـكونوا من الشهداء.

وللَّه ما أطيب ذكراهم وما أحلى الرؤى التي رآها الناس لهم.

● يأتي كبـيرهم الشيخ عُبيد اللَّه إلى زوجـة ابن عمه مسعـود في المنام ويقول لها: قولي لمسعود يثبت على ما نحن عليه.

● وقبل دفن عبيد اللَّه ينام الأخ أشرف عبـد الرحمن متأثرًا بمنظر الوحل والطين الذي كان علـى الإخوة لحظة إخراجهم من المياه، فـإذا به يرى الشيخ عُبيد اللّـه في هيئة طيبة يفـوح منه المسك ويقول لأشرف: مـا تراه من الطين والوحل هذا عندكم في الدنيا أما نحن الآن فغير ذلك.

● ويذهب الشيخ عبيـد اللَّه في المنام إلى كبير الصوفية بـبلدته قائلاً له: لا زلت فيما أنت عليه، ويتوب الرجـل على يديه.. يتوب الرجل بأثر ذلك المنام الطـيب للشيخ الحبـيب الطيب عبيـد اللَّه. وثبات أمه في ذلـك العجب العُجاب.

• والحبيب الغالي الشيخ شعبان رؤي في المنام في مسجد قفطان يعطي درسًا في أواخر سورة الواقعة.

ليُسق عهدكمُ عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

أسأل اللَّه أن يجمعني بهم في الفردوس الأعلى.. اللَّهم إنهم ماتوا وهم متوضئون ذاكرون.. ماتوا بسبب من أسباب الشهادة وهو الغرق فأتم عليهم نعمتك وتقبلهم عندك في عداد الشهداء.

* * *

موت القانتات العابدات الراكعات الساجدات

* آسية بنت مزاحم زوج فرعون اختارت القتل على الملك:

● قال اللَّه تـعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[التحريم: ١١].

● قال الحافظ ابن حجر: «من فضائل آسـية امرأة فرعون: اختارت القتل على الملك، والعذاب في الدنيا على النعيم الذي كانت فيه»(١).

● قال ابن كثير: «روى ابن جرير بسنده عن سليمان التيمي: كانت امرأة فرعون تـعذب في الشمس، فـإذا انصرف عنهـا أظلتها المـلائكة بأجنحـتها، وكانت ترى بيتها في الجنة».

● قال ابن جريـر: كانت امرأة فرعون تـسأل: مَن غلب؟ فيُـقال: غلب موسى وهارون. فتـقول: آمنت برب موسى وهارون. فأرسل إلـيها فرعون، فقال: انظروا أعظم صـخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألـقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فـهي امرأتي، فلما أتوها رفعت بصـرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في الجنة، فمضت على قولها، وانتُزعت روحها»(٢).

* ماشطة ابنة فرعون:

● عن عبد اللَّه بن عـباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «لما كـانت

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥١٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤).

الليلة التي أسري بي فيها، أتت عليّ رائحة طيّبة. فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذْ سقط المِدْري من يدها فقالت: بسم اللَّه، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك، قالت: أُخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة، وإن لك ربًّا غيري؟ قالت: نعم ربي وربك اللَّه، فأمر ببقرة من نحاس فأُحميت، ثم أمر بها أن تُلقَى هي وأولادها فيها، قالت له: إنّ لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا. قال: ذلك لك علينا من الحق.

قال: فأمر بأولادها فأُلقوا بين يديها واحداً واحداً، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مُرضَع، وكأنها تقاعست من أجله. قال: يا أُمّه اقتحمي؛ فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت».

قال ابن عباس: تكلّم أربعة صغار، عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون»[1] .

* العابدة التقية معاذة العدوية: «لا أراني أدرك بعد ذلك فرضًا»:

● كانت أم الصهباء معاذة العدوية تلميذه السيدة عائشة إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تمسي، وإذا جاء الليل

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٠٩)، وحسنه الشيخ شعيب الأرناءوط. وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٥): رواه أحمد، والبزار، والطبراني في «الكبير»، و«الأوسط»، وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة ولكنه اختلط.

وقوله: المِدْري: أداة لتسريح الشعر.

بقرة من نحاس: إناء كبير من نحاس كانوا يوقدون تحته نارًا حتى يحترق ويحمرّ ثم يلقوا فيه من أرادوا.

قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها فلا تنام حتى تصبح، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم.

● وكانت تقول إذا غلبها النوم: يا نفس الموت أمامك لو قدمتِ طالتْ رقدتك في القبور على حسرة أو سرور.

وكانت تقول: عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور.

● وعن ثابت البناني أن صلة بن أُشيم كان في مغزى له ومعه ابن له، فقال: أي بني تقدّم فقاتل حتى أحتسبك. فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم فقُتل، فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت: مرحبًا، إن كنتنّ جئتن لتهنئنني، فمرحبًا بكن وإن كنتُنّ جئتن بغير ذلك فارجعن.

قالت أم الأسود بنت زيد العدوية ـ وكانت معاذة قد أرضعتها ـ قالت لي معاذة لما قتل أبو الصهباء وقُتِل ولدها: واللَّه يا بنية ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيش ولا لروح نسيم، ولكن واللَّه أحب البقاء لأتقرّب إلى ربي عز وجل بالوسائل لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده في الجنة.

● قالت عُفيرة العابدة: بلغني أن معاذة العدوية لما احتضرها الموت بكت، ثم ضحكتْ. فقيل لها مِمّ بكيت ثم ضحكتِ؟ فممَّ البكاء وممّ الضحك؟

قالت: أما البكاء الذي رأيتم فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك.

وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكي فإني نظرت إلى أبي الصهباء قد أقبل في صحن الدار وعليه حُلّتان خضروان وهو في نفرٍ واللَّه ما رأيت لهم في الدنيا شبهًا فضحكت إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضًا فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة[1] .

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٢ ـ ٢٤).

* ابنة منيبة البصرية: «التراب يُحْثى على شبابي ولم أشبع من طاعة ربي»:

● قال أبو عياش القطّان: كانت امرأة بالبصرة متعبدة يُقال لها منية، وكانت لها ابنة أشد عبادة منها. فكان الحسن ربما رآها وتعجّب من عبادتها على حداثتها. فبينا الحسن ذات يوم جالس إذْ أتاه آتٍ فقال: أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت فوثب الحسن فدخل عليها فلما نظرت الجارية إليه بكت.

فقال لها: يا حبيبتي ما يبكيك؟ قالت له: يا أبا سعيد! التراب يُحثَى على شبابي ولم أشبع من طاعة ربي، يا أبا سعيد انظر إلى والدتي وهي تقول لوالدي احفر لابنتي قبراً واسعًا، وكفّنها بكفن حسن، والله لو كنت أُجهّز إلى مكة لطال بكائي، فكيف وأنا أُجهز إلى ظلمة القبور ووحشتها وبيت الظلمة والدود؟[1] .

* رابعة العدوية: الزاهدة العابدة الوجلة المُحِبّة الربانية:

جمهور أهل العلم على صلاحها وتقواها وعلو مكانها وكل يؤخذ من قوله ويترك.

● قال محمد بن عمرو: كانت رابعة إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رِعدة، وإذا مرّت بقوم عرفوا فيها العبادة[2] .

● وعن عبدة بنت أبي شوال وكانت من خيار إماء اللّه، وكانت تخدم رابعة ـ قالت: كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يُسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من

(١) «صفة الصفوة» (٤/٢٧).
(٢) «صفة الصفوة» (٤/٢٨).

مرقدها ذلك وهي فزعة: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

قالت: فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت. فلما حضرتها الوفاة دعتني فقالت: يا عبدة لا تُؤذِني بموتي أحدًا وكفّنيني في جبتي هذه، جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قالت: فكفنّاها في تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه.

قالت عابدة: رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئًا قط أحسن منه. فقلت: يا رابعة! ما فعلت الجبّة التي كفناك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إنه واللَّه نُزِع عني وأُبدلت به هذا الذي ترينه عليّ، وطُويت أكفاني وخُتم عليها ورُفعت في عليين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة.

قالت: فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا؟ فقالت: وما هذا من كرامة اللَّه عز وجل لأوليائه. قالت: فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات، سبقتنا واللَّه إلى الدرجات العُلَى، قالت: وبمَ وقد كنت عند الناس؟ أي أكثر منها. قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حالة أصبحت من الدنيا وأمست. قالت: فقلت: ما فعل أبو مالك؟ تعني ضيغمًا. قالت: يزور اللَّه متى شاء. قالت: قلت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ أُعطي واللَّه فوق ما كان يأمل.

قالت: فمُريني بأمر أتقرّب به إلى اللَّه عز وجل: قالت: عليك بكثرة ذكره، أوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك[1].

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٩ ـ ٣٠).

*** راهبة العابدة أم عثمان بن سودة الطفاوي:**

● «عن عثمان بن سودة الطفاوي، وكانت أمه من العابدات، يُقال لها راهبة، قال: لما احتُضِرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت: يا ذخري وذخيرتي، ويا من عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي، لا تخذلني عند الموت، ولا توحشني في قبري»(١) .

فرآها ذات ليلة في منامه فقال لها: يا أماه كيف أنت؟ قالت: أي بُنيّ إن للموت لكربة شديدة، وأنا بحمد اللَّه لفي برزخ محمود نفترش فيه الريحان ونتوسد فيه السندس والإستبرق إلى يوم النشور.

*** عابدة تخرّ ميتة لما رأت الكعبة:**

● عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: دخل قوم حجاج ومعهم امرأة تقول: أين بيت ربي؟ فيقولون: الساعة تَرْينه فلما رأوه قالوا: هذا بيت ربك أما تَرينَه؟ فخرجت تشتدّ وتقول: بيت ربي بيت ربي. حتى وضعت جبهتها على البيت. فواللَّه ما رُفعت إلا ميتة(٢) .

*** زهراء الوالهة وموتها شوقًا إلى ربها:**

● عن محمد بن سلمة قال: سمعت ذا النون المصري يقول: بينا أنا في بعض أودية بيت المقدس إذ سمعت صوتًا يقول: يا ذا الأيادي التي لا تُحصى، ويا ذا الجود والبقاء متِّع بصر قلبي من الجولان في بساتين جبروتك، واجعل همتي متصلة بجود لطفك يا لطيف، وأعذني من مسالك المتحيرين بجلال بهائك يا رؤوف، واجعلني لك في جميع الحالات خادمًا وطالبًا، وكن لي يا منوّر قلبي وغاية طلبي في الفضل صاحبًا.

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٢).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٤١٥).

قال ذو النون: فطلبت الصوت حتى ظهر لي، فإذا امرأة كأنها العود المحترق، وعليها درع من الصوف، وخمار من الشعر أسود قد أضناها الجهد وأفناها الكمد وذوّبها الحبّ، وقتلها الوجد. فقلت لها: السلام عليك. فقالت: وعليك السلام يا ذا النون. فقلت: لا إله إلا اللَّه كيف عرفت اسمي ولم تَرَيْنِي؟ قالت: كشف عن سري الحبيب فرفع عن قلبي حجاب العمى فعرّفني اسمك. فقلت: ارجعي إلى مناجاتك. فقالت: أسألك يا ذا البهاء أن تصرف عني شر ما أجد فقد استوحشت من الحياة. ثم خرّت ميتة. فبقيت متحيرًا متفكرًا. فأقبلت عجوز كالوالهة فنظرت إليها، ثم قالت: الحمد للَّه الذي كرّمها. قلت مَن هذه؟ فقالت: ألم تسمع بزهراء الوالهة؟ هذه ابنتي توهّم الناس منذ عشرين سنة أنها مجنونة وإنما قتلها الشوق إلى ربها[١].

* رقية بنت عبد اللَّه مُعَن الأندلسي: «الولية الكاملية العليّة»:

- شقيقة الشيخ أحمد بن عبد اللَّه معن الأندلسي.

«كانت آية من آيات اللَّه في رفع الهمة والزهد والحزم في الطريق والجدّ، في غاية الإخمال والتقشف والإقلال».

وكان أخوها يقول عنها إنها لفارغة القلب من الدنيا مع الحزم في الدين والتمسك بحبله المتين.

وأثنى عليها أخوها بعد وفاتها وقال: كانت تخبرني بأمور لا يجدها المتصبون للمشيخة، وحكى عنها أنها قالت له: إني أرى نورًا ينتشر في محل سجودي كلما سجدت وأخاف أن يكون الشيطان يلعب بي. قال: فقلت لها: نعم يُخاف من ذلك، ثم قال للحاضرين: هكذا شأن الصدّيقين يخافون وإن كانوا محققين.

---

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

● وكانت في المرض الذي توفيت فيه مسرورة بلقاء اللَّه، جميلة الرجاء فيه، ولما قربت وفاتها جعلت تسأل عن وقت الظهر فأُخبرت بدخوله فصلّت وماتت. وكانت وفاتها سنة سبع وثمانين وألف»[1] .

*** موت عابدة بصرية: «ويحكَ أَنامَ رب العالمين؟»:**

● قال ابن الجوزي ـ رحمه اللَّه ـ: «بلغنا أن بعض المتعبدات البصريات وقعت في نفس رجل مهلبي وكانت جميلة، وكانت تُخطب فتأبى، فبلغ المهلبي أنها تريد الحج فاشترى ثلاثمائة بعير ونادىٰ: من أراد الحج فليكتر من فلان المهلبي فاكترت منه، فلما كان في بعض الطريق جاءها ليلاً فقال: إمّا أن تزوجيني نفسك، وإما غير ذلك، فقالت: ويحك اتق اللَّه، فقال: ما هو إلا ما تسمعين واللَّه ما أنا بحمّال ولا خرجت في هذا إلا من أجلك، فلما خافت على نفسها، قالت: ويحك انظر أبقي في الرجال أحد لم ينم؟ قال: لا، قالت: عُدْ فانظر فمضى وجاء، فقال: ما بقي أحد إلا وقدْ نام.

فقالت: ويحك أنام رب العالمين؟ ثم شهقت شهقة وخرّت ميتة.

وخرّ المهلبي مغشيًّا عليه ثم قال: ويحي قتلتُ نفسًا ولم أبلغ شهوتي فخرج هاربًا»[2] .

*** عابدة من عابدات السواحل:**

«قال ذو النون: بينا أنا أسير على ساحل البحر إذْ بصرت بجارية عليها أطمار شعر وإذا هي ذابلة ناحلة. فدنوت منها لأسمع ما تقول. فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجان، وعصفت الرياح فاضطربت الأمواج فصرخت،

---

(١) «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني» للشيخ محمد بن الطيب القادري (٢/ ٢٢٠).

(٢) «ذم الهوى» لابن الجوزي (٢٧٦ ـ ٢٧٧).

ثم سقطت إلى الأرض فلما أفاقت نحبت[١] ثم قالت: يا سيدي بك تفرّد المتفردون في الخلوات، ولعظمتك سبّحت النينان في البحار الزاخرات، ولجلال قدسك اصطفت الأمواج المتلاطمات، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار، والبحر الزخّار، والقمر النّوار، وكل شيء عندك بمقدار.

يا مُؤنس الأبرار في خلواتهم   يا خيرَ مَن حطّتْ به النُزّالُ

فقلت: زيدينا من هذا. فقالت: إليك عني. ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت:

أحبك حُبَّيْن حُبَّ الودادِ   وحبًّا لأنك أهل لذاكا

فأمّا الذي هو حبّ الوداد   فحبٌّ شُغلتُ به عن سواكا

وأما الذي أنت أهل له   فكشفك للحُجْب حتى أراكا

فما الحمدُ في ذا ولا ذاك لي   ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ثم شهقت شهقة فإذا هي قد فارقت الدنيا[٢].

*** ومسك الختام من بيت النبوة:**

السيدة الربانية الصالحة نفيسة، ابنة الحسن بن زيد العلوية الحسنيّة:

● كانت - رحمها اللّه - من الصالحات، زاهدة نقية تقية، تقوم الليل، وتصوم النهار، وتكثر البكاء من خشية اللّه عز وجل، حتى قيل لها: «ترفقي بنفسك» لكثرة ما رأوا منها، فقالت: «كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون؟»، حجّت ثلاثين مرة، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره.

---

(١) أي: بكت أشد البكاء.

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٣٧٤ - ٣٧٥).

تُوفيت - رحمها اللَّه تعالى - وهي صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: «وا عجباه! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل اللَّه تعالى أن ألقاه صائمة، أأفطر الآن؟! هذا لا يكون، وخرجت من الدنيا، وقد انتهت قراءتها إلى قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ١٢][(١)] .

لِيُسقَ عهدَكمُ عهد السرورِ فما ... كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

وهكذا يرحل الربانيون إلى ربهم.. تعطرت الدنيا بأريج حديثهم وعبادتهم وصدقهم.. واللَّه لولا أن القلوب توقن بلقياهم لتفطرت المرائر لفراق الصالحين الربانيين، يقول ابن عقيل - رحمه اللَّه -: «وإنما هوّن فقداني للسادات نظري إلى الإعادة بعين اليقين وثقتي إلى وعد المبدئ لهم، فلكأني أسمع داعي البعث قد دعا، كما سمعتُ ناعيهم وقد نعى. حاشا المبدئ لهم على تلك الأشكال والعلوم أن يقنع لهم من الوجود بتلك الأيام اليسيرة المشوبة بالتنغيص وهو المالك. لا واللَّه، لا قنع لهم إلا بضيافة تجمعهم على مائدة تليق بكرمه: نعيم بلا ثبور، وبقاء بلا موت، واجتماع بلا فرقة، ولذات بغير نغصة»[(٢)] .

ماتوا وغُيِّبَ في التراب شخوصهم ... فالنشر مِسْكٌ والعِظامُ رميمُ

* * *

(١) «مرآة النساء» ص(٨٢).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (١/ ١٦٥).





أحوال العاصين المُستراح منهم عند الموت



أحوال العاصين المُستراح منهم عند الموت

هؤلاء المستراح منهم.. تستريح منهم البلاد والعباد والشجر والدواب.. هؤلاء من فضحهم ميراثهم يوم موتهم.. من زرع الشوك لا يحصد الورد، ومن استنبت الحشيش لم يقطف الثمار، ومن سلك طريق الغيّ لم يحلل بساحة الرشد، في الدنيا الهلاك والبوار، وفي البرزخ الخزي والعار، وفي الآخرة مصيرهم إلى النار.

إن السفاهة صيغت من خلائقهم ... لا بارك اللَّه في القوم الملاعين

● قال اللَّه تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

سؤال الرجعة في الآية ليس خاصًّا بالكافر، بل يعمّ كل مفرط، وبهذا قال القرطبي[(١)] وابن كثير[(٢)] وغيرهما.

وقال الشيخ السعدي في تفسير الآيتين: «يخبر تعالى عن حال من حضره الموت من المفرّطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال إذ رأى مآله وشاهد قبح أعماله؛ فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للتمتع بلذاتها واقتطاف شهواتها، وإنما ذلك كما يقول: ﴿**لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**﴾ من العمل، وفرّطت في جنب اللَّه.

﴿**كَلَّا**﴾ لا رجعة له ولا إمهال، قد قضى اللَّه أنهم إليها لا يرجعون.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٢/ ١٤٩).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٥٥).

﴿إِنَّهَا﴾ أي: مقالته التي تمنّى فيها الرجوع إلى الدنيا ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾؛ أي: مجرد قول اللسان، لا يفيد صاحبه إلا الحسرة والندم، وهو أيضًا غير صادق في ذلك؛ فإنه لو ردّ لعاد لما نُهي»[1].

● وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠ ـ ١١].

● قال ابن كثير: «كل مفرّط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئًا يسيرًا، ليستعتب ويستدرك ما فاته، وهيهات، كان ما كان، وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه»[2].

● قال الحسن البصري ـ رحمه اللَّه ـ: «هيهات هيهات، أهلك الناس الأماني، قول بلا عمل، ومعرفة بغير صبر، وإيمان بلا يقين».

«البدار البدار قبل الفوات، الحذار الحذار من يوم الغفلات، قبل أن يقول المذنب: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾؛ فيقال: فات»[3].

كلنا في غفلة والموت يغدو ويروحُ
نُحْ على نفسك يا مسكينُ إن كنت تنوحُ

* قوم نوح فاتهم النور وفار التنور:

أصبح الملاعين لا يلدوا إلا فاجرًا كفّار، واحتاجت الأرض إلى غسل يطهر وجهها من الشر العارم الخالص، الذي انتهى إليه قوم نوح، وكان

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣/ ٣٧٤)، وانظر: «الندامة الكبرى» لمحمد شومان الرملي ص(٢١، ٢٢).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٣٧٣).

(٣) «التبصرة» لابن الجوزي (١/ ١٧٧).

الطوفان ويا لهـول منظره، جاء ليغسل وجه الأرض مـن ذلك الشر، وجرف العواثير، ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤]. . . بُعدًا لهم من الحياة فقد ذهبوا ولك أن تـتصور كيف ذهبـوا، وبعدًا لهم من رحـمة اللَّه فقد لُـعنوا، وبُعدًا لهم من الذاكرة فقد انتهوا، وما عدوا يستحقون ذكرًا ولا ذكرى».

أتى الماء في موج كـالجبال، فيا لقبح نـهايتهم ﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴾ [نوح: ٢٥].

* ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد؟!﴾:

● قال تعـالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُـوَّةً أَوَ لَمْ يَـرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُـمْ هُوَ أَشَـدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَـدُونَ ﴾ أما هلاكهم فقـد قيل لوافد عاد لما اختار السـحابة السوداء: «خذها رمادًا رمددًا، لا تذر من عاد أحدًا».

● قال تعـالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٦ ـ ٧]، كانت الريح تجيء إلى أحدهم فتحمله، فترفعه في الهواء، ثم تنـكسه على أم رأسه فتشـدخه، فيبقى جثة بـلا رأس، كما قال: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ [القـمر: ١٩ ـ ٢٠]، وقال تعـالى: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ [الذاريات: ٤١ ـ ٤٢].

● عن علي رضي الله عنه قال: «لم ينزل اللَّه شـيئًا من الريح إلا بوزن على يدي ملك، إلا يوم عاد فإنه أُذن لها دون الخزّان فـعتت على الخزّان»، ويكفي قول

نبينا ﷺ في وصف مصارع الكافرين من عاد حين يقول عن الخوارج: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»، أي: قتلاً شديدًا فلا يبقي منهم أحدًا.

● وقال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ**﴾ [هود: ٥٩ - ٦٠].

راحت ريح الدبور، لكي تَسِمَ الأدبار بكيّ الأدبار، فعجّوا منها عجيج الأدبر، فلم تزل تكوي تكوينهم بميسم العدم، وتلوي تلوينهم إلى حياض دم الندم. وتكفأ عليهم الرمال فتكفي تكفينهم.. فانظر في عواقب الخلاف فإنه شاف كاف.

*** ثمــــود:**

لما عقروا الناقة قال لهم نبي اللَّه صالح عليه السلام: ﴿**تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**﴾ [هود: ٦٥]، وأصبحت ثمود في اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح - عليه السلام - وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل - وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة، وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع ووجوههم مسودة. فلما أصبحوا من يوم الأحد تحنّطوا وقعدوا ينتظرون نقمة اللَّه وعذابه، عياذًا باللَّه من ذلك، لا يدرون ما يُفعل بهم، ولا كيف يأتيهم العذاب، وأشرقت الشمس، فجاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح، وزهقت الأنفس في ساعة واحدة ﴿**فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾ [الأعراف: ٧٨] صرعي لا أرواح فيهم.

*** النمرود بن كنعان أذلّه اللَّه ببعوضة:**

لما استكبر وادّعى الربوبية عاقبه اللَّه بأضعف شيء، بالبعوضة في منخره

الذي هو علامة العزة، فانظر كيف أذله اللَّه؟.

وظلوا يضربون رأسه بالمطارق، وأرحم الناس به من جمع يديه وضرب بهما رأسه... ألا بعدًا للنمرود ومن على شاكلته.

*** قوم لوط: ﴿والمؤتفكة أهوى﴾:**

ضرب جبريل وجوههم، فطمس أعينهم وغارت بالكلّيّة، ولم يبق لها محل ولا عين ولا أثر، قال تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ** ﴾ [النجم: ٥٣]. أهوى بها منكّسة عاليها سافلها.

- قال تعالى: ﴿ **جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا** ﴾ [هود: ٨٢].
- وقال تعالى: ﴿ **وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ** ﴾ [النمل: ٥٨].

أهلكهم اللَّه بالمطر المغرق والماء الدافق لتطهير الأرض من ذلك الدنس الذي كانوا فيه، والوحل الذي عاشوا وماتوا فيه.

- وقال تعالى: ﴿ **وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ** ﴾ [هود: ٨٢].

هذه عاقبتهم هلاك بمطر من طين شديد قوي متتابع.

- يقتلع جبريل هذه القرى الظالمة حتى بلغ بهن عنان السماء، حتى سمعت الملائكة أصوات ديكتهم ونباح كلابهم، ثم قلبها عليهم.. ألا بُعدًا لهم وسُحقًا.

*** مدين قوم شعيب وعذاب يوم الظلة:**

كان أهل مدين كفّارًا يقطعون السبيل، ويخيفون المارة، ويعبدون الأيكة، وكانوا من أسوأ الناس معاملة، يبخسون المكيال والميزان، كذبوا نبيهم شعيبًا فكانوا خاسرين. قال تعالى: ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [الشعراء: ١٨٩].

● وقال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٩١].

سلّط اللَّه عليهم الحرّ سبعة أيام، فخرجوا من البيوت فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها، فرجفت بهم الأرض من تحتهم، وأخذتهم الصيحة من فوقهم.

● قال ابن كثير: «جمع اللَّه عليهم أنواعًا من العقوبات، وصنوفًا من المثلات، وأشكالاً من البليات، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات؛ سلّط اللَّه عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات، وصيحة عظيمة أخمدت الأصوات، وظلة أرسل عليهم منها شرر في سائر أرجائها والجهات».

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢].

تطوى صفحتهم مشيعة بالتبكيت والإهمال، خلت منهم الدُّور، كأن لم يكن لهم فيها دور، وكأن لم يعمروها حينًا من الدهر، مَضَوْا مشيعين باللعنة، طُويت صفحتهم السوداء في الوجود، وصفحتهم في القلوب ﴿أَلا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥].

* فرعون لعنه اللَّه:

كيف كانت نهاية هذا الطاغوت المطموس المتعجرف المتكبر الذي كان يشمخ بأنفه، فيطأطئ له الملأ، وهو أضل وأزهد من أن يحس به الوجود؟.

● عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**قال لي جبريل: لو رأيتني وأنا آخذ من حَمَاء البحر فأدسه في فيّ فرعون، مخافة أن تدركه الرحمة**»(١).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس، ورواه =

تطاول فرعون وقال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ..﴾، وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾، فكان الهويّ إلى الأعماق والأغوار، ونتن الطين في فمه يوم الغرق جزاء للقولة الفاجرة.

*** قارون ونهاية البطر والاستعلاء الخسف به:**

«أخرج ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: كان موسى يقول لبني إسرائيل: إن اللَّه يأمركم بكذا، حتى دخل عليهم في أموالهم، فشقّ ذلك على قارون، فقال لبني إسرائيل: إن موسى يقول: من زنى رُجم، فتعالَوْا نجعل لبغيّ شيئًا حتى تقول: إن موسى فعل بها، فيرجم فنستريح منه، ففعلوا ذلك فلما خطبهم موسى قالوا له: وإنْ كنت أنت؟ قال: وإن كنتُ أنا. فقالوا: قد زنيت، فجزع، فأرسلوا إلى المرأة، فلما جاءت عظم عليها موسى، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل إلا صدقت، فأقرّت بالحق، فخرّ موسى ساجدًا يبكي، فأوحى اللَّه إليه: إني أمرت الأرض أن تطيعك فأمرها بما شئت، فأمرها، فخسفت بقارون ومن معه»[1].

قال ابن كثير: خسف به إلى الأرض السابعة.

● قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

قال قتادة: ما أغنى ماله وما جمعه، ولا خدمه لا حشمه، ولا دفعوا عنه نقمة اللَّه وعذابه ونكاله، ولا كان هو في نفسه منتصرًا لنفسه، فلا ناصر له من نفسه ولا غيره[2].

= الترمذي، وابن جرير، والخطيب في «تاريخه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣٥٣)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٠١٥).

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥١٦ ـ ٥١٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٦٧).

هوى قارون في بطن الأرض التي علا فيها واستطال فوقها جزاءً وفاقًا، وذهب ضعيفًا عاجزًا، لا ينصره أحد، ولا ينتصر بجاه أو مال، ليعلم أنه هو وأمثاله من المجرمين أهون على اللَّه من أن يسألهم عن ذنوبهم فليسوا هم الحكم ولا الأشهاد ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]، أين قارون؟ هلكت في الزمان جَديسه وطَسمه، وذهب من كان وكان اسمه، فلا عينه تُرى ولا رسمه، ولا جوهره يُحسّ ولا جسمه، تبدّد واللَّه بالخسف نظمه، ولحق بالرفات عظمه.

* السامري الذي دفع اليهود إلى عبادة العجل يموت منبوذًا:

السامري قصة بلاهة الفكر وبلادة الروح ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧].

«قال الحسن: جعل اللَّه عقوبة السامري ألا يماسّ الناس ولا يماسوه، عقوبة له، ولما كان منه إلى يوم القيامة»[١].

قال الألوسي: «نبذ فنُبِذ، فإن ذلك التحامي أشبه شيء بالنبذ»[٢].

* قاتلة يحيى بن زكريا تجتز أمها رأسها:

● قال الحافظ ابن كثير: «روى الحافظ ابن عساكر في «المستقصى في فضائل الأقصى».

عن قاسم مولى معاوية، قال: كان ملك هذه المدينة ـ يعني دمشق ـ هداد بن هدار، وكان قد زوّج ابنه بابنة أخيه أربل ملكة صيدا، . . وكان

---

(١) «تفسير القرطبي» (٦/ ٤٢٨١).

(٢) «روح المعاني» للألوسي (١٦/ ٢٥٦).

قد حلف بطلاقها ثلاثًا ثم إنه أراد مراجعتها، فاستفتى يحيى بن زكريا فقال: لا تحل لك حتى تنكح زوجًا غيرك، فحقدت عليه وسألت من الملك رأس يحيى بن زكريا؛ وذلك بإشارة أمها، فأبى عليها، ثم أجابها إلى ذلك، وبعث إليه ـ وهو قائم يصلي في مسجد جيرون ـ من أتاه برأسه في صينية، فجعل الرأس يقول: لا تحل له، لا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره، فأخذت المرأة الطبق، وحملته على رأسها، وأتت به أمها، فلما تمثلت بين يدي أمها خسف بها إلى قدميْها، ثم إلى حقْويها، وجعلت أمها تولول، والجواري يصرخن ويلطمن وجوههن، ثم خسف بها إلى منكبيها، فأمرت أمها السيّاف أن يضرب عنقها لتتسلى برأسها، ففعل، فلفظت الأرض جثتها عند ذلك»[1].

* أصحاب السبت مُسخوا قردة خاسئين:

● قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ٦٥ ـ ٦٦].

احتلوا على انتهاك محارم اللَّه بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام، فمسخهم اللَّه إلى صورة قردة، وهي أشبه بالأناسي في شكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة، ويا له من عذاب بئيس.. فقبح اللَّه وجوههم التي مسخ منها القرود، وألزمهم لعنة تصحبهم إلى النار ذات الوقود.

* أبرهة صاحب الفيل وكيف فعلت به الطير الأبابيل:

أبرهة اللعين صاحب الفيل الذي أتى لهدم بيت اللَّه الحرام هو وجنوده

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٢/ ٥١).

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٣ ـ ٥].

● قال ابن إسحاق: «خرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك، على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة اتبعتها منه مدّة تَمثّ قيحًا ودمًا، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون»(١).

* **أبو جهل فرعون هذه الأمة:**

جعل هذا المتنفخ الطاغية يقول حين التقى القوم: «اللَّهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأَحِنْه الغداة، فكان هو المستفتح»(٢).

● قال تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال: ١٩].

جعل هذا الظالم يقول يوم بدر: يا معشر الناس، لا يهولنكم قتل شيبة وعتبة والوليد، فإن عجلوا فواللات والعزّى، لا نرجع حتى نفرقهم في الجبال، فلا ألفين رجلاً منكم قتل رجلاً، ولكن خذوهم أخذًا، حتى تُعرِّفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم إياكم، ورغبتهم عن اللات والعزى».

● فماذا كان حاله عند الموت؟: ضربه ابنا عفراء، حتى برد.

قال عبد اللَّه بن مسعود: انتهيت إلى أبي جهل وهو صريع وعليه

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥٠ ـ ٥٥١) بتصرف.

(٢) رواه أحمد وابن إسحاق، والنسائي، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، انظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٢٨٢).

بيضة، ومعه سيف جيد، ومعي سيف رديء، فجعلت أنقف رأسه بسيفي، وأذكر نقفًا كان ينقف رأسي بمكة، حتى ضعفت يده، فأخذت سيفه، فرفع رأسه فقال: على من كانت الدائرة لنا أو علينا؟ ألست رُوَيعينا بمكة؟ قال: فقتلته ثم أتيت النبي ﷺ فقلت: قتلت أبا جهل. فقال: «آللَّه الذي لا إله إلا هو؟» فاستحلفني ثلاث مرات، ثم قام معي إليهم فدعا عليهم.

● وعند البخاري: عن ابن مسعود أنه أتى أبا جهل فقال: هل أخزاك اللَّه؟ فقال: هل أعمد[1] من رجل قتلتموه.

* أبو لهب وامرأته حمّالة الحطب:

أبو لهب هذا الذي أفرد ذكره من كفار قريش، وكان كثير الأذيّة لرسول اللَّه ﷺ والبغض له، والازدراء له، والتنقّص له ولدينه.

قال أبو رافع مولى رسول اللَّه ﷺ: رماه اللَّه بالعدسة فقتلته، فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثًا، ما دفناه حتى أنتن، وكانت قريش تتقي هذه العدسة، كما تتقي الطاعون، حتى قال لهم رجل من قريش ويحكما، ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تدفنانه؟ فقالا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة. فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه، فواللَّه ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدار، ثم رخموا عليه بالحجارة.

هكذا كانت النهاية النتنة لهذا النتن النجس.

أما زوجته أم جميل بل أم قبيح فقد قال مرّة الهمداني: «كانت أم جميل

---

(١) كناية عن الهلاك، وعمد أي: هلك، وقيل: معنى أعمد: أعجب أو أغضب، وقيل: معناه هل زاد على سيد قتله قومه «الفتح» (٧/ ٣٤٣).

تأتي كل يوم بإبالة[١] من الحسك[٢] فتطرحها في طريق المسلمين، فبينما هي حاملة ذات يوم حُزمة أَعْيَت، فقعدت على حجر لتستريح، فجذبها الملك من خلفها فأهلكها»[٣] خنقها اللَّه بحبلها.

ميتة مزرية مثيرة للسخرية.

*** أبيّ بن خلف: «لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون»:**

● عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**اشتد غضب اللَّه على قوم فعلوا بنبيه** - يشير إلى راعيته - **اشتد غضب اللَّه على رجل يقتله رسول اللَّه ﷺ في سبيل اللَّه**»[٤].

● وعن ابن عباس ﵄ قال: «**اشتد غضب اللَّه على مَن قتله النبي في سبيل اللَّه، اشتد غضب اللَّه على قوم دَمَّوْا وجه نبي اللَّه ﷺ**»[٥].

قال ابن كثير: قال عروة بن الزبير: كان أبيّ بن خلف أخو بني جمح، قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول اللَّه ﷺ، فلمّا بلغت رسول اللَّه ﷺ حلْفته قال: «**بل أنا أقتله إن شاء اللَّه**». فلما كان يوم أحد أقبل أبيّ في الحديد مقنّعًا، وهو يقول: لا نجْوت إن نجا محمد، فحمل على رسول اللَّه ﷺ يريد قتله، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار يقي رسول اللَّه ﷺ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر رسول اللَّه ﷺ ترقوة أبيّ ابن خلف من فرُجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها بالحربة، فوقع إلى

(١) الإبالة: الحزمة الكبيرة.

(٢) الحسك: نبات له ثمرة ذات شوك تعلق بأصواف الغنم، وهو السعدان.

(٣) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٧٣٣٠).

(٤) رواه البخاري، ومسلم.

(٥) رواه البخاري.

الأرض عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه، وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أجزعك، إنما هو خدش؟، فذكر لهم قول رسول اللَّه ﷺ: «**أنا أقتل أبيًّا**»، ثم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون.

فمات إلى النار. ﴿**فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[1] [الملك: ١١].

وفي «سلسلة معارك الإسلام الفاصلة» (أُحُد) ص(١٦٣):

«لما رجع إلى قومه، وقد خدشه الرسول ﷺ بالحربة خدشًا غير كبير، قال: قتلني واللَّه محمد، قالوا له: ذهب واللَّه فؤادك، واللَّه ما بك بأس.

قال: إنه كان قد قال بمكة: أنا أقتلك فواللَّه، لو بصق عليّ لقتلني، فكان هذا الشقيّ هو الوحيد الذي قتله رسول اللَّه ﷺ بيده الكريمة».

* عقبة بن أبي معيط لعنه اللَّه ضربت عنقه:

هذا الشقي الذي آذى رسول اللَّه ﷺ، وانفرد بما لم يفعله أحد، ووضع رِجله على عنق أطهر الخلق ﷺ، فقُطعت عنه جزاء وفاقًا، وقتل صبرًا.

* عبد اللَّه بن قمئة أقْمَأَه اللَّه:

هذا الفاجر الذي دمّى وجه النبي ﷺ.

عن ابن عباس قال: اشتد غضب اللَّه على مَن دَمَّى وجه رسول اللَّه ﷺ، وعند ابن هشام من حديث أبي سعيد الخدري أن عبد اللَّه بن قمئة جرحه - أي الرسول - في وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المِغْفَر في وجنته ﷺ.

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٣٣ - ٣٤).

* **فكيف كان مصرع هذا الذليل؟!**

قال عبد الرحمن بن زيد بن جابر: إن الذي رمى رسول اللَّه ﷺ بأحد، فجرحه في وجهه، قال: خذها مني وأنا ابن قمئة، فقال: «أقمأك اللَّه».. قال: فانصرف إلى أهله، فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل، فدخل فيها فشدّ عليه تيسها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطّع.

وعند الطبراني من حديث أبي أمامة قال: رمى عبد اللَّه بن قمئة رسول اللَّه ﷺ يوم أحد، فشجّ وجهه وكُسِرَ رباعيته، فقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول اللَّه ﷺ، وهو يمسح الدم عن وجهه: «مالك، أقماك اللَّه» فسلط اللَّه عليه تيْس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطّعه قطعة قطعة.

فيا لذل قَزْم تطاول على النبي ﷺ، وشجّ وجهه فقطّعه تيس.. وتردى من فوق الجبل.. لا بارك اللَّه في القوم الملاعين.. ألا بُعدًا وسحقًا.

* **شيخ أهل الكفر الوليد بن المغيرة والوسم على الخرطوم:**

هذا الكافر أشد الناس عداوة لرسول اللَّه ﷺ قال اللَّه تعالى عنه: ﴿**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ * أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**﴾ [القلم: ٩: ١٦].

● قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦):

«قال قتادة: ﴿**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**﴾ شين لا يفارقه آخر ما عليه، وفي رواية عنه: سنسمه سيما على أنفه، وكذا قال السدي، وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**﴾ يُقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال».

فجعل له من الخزي والفضائح ما يصير به شهرة بين الخلائق في الدنيا والآخرة، يُوسم كما يُوسم العبد، وجعل أنفه خرطومًا كخرطوم الخنزير، وهذي قاصمة يستأهلها عدو الإسلام وعدو الرسول الكريم تدع صاحبها سخرية الساخرين أبد الدهر، وتثبت صورته الرزية في صلب الوجود، تتملاها الأجيال بعد الأجيال. ألا بُعدًا له من مطموس منكوس موكوس.

*** كسرى ملك الفرس مزّق اللَّه ملكه وقتله:**

لما أرسل إليه النبي ﷺ عبد اللَّه بن حذافة السهمي بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما قرأه مزّقه وشقه، وقال: يكتب إليّ بهذا وهو عبدي، فدعا عليه النبي ﷺ، وقال مزّق اللَّه ملكه. فسلّط اللَّه عليه ابنه شيرويه فقتله.

*** الأسود العنسي اللعين يخور عند الموت كما يخور الثور:**

ادعى هذا اللعين النبوة واستوثقت له اليمن بكمالها وجعل أمره يستطير استطارة الشرارة وكانت نهايته شر نهاية فقد أجمع جماعة من المسلمين على قتله، واتفقوا مع امرأته شهر باذام ـ وكانت من الصالحات ـ وكان الأسود قد قتل أباها فقالت: واللَّه إنه أبغض الناس إليّ ولكن الحرس يحيطون بقصره. فأشارت عليهم أن ينقبوا عليه البيت. فواعدوها على ذلك ونقبوا عليه، فدخل عليه فيروز الديلمي فقتله واحتزّ رأسه، فخار خوار الثور فابتدر الحرس الباب. فقالت زوجته: على مهلكم، هذا النبي يُوحى إليه. فلما طلع الفجر أسروا المؤذن فقال: أشهد أن محمدًا رسول اللَّه وأن عبهلة كذاب. وكتب أصحاب النبي ﷺ إليه بذلك، فورد الخبر من السماء إلى النبي ﷺ وأعلم أصحابه بقتل الأسود قبل أن يصل الكتاب، ووصل الكتاب بقتله في خلافة أبي بكر الصديق.

*** كذاب اليمامة مسيلمة الكذاب عقره اللَّه:**

لما قدم هذا اللعين المدينة وافدًا إلى رسول اللَّه ﷺ، وقد وقف عليه رسول اللَّه ﷺ فسمعه وهو يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته. فقال له: لو سألتني هذا العود ـ لعرجون في يده ـ ما أعطيتكه، ولئن أدبرت ليعقرنك اللَّه، وعقره اللَّه على يد وحشي بن حرب، رماه بالحربة فأنفذه كما تعقر الإبل، وضربه أبو دجانة على رأسه ففلقه، وذلك بعقر داره في حديقة الموت.

سلّط اللَّه عليه سيفًا من سيوفه، وحتفًا من حتوفه، فعجّ بطنه، وفلق رأسه، وعجّل اللَّه بروحه إلى النار، فبئس القرار.

قال اللَّه تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَآئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [الأنعام: ٩٣].

● قال ابن كثير: فمسيلمة والأسود وأمثالهما ـ لعنهما اللَّه ـ أحق الناس دخولاً في هذه الآية الكريمة، وأولاهم بهذه العقوبة العظيمة»[1] .

*** كعب بن الأشرف الذي آذى اللَّه ورسوله يصيح صيحة عظيمة عند الموت:**

هذا اللعين الذي شبّب بأمهات المؤمنين ـ رضوان اللَّه عليهن ـ ونساء المسلمين، والذي حرّض قريش على قتال رسول اللَّه ﷺ وندب من قتل

---

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦).

من المشركين ببدر، وبلغ به الكفر أن قال فيه رسول اللَّه ﷺ: «**مَن لكعب ابن الأشرف فإنه قد آذى اللَّه ورسوله؟**». فكان لهذه المهمة الصحابي الجليل محمد بن مَسْلمة وسلكان بن سلامة، وهو أبو نائلة، وعبّاد بن بشر، والحارث بن أوس وأبو عبس بن جبر.

أخذ أبو نائلة بفودي رأسه، ثم قال: اضربوا عدو اللَّه، فاختلفت أسيافهم فلم تغن شيئًا، قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولاً في سيفي فأخذته، وقد صاح عدو اللَّه صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار، قال فوضعته في ثُنية، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته. وقتل عدو اللَّه وخافت يهود بوقعة الصحابة بعدو اللَّه. فليس بالمدينة يهودي إلا وهو خائف على نفسه.

فغودر منهم كعب صريعًا ... فذلّت بعد مصرعه النضير
على الكفّين ثم وقدْ علته ... بأيدينا مشهرة ذكور[1]

* أُسَير بن زارم ملك خيبر يقتله عبد اللَّه بن أُنَيْس:

أُسَيْر بن زارم شيطان خيبر الذي أراد أن يصنع برسول اللَّه ما لم يصنعه شياطين وقادة اليهود من قبله؛ إذ ذهب إلى قبائل نجد من غطفان وغيرها، وتنقّل بين مضارب البدو وخيامهم يحرّض على حرب الرسول ﷺ وغزو المدينة وأرسل إليه رسول اللَّه ﷺ ثلاثين من أصحابه على رأسهم عبد اللَّه ابن رواحة، وقال له ابن رواحة: يا أُسير، إن رسول اللَّه ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه، فيستعملك على خيبر ويحسن إليك..

وركب أُسير خلف عبد اللَّه بن أنيس، وفي الطريق أهوى أُسير بيده إلى سيف عبد اللَّه بن أنيس ليقتله، إلا أن أُنيس كان أسرع منه، إذ فطن لذلك،

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٤/ ٦ ـ ٩).

فانتزع السيف من يده وقتله. ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

* يهود بني قريظة تُقَتَّل مقاتلتهم على ضوء مشاعل سعف النخيل:

يهود بني قريظة الذين نقضوا عهدهم وحلفهم مع رسول الله ﷺ وانضموا إلى الأحزاب وأرادوا قتال النبي ﷺ، وحاصرهم النبي ﷺ ونزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال سعد: «إني أحكم فيهم أن تُقتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية، وأن تقسّم أموالهم».

وأمر النبي ﷺ بحفر خنادق عميقة في سوق المدينة، وأمر بإحضار الرجال المحكوم عليهم وأمر بإعدامهم، فأعدموا دفعة بعد دفعة حتى لم يبق منهم أحد، وكان الصحابة كلما تم إعدام دفعة من هؤلاء اليهود قُذفوا في الخنادق، وواروهم بالتراب وكان عددهم ما بين ستمائة إلى سبعمائة، أو ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة. أعدم يهود بنو قريظة في ليلة واحدة على ضوء مشاعل سعف النخيل، وتولى عملية القتل علي بن أبي طالب والزبير بن العوّام، وكلما استدعى الصحابة جماعة منهم لإعدامهم، لاذوا بسيدهم كعب ابن أسد يسألونه في جزع وارتباك، ما تراه يصنع بنا؟ فيجيبهم: أفي كل موطن لا تعقلون؟! هو والله القتل.

* حُيي بن أخطب شيطان بني النضير يقتل وقد جُمعت يداه إلى عنقه بحبل:

حيي بن أخطب الذي كان السبب في غدر بني قريظة بالنبي ﷺ، ونجح في حملهم على نقض العهد مع النبي ﷺ، ودخل في حصن بني قريظة وناله ما نالهم.

وأُتي بحيي عدو الله مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لُمتُ نفسي في عداوتك، ولكن من

يخذل اللَّه يخذله اللَّه، وقال له النبي ﷺ حين رآه موثقًا: «**ألم يمكنني اللَّه منك؟**»، فقال: بلى، ولكن من يخذلك يُخذل.

وحينما تقدّم لضرب عنقه قال: يا أيها الناس إنه لا بأس بأمر اللَّه، كتاب وقدر، وملحمة كتبها اللَّه على بني إسرائيل، ثم جلس فضُربت عنقه.

* بهاء اللَّه مؤسس البهائية الكذّاب يموت مجنونًا:

هذا الدجّال الذي ادعى أن شريعته ناسخة لشريعة القرآن، وادعى النبوة والرسالة ثم الألوهية.

عذّبه اللَّه في حياته ويكتب إلى شاه إيران: «ما وجدت في أيامي مقرًا على قدر أضع رجلي عليه، كنت في كل الأحيان في غمرات البلايا التي ما اطلع عليها أحد، كم من أيام اضطربت فيها أحبتي لضري، وكم من ليالٍ ارتفع فيها نحيب البكاء من أهلي؛ خوفًا لنفسي، ولا يُنكر ذلك إلا مَن كان عن الصدق محرومًا»[1]. ويقول دجّال الدجاجلة البهاء المازندراني: «كم من ليال فيها استراحت الوحوش، والطيور في أوكارها، وكان الغلام - الغلام والرب!!! - في السلاسل والأغلال، ولم يجد لنفسه ناصرًا ولا معينًا»[2].

وجُن البهاء في آخر حياته ومات مجنونًا، ونُقل هذا عن أحد أبنائه[3].

* غلام أحمد القادياني دجال الهند الذي ادعى النبوة وفضيحته عند موته:

هذا الكذاب الأشر الذي تطاول على الأنبياء وتعتقد القاديانية أنه ابن اللَّه، بل هو عين اللَّه. ويعتقدون أن الذي أُنزل عليه أكثر مما أنزل على كثير

---

(١) «الرسالة السلطانية» للمازندراني ص(٤).

(٢) «الرسالة السلطانية» ص(٣).

(٣) انظر: «البهائية نقد وتحليل» للشيخ إحسان إلهي ظهير.

من الأنبياء، واسم الكتاب المنزل عليه: الكتاب المبين.

هذا الدجال الذي يقول: إن النبي ﷺ له ثلاثة آلاف معجزة، ولكن معجزاتي زادت على مليون معجزة[١].

ويكتب ابنه وزعيم القاديانية من بعده «بشير أحمد» عن لحظات موته فيقول:

«أخبرتني أمي أنَّ حضرته - أي الغلام - احتاج إلى بيت الخلاء بعد الطعام مباشرة، ثم نام قليلاً، وبعد ذلك احتاج مرة أخرى إلى بيت الخلاء، فذهب مرة أو مرتين إليها بدون أن يشعرني، ثم أيقظني، فرأيت أنه ضعف جدًّا، وما استطاع الذهاب إلى سريره، فلذا جلس على سريري أنا، فبدأت أمسحه وأمسجه، وبعد قليل أحسّ الحاجة مرة أخرى ولكن الآن ما استطاع الذهاب إلى بيت الخلاء فلذا قضاها عند السرير، واضطجع قليلاً بعد القضاء، ولكن الضعف بلغ إلى منتهاه، فجاءته الحاجة مرة أخرى، فقضاها، ثم جاءه القيء، وبعدما فرغ من القيء خرّ على ظهره، واصطدم رأسه بخشب السرير، وتغيّرت حالته.

وكتب رحيمه - أبو زوجه -: الليلة التي مرضها حضرته - أي الغلام - كنت نائمًا في غرفتي، ولما اشتد مرضه أيقظوني، فذهبت إلى حضرته، ورأيت ما يعانيه من الألم، فخاطبني قائلاً: أصبت بالكوليرا، ثم لم ينطق بعد هذا بكلمة صريحة، حتى مات اليوم الثاني بعد العاشرة من الصباح[٢]، والعجيب أن الغلام الدجال يرسل قبل موته إلى شيخ علماء الهند ثناء الأمر تسري الذي فضح أمره ودجله وكذبه وكفره بأن عمر الكذاب والمفسد لا يكون طويلاً، بل هو يموت خائبًا في حياة أشد أعدائه بالذلة والهوان،

---

(١) «تذكرة الشهادتين» ص(٤١) للغلام القادياني.

(٢) «حياة ناصر» لرحيم الغلام القادياني ص(١٤).

ويعلن: «إن لم تمت أنت في حياتي بـعقاب اللَّه، الذي لا يكون إلا من عند اللَّه محضًا، مثل أن تموت بمرض الطاعـون أو الكوليرا، فلن أكون مرسلاً من عند اللَّه تعالى»[1] .

يموت الدجال بالصورة البشعة التي كان يتمناها للشيخ الجليل ثناء اللَّه.. بنفس الصورة وبنفس المرض الذي نصّ عليه هو: الكوليرا.

وقد نشـرت الجرائد الهنديـة آنذاك: أن غلام أحمد المـتنبي القاديـاني لما ابتلي بالكوليرا كانت النجاسـة تخرج من فمه قبل الموت، ومات وكان جالسًا في بيت الخلاء لقضاء الحاجة[2] .

* النضيرة بنت الساطرون صاحب الحضر وجزاء عقوقها:

الساطرون هو الضيزن بن معاوية صاحب الحضر، وهو حصن على حافة الفرات ـ أغار عليه سـابور وحصره سنتين، فأشرفت النضـيرة بنت الساطرون فنظرت إلى سابور ـ وكان جميلاً ـ فدسّـت إليه أتتزوجني إن فتحت لك باب الحضر؟ فقال: نعم، فلما أمسى ساطـرون شرب حتى سكر، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه، وبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب، ويقال: بل دلّتهم على نهر يدخل منه الماء متسع ـ فولجوا منه إلى الحضر، فدخل سابور فقتل سـاطرون واستباح الحضـر وخرّبه، وسار بها معـه فتزوجها، فبـينا هي نائمـة على فراشها لـيلاً إذ جعلت تملـمل لا تنام، فدعا لـها بالشمع فـفتش فراشها فوجد عـليه ورقة آس. فقال لها سابور: أهـذا الذي أسهرك! قالت: نعـم. قال: فما كـان أبوك يصـنع بك؟ قـالت: كان يفـرش لي الديـباج، ويلبسني الحرير، ويطعمني المخ، ويـسقيني الخمر. قال: أفكان جزاء أبيك ما

---

(١) «إعلان الغلام القاديانـي المنشور بتاريخ ١٥ أبريل سنة ١٩٠٧، المندرج فـي تبليغ رسالت (١٠/ ١٢٠)، ومجموعة إعلانات الغلام المرتبة» من قاسم القادياني.

(٢) انظر: «القاديانية دراسات وتحليل» للشيخ إحسان إلهي ظهير.

صنعت به؟ أنت إليّ بذلك أسرع، فربطت قرون رأسها بذَنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها[١].

* الحجاج بن يوسف الثقفي يقول عند موته: «ما لي وسعيد بن جبير»:

- قال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثها، وجئنا بالحجّاج؛ لغلبناهم.
- قال الذهبي: «كان ظلومًا، جبارًا، ناصبيًّا، خبيثًا، سفّاكًا للدماء، قد سقت من سوء سيرته في «تاريخي الكبير»، وحصاره لابن الزبير في الكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله اللَّه، فنسبه ولا نحبه، بل نبغضه في اللَّه، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان»[٢].
- قال ابن كثير: «أعظم ما نُقم عليه وصحّ من أفعاله سفك الدماء، وكفى به عقوبة عند اللَّه».

قتل عبد اللَّه بن الزبير... قتل ابن حواري الرسول ﷺ وحفيد الصديق، وقتل سعيد بن جبير وما في الأرض رجل إلا وهو محتاج إلى علمه، فما أمهله اللَّه بعد قتله لسعيد وكان يهب من نومه فزعًا مرعوبًا ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير، ما لي ولسعيد بن جبير ولما مات الحجاج سجد الحسن البصري شكرًا للَّه. وقال: اللَّهم، أمتّه، فأذهب عنا سنّته، ولما أخبر إبراهيم النخعي بموته بكى من الفرح.

رأى الحسن البصري الحجاج في منامه، فقال له: أنت الحجاج؟ قال: أنا

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٢/ ١٦٨ - ١٧٠).

(٢) انظر: «السير» (٤/ ٣٤٣).

الحجاج. قال: ما فعل اللَّه بك؟ قال: قُتِلت بكل قتيل قتلته[١].

*** المختار الكذّاب.. المختار بن أبي عُبيد الثقفي:**

سلّطه اللَّه على قتلة الحسين، وهو الكذّاب الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**إنه سيكون في ثقيف كذّاب ومبير**»، فهذا هو الكذّاب، ولفظ مسلم: «**إن في ثقيف كذابًا ومبيرًا**».

وقد كان في بداية أمره ناصبيّا يبغض عليًّا بغضًا شديدًا، ثم ادّعى التشيع، وتتبّع قتلة الحسين ومن شهد الوقعة بكربلاء، وطابت نفسه بالمُلك ولم يكن المختار في نفسه صادقًا، بل كان كاذبًا يزعم أن الوحي يأتيه على جبريل.

وقد قيل لابن عمر: إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه، فقال: صدق، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ**﴾ [الأنعام: ١٢١].

وفي واقعة المذار بالكوفة قاتل المختار مصعب بن الزبير، ودخل المختار وجنوده دار إمارته وهو ملوم مذموم وحاصرهم مصعب حتى أصابهم من جهد العطش ما اللَّه به عليم، وضيّق عليهم المسالك والمقاصد، وانسدت عليهم أبواب الحيل، وليس فيهم رجل رشيد ولا حليم.

ورأى المختار أن يموت على فرسه، حتى يكون عليها انقضاء آخر نفسه، ولما خرج من القصر تقدّم إليه رجلان شقيقان أخوان وهو طرفة وطراف ابنا عبد اللَّه بن دجاجة من بني حنيفة، فقتلاه واحتزا رأسه، وأتيا به إلى مصعب ابن الزبير وأراح اللَّه المسلمين من هذا الضال المضل، بعدما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين.. وذهب المختار إلى مزبلة التاريخ، بعد أن نُعت بالكذّاب

---

(١) انظر: ترجمة الحجاج في «البداية والنهاية» (٩/ ١٢٣ - ١٤٦).

على لسان رسول اللَّه ﷺ، وكل صاحب فرية ذليل في الدارين.

* أبو مسلم الخراساني الفاتك السفاك صُرِع لليدين والفم:

أبو مسلم هذا الذي قتل من عباد اللَّه ما قتل، ذكر ابن جرير أن أبا مسلم قتل في حروبه، وما كان يتعاطاه لأجل دولة بني العباس ستمائة ألف صبرًا وزيادة عن مَن قتل بغير ذلك.

وسئل عبد اللَّه بن المبارك عن أبي مسلم أهو خير أم الحجاج؟ فقال: لا أقول إن أبا مسلم كان خيرًا من أحد، ولكن كان الحجاج شرًّا منه.

كتب إليه المنصور: احذر البغي أبا مسلم، فإنه من بغى واعتدى تخلّى اللَّه عنه، ونصر عليه من يصرعه لليدين والفم، واحذر أن تكون سنة في الذين خلوا من قبلك، ومُثلة لمن يأتي بعدك.

قُتل أمام المنصور وبأمر من المنصور: لما صفّق المنصور بيديه وكانت الإشارة بينه وبين المرصدين لقتله، تبادروا إليه ليقتلوه، فضربه أحدهم، فقطع حمائل سيفه، فقال: يا أمير المؤمنين، استبقني لأعدائك. فقال: وأي عدو لي أعدى منك؟! ثم زجرهم المنصور، فقطّعوه قطعًا، ثم ألقي في دجلة[1].

* يوسف بن عمر الجبار العنيد ضُرِبت عنقه وللَّه الحمد:

● قال الإمام الذهبي: «قال صالح بن طريف: لما قدم يوسف بن عمر العراق، بكيت، وقلت: هذا الذي ضرب وهب بن منبه حتى قتله.

قال الذهبي: يعني لما ولي إمرة اليمن، ثم نقله الخليفة هشام إلى إمرة العراق، وكان جبّارًا عنيدًا مهيبًا، ثم إنه عُزل عن العراق، عند مقتل الوليد الفاسق، ثم ضُربت عنقه وللَّه الحمد[2].

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٧٠ ـ ٧٣)، و«السير» (٦/ ٧٢).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٥٦).

*** قتلة الحسين بن علي ﷺ قُتلوا شر قتلة:**

● قال ابن كثير: أمّا ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت مَنْ قتله فأكثرها صحيح، فإنه قلّ مَن نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا، فلم يخرج منها حتى أُصيب بمرض، وأكثرهم أصابه الجنون[1].

فهذا **شمر بن ذي الجوشن ـ قبّحه اللَّه ـ**: هذا الأبرص الذي أغرى الناس بقتل الحسين، يقتله أبو عمرة أمير حرس المختار ومن معه من الجنود.

● وكانوا يأتون بهم حتى يوقفوا بين يدي المختار فيأمر بقتلهم على أنواع من القتلات تناسب ما فعلوا.

● مالك بن بشر نازع برنس الحسين:

قال المختار: اقطعوا يديه ورجليه، ففعلوا به ذلك ثم تركوه يضطرب حتى مات.

● خولي بن يزيد الأصبحي الذي احتز رأس الحسين:

دلت زوجته على مكان اختفائه، فحمله جند المختار إليه فأمر بقتله قريبًا من داره وأن يحرق بعد ذلك.

● وعمر بن سعد بن أبي وقاص:

أرسل إليه المختار أبا عمرة فأراد الفرار منه، فعثر في جبّته فضربه أبو عمرة بالسيف حتى قتله.

● عبيد اللَّه بن زياد رأس الفسق ابن مرجانة الآمر بقتل الحسين:

عُبيد اللَّه بن زياد رأس الفسق، الذي كتب كتابًا لعمر بن سعد في قتل الحسين، فقد قُتل في يوم عاشوراء سنة سبع وستين،

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٢٠٣).

وهو اليوم الذي قُتل فيه الحسين.

ظفر به ابن الأشتر، فقتله شر قتلة على شاطئ نهر الخاز، قريبًا من الموصل بخمس مراحل بعد هزيمة جيشه أمام جيش ابن الأشتر، ثم بعث ابن الأشتر برأسه إلى المختار.

● ولما جيء برأس ابن مرجانة وأصحابه، طُرِحت بين يدي المختار فجاءت حية رقيقة، ثم تخلّلت الرؤوس حتى دخلت في فم ابن مرجانة وخرجت من منخره، ودخلت في منخره وخرجت من فمه، وجعلت تدخل وتخرج مِن رأسه مِن بين الرءوس.

وروى الترمذي عن عمارة بن عُمَير قال: لما جيء برأس عُبيد اللَّه وأصحابه فنُصِبت في المسجد في الرحبة، فانتهيت إليها وهم يقولون: قد جاءت قد جاءت، فإذا حية قد جاءت تخلّل الرءوس حتى دخلت في منخري عبيد اللَّه بن زياد، فمكثت هنيهة، ثم خرجت فذهبت حتى تغيّبت، ثم قالوا: قد جاءت قد جاءت، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثًا[1].

مثلما فعل بالقضيب في فم ومنخري الحسين.

وعن أبي الطفيل قال: عزلنا سبعة أرؤس، وغطينا منها رأس عبيد اللَّه ابن زياد، فجئت فكشفتها فإذا حيّة في رأس عبيد اللَّه تأكل[2].

* الخبيث صاحب الزنج:

المدعي أنه طالبي وهوكاذب ـ دخل جيشه البصرة سنة ٢٥٧هـ، فقتل من

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٢٨٩)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥٤٩)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حسن صحيح.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩).

أهلها خلقًا، وأحرق الزنج جامع البصرة ودورًا كثيرة وانتهبوها، وكانوا يحملون على أهل البصرة بالسيوف فلا يسمع إلا تشهدهم، وضجيجهم وهم يقتلون.

قال هذا الخبيث: رُفعت لي البصرة بين السماء والأرض، ورأيت أهلها يُقتلون، ورأيت الملائكة تقاتل مع أصحابي، وإني لمنصور على الناس، والملائكة تقاتل معي، وتثبت جيوشي، ويؤيدوني في حروبي.

وقاتله الموفق وحاصر مدينته المختارة، وجرت بينهم حروب عظيمة.

وانجلت الحروب بقتل صاحب الزنج، وأتي برأسه مع غلام لؤلؤة الطولوني فسجد الموفق وقواده وغلمانه ومواليه شكرًا للَّه، وارتفعت أصوات المسلمين بالحمد للَّه وفرحوا بذلك في المغارب والمشارق وأمر الموفّق برفع رأس الخبيث على قناة، ونصبه بين يديه، فتأمله الناس وكان يومًا مشهودًا[١].

* بابك الخرّمي الثنوي الشقي الغاشم الإباحي:

هذا الشقي الثنوي الذي كان على دين ماني ومزدك، وكان يقول بتناسخ الأرواح، ويستحل البنت وأمها.

● قال ابن جرير الطبري: كان جميع من قتل بابك في عشرين سنة مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفًا وخمسمائة إنسان، واستنقذ ممن كان في يده من المسلمات وأولادهم سبعة آلاف وستمائة إنسان[٢].

● قال الذهبي: قيل إنه أباد من الأمة خلائق، وبخط الإمام ابن الصلاح أن قتلى بابك بلغوا ألف ألف وخمسمائة ألف، وأُحصي قتلى أبي مسلم الخراساني فبلغوا ألفي ألف.

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٥/ ٢٧٥ ـ ٢٨٨)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٤٥ ـ ٤٨).

(٢) «تاريخ الطبري» (٩/ ٢٢٠ ـ ٢٣٥).

جهّز المعتصم الجيوش الكثيرة لحربه وأنفقوا على حربه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة حتى سقط في أيدي المسلمين.

وأُدخل بابك على المعتصم، فأحضر جزّارًا يقطع يديه ورجليه، ثم أمر أن يحضر سيّافه، فخرج الحاجب من باب العامة، وهو ينادي: نود نود ـ وهو اسم سيّاف بابك ـ فارتفعت الصيحة بنود نود حتى حضر، فدخل دار العامة، فأمره أمير المؤمنين أن يقطع يديه ورجليه، فقطعهما فسقط، وأمر أمير المؤمنين بذبحه، وشق بطنه، ووجّه برأسه إلى خراسان، وصلب بدنه بسامرًا بموضع خشبة مشهور[1].

* الإباحي الظالم الجبار مازيّار:

زعيم الفرقة الإباحية الأخرى من الخرمدينية، خرج على دولة الخلافة وكانت بينهم وبين المعتصم حروب كثيرة، انتهت بأسر مازيار وحمله إلى سامرا، فضرب المازيار بالسوط حتى مات بعد أن شهر، وصلب إلى جانب بابك، وفيه يقول أبو تمام:

ولقد شفى الأحشاء من برحائها ... أن صار بابك جار مازيّار

ثانيه في كبد السماء، ولم يكن ... لاثنين ثانٍ إذ هما في الغار[2]

* أعين بن ضبيعة المجاشعي هتك اللَّه ستره:

ذكر الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» أن أعين بن ضبيعة المجاشعي اطلع في الهودج على السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت: إليك لعنك اللَّه، فقال: واللَّه ما أرى إلا حميراء، فقالت: هتك اللَّه سترك وقطع يدك وأبدى عورتك. فقُتِل بالبصرة وسُلِب وقُطِعت يده

(١) «السير» (١٠/ ٢٩٧).

(٢) «الفرق بين الفرق» (٢٦٦ ـ ٢٦٩).

ورمي عريانًا في خربة من خرابات الأزد.

* حُصين بن تميم يقتله الظمأ مثلما منع الحسين بن علي من الفرات:

«لما اشتد العطش بالحسين ﷺ حاول أن يشرب من ماء الفرات فما قدر بل منعوه فخلص إلى شربة منه فرماه رجل يُقال له: حصين بن تميم بسهم في حنكه فأثبته فانتزعه الحسين من حنكه ففار الدم فتلقاه بيده ثم رفعها إلى السماء وهما مملؤتان دمًا، ثم رمى به إلى السماء وقال: اللَّهم أحصهم عددًا واقتلهم بددًا ولا تبقي منهم أحدًا ودعا عليهم دعاءً بليغًا.

قال ابن كثير: إن مكث الرجل الرامي له إلا يسيرًا حتى صَبّ عليه اللَّه الظمأ فجعل لا يروى ويسقى الماء مبردًا وتارة يبرد له اللبن والماء جميعًا ويُسقى فلا يروى بل يقول: ويلكم اسقوني قتلني الظمأ قال: فواللَّه ما لبث إلا يسيرًا حتى انقدّ[1] بطنه انقداد البعير»[2] .

* المتنبئون وميتاتهم السيئة:

● الحارث بن سعيد: ادعى النبوة فجيء به إلى عبد الملك بن مروان فأمر بخشبة فنُصِبت فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلاً فطعنه فلما صار إلى ضلع من أضلاعه انكفأت الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون: الأنبياء لا يجوز فيهم السلاح، فلما رأى رجل من المسلمين ذلك تناول الحربة ثم مشى إليه وأقبل يتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنفذها فقتله.

كان عبد الملك قد حبسه قبل صلبه، وأمر رجالاً من أهل العلم أن يعظوه ويعلموه أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل منهم فصلبه بعد ذلك عام ٧٩هـ[3] .

---

(١) انقدّ: أي: انشرخ. (٢) «البداية والنهاية» (٨/ ١٨٩).

(٣) انظر: «المتنبئون نشأتهم وأصولهم» (٣٧ ـ ٣٩).

• بيان بن سمعان النهدي صاحب الفرقة البيانية:

كان هذا المارق من غلاة الشيعة، يزعم أن الإله حلّ في عليّ بن أبي طالب ثم انتقل إليه بالتناسخ، وكان يدعي معرفته الاسم الأعظم وأنه يهزم به العساكر، وأنه يدعو به الزهرة فتجيبه، ثم زعم أنه المذكور في قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وادعى النبوة ولما رُفع خبره إلى خالد بن عبد اللَّه القسري والي العراق احتال على بيان حتى ظفر به، فصلبه، وقال له: إن كنت تهزم الجيوش بالاسم الأعظم الذي تعرفه فاهزم به أعواني. وقيل بل أحرقه مع المغيرة بن سعيد[١] .

• أبو منصور العجلي وصلبه جزاء كفره:

ادعى هذا الزنديق أن الرسالة لا تنقطع أبدًا، وقال: أنا نبي ورسول، والنبوة في ستة من ولدي يكونون بعدي أنبياء آخرهم القائم. وزعم أن جبريل يأتيه بالوحي، وأن اللَّه اتخذه خليلاً.

أخذه يوسف بن عمر الثقفي والي العراق وصلبه وذلك في خلافة هشام ابن عبد الملك[٢] .

• أبو الخطاب الأسدي ونهايته في كناسة الكوفة:

ادعى النبوة وأنكر الجنة والنار واستباح هو وأتباعه المحرمات وترك الفرائض، واطلّع على دعوته الخبيثة عامل الكوفة في زمن المنصور عيسى بن موسى فقتله بسبخة الكوفة، وقيل صلب في كناسة الكوفة[٣] .

---

(١) «المتنبئون نشأتهم وأصولهم» ص(٤٠ ـ ٤١).

(٢) «المتنبئون نشأتهم وأصولهم» ص(٤٦ ـ ٤٧).

(٣) المصدر السابق، وانظر: «أدعياء النبوة الكاذبة».

• هذيل بن واسع القزم الأبتر الذي عارض سورة الكوثر:

هذا الكذاب عارض سورة الكوثر فقال له رجل: ما قلتَ؟ فقال: «إنا أعطيناك الجواهر. فصل لربك وجاهر. فما يردك إلا كل فاجر». فظهر عليه السنوي فقتله وصلبه على العمود، فعبر عليه الرجل فقال: «إنا أعطيناك العمود، فصل لربك من قعود، بلا ركوع ولا سجود، فما أراك تعود»[1] .

• نوح الرشيدي:

تنبأ هذا الرجل في أيام الرشيد، وزعم أنه نوح، فقيل له: أنت نوح الذي كان أم نوح آخر؟ فقال: أنا نوح الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وقد بُعثت لأوفي الخمسين عامًا تمام الألف سنة، فأمر الرشيد بضربه وصلبه، فمرّ به بعض المخنثين، وهو مصلوب فقال: صلى اللَّه عليك يا أبانا ما حصل في يدك من سفينتك إلا دقلها[2] [3] .

• المغيرة بن سعيد العجلي دجّال الدجاجلة وقتله وحرقه بالنار:

هذا الدجّال الكذاب الذي كان يزعم أنه رسول نبي، وأن جبريل يأتيه بالوحي من عند اللَّه وأنه لو أراد أن يُحيي عادًا أو ثمود وقرونًا بين ذلك كثيرًا لأحياهم.

قبض عليه خالد بن عبد اللَّه القسري وأوقد له نارًا أمره أن يعتنقها فأبى، فقتله خالد، وقيل بل أُحرق بالنار عام ١١٩هـ، وذهب إلى مزبلة التاريخ[4] .

---

(١) «أدعياء النبوة الكاذبة» ص(٣٩).

(٢) الدقل: هو الذي يكون في وسط السفينة كجذع طويل.

(٣) «المحاسن والمساوئ» لإبراهيم البيهقي ص(٣٣).

(٤) «المتنبئون وأصولهم» ص(٤٢ ـ ٤٣).

*** الجعد بن درهم ضحّى به خالد بن عبد اللَّه القسري:**

الجعد بن درهم الزنديق الذي كان أول من تفوّه بكلمة خبيثة في الاعتقاد، وزعم أن اللَّه لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً. وهو أول من قال بخلق القرآن وأنكر الاستواء.

قال ابن القيم في «النونية»:

ولأجل ذا ضحّى بجعدٍ خالد الـ ... ـقسري يوم ذبائح القربانِ
إذ قال إبراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة ... للَّه درك من أخي قربان

ذُبح في يوم الأضحى سنة ١٢٤هـ، ضحّى به خالد القسري أمير العراق بواسط حيث قال:

أيها الناس، اذهبوا إلى أضاحيكم، يتقبّل اللَّه منكم، فإني مضح بالجعد ابن درهم، إنه زعم أن اللَّه لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلّم موسى تكليمًا، ثم نزل فذبحه، وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من التابعين، فشكر له صنيعه أهل السنة والجماعة(١) .

*** أبو محرز الراسبي جهم بن صفوان أس الضلالة ورأس الجهمية:**

تبنّى آراء الجعد بن درهم وزاد عليها بدعًا أخرى من القول بفناء الجنة والنار، والقول بأن الإيمان هو المعرفة فقط. قتل هذا الخبيث مع الحارث بن سريج ضد بني أمية.

قال ابن كثير: وطعنه رجل في فيه فقتله.

ويقال أُسر الجهم، فأُوقف بين يدي سلم بن أحوز، فأمر بقتله، فقال:

(١) ينكر هذه القصة بعض أهل العلم، ويثبتها الإمام ابن القيم في نونيته وغيرها.

ملأت هذه الملاءة كواكب، وأنزلت عيسى ابن مريم ما نجوت، والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك. وأمر ابن ميسر فقتله[١].

وفي رواية ابن جرير: وأبرأك إليّ عيسى ابن مريم ما نجوت[٢].

قال الذهبي: إن سلم بن أحوز قتل الجهم لإنكاره أن الله كلم موسى[٣].

* غيلان الدمشقي القدري أصابته دعوة عمر بن العزيز المبارك:

هو ثاني من تكلم في القدر بعد معبد الجهني، ولقد ناظره الأوزاعي وأفتى بقتله فصلب بعد عام.

دعا عليه عمر بن عبد العزيز وقال: «اللَّهم إن كان كاذبًا فأذقه حرّ السلاح».

وفي رواية: «اللَّهم إن كان عبدك صادقًا فوفّقه وسدّده، وإن كان كاذبًا أعطاني بلسانه ما ليس في قلبه، بعد أن أنصفته، وجعلت له الأمان، فسلّط عليه من يُمثِّل به»، وفي رواية: «اللَّهم، إن كان صادقًا فتب عليه، وإن كان كاذبًا فاجعله آية للمؤمنين».

فصار من أمره أن قُطع لسانه وصُلِب[٤].

أمر هشام بصلبه وقال: «اذهبا فاقطعا يديه ورجليه، واضربا عنقه واصلباه»[٥].

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٨).

(٢) «تاريخ الطبري» (٤/ ٢٩٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٧).

(٤) «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (٣/ ٧١٦ ـ ٧١٧).

(٥) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤١٤ ـ ٤١٥).

وكتب رجاء بن حيوة لهشام بن عبد الملك: بلغني أنه دخلك من قِبل غيلان وصالح، فأقرّ باللّه، لقتلهما أفضل من قتل ألفين من الترك والديلم.

*** أحمد بن أبي دؤاد الإيادي قاضي المعتزلة بسببه سجن إمام أهل السنة فانظر إلى نهايته:**

بسبب هذا المبتدع أُهين علماء الأمة وعُذِّبوا وسجنوا وقتلوا، وهو الذي جرّ البلاد إلى محنة خلق القرآن، وبسببه قُتل أحمد بن نصر الخزاعي، وسُجن الإمام أحمد وعُذِّب بالسياط ودعا عليه الإمام أحمد بن حنبل، فحبسه اللّه في جسده كما حبس الإمام.

دخل عليه وعاده عبد العزيز الكناني، وقال له: لم آتك عائدًا ، بل لأحمد اللّه أن سجنك في جلدك.

قال ابن كثير: ابتلاه اللّه بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى بقي طريحًا في فراشه، لا يستطيع أن يحرّك شيئًا من جسده، وحرم لذة الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك[١] .

وفي عام ٢٣٨هـ صودرت منه أموال جزيلة جدًّا فازداد مرضًا إلى مرضه، وأمر الخليفة بالاحتياط على ضياع ابن أبي دؤاد. ونفي أهله من سامرا إلى بغداد مهانين.

ولما مات ما شيّعه إلا قليل من أعوان السلطان ولم يحتفل أحد بموته وهو قاضي القضاة[٢] .

* * *

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٣٦، ٣٢٩، ٣٣٥).

(٢) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٠ ـ ١٧١)، و«البداية والنهاية» (١٠/ ٣٣٦، ٣٥٦).

*** محمد بن عبد الملك الزيات وشياطين الإنس معه الذين عذّبوا العلماء وسجنوهم وانظر إلى مصارعهم:**

كان وزيراً للخليفة العباسي، وكان من العصبة التي كان لها اليد الطولى في سجن علماء الأمة وتعذيبهم، وعلى رأسهم الإمام أحمد.

روى الطبري في «تاريخه» عنه: أنه أمر بتنور من خشب فيه مسامير من حديد قيام، فذكر عن ابن أبي دؤاد وأبي الوزير أنهما قالا: هو أول من أمر بعمل ذلك، فعذّب به ابن أسباط المصري حتى استخرج جميع ما عنده، ثم ابتلي به فعُذِّب به أياماً[١] .

وقال الذهبي في ترجمته:

«كان يقول بخلق القرآن، ويقول: ما رحمت أحداً قط، الرحمة خور في الطبع، فسُجن في قفص حَرِج، جهاته مسامير كالمَسالِّ، فكان يصيح: ارحموني، فيقولون: الرحمة خور في الطبيعة»[٢] .

*** إسحاق بن إبراهيم، نجاح، إيتاخ، الواثق وقصتهم العجيبة:**

جلس الواثق الخليفة العباسي للخاصة، وعن يمينه ابن أبي دؤاد، ومحمد ابن عبد الملك الزيّات، وعن يساره إسحاق بن إبراهيم، ونجاح، فقال الواثق: والله لقد فكرّت فيما دعوت الناس إليه، من أن القرآن مخلوق، وسرعة إجابة من أجابنا، وشدة خلاف من خالفنا، حتى حملنا من خالفنا على السوط والسيف والضرب الشديد والحبس الطويل، ولا يردعه ذلك ولا يرده إلى قولنا، فوجدت مَن أجابنا رغب فيما في أيدينا، وأسرع إلى إجابتنا رغبة فيما عندنا، ووجدت من خالفنا منعه دين وورع عن إجابتنا وصبر على ما

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٢٩٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٣).

يناله من القتل والضرب والحبس، فواللَّه لقد دخل قلبي من ذكر أمر شككت فيما نحن فيه، وفي محنة مَن نمتحنه، وعذاب مَن نعذبه في ذلك، حتى هممت بترك ذلك الكلام والخوض فيه، ولقد هممت أن آمر بالنداء في ذلك وأكفّ الناس بعضهم عن بعض، فبدأ ابن أبي دؤاد فقال: اللَّه اللَّه يا أمير المؤمنين! أن تميت سنة قد أحييتها، وأن تبطل دينًا قد أقمته، ولقد جهد الأسلاف فما بلغوا فيه ما بلغت، فجزاك اللَّه عن الإسلام والدين خير ما جزى وليًّا من أوليائه.

ثم أطرقوا رؤوسهم ساعة يفكرون في ذلك.. ثم قال الواثق:

إني أريد أن تباهلوني على ذلك، فقال ابن أبي دؤاد: ضربه اللَّه بالفالج في دار الدنيا قبل الآخرة، إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقًّا من أن القرآن مخلوق.

وقال محمد بن عبد الملك الزيات: وهو، فسمّر اللَّه يديه بمسامير من حديد في الدنيا قبل الآخرة، إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقًّا من أن القرآن مخلوق.

فقال إسحاق بن إبراهيم: وهو، فأنتن اللَّه ريحه في دار الدنيا حتى يهرب منه حميم وقريب، إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقًّا من أن القرآن مخلوق.

● وقال نجاح: وهو، فقتله اللَّه في أضيق محبس إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقًّا مِنْ أن القرآن مخلوق.

● ودخل عليهم إيتاخ وهم في ذلك فأخذوه على البديهة، وسألوه عن ذلك، فقال: وهو، فغرقه اللَّه في البحر إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقًّا من أن القرآن مخلوق.

وقال الواثق: وهو، فأحرق اللَّه بدنه بالنار في دار الدنيا قبل الآخرة، إن

لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقًّا من أن القرآن مخلوق.

فلم يدع أحد منهم يومئذٍ بدعوة على نفسه إلا استجيبت.

● أما ابن أبي دؤاد: فقد رأيت ما نزل به، وما ضربه اللَّه به من الفالج.

● وأما ابن الزيّات: فأقعده المتوكل في تنور من حديد، وسمّر يديه بمسامير من حديد.

● وأما إسحاق بن إبراهيم: فإنه مرض مرضه الذي مات فيه، فأقبل يعرق عرقًا منتنًا حتى هرب منه الحميم والقريب، وكان يُلقى عليه كل يوم عشرون غلالة فتُؤخذ منه، وهي مثل الجيفة فيرمى بها في دجلة لا ينتفع بها، تتقطّع من شدة النتن والعرق.

● وأما نجاح، فبنى له المتوكل بيتًا، ذراعًا في ذراعين حتى مات فيه.

● وأما إيتاخ: فكتب المتوكل إلى إسحاق بن إبراهيم وقد رجع من الحج، كبّله بالحديد وأغرقه.

● وأما الواثق فسقي بطنه، فجُمع له الأطباء، فأجمع رأيهم على أنه لا دواء له إلا أن يُستجر تنور بحطب الزيتون، ويشحن حتى يمتلئ جمرًا، فإذا امتلأ كسح ما في جوفه فألقي على ظهره، وحشي جوفه بالرطبة، ويقعد فيه ثلاث ساعات من النهار، فإذا استسقى ماء لم يُسق، فإذا مضت ثلاث ساعات كوامل أُخرج منها وأُجلس جلسة منتصبة على نحو ما أمروا به، فإذا أصابه الروح وجد لذلك وجعًا شديدًا وطلب أن يردّ إلى التنور، فترك على حالته تلك، ولا يُرد إلى التنور حتى تمضي ساعتان من النهار، فإنه إذا مضى ساعتان من النهار جرى ذلك الماء وخرج من مخارج البول، وإن سقي ماء أو رُدّ إلى التنور كان تلفه فيه.

فأمر بالتنور فأخذ له، وعري وأجلس فيه، وأقبل يصيح ويستغيث

ويقول: أحـرقتموني اسـقوني ماء، وقد وُكِّل بـه من يمنعه المـاء ولا يدعه أن يقوم من موضـعه الذي أُقعد فيه ولا يتحـرّك، فتنفّط بدنه كلـه، فصارت فيه نفاخات مثـل أكبر البطيخ وأعظمـه، فترُك على حالته حتـى مضت له ثلاث ساعات من النهار، ثم أخرج وقد كاد يحترق، أو يقول القائل في رأي العين قد احترق، فأجلسه المتطببون، فـلما وجد روح الهواء اشتد به الوجع والألم وأقبل يصيح ويـخور خوار الثور ويقول: ردوني إلى التـنور، فإني إن لم أردّ متّ، فاجتمع نساؤه وخواصه لما رأوا به من شدة الألم والوجع وكثرة الصياح فرجواْ أن يكون له فرجة في أن يُردَّ إلى التنـور، فردّوه إلى التنور ثانية، فلما وجد مسّ النار سكن صـياحه، وتفطّرت النفاخات التي كـانت خرجت ببدنه وخمدت، وبرد في جوف التنور فأخرج من التنور، وقد احترق، وصار أسود كالفحم، فلم تمض ساعات حتى قضي»[1] .

*** ابن العلقمي الرافضي الخبيث زالت بـخيانته الخلافة العباسية فذاق الخزي والذل قبل موته:**

هذا المارق الـذي كاتب التـتار وأطمعـهم في أخذ الـبلاد، وحكى لـهم حقيقة الحال، وقوّى عزم هولاكو على قصد العراق ليتمكن من أغراضه ونشر الرفض، وإقامـة خلافة للرافضـة. وهو الذي أشار على الخـليفة المستـعصم بالخروج إلى هولاكو والمثول بين يديه للمصـالحة. وقُتل من أثر خيانته الخليفة وسقـطت دولـة الخلافة وقـتل مـن المسلـمين ثـمانمائـة ألف، أو ألـف ألف وثمانمائة، وظل السيف يعمل في أهل بغداد أربعين يومًا.

ولم يمهل اللَّه ابن العلقمي الوزير الخبيث وردّ اللَّه كيده في نحره، وأذلّه بعد العزة القعساء، وجعله حوشكاشًا للتتار بعد ما كان وزيرًا للخلفاء، وأخذ

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي.

اللَّه الوزير أخذ عزيز مقتدر، فمات جهدًا وغمًّا وحزنًا وندمًا إلى حيث ألقت رحلها أم قعشم.

● قال ابن كثير:

حصل له من الإهانة والذل على أيـدي التتار، الذين مالأهم، وزال عنه ستر اللَّـه، وذاق الخزي في الحياة الدنـيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبـقى، وقد رأته امرأة وهو في الذل والهوان وهو راكب فـي أيام التتار برذونًا وهو مرسم عليه، وسائق يسوق به ويضرب فرسه، فوقفت إلى جانبه، وقالت له: يا ابن العلقمي هكذا كان بـنو العباس يعاملونك؟ فوقعت كلمتـها في قلبه، وانقطع إلى داره إلى أن مات كمدًا وغبينة وضيـقًا، وقلة وذلّة، وسمع بأذنيه، ورأى بعينيه من الإهانة من التتار والمسلمين ما لا يحدّ ولا يُوصف»[1].

وقال الذهبي: «حضـر للأمة قليبًا فأوقع فيه قريـبًا، وذاق الهوان، وبقي يركب كديشا وحده، بعد أن كانت ركبته تضاهي موكب سلطان، فمات غبنًا وغـمًّـا بعد الـكائنة بثـلاثة أشهر وهـلك، وفي الآخرة أشد خـزيًا وأشد تنكيلاً»[2].

* ابن هانئ الشاعر الزنديق مات مقتولاً:

ابن هانئ المارق الفاجر، شاعر المعزّ العبيدي الفاطمي قال عن المعز:

ما شئت لا ما شاءت الأقـدار ... فاحكم فأنت الواحـد القهّارُ

وقال:

أرى مدحه كالمدح للَّـه إنه ... قنـوت وتسبيح يحطّ من الوزر

---

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢١٣ ـ ٢٢٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٣٦١ ـ ٣٦٢).

وقال له أيضًا:

ندعوه منتقمًا عزيزًا قادرًا غفّار موبقة الذنوب[١]

● قال ابن كثير: استصحبه المعز الفاطمي من بلاد القيروان حين توجه إلى مصر، فمات ببعض الطريق، وُجد مقتولاً على حافة البحر في رجب سنة ٣٦٢هـ[٢].

ومما قيل فيه أيضًا أنه: «خرج من القصر، فأصيب بمرض، فكان يعوي كالكلب على فراشه ويقول: أنت الواحد القهّار، وأخذ يبكي ويقول:

أبعين مفتقر إليك نظرت لي فأهنتني وقذفتني من حالق

لست الملوم أنا الملوم لأنني علّقت آمالي بغير الخالق[٣]

* الرجل الصنم مصطفى كمال أتاتورك يموت شر ميتة ويذهب إلى مزبلة التاريخ:

مصطفى كمال أتاتورك عدو اللَّه ورسوله، من ألغى الخلافة وأسقطها، الصربي ابن السفّاح وولد الزنا.. من نصب المشانق لإجبار المسلمين على ارتداء شعار الكفر القبعة، من فرض العلمانية على تركيا، مَن حَوّل مسجد أيا صوفيا إلى متحف، من جعل الراقصات الداعرات يقرأن أذان الفجر، من هدم منارة مسجد لسماعه الأذان، مَن كان سكيرًا لا يكاد يفيق من الخمر والعَرَق، الماجن الشاذ العقيم، الذي يعتدي على شقيقة زوجته، وأنقذت منه بكل صعوبة، من فجر ببنات الأمة البريئات من دار المعلمات، من كان يأتي بالراقصات يرقصن له وهنّ عاريات فانتقم اللَّه منه وأخذه أخذ عزيز مقتدر:

---

(١) «عصر الدول والإمارات» لشوقي ضيف ص(٢٤٤، ٢٤٦).

(٢) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٩٢).

(٣) «احفظ اللَّه يحفظك» لعائض القرني ص(٤٩).

وفي مرض موته، في قصره ابتلاه اللَّه بحشرة صغيرة حمراء لا ترى بالعين، حتى اضطرته إلى الحك، والحك الشديد أمام زوّاره، حتى ظهرت على وجهه، وأمر بتعقيم البيت بأقوى الأدوية وأكثرها فاعلية ويكتب مستشار وزارة الصحة ما يلي: نعم صحيح أنه وُجد نمل في بعض أرجاء القصر، حتى أن المختصين أثبتوا أنه نوع من النمل المهاجر من الصين إلى أوروبا، ولم يكن يخطر ببال أحد احتمال أن هناك وراء الحكة سببًا آخر؛ لذلك فقد رُوجعت هيئة الأركان العامة، حيث أحيل الأمر إلى متخصصين من القوة البحرية، ويحضر طاقم من مدمرة ياووز؛ لتصيد النمل الذي في القصر، مدمرة ياووز الموجودة في ميناء أزميت يا للجنون!! فلم لم يطلبوه من حامية أنقرة، جنود ومدمرة لسحق النمل!! ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ** ﴾ [المدثر: ٣١] . وانظر إلى أخذ العزيز لهذا القزم المارق فإنه بالرغم من كونه محاطًا بالأطباء والأخصائيين وأساتذة الطب، لم يكتشفوا أنه كان مريضًا بالكبد، وذاق مرّ العذاب من سنة ١٩٣٦ حتى اكتشفوا المرض سنة ١٩٣٨ الذي يعرفه أقل الأطباء معرفة بالطب. وابتلاه اللَّه بتليّف الكبد الذي أدّى إلى الاستسقاء، واحتاج إلى سحب الماء من بطنه بالإبر، وكان يصيح بمن حوله والأطباء: اسحبوا المياه[1] حالاً.. اسحبوها كلها.. لا تدعوا شيئًا منها[2] .

* غربان الجيش ماتوا غرقى.. وحدث الزلزال:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ** ﴾ [البروج: ١٢].

---

(١) أي: من بطنه.

(٢) انظر: كتاب « الرجل الصنم» لضابط تركي سابق ـ ترجمة عبد اللَّه عبد الرحمن ـ طبع مؤسسة الرسالة.

وصدق الشاعر إذ يقول:

إذا كان الغراب دليل قوم فلا فلحوا ولا فلح الغراب

أو

إذا كان الغراب دليل قوم يمرّ بهم على جيف الكلاب

أتاتورك الغراب يقود غربان الجيش التركي وجنرالاته من العلمانيين إلى النار وبئس القرار.. إلى ذل الدنيا ونكال الآخرة..

ولزلزال تركيا المدمر الذي حدث هذا العام قصة..

أقيم حفل راقص بمناسبة تقاعد بعض كبار الضباط الأتراك، وكان هذا الحفل الماجن في قاعدة بحرية حضره كبار جنرالات تركيا وجنرالات من أمريكا وضباط كبار من إسرائيل، وراقصات من تركيا وراقصات إسرائيليات.. وبدأ الحفل الماجن بالرقص، ثم تقدم جنرال تركي إلى ضابط تركي صغير آمرًا له أن يتلو شيئًا من القرآن، وبعد ذلك أمره أن يفسر شيئًا من القرآن، فردّ الضابط بأنه لا يعرف تفسير الآيات وهنا قام الجنرال التركي بتمزيق المصحف ووضعه تحت قدميه.. وتحدّى العزيز القادر الذي يقول: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾.

هذا التمزيق فأين الحفظ، وخرج الضابط التركي الصغير مهرولاً من القاعدة خائفًا من انتقام اللَّه وهو شاهد العيان الوحيد الذي قصّ ما حدث، وما إن أتم هذا الزنديق المارق كلماته الفجر حتى هبت نيران عظيمة تلتهم القاعدة بمن فيها، ثم ينشق البحر ليغيّب في باطنه تلك القاعدة.. ولم تستطع فرق الإنقاذ من الدول الثلاث أن تنتشل جثة كافر واحد ممّن غيّبهم البحر لكفرهم وعتوهم وبعدها بقليل يبدأ زلزال تركيا المدمر المصحوب بالإعصار.. ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود: ١٠٢].

* فرعون القرن العشرين:

هذا الذي جعل الكنانة كلها سجنًا وبات الشعب شرَّ سجين
يا ذئب غدر نصبوه راعيا والذئب لم يك ساعة بأمين

● قال عنه الشاعر أيضًا:

وإذا رئيسهموا يرى في نفسه ملك الملوك ووارث الفرعونِ
في نفسه ودمائه ﴿أنا ربكم﴾ لا تجعلوا ربًّا لكم من دوني

● ويقول الشاعر:

لحساب من قتلوا وما قد شوّهوا من أوجه أو أظهر وبطون
مَن عذّبوا، من شردوا مَن جوّعوا ومن استذلّوا من ليوث عرين
وسل السياط السود كم شربت دمًا حتى غدت حُمْرا بلا تلوين[1]

كم من أعراض هُتكت، وعذارى خُدشت، وعمائم بيضاء ضُربت وسُحِقت، وأرجل متوضئة جُلدت، وأنفس أزهقت في سجونه..

لا يتصور الإنسان وَضْع رجال بالوعات دورات المياه تطفح عليهم بقاذوراتها حتى رؤوسهم، وهذا ثابت وغير مبالغ فيه.

هذا المتغطرس متورم الأنف كبرياء وغطرسة من أذّل المسلمين، ورفع شأن الشيوعية والشيوعيين، وأعدم الأطهار من العلماء والرجال هذا الذي نقلت جريدة الدستور جزءًا من مذكرات صديقه هيكل الصحفي أنه قال له: «لا أظن أن هناك شيئًا بعد الموت»، وبعدها بأيام قليلة مات.. ويومًا من الأيام سيحدثنا التاريخ عن كيفية موته ولحظة موته التي يخفونها.

فهناك عقوبة معجلة للبغي في دار الدنيا ومن أصدق من الرسول ﷺ الذي يقول:

(١) «نونية القرضاوي».

«ما من ذنب هو أجدر أن يعـجل اللَّه لصاحبه العقوبة في الـدنيا مع ما يدخره له في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم»[١].

● وقال رسـول اللَّـه ﷺ: **«بابان معـجلان عقوبتهـما في الدنيا: الـبغي والعقوق»**[٢].

● وقال رسول الـلَّه ﷺ: **«اثنان يعجلهما اللَّـه في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين»**[٣].

يومًا من الأيـام سيتكلم الصامـتون.. هل تضيع هدرًا دعوة مـظلوم من دعاة الإسلام يقول وهو ذاهب إلى حبل المشنـقة: «إن دمي سيكون لعنة على رجال الثـورة»؟.. انظر بربك هـل أفلت من دعوة هـذا الطيب أحد مـنهم: عامر، أو جـمال سالم، أو صـلاح سالم، أو أنور، وغـيرهم وغيـرهم؟ أما كبيرهم فسينبئنا التاريخ يومًا..

لما مات أبت القبور بأن تكون له الثرى، وطفحت المجاري في قبره حتى أغرقته، مثلما فعل بالموحدين في سجونه.

وعاد مادحه ذامًّـا بعد موته، حتى من الذين شاركوه الحكم، بعد وفاته تكلموا عنه وعن طغيانه..

وهذا الشر الذي زرعه مـا جنى به إلا حقدًا وشـرًّا تفجّر بعـد موته على صفحات جرائده!!

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبـان، والحاكم في «المـستدرك» عن أبـي بكرة، وصحـحه الألبانـي في «السلـسلة الصحيحة» رقم (٩١٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٧٠٤).

(٢) **صحيـح**: رواه الطبرانـي في «الكبير» عن ابن عـمرو، وصححه الألباني فـي «صحيح الجامع» رقم (٣٥٠١).

(٣) **صحيـح**: رواه الحاكم في «المستدرك» عن أنس، وصححـه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٨٠٧).

* حمزة البسيوني قائد السجن الحربي:

من سنة ١٩٥٤ حتى سنة ١٩٦٥

جلاّد ثورتهم وسوط عذابهم ... سمّوه زورًا قائدًا لسجون
وجه عبوس قمطرير حاقد ... مستكبر القسمات والعِرْنين
متعطش للسوء في الدم والغ ... في الشر منقوع به معجون

هذا الزنديق؛ قال مرة للإسلاميين أثناء تعذيبهم: هاتوا لي ربكم وأنا أضعه في الحديد.. أحطه في الزنزانة.. فأماته اللَّه شر ميتة.. حيث صدم بسيارته شاحنة كبيرة من الخلف محمّلة بأسياخ الحديد، فدخلت الأسياخ في جسمه، وأخذ يصيح، ولا منقذ، واجتمع الناس من حوله في طريق الإسكندرية ـ القاهرة.

وبراعة التاريخ تسخر منهمُ ... وتقوم بالتسجيل والتدوين
وكفى بربك للخليفة مُحْصِيًا ... في لوحه وكتابه المكنون

* صاحب الكامب.. وكيف مُكِر به في يوم زينته:

في يوم عرفة سنة ١٣٩٧ هجرية يذهب ليبيع الأمة والأمجاد والتاريخ وخفقات الوحي، ونفحات الأباة الصابرين، ومزّق ميثاق النبوة، وضيّع الأقصى، وتمرّغ في وحل «كامب ديفيد» ولما عارضه الأحناف، استكبر وعتى، وتوعد وهدد، وسخر من الثوابت في دين اللَّه، ونادى بفصل الدين عن الدولة، وأن مثله الأعلى أتاتورك، وفتح السجون على مصراعيها، وقذف في أتونها بالدعاة والشيوخ والشباب وأبكى عيون مئات الأمهات في يوم التروية، ومكر بالناس، فمُكر به وهو في يوم زينته ووسط حشوده وعتاده، آمن ما يكون، هذا تطاول ذلّ.

● ولله در القائل:

لئن قالها الطاغوت رب وعائـــل ... فقد قالها فرعون ربكم الأعلى
فما الفرق بين القالتين كما تـرى ... سوى بين «أعلى» «عائل» فارجع القولا
وما الفرق بين المصرعَيْن كما ترى ... سوى بين غرقى كلهم سكن الوحْلا
فهذا أسير الجزر والمدّ والعصا ... ودعوة مظلوم قد انسربت ليلاً
وخيل غريق يستجير بربه ... ورب غريق مات يستنجد الخيلا
وهذا تردّى في خضمّ دمائه ... وأخرس حتى فارق الحول والطولا
ويومًا يذيق اللّه فرعون نعمة ... ويومًا يذيق اللّه فرعوننا الذلا

* * *

● ولله در القائل:

ماذا لقيت ببطن القبر نَبِّينَا ... إن الحياة بظهر الأرض تلهينا
في غمضة العين مِ الآفاق تجمعنا ... في غيهب السجن دانينا وقاصينا
ماذا جنينا فما كانت جنايتنا ... إلا لأنا لقيد الذل آبينا
بعنا إلى اللّه بيع الحق أنفسنا ... أن لا نهادن حتى ننصر الدينا
مهما نواجه من عسف ومن عنت ... نبقي الحياة لوجه اللّه راعينا
تلقاك في عمه الأجداث ماثلة ... أعمالك السود قد صارت ثعابينا
سجِّل بكفك في القرطاس ما كتبتْ ... كلتا يديْك به أمسيت مرهونا

* * *

* إبراهيم ابن هرمة السكران يموت فما يحمل جنازته إلا أبعة نفر:

هو إبراهيم بن علي بن سلمة الفهري، وهو من شعراء الدولتين (الأموية والعباسية) وكان شيخ الشعراء في زمانه وكان منهومًا في الشراب، لا يكاد

يصير عنه، وقد حدَّه والي المدينة أكثر من مرة.

ومر يومًا على جيرانه وهو ميت سُكرًا حتى دخل منزله، فلما كان من الغد عاتبوه على الحالة التي كان عليها ورأوه فيها، فقال: أنا في طلب مثلها منذ دهر، أما سمعتم قولي:

أسْألُ اللَّهَ سَكْرَةً قَبْلَ مَوْتِي ... وَصِيَاحَ الصِبْيَانِ يَا سَكْرَانُ

فنهضوا من عنده، ونفضوا ثيابهم، وقالوا: ما يفلح هذا أبدًا.

وكان قد أدْرَكَ أنه إذا مات لا يشهد الناس جنازته فقال:

مَا أَظُنُّ الزَّمَانَ يَا أمَّ عَمْرٍو ... تَارِكًا إنْ هَلَكْت مَنْ يَبْكِينِي

وكذلك كان، لقد مات، وما يحمل جنازته إلا أربعة نفر، لا يتبعهم أحد، حتى دُفن بالبقيع، وكانت وفاته سنة خمسين ومائة[1].

* أبو الهندي غالب بن عبد القدوس يصبون الخمر على قبره:

قال صدقة بن إبراهيم البكري:

كان أبو الهندي يشرب معنا، وكان إذا سكِرَ يتقلب تقلبًا قبيحًا، في نومه، فكنا كثيرًا ما نشد رجله لئلا يسقط، فسكرنا ليلة في سطح، وشددنا رجله بحبل طويل، ليهتدي عند القيام لبوله، فتقلب، فسقط من السطح فأمسكه الحبل، فبقي معلقًا منكسًا، فأصبحنا فوجدناه ميتًا.

فمررت على قبره بعد حين، فوجدت عليه مكتوبًا:

اجْعَلُوا إنْ مِتُّ يَوْمًا كَفَنِي ... وَرَقَ الْكَرْمِ وقَبْرِي المَعْصَرَه

إنَّنِي أرجوا مِنَ اللَّهِ غَدًا ... بَعْدَ شرْبِ الرَّاحِ حُسْنَ الْمَغْفِرهْ

وكان الفتيان يجيئون إلى قبره فيشربون، ويصبون القدح إذا

(١) «فوات الوفيّات» (١/ ٣٤).

وصل إليه على قبره[١] .

*** يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس يموت أسفًا وغمًّا:**

لما ولي يحيى أساء السيرة، وخالف طريق سلفه، فدخل الحمام المقصور على النساء بسبب امرأة جميلة من اليهود يُقال اسمها حَنَّة، فأنكر الناس ذلك وثاروا به مع عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي، واعتصم منهم بإحدى العدوتين عدوة الأندلس.

فذُكر أنه مات في ليلته أسفًا على ما جناه على نفسه[٢] .

*** عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن بويه يقول عند موته: ﴿ما أغني عني ماليه * هلك عني سلطانيه﴾:**

هو عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن الحسن بن بويه ركن الدولة.

قال السيوطي: كان فاضلاً نحويًّا شيعيًّا، وكان حسن السياسة شديد الهيبة، له في الأدب يد متمكنة، تولى مُلك فارس، ثم مُلك الموصل وبلاد الجزيرة (جزيرة ابن عمر) وهو أول من خُطب له على المنابر بعد الخليفة، وأوَّل من لُقب في الإسلام بشاهنشاه، ومن شعره قوله:

لَيْسَ شُرْبِ الرَّاحِ إلاَّ فِي الْمَطَرْ ... وَغِنَاء مِنْ جَوَارٍ فِي السَّحَرْ
غَانِيَاتٍ سَالِبَاتٍ لِلنُّهَى ... نَاعِمَاتٍ فِي تَضَاعِيفِ الْوَتَرْ
مُبْرِزَاتِ الْكَأسِ مِنْ مَطْلَعِهَا ... سَاقِيَاتِ الرَّاحِ مَنْ فَاقَ الْبَشَرْ
عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَابْنَ رُكْنِهَا ... مَلِكَ الأمْلاكِ غَلاَّبَ الْقَدَرْ

● قال السيوطي: فلم يُفلحْ بعد هذا البيت، ومات بعلة الصرع يوم

---

(١) «فوات الوفيّات» (٣/ ١٧١).
(٢) «القسم الثالث من أعمال الأعلام» ص(٢٠٧).

الاثنين ثامن شوال سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة.

ولما احتُضر لم ينطق إلا بتلاوة: ﴿**مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾ [الحاقة: ٢٨ ـ ٢٩][1] .

وزاد ابن خلكان على ما تقدم:

أنه ما عاش بعد تلك الأبيات إلا قليلاً ومات ببغداد، ثم نقل إلى الكوفة[2] .

* محمد بن مغيث يقول عند موته: لو شئت من ها هنا إلى حانوت الخمّار:

قال ابن رشيق: كان محمد بن مغيث مفتونًا بالخمر متبذلاً فيها، مدمنًا عليها، لا يفيق منها، مولعًا ببيت الخمار ومخالطة العامة، فطار اسمه لذلك واشتهر به.

سأله بعض إخوانه ـ ليختبر قوة نفسه في المرض الذي مات فيه ـ هل تقدر على النهوض لو رمته؟ فقال: لو شئت من ها هنا إلى حانوت أبي زكريا الخمار.

فقال له: أفلا قلت إلى الجامع؟

فقال: لكل امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا، ولم تَجْرِ العادة بذلك.

توفي ابن مغيث آخر سنة ثلاث وأربعمائة وقد بلغ الخمسين والسن ظاهرة عليه[3] .

---

(١) «بغية الوعاة» ص(٣٧٤).

(٢) «وفيات الأعيان» (٤/ ٥٤).

(٣) «أنموذج الزمان» ص(٤٠٤).

* ابن مطاطية المنافق يرتد ويُقتل في الردّة:

روى ابن عســاكر، عن مالك، عـن الـزهـري، عن أبي ســلمة بن عبد الرحمن أنه قال:

جاء قيس بن مطاطية إلى حلقةٍ فيها سلمان الفارسي، وصُهيب الرومي، وبلال الحبشي ﷺ فقال:

هؤلاء الأوس والخزرج قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هؤلاء؟

فَقَام معاذ بن جبل ﷺ عنه فأخذ بتلابيبه - يعني: أمسك بثيابه من عند صدره - حتى أتـى به النبي ﷺ فأخبره بمـقالته، فَقَام ﷺ مغضـبًا يجر رداءه حتى دخل المسجـد، ثم نودي، الصلاة جامعة، فحمد اللّـه وأثنى عليه ثم قال:

«يا أيـها الـناس إنَّ الـرَّبَّ رَبٌّ واحد، وإنَّ الأبَ أب واحـد، وإنَّ الديـن دين واحد. ألا وإنَّ العربية ليـستْ لكم بأبٍ ولا أمٍّ، إنما هي لسان، فمن تكـلم بالعربية فهو عربي».

فقال معاذ: وهو آخذ بتلبيب ابن مطاطية:

يا رسول اللَّه ما تقول في هذا المنافق؟

فقال ﷺ: **«دَعْه إلَى النَّارِ»**.

قال أبو سلمة بن عـبد الرحمن: فكان ابن مطاطية فيـمن ارتد فقُتل في الردة[1].

* النَّظَّام وسوء حاله عند الموت:

كان إبراهـيم بن سيار البـصري المعروف بالـنظام ابن أخت أبي الـهذيل العلاف شيـخ المعتزلة، وكان النَّظَّـام رأسًا من رؤوس المعتزلة، وهي الـطائفة

---

(١) «حياة الصحابة» للكاندهلوي (٣/ ٣٦).

المعروفة بالنظامية، وكان يقول: إن الإجـماع ليس بحجة في الشرع، وكذلك القياس، وإنما الحجة قول الإمام المعـصوم... وكان يميل إلى الـرفض، وقد وقع في أكابر الصحابة ﷺ، وقد ذهب جماعة إلى أن النظام كان في الباطن على مذهـب البراهمة الذيـن ينكرون النبـوة، وأنه لم يظهر ذلـك خوفًا من السـيف، فكفَّـره معظـم العلـماء، وكفَّره جـماعة مـن المعتـزلة حتى خـاله أبو الهذيل والإسكافي وجعفر بن حرب، كل منهم صنف كتابًا في تكفيره، وكان مع ذلك فاسقًا مدمنًا للخمر.

وكان آخر كلامه والقدح في يده وهو سكران في عُلِيَّة له يشرب فيها:

اشْرَبْ عَلَى طَرَبٍ وَقُلْ لِمُهَدِّدٍ ... هَوِّنْ عَلَيْكَ يَكون مَا هو كائِن

فلما فـرغ من كلامه سقط مـن العُلِيَّة فمـات من ساعته في سـنة ثلاثين ومائتين[1].

*** نصراني ويا قبح موته!:**

كان أسعد بن السديد الماعز القبـطي قد أسلم في الدولة الأشرفية، وكان (مسْتَوْفِي) الديار المصرية.

قال ابن أيبك صاحـب كتاب «الوافي بالوفيات» حكـى لي شهاب الدين محمود ـ رحمه اللَّه ـ فقال:

لما مرض المذكور تـوجهنا إليه نعوده، فـوجدناه ضعيفًا إلى الـغاية، وقد وضعوا عنده أنواعًا من الحُلي والمصاغ المجوهر والـعقود، وفيها العنبر الفائق، وأنواعًا من الطيب، ثم قال:

ارفعوا هذا عني:

وأسر إلى خادم كلامًا، فمضى وأتى بحُقٍّ ففـتحه وأقبل يشمه وقمنا من

---

(١) «الوافي بالوفيات» باختصار (٦/ ١٨).

عنده، ثم إنه مات، فسألنا ذلك الخادم فيما بعد: ما كان في ذلك الحُقِّ؟ فقال: شَعْرَةٌ مَنْ استِ الرَّاهبِ الفُلاني الذي كان له كذا وكذا سنةً مَا لَمِسَ المَاءَ ولا قَارَبَه.

قال شهاب الدين فأنشدت:

مَا يَقْبِض الْمَوْت نَفْسًا مِنْ نفوسِهِمو ... إلاَّ وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عود

توفي أسعد بن السديد سنة بضع وتسعين وستمائة[1].

* إبراهيم الفزاري الشاعر الزنديق يتحول عن القبلة عند الموت:

نقل القاضي عياض من كتاب «المُعْرِب عن أخبار المغرب» أنه في أيام أبي العباس عبد اللَّه بن طالب التميمي قاضي القيروان تم إعدام إبراهيم الفزاري، ثم قال:

وكان إبراهيم شاعرًا متفننًا في كثير من العلوم مع استهزاء وطيش، وكان يحضر مجلس ابن طالب لمناظرة الفقه، فقيل إنه كان يزري به، ويتضاحك بأمره، ونمت عنه أمور منكرة، فانتهى ذلك إلى ابن طالب، فطلبه وحبسه، وشهد عليه أكثر من مائتين بالاستهزاء باللَّه وبكتاب اللَّه وأنبيائه، وبنبينا ﷺ قيل: وكان منهم ثلاثون عدلاً.

فجلس له ابن طالب، وأحضر العلماء، يحيى بن عمر وغيره، وأمر بقتله، فطُعن بسكين في حنجرته، وصلب منكسًا، ثم أنزل بعد ذلك وأُحرق بالنار.

وحكى بعضهم أنه لما رُفعت خشبته وزالت عنه الأيدي استدارت وتحولت عن القبلة، فكانت آية للجميع، فكبر الناس، وجاء كلب فولغ في

---

(١) «الوافي بالوفيات» (٩/ ٤٦).

دمه، فقال يحيى بن عمر صدق رسول اللَّه ﷺ وأسند حديثًا عنه ﷺ أنه قال: «**لا يَلَغُ الكلبُ في دمِ المسلمِ**»[1].

* القاضي الرفيع الجيلي وسوء حاله عند الموت:

القاضي عبد العزيز بن عبد الواحد المعروف بالرفيع الجيلي كان عنده شهود زور، ومن يدعي زورًا.

فيُحضر الرجل المتمول إلى مجلسه، ويُحضر المدَّعَى عليه بألف أو ألفين، فينكر.

فيُحضر الشهود، فيلزمه، ويحكم عليه، فيصالح غريمه على النصف أو أكثر أو أقل.

فاستبيحت أموال الناس.

قال أبو المظفر بن الجوزي:

حدثني جماعة أعيان أنه كان فاسد العقيدة، دهريًّا، مستهترًا بأمور الشرع، يجيء إلى الصلاة سكران، وأن داره كانت مثل الحانة.

وفي ثاني عشر ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين وستمائة أُخرج الرفيع من داره، وحُبس بالمقدمية، ثم أُخرج ليلاً، وسُجن في مغارة في نواحي البقاع، وقيل أُلقي من شاهق.

قال ابن واصل:

حكى لي ابن صبح بالقاهرة أنه ذهب بالرفيع إلى (شقيف أرنون) فعرف أني أريد أن أرميه فقال:

باللَّهِ عليك، دعني أصلي ركعتين.

فأمهلته حتى صلاهما، ثم رميته فهلَك.

---

(١) «ترتيب المدارك» (٤/ ٣١٣).

وحكى بعض الذين باشروه أنه لما رموه في تلك الهوة تحطم في نزوله، وكأنه تعلق في بعض جوانبها بثيابه، فبقينا نسمع أنينه نحو ثلاثة أيام، وكلما مر يوم يضعف ويخفى، حتى تحققنا موته، ورجعنا عنه، نسأل اللَّه تعالى حسن العاقبة[1].

* عاقبة من سب وزيري رسول اللَّه ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما:

● قال شمس الدين الذهبي:

حدثني الإمام محمد بن منتاب أن عز الدين الموصلي كتب إليه وأراني كتابه، قال: كان لنا رفيق يشهد معنا في سوق الطعام يُقال له (شمس الدين ابن الحشيشي) كان يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويُبالغ، فلما ورد شأن تغيير الخطبة إذ ترفّض (القان خربندا) افترى وسب فقلت:

يا شمس قبيح عليك أن تسب وقد شبت، ما لك ولهم، وقد درجوا من سبعمائة سنة، واللَّه يقول: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ**﴾ فكان جوابه: واللَّه إن أبا بكر وعمر وعثمان في النار، قال ذلك في ملأٍ من الناس، فقام شعر جلدي، فرفعت يدي إلى السماء وقلت:

اللَّهم يا قاهر فوق عباده، يا من لا يخفى عليه شيء، أسألك بنبيك[2] إن كان هذا الكلب على الحق فأنزل بي آية، وإن كان ظالمًا فأنزل به ما يعلم هؤلاء الجماعة أنه على الباطل في الحال.

فورمت عيناه حتى كادت تخرج من وجهه، واسود جسمه حتى بقي كالقير وانتفخ، وخرج من حلقه شيء يصرع الطيور، فحُمل إلى بيته، فما جاوز ثلاثة أيام حتى مات، ولم يتمكن أحد من غُسله مما يجري من جسمه وعينيه ودُفن.

---

(١) «فوات الوفيات» (٢/ ٣٥٣).

(٢) التوسل بالنبي ﷺ بعد موته غير جائز.

وقال ابن منتاب جاء إلى بغداد أصحابنا وحدثوا بهذه الواقعة، وكانت وفاة (ابن الحشيشي) سنة عشر وسبعمائة[١].

* وآخر يُذبح في المنام انتقامًا لشيخي الإسلام:

ذكر الإمام ابن القيم في كتابه «الروح» عن القيرواني أنه ذكر في كتاب «البستان» عن بعض السلف، قال: كان لي جار يشتم أبا بكر وعمر ﭬ، فلما كان ذات يوم أكثر من شتمهما فتناولته وتناولني فانصرفت إلى منزلي وأنا مغموم حزين فنمت وتركت العشاء فرأيت رسول اللَّه ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول اللَّه! فلان يسبّ أصحابك، قال: مَن أصحابي؟ قلت: أبو بكر وعمر، فقال: «خذ هذه المدية[٢] فاذبحه بها»، فأخذتها فأضجعته وذبحته ورأيت كأن يدي أصابها من دمه، فألقيت المدية وأهويت إلى الأرض لأمسحها فانتبهت وأنا أسمع الصراخ من نحو داره، فقلت: ما هذا الصراخ؟ قالوا: فلان مات فجأة!، فلما أصبحنا جئت فنظرت إليه فإذا خط موضع الذبح!![٣].

* هذا فِعل اللَّه بالزنديق يموت كما يموت الحمار:

في الخمسينيات وفي كلية الزراعة جامعة عين شمس بالقاهرة وقف أحد الطلبة، ممسكًا بساعته محدّقًا نظره فيها، وهو يصرخ قائلاً: «إن كان اللَّه موجودًا فليمتني إذًا بعد ساعة، وكان مشهدًا عجيبًا شهده جمهرة من الطلاب والأساتذة، ومرّت الدقائق عجلى، وحين أتمت الساعة دقائقها انتفض الطالب يزهو بتحدٍّ، وهو يقول لزملائه: أرأيتم لو كان اللَّه موجودًا لأماتني،

---

(١) «الوافي بالوفيات» (٣/ ٢٢).

(٢) المدية: السكين.

(٣) «نهاية الظالمين» ص(١٥٨ ـ ١٥٩)، وكتاب «الروح» لابن القيم.

وانصرف الطلاّب، وفيهم من وسوس له الشيطان، وفيهم مَن قال: إن اللَّه أمهله لحكمة، وفيهم من هزّ رأسه وسخر منه! أمّا الشاب المذكور، فذهب إلى أهله مسرورًا، خرج يتمطى، ودخل منزله، فإذا والدته قد أعدّت مائدة الغذاء، وإذا والده قد أخذ مكانه على المائدة ينتظره، فهرع الولد مسرعًا إلى المغسلة، ووقف أمامها يغسل وجهه ويديه، ثم ينشفهما بالمنديل، وبينما هو كذلك، إذ به يسقط على الأرض جثة لا حراك بها!!

نعم لقد سقط ميتًا، وأثبت الطبيب في تقريره، أن موته كان بسبب الماء الذي دخل في أذنه!

قال الدكتور عبد الرزّاق نوفل ـ رحمه اللَّه ـ: «أبى اللَّه إلا أن يموت كما يموت الحمار».

فالحمار إذا دخل الماء في أذنه مات من ساعته!![1].

*** رجل يشتم عليّا فيدعو عليه سعد بن أبي وقاص فتسيخ به دابته، فترميه على هامته فينفلق دماغه ويموت:**

روى أبو عبد اللَّه الحاكم عن قيس بن أبي حازم أنه قال:

كنت بالمدينة، فبينما أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت فرأيت قومًا مجتمعين على فارس قد ركب دابة، وهو يشتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والناس وقوف حواليه، إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فوقف عليهم فقال:

ما هذا؟

قالوا: رجل يشتم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

فتقدم سعد، فأفرجُوا له، حتى وقف عليه، فقال:

---

(١) انظر: «المجلة العربية» عدد صفر (١٤١٣)، و«نهاية الظالمين» ص(١٥٩ ـ ١٦٠).

«يا هذا علامَ تشتم عليّ بن أبي طالب كرَّم اللَّه وجهه؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مَعَ رسـول اللَّه ﷺ ؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ وذكر أشياء حتى قال: ألم يكن ختن رسول اللَّه ﷺ على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول اللَّه ﷺ في غزواته؟

ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللَّهم إن هذا يشتم وليًّا من أوليائك فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك.

قال قيس: فواللَّه ما تفرقنا حتى ساخت به دابته، فرمته على هامته في تلك الأحجار، فانفلق دماغه فمات[1].

* مطرف بن عبد اللَّه يدعو على ظالم فيموت:

كان مُطرفُ بن عبد اللَّه أعبد الناس وأنسكهم، وذكروا أنه وقع بينه وبين رجل منازعة، فرفع يديه ـ وكان في مسجد البصرة ـ وقال:

اللَّهم إني أسألك ألا يقوم من مجلسه حتى تكفيني إياه.

فلم يفرغ مُطـرفٌ من كلامه حتى صُرِع الرجل فمـات، ثم أُخذ مطرف وقدموه إلى القـاضي، فقال القاضي: لم يـقتله، وإنما دعا عليـه فأجاب اللَّه دعوته، فكان بعد ذلك تتقى دعوته.

مات مـطرف ـ رحمـه اللَّه تـعالى ـ سـنة سبـع وثمانـين وقيل خـمس وتسعين[2].

* عبد اللَّه بن إبراهيم بن الأغلب يدعو عليه حفص بن عمر الجزري فيموت:

كان عبد اللَّه بـن إبراهيم بن الأغلب من أجمل الـناس، وكان قد جعل

---

(١) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد علـى شرط البخاري، ومسلم، ووافقه الذهبي، وأخرج نحوًا منه أبو نعيم في «دلائل النبوة».

(٢) «وفيات الأعيان» (٥/ ٢١١).

على كل زوج (من الأبقار) تحرث ثمانية دنانير، فضاق الأمر بالناس، فقدم حفص بن عمر الجزري مع رجال صالحين من أهل الجزيرة، فدخلوا على أبي العباس، فقال له حفص:

أيها الأمير، اتق اللَّه الذي إليه مصيرك. وارحم شبابك هذا، واحذر على وجهك الجميل النار، وخفف عن الناس، وأسقط عنهم ما وضعت على الأزواج من هذه الدنانير.

فقال: لست أفعل، ولا أحطهم شيئًا.

فخرجوا من عنده يريدون القيروان، فقال لهم حفص:

تصلون ركعتين تخلصون فيهما الدعاء، ونضرع إلى اللَّه، لعله يكفيناه، فإنا قد يئسنا من المخلوقين فنرجعُ إلى الخالق عز وجل، فتوضئوا وصلوا ركعتين.

ففعلوا ثم قال حفص:

اللَّهم إن هذا الرجل الذي فضلته على عبادك في هذا الدنيا، ومكنته في بلادك قد ظلمنا، وعمل علينا ما لا نقوى ولا نطيق دفعه، ولا نستطيع منعه، فاكفناه، واحكم بيننا وبينه وأنت خير الحاكمين.

فما لبث أبو العباس إلا خمسة أيام ثم خرجت له قرحة عظيمة تحت أذنه مات منها في اليوم السابع من دعائهم[1] .

* خالد بن الريّان يدعو عليه عمر بن عبد العزيز فيموت بعد جمعة:

لما مات سليمان بن عبد الملك وتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه خالد بن الريان متقلدًا سيفه في اليوم الذي استخلف فيه عمر، فقال له عمر:

---

(١) «رياض النفوس» (١/ ٢٣٨).

يا خالد انطلق بسيفك هذا فضعه في بيتك، واقعد فيه، فإنه لا حاجة لنا فيك، أنت رجل إذا أمرت بشيء فعلته، لا تنظر لدينك.

فلما ولى خالد نظر عمر في قفاه فقال:

اللَّهم يا رب إني قد وضعته لك، فلا تَرفعه أبدًا، فما لبث خالد إلا جُمعةً حتى ضَرَبَهُ الفَالِج فَقَتَلَه[1].

*** باديس بن منصور ينوي سحق طرابلس الغرب فيدعو عليه المؤدب محرز فيهلك من ليلته:**

جاء في كتاب «الدول المنقطعة» أن باديس بن منصور بن بُلُكِّين الصنهاجي قصد طرابلس، ولم يزل على قرب منها عازمًا على قتال أهلها، وحلف على ألا يرحل عنها حتى يعيدها فُدُنًا للزراعة لسبب اقتضى ذلك.

فاجتمع أهل البلد عند ذلك إلى المؤدب محرز، وقالوا يا ولي اللَّه قد بلغك ما قاله باديس، فادع اللَّه أن يزيل عنا بأسه، فرفع يديه إلى السماء وقال:

يَا رَبَّ بَادِيسَ اكفِنَا بَادِيسَ

فهلك باديس في ليلته بالذبحة واللَّه أعلم.

وكان ذلك لما مضى نصف الليل من ليلة الأربعاء سلخ ذي القعدة سنة ست وأربعمائة عن اثنين وثلاثين عامًا[2].

*** أبو دَكْرَك الظالم يدعو عليه أبو إسحاق الجبنياني فيهلك:**

كان رجل من أهل السنة، وبقريته مشارقة ومعتزلة، ليس فيهم سُني

---

(١) «المحاسن والمساوئ» ص(٥١٦).

(٢) «مشاهد الناس عند الموت» ص(٢١٦).

غيره، وعلى قريتهم كتامي يقال له: (أبو دَكْرَكَ) وهو فرعون من الفراعنة، فقال جيران السُني لأبي دكرك:

نكتب عليه محضراً أنه يسب السلطان، وتأخذ أنت ماله وتقتله، فإذا سألك السلطان عن قتله أخرجت المحضر.

فأمر أبو دكرك باعتقال دار الرجل لينزل عليها بالليل.

فتحيل السني حتى خرج من الدار، ووصل إلى الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن علي الجبنياني، وقد ذهل عقله، فسلَّم عليه سلامًا محتملاً، فقال له:

ما بالك؟

فقال: أبو دكرك جرى عليَّ منه كذا وكذا.

فقال له: ومن هو أبو دكرك، دكرك اللَّه به الأرض؟

ثم قال لمن حوله: إن صاحبكم مضطر فاقصدوا فيه باب الملك الجبار.

وأقبل على الدعاء، ومن حضر يؤمن ثم قال:

اللَّهم دكرك بأبي دكرك الأرض؟

فلما كان الغد أتانا الخبر فعرفنا أن أبا دكرك قتله عبيد والي البلد وأخفوه، فاجتهد في طلب جسده، وبذل السلطان عليه مالاً، فما وُجِد له أثر.

لقد دكرك اللَّه تعالى به الأرض، وسلمَ السني[1].

* سكِّير يدعو عليه الجبنياني فيهلك:

قال التستري: وصل إلينا (حمى الترجمان) وطلب من أهل موضعنا خمرًا، فقالوا له:

ما بهذا البلد أحد يشربها، لأننا بجوار هذا العابد، يعنون الشيخ

---

(١) «ترتيب المدارك» (٦/ ٢٣٥).

أبا إسحاق إبراهيم الجبنياني، فقال:

مَنِ العابد؟ أنا أخرج قلبه على رُمحي، ما يعرف هو غيرَ مولاه، يعني السلطان فمضى أهل القرية يبكون إلى أبي إسحاق فعرفوه، وقالوا إنا خائفون على أنفسنا وحريمنا، وقد تركوا معه أحا مم يلاطفه.

فوجدوا أبا إسحاق مستقبل القبلة، فدعا بدعاء عظيم ثم قال:

تُكْفَوْنَ مَؤونَتَه إن شاء اللَّه تعالى لا يدخل إليكم أبدًا.

قال أبو القاسم: فرجعوا ورجعت معهم، فوجدناه قد شد على خيله متوجهًا إلى الجبل، فسقط في جُرفٍ، وسقط عليه فرسه فمات[1].

* وظالم يهدّد السبائي فيدعو عليه فيموت:

دخل إلى السبائي رجل من حاشية السلطان فتجهمه الشيخ، فخرج من عنده، فلقي بعض أصحاب الشيخ، فذكر له قصته معه، ثم قال له:

ليس ثم إلا الخير، قل له سوف ترى أنت.

قال فخرجت من عنده إلى داري، فبعد ساعة خرجت، فإذا الناس يقولون:

مات فلان، فجئت إلى الشيخ فأخبرته، فقال قد كفينا ما نحذر والحمد للَّه[2].

* وظالم آخر:

قال محمد بن إدريس:

خرجت أريد الحانوت، فلقيت أبا العباس بن غانم، فقال لي: وأنت

---

(١) «ترتيب المدارك» (٦/ ٢٣٦).

(٢) المصدر السابق (٦/ ٦٦).

هنا؟ والله لا سكنتم هذا الدرب معي، فاعملوا على الانتقال، لأنكم من حزب السبائي، وهددني وخوَّفني، فجئت إلى السبائي فأخبرته وبكيت، فقال لي: ليس عليك منه شيء، إنما هو كلب ينبح، اللَّهم عاجله ولا تمهله.

فلما خرجت من عنده وقربت من داري إذا هو قد أوتي به ميتًا من الحمام[1].

* أبو الحسن القابسي يدعو على قائد من قوّاد باديس فينثر دماغه:

كان بالمهدية رجل نصراني ـ وكان عمه من خاصة باديس بن حبوس صاحب القيروان ـ قد افتض صبية شريفة.

فلما سمعت بذلك العامة رجعوا إليه فقتلوه، وبلغ ذلك باديس فعظم عليه أمر ذلك، وأرسل قائدًا بعسكر إلى المهدية فقال لهم: اقتلوا من هو قد السيف إلى ما فوق (يعني: من كانت قامته تساوي طول السيف فأكثر).

وبلغ ذلك أبا الحسن القابسي، فدخل المحراب وأقبل على الدعاء في كشف هذا الأمر.

فلما وصل القائد إلى قصر مسور قرب المهدية مات فيه، قام بالليل وهو سكران يمشي على السطح فمشى في الهواء، وسقط على رأسه، وانتشر دماغه. وجاء البريد بذلك إلى باديس، وأعلم بدعاء أبي الحسن، فَرُعِبَ لذلك، وقال لأبي العرب وكبراء رجاله تمشون للشيخ.. إلخ.

تمشون للشيخ (يعني: لتخفيف وقع الحدث) فمشوا له.

فلما ضربوا عليه الباب وأعلم بهم، قال لهم:

تمضون إلى الجامع حتى يأتيكم العلماء، ولم يدخلهم داره، ووجه إلى أصحابه أبي بكر بن عبد الرحمن، وأبي عمران الفاسي، وأبي القاسم بن

---

(١) «ترتيب المدارك» (٦/ ٦٦).

الكاتب، وأبي محمد اللوبي، وأبي عمرو بن العتاب، والخواص، وابن سفيان، وأبي عبد اللَّه المالكي، ومكي القرشي، والأجدابي والربعي، وابن سمحان، وغيرهم، وأَملَى عليهم رسالة فيها:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم باللَّه أستعين، وعليه أتوكل، الغوث، الغوث، بما حل بالمسلمين من الاقتيات عليهم ثم ينادي بمثل هذا.

وفي فصل منها:

كيف يحل لمن يعتقد الإسلام أن يقوم في دم كافر اغتصب صبية من سلالة المصطفى عليه السلام؟ ولو انطبقت السماوات والأرض من أجل هذا الفعل كان قليلاً.

وهي رسالة طويلة، وقال لأصحابه إذا وصلتم إلى الجامع فليقرأها واحد منكم على المنبر ممن له صوت، ففعلوا ذلك، فجعل القواد يقول بعضهم لبعض: واللَّه ما السلطان إلا هذا الشيخ[1].

* ابن المضاء يدعو على ظالم فتطير دماغه:

قال أحد الناس:

كنت في مسجد إبراهيم بن المضاء الأسدي القيرواني أحد تلاميذ سحنون، والقراء والناس مجتمعون إذ أتى رجل فقال:

يا معشر المسلمين إني رجل فقير ذو بنات، ولي دار جوار دار عامر بن عمرو بن زرارة من أصحاب السلطان، وإنه بنى عُلَيَة، وفتح أبوابًا مطلة على داري، وبناتي فدعا إبراهيم ودعا الناس.

قال من سمع الدعاء: فما برحت حتى أتى رجل فقال:

تفرقوا لا ينالكم من السلطان مكروه، أو نحو هذا، فقد انهدمت عُلية

(١) «ترتيب المدارك» (٧/ ٩٧).

عامر، ضربته سارية طيرت دماغه، فتفرق الناس.

مات ابن المضاء سنة خمس ومائتين[1].

* أبو جعفر القمودي الصالح يدعو على ظالم فتضربه حية فيموت:

أتى رجل إلى أبي الحسن الكانشي ﷺ بالمنستير يسأله الدعاء، فقال له: امض إلى مدينة سوسة إلى أبي جعفر القمودي، وذلك في شهر رمضان، فإذا قرعت بابه ولم يفتح لك فأعد القرع، وقل: نأتي مضطرين، وقد أقرحنا، ونزلت النوازل بنا إلى قوم رغبةً في دعائهم، فغلقوا أبوابهم في وجوهنا، اللَّهم لا تغلق أبواب رحمتك عنا، وارفع بذلك صوتك حتى يسمعك.

قال: فلما وصل الرجل فعل كما أمره أبو الحسن.

فلما سمعه أبو جعفر نزل إليه، فقال له بخفض صوت:

أي يومٍ هذا؟

فقال له: يوم الجمعة.

فقال له: وأي شهر هذا؟

فقال له: شهر رمضان.

فقال له: في يوم جمعة، في شهر رمضان يكلم الناس الناس ويرفعون أصواتهم؟

فقال له: أنا رجل مضطر.

فقال: ما خبرك؟

فقال له: غلام ابن أبي سعيد الضيف وكيل المنزل الذي أنا فيه حل عليَّ منه كذا وكذا، فهربت منه بروحي، وأسلمت أهلي وولدي ومالي في يديه،

(١) «ترتيب المدارك» (٤/ ٢٣٦).

فقال له أبو جعفر:

كفاك اللَّه مؤونته، وأقلبك بمغفرة.

فمضى الرجل، فلجأ إلى جامع سوسة، فهو في اليوم الثاني جالس في الجامع رأى رجلاً من أهل منزله يدور عليه، فلما التقى معه قال له:

أبشر فقد مات الوكيل.

فقال له: وكيف ذاك؟

فقال: هو بالأمس في أحسن ما مر به حتى ضربته حية، فهو في النزع إلى البارحة.

فلما كانت البارحة مات.

فقال له: أي وقت ضربته الحية بالأمس؟

فوصف له الوقت، فإذا هو الوقت الذي مضى هو فيه إلى أبي جعفر ودعا له فيه.

... ومن أحوال أبي جعفر أنه قال مرة لأبي جعفر الأريسي: ما تريد بجلوسك مع هؤلاء الذي يدخلون إليك ويشغلونك؟

فقال له: أستأنس بهم.

فقال له أبو جعفر القمودي:

لو ذقت حلاوة الأنس بالخالق ما احتجت إلى مؤانسة المخلوقين، فقد جاء في الحديث القدسي: «**أنا جليسُ من ذكرني**».

ودخل أبو عبد اللَّه بن دارة المتعبد على أبي جعفر القمودي فأقبل يحدثه فأكثر عليه في حديثه، فقال له أبو جعفر:

يا أبا عبد اللَّه أبعدَ الموتِ عَمَل؟

فقال: لا.

فقال: سلام عليك.

واستقبل القبلة وأحرم للصلاة[١] .

* وختـــــامًا:

أخي: حذار أن يفضحك ميراثك عند موتك:

● عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال:

لما حُضِر بشر بن مروان[٢] قال: واللَّه لوددت أني كنت عبدًا حبشيًّا لأسوأ أهل البادية مَلَكة[٣] ، أرعى غنمهم، وإني لم أكن فيما كنتُ فيه.

فقال سفيان: الحمد للَّه الذي جعلهم يفرّون إلينا ولا نفرّ إليهم. إنهم ليرون فينا عِبرًا، وإنا لنرى فيهم عِبرًا[٤] .

● ولما حضر عبد اللَّه بن عبد الملك الوفاة، أتاه بشير يبشره بماله الذي كان بمصر حين كان عاملاً عليها، فقال: هذا مالك ثلاثمائة مُدْي[٥] ذهب.

فقال: مالي وله، لوددت أنه كان بعرًا حائلاً بنجد[٦] .

قال ابن أبي الدنيا في «كتاب المحتضرين» ص(٧٧):

قال: سعيد بن عبد العزيز:

لما نزل بعبد الملك بن مروان الموت أمر ففتح باب قصره، فإذا بقصار - مُبيِّض الثياب - يضرب بثوب له على حجز.

فقال: ما هذا؟

---

(١) «رياض النفوس» (٢/ ٢١٥ - ٢٢٥) وما بعدها.

(٢) أمير العراقين بعد مصعب بن الزبير - ت ٧٥هـ. «العبر» (١/ ٦٣).

(٣) في «تهذيب تاريخ دمشق»: عبدًا حبشيًّا يتناوب أهل البادية ملكه. والمَلَكة: الذي يسيء صحبة المماليك.

(٤) «كتاب المحتضرين» ص(٩٨)، و«البداية والنهاية» (٩/ ٧ - ٨)، و«تاريخ دمشق» (٣/ ٢٥٦)، وهو يشبه ما قاله عمر بن هبيرة عند احتضاره.

(٥) المُدْي: مكيال للشام ومصر. وهو غير المُدّ جمعه أمداء. «القاموس المحيط»، مادة م د ي.

(٦) «كتاب المحتضرين» ص(٩٩).

قالوا: قصّار.

قال: يا ليتني كنت قصارًا.

فقال سعيد بن عبد العزيز: «الحمد للَّه الذي جعلهم يفزعون ويفرّون إلينا ولا نفرّ إليهم».

وفي مرض موته قال أيضًا: «واللَّه لوددت أني عبد لرجل من تهامة أرعى غنيمات في جبالها وأني لم ألِ».

*** زياد بن أبيه يقول عند الموت: كيف وأبو المغيرة بالطريق؟!**

قال عبد ربِّه أبي كعب الجُرْموزي:

إن زيادًا لما قدمَ الكوفة أميرًا قال: أيّ أهل الكوفة أعبد؟ قيل: فلان الحميري. فأرسل إليه، فأتاه، فإذا سَمْت ونَحْو. فقال زياد: لوْ مال هذا مال أهل الكوفة معه.

فقال: إني بعثتُ إليك لخير.

فقال: إني إلى الخير لفقير.

قال: بعثت إليك لأموِّلك وأعطيك على أن تلزم بيتك فلا تخرج!

قال: سبحان اللَّه! لصلاة واحدة في جماعة أحبّ إليّ من الدنيا كلها، ولزيارة أخٍ وعيادتُه أحبّ إليّ من الدنيا كلها، فليس إلى ذا سبيل.

قال: فاخرج فصلِّ في جماعة، وزر إخوانك، وعُدِ المريض والزمْ لسانك.

قال: سبحان اللَّه! أرى معروفًا لا أقول فيه؟ أرى منكرًا لا أنهى عنه؟ فواللَّه لمقام من ذلك واحد أحبّ إليّ من الدنيا كلها.

قال: يا أبا فلان ـ قال جعفر: أظن الرجل أبا المغيرة ـ فهو السيف!

---

(١) «كتاب المحتضرين» ص(٩٠).

قال: السيف؟

قال: السيف!

قال: فأُمر به، فضُربت عنقه.

فقيل لزياد وهو في الموت أبشر.

قال: كيف وأبو المغيرة بالطريق؟[١].

* **أخي**: هذي مصارع الظالمين فإياك إياك أن تكون واحدًا منهم اللَّهم لا تجمع بيننا وبين قوم طالما عاديناهم فيك ولا تفضحنا عند موتنا بموبقات آثامنا..

* * *

(١) «كتاب المحتضرين» ص(١٠٤).



إن للمــوت لســـكرات



إن للمـــوت لسكرات

ذكر سكرة الموت كـفيل برجفة تدب في الأوصال. وإنه لـيرجف صداها وهو بعد في عالم الحياة! فكيف به حين تقال له وهو يعاني السكرات.

● قال رسول الله ﷺ : «**لا إله إلا الله إن للموت لسكرات**»[1] .

يقولها ﷺ وقد اختار الرفيق الأعلى واشتاق إلى لقاء الله.

فكيف بمَن عداه؟ فكيف بالظالمين؟ ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾ .

مشـهد مفـزع مرعب مـكروب مرهـوب، ولفظ الـغمرات يـلقي ظـله المكروب.

جعل العبـد الصالح عمر بن الخطـاب رضي الله عنه يقول: لو أن طلاع الأرض ذهبًا لافتديت من هول المطلع.

ويبكـي أحد العُبّاد ويـقول: لا أحب الموت، ولـما يُسئل عن ذلـك يقوم يخطّ الأرض بقدمه ويقول: رؤية ملك الموت، رؤية ملك الموت.

● لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه عبد الله: يا أبتاه، إنك قد كنت تقول لنا: ليتني كنتُ ألـقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت حتى يصف لي ما يجد؛ وأنت ذلك الرجل فصف لي الموت.

قال: والله يا بني لكأن جَنْبَيَّ في تخت[2] ، وكأني أتنفّس من سَمِّ إبرة،

---

(١) رواه أحمد، والبخاري عن عائشة.

(٢) من معاني التخت: وعاء تُصان فيه الثياب.

وكأن غصن الشوك يُجَرّ به من قدمي إلى هامتي. ثم قال:

ليتني كنت قبل ما بدا لي ... في قلال[١] الجبال أرعى الوعولا

والله ليتني كنتُ حيضًا أعركتني الإماء بدريب الإذخر[٢].

هذا لعمرو التقي الصالح فكيف بالسكرات للطالح؟!

- قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾.
- وقال تعالى: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾[ق: ١٩].
- قال ابن كثير: «يقول الله عز وجل: وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق أي كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه ﴿**ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ أي: هذا هو الذي كنت منه تفرّ قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص.

وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله: ﴿**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو.

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه لما تغشّاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: «**سبحان الله إن للموت لسكرات**».

وفي قوله: ﴿**ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ قولان:

- **أحدهما:** أن «ما» ها هنا موصولة أي: الذي كنت منه تحيد بمعنى تبتعد

---

(١) القلال: جمع قُلّة، وقُلّة كل شيء: قمته وأعلاه.

(٢) «كتاب المحتضرين» ص(٩٣). الحيض: الخرقة التي تستثفر بها الإماء. وعركه: أي دلكه. الإذخر: نبات.

وتتناءى وتفرّ قد حلّ بك ونزل بساحتك.

● **والقول الثاني**: أن «ما» نافية بمعنى: ذلك ما كنت تقدر على الفراق منه ولا الحيد عنه.

● وقال تعالى: ﴿**كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ**﴾[القيامة: ٢٦ - ٣٠].

● قال ابن جرير الطبري: «إذا بلغت نفس أحدهم التراقي عند مماته وحشرج بها.

قال ابن زيد: التراقي: نفسه.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿**مَنْ رَاقٍ**﴾:

قال عكرمة: هل من راق يرقى.

وقال أبو قلابة: هل من طبيب شاف.

وقال ابن زيد: قال أهله: من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به، وطلبوا له الأطباء والمداوين، فلم يغنوا عنه من أمر اللّه الذي قد نزل به شيئًا.

وقال الضحاك بن مزاحم: هو الطبيب.. هل من مداو.

وقال قتادة: أي التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء اللّه شيئًا».

إن الطبيب له علم يدل به ... ما كان للمرء في الأيام تأخير

حتى إذا ما انتهت أيام رحلته ... حار الطبيب وخانته العقاقير

وقال ابن زيد أيضًا: أين الأطباء، والرُّقاة: من يرقيه من الموت.

● وقال آخرون: بل هذا من قول الملائكة بعضهم لبعض، يقول بعضهم لبعض: من يرقي بنفسه فيصعد بها.

عن ابن عباس قال: إذا بلغت نفسه، قالت الملائكة: من يصعد بها،

ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب؟.

وهذا قول أبي الجوزاء.

وقوله: ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾: أيقن الذي قد نزل ذلك به أنه فراق الدنيا والأهل والمال والولد.

قال قتادة: استيقن أنه الفراق.

وقال ابن زيد: لا يدري يموت من ذلك المرض أو من غيره؟ فالظن كما ها هنا هذا.

﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾:

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: والتفت شدة أمر الدنيا بشدة أمر الآخرة:

● قال ابن عباس: الدنيا بالآخرة شدة.

وعن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ يقول: آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة، إلا من رحم اللَّه.. وفي رواية أخرى: ألم تسمع أنه يقول: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾.

وقال مجاهد: التفّ أمر الدنيا بأمر الآخرة عند الموت.

وقال: آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة.

● وقال قتادة: قال الحسن: ساق الدنيا بالآخرة.

وقال قتادة: الشدة بالشدة، ساق الدنيا بساق الآخر.

وعن ابن مجاهد: هو أمر الدنيا والآخرة عند الموت.

وعن الضحاك: أهل الدنيا يجهّزون الجسد، وأهل الآخره يجهزون الروح.

وقال: اجتمع عليه أمران: الناس يجهّزون جسده، والملائكة يجهزون روحه. وقال: هما الدنيا والآخرة.

وقال إسماعيل بن أبي خالد: عمل الدنيا بعمل الآخرة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: التفَّت ساقا الميت إذا لفّتا في الكفن.

قال الحسن: لفهما في الكفن، هما ساقاك إذا لفتا في الكفن.

● وقال آخرون: بل معنى ذلك: التفاف ساقي الميت عند الموت.

قال عامر: ساقا الميت عند الموت.

وقال أبو مالك: عند الموت.

وقال الحسن: ساقا ابن آدم عند الموت.

وقال قتادة: أما رأيته إذا ضرب برجله رجله الأخرى.

ماتت رجلاه فلا يحملانه إلى شيء فقد كان عليهما جوّالا.

وقال آخرون: عُنِي بذلك يبسهما عند الموت وهذا قول أبي مالك.

● وقال آخرون: بل عُني بذلك: والتف بلا ببلاء وهو قول مجاهد.

● قال ابن جرير ـ رحمه اللَّه ـ:

«وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال: معنى ذلك: والتفت ساق الدنيا بساق الآخرة وذلك شدّة كرب الموت بشدة هول المطلع، والذي يدل على أن ذلك تأويله، قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ والعرب تقول لكل أمر اشتد: قد شمّر عن ساقه، وكشف عن ساقه، ومنه قول الشاعر:

إذا شمّرتْ لَكَ عن ساقها ... فَرنها ربيعُ ولا تسأمِ

عني بقوله: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ التصقت إحدى الشدتين بالأخرى»[1].

---

(١) «تفسير الطبري» (١٢/ ١٩٤ ـ ١٩٨).

قال الفرّاء في «معاني القرآن» (٣٥٠): أتاه أول شدة أمر الآخرة، وأشد آخر أمر الدنيا.

● قال تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٧].

● قال ابن كثير: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي: الروح، ﴿الْحُلْقُومَ﴾ أي: الحلق، وذلك حين الاحتضار كما قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ ولهذا قال ها هنا: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أي: إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: بملائكتنا، ﴿وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ﴾ أي: ولكن لا ترونهم، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ معناه فهلاّ ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرّها من الجسد إن كنتم غير مدنيين.

قال ابن عباس: يعني: محاسبين، وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والسدي وأبي حرزة مثله.

● وقال سعيد بن جبير والحسن البصري: ﴿فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتجزون

فردّوا هذه النفس.

● وقال مجاهد: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير موقنين.

● وقال ميمون بن مهران: غير معذبين مقهورين»[١].

● يا لها من ساعة لا تشبهها ساعة، يألم فيها أهل التقى فكيف بأهل الإضاعة؟

مَنْ لك إذا ألمّ الألم، وسكت الصوت وتمكّن الندم وأقبل لأخذ الروح ملك الموت.

وتبدّلت بعد الحركات السكون؟.

مَن لك عند كرب السياق، وترادف الحشارج، وتتابع الأنين، واختلاف الأضلاع، واصطكاك الأسماع، هذا الظاهر الذي نراه فما هُو المغيب عنّا كيف برؤية ملك الموت ولم تره من قبل؟.

هنا قرب الزِّيال وأزوف الانتقال، وعَلَز القلق، وألم المضض، وغُصَص الجَرض، وتلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة والأقرباء، والأعزّة والقرناء، فهل دفعت الأقارب؟ أوْ نفعت النواصب؟ لا واللَّه.

● يا لها من سكرة ملهثة، وغمرة كارثة، وأنّة موجعة، وجذبة مكربة، وسَوْقة مُتعبة.

وقد أتوْا بطبيب كي يعالجني ... ولم أر الطبيب اليوم ينفعني

واشتد نزعي وصار الموت يجذبها ... من كل عرق بلا رفق ولا هون

واستخرج الروح مني في تغرغرها ... وصار في الحلق مرًّا حين غرغرني

وسل روحي وظل الجسم منطرحًا ... على الفراش وأيديهم تقلّبني

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٠٠ ـ ٣٠١).

● **قال الغزالي ـ رحمه اللَّه ـ:**

«اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها، لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقًا بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده، لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء: كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك.

وقال لقمان لابنه: يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك. والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جدي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وعنه غافل، فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور.

واعلم أن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها، ومن لم يذقها فإنما يعرفها إلا بالقياس إلى الآلام التي أدركها الاستدلال بأحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه. فأما القياس الذي يشهد له: فهو أن عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم، فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح، فمهما أصاب العضو جرح، أو حريق سرى الأثر إلى الروح فبقدر ما يسري إلى الروح يتألم، والمؤلم ينفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء، فلا يصيب الروح إلا بعض الألم، فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده!.

● والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه، حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم، فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده إنما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك

الموضع الذي أصابته الشوكة، وإنما يعظم أثر الاحتراق؛ لأن أجزاء النار تغص في سائر أجزاء البدن، فلا يبقى من العضو المحترق ظاهراً وباطنًا إلا وتصيبه النار فتحسه الأجزاء الروحانية في سائر أجزاء اللحم.

● **وأما الجراحة:** فإنما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط، فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار، فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم، فلا تسأل عن كربه وأنه، حتى قالوا: إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض؛ لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المقاول المباشر نفس الروح؟ وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه من شدة ألمه؛ لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه، وبلغ كل موضع منه فهدّ كل قوّة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوّة الاستغاثة.

● **أما العقل:** فقد غشيه وشوّشه، وأما اللسان فقد أبكمه، وأما الأطراف فقد ضعفها. ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك.

قال شداد بن أوس: الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور، ولو أنّ الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة،

وإذا كان للكافر معروف لم يجز به هوّن عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار. وعن بعضهم: أنه كان يسأل كثيرًا من المرضى كيف تجدون الموت؟ فلما مرض قيل له: فأنت كيف تجده؟ فقال: كأن السماوات مطبقة على الأرض وكأنّ نفسي يخرج من ثقب إبرة»[1].

وقال كعب عن الموت: إن الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق، ثم جذبه رجل شديد الجذب، فأخذ ما أخذ، وأبقى ما أبقى.

● لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت بها من هول المطلع.. هذا قول عمر رضي الله عنه.

هذه سكرات الموت على أولياء اللَّه وأحبابه. فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فإن دواهي الموت ثلاث:

● **الأولى:** شدة النزع كما ذكرناه.

● **الداهية الثانية:** مشاهدة صورة ملك الموت، ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته، وأما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها.

● ومنه مشاهدة الملكين الحافظين: قال وهيب: بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله، فإن كان مطيعًا قالا له: جزاك اللَّه عنا خيرًا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا، وإن كان فاجرًا قالا له: لا جزاك اللَّه عنا خيرًا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٩٠ ـ ٤٩١).

أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك اللَّه عنا خيرًا. فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدًا.

● **الداهية الثالثة:** مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة، فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم، ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بأحد البشريين: إما أبشر يا عدوّ اللَّه بالنار، أو أبشر يا ولي اللَّه بالجنة. ومن هذا كان خوف أرباب الألباب» ا.هـ.

* **أخي:**

ألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش. أمّا الشهيد فلا يجد من ألم الموت إلا مسّ القرصة... فافهم هذا واعقله.

* **يا إخوتاه:**

بادروا بالأعمال عمرًا ناكسًا، أو مرضًا حابسًا، أو موتًا خالسًا، فإن الموت هادم لذاتكم، ومكدر شهواتكم، ومباعد طيّاتكم، زائر غير محبوب، وواتر غير مطلوب.

عظمت فيكم سطوته، وتتابعت عليكم عَدْوتهُ.

وقلّت عنكم نبوته،

فيوشك أن تغشاكم دواجي ظُلَلِه، واحتدام علله، وحنادس غَمراتِه، وغواشي سكراتِه، وأليم إزهاقه، ودجو إطباقه، وجشوبة مذاقه، فكأنه قد أتاكم بغتة فأسكت نجيكم، وفرق نديكم، وعَفّى آثاركم، وعطل دياركم، وبَعث وراثكم يقتسمون تراثكم، بين حميم خاص لم ينفع، وقريب محزون لم يمنع، وآخر شامت لم يجزع.

* **أخي:**

«إلى اللَّه فارغب في التوفيق، وإياه فسل العفو عن الذنوب، وبه فاستعن في كل الأمور. فعجبت كيف تقر عينك، أو كيف يزايل الوجل والإشفاق قلبك، وقد عصيت ربك، واستوجبت بعصيانك غضبه وعقابه، والموت لا محالة نازل بك بكربه وغصصه ونزعه وسكراته، فكأنك قد نزل بك وشيكًا سريعًا.

فتوهم نفسك، وقد صرعت للموت صرعة، لا تقوم منها إلا إلى الحشر إلى ربك؛ فتوهم نفسك في نزع الموت، وكربه، وغصصه، وسكراته، وغمه وقلقه؛ وقد بدأ الملك يجذب روحك من قدمك، فوجدت ألم جذبه من أسفل قدميك، ثم تدارك الجذب، واستحث النزع، وجذبت الروح من جميع بدنك، فنشطت من أسفلك متصاعدة إلى أعلاك حتى إذا بلغ منك الكرب منتهاه، وعمت آلام الموت جميع جسمك، وقلبك وجل، محزون مرتقب، منتظر للبشرى من اللَّه عز وجل بالغضب أو الرضا، وقد علمت أنه لا محيص لك دون أن تسمع إحدى البشريين من الملك الموكل بقبض روحك.

فبينا أنت في كربك، وغمومك، وألم الموت بسكراته، وشدة حزنك لارتقابك إحدى البشريين من ربك، إذ نظرت إلى صفحة وجه ملك الموت بأحسن الصورة أو بأقبحها، ونظرت إليه مادًّا يده إلى فيك، ليخرج روحك من بدنك، فذلت نفسك، لما عاينت ذلك، وعاينت وجه ملك الموت، وتعلق قلبك بماذا يفجؤك من البشرى منه.

إذا سمعت صوته بنغمته: أبشر يا ولي اللَّه برضا اللَّه وثوابه، أو أبشر يا عدو اللَّه بغضبه وعقابه، فتستيقن حينئذ بنجاحك وفوزك، ويستقر الأمر في

قلبك، فتطمئن إلى اللَّه نفسُك، أو تستيقن بعطبك وهلاكك، ويحل الإياس قلبك، وينقطع من اللَّه عز وجل رجاؤك وأملك، فيلزم حينئذ غاية الهم والحزن أو الفرح والسرور قلبك، ، حين انقضت من الدنيا مدتك، وانقطع منها أثرك، وحملت إلى دار من سلف من الأمم قبلك.

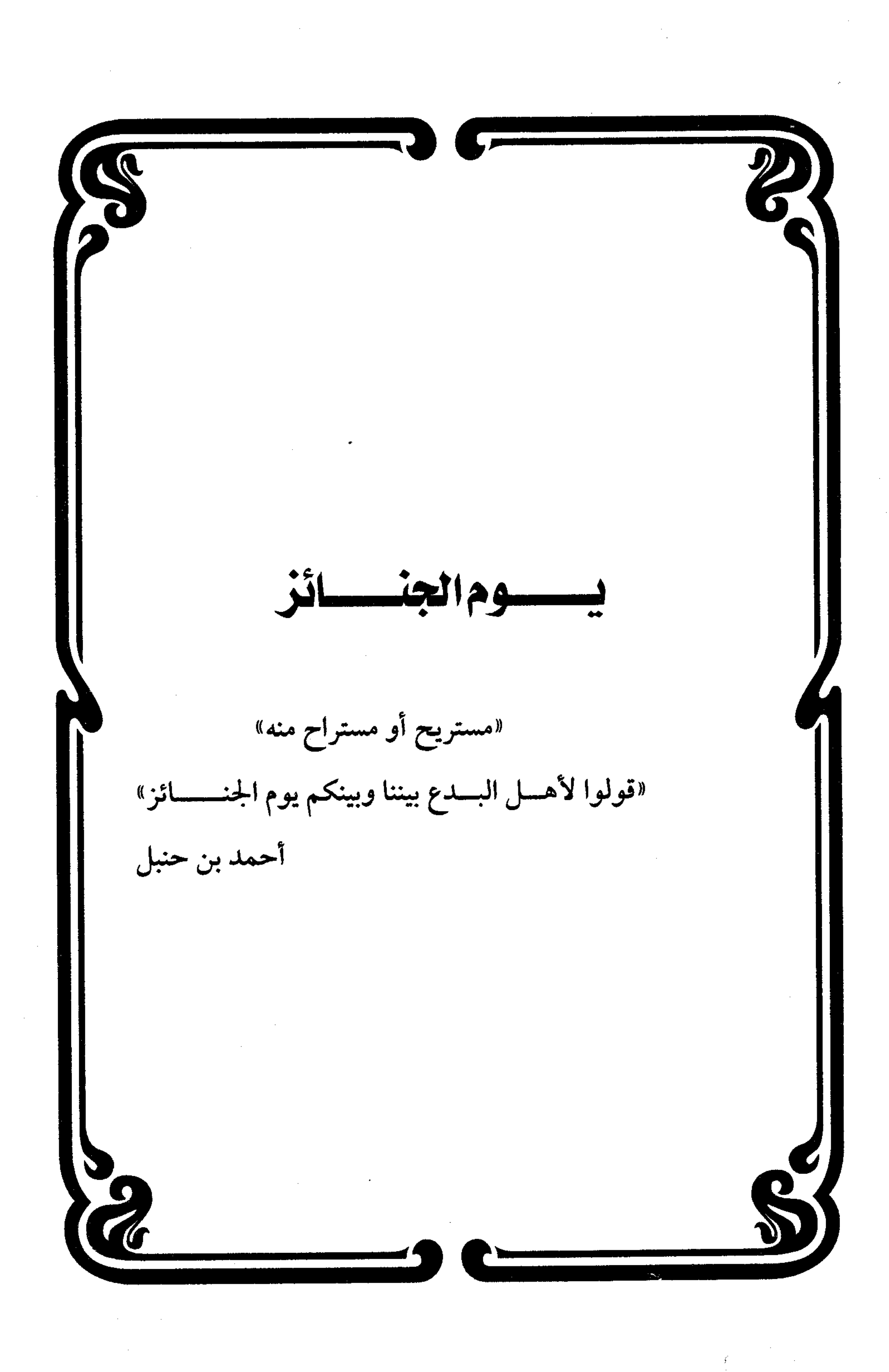
توهم نفسك حين استطار قلبك فِرحًا وسرورًا، أو ملئ حزنًا وعبرة»[1] .

واعمل لهذه اللحظة... ويا لها من لحظة

* * *

(١) «التوهم» للمحاسبي.





يـــوم الجنـــائز

«مستريح أو مستراح منه»

«قولوا لأهـل البـدع بيننا وبينكم يوم الجنـــائز»

أحمد بن حنبل

يوم الجنائز

يوم الجنائز... ما أحلاه من يوم للطيبين الصالحين..

وما أهوله من يوم للعاصين الطالحين..

أضحك سنك طول الأمل ... ولم يبك عينك قربُ الأجل

كأنك لم تر حيًّا يُساق ... ولم تر ميْتًا على مغتَسل

«كان المزني يغسّل الموتى تعبدًا واحتسابًا، وهو القائل: تعانيتُ غسل الموتى ليرق قلبي فصار لي عادة».

يا هذا...

ستخرج من بيتك في رحلة لا ترجع بعدها أبدًا..

وستركب مركبًا لا تركب مثله أبدًا...

رأى أحد الصالحين جنازة فقال: أما هذا فقد انقطعت أعماله واحتاج إلى دعاء مَن بعده.

● يوم الجنائز يوم الراحة للطيبين، ويوم الراحة من العاصين والكافرين.. يوم تبكي السماء فيه على الأبرار.. ويبكي عليه ممشاه إلى المسجد ومصعد عمله إلى السماء... وتستريح الأرض من أُناس.

● عن عائشة رضي الله عنها قالت: قيل يا رسول اللّه ماتت فلانة واستراحت! فغضب رسول اللّه ﷺ وقال: «**إنما يستريح مَن غُفِر له**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٦٩ و١٠٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٩٠)، والبزار عن عائشة، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٥١) عن محمد بن عروة، وصححه بمجموع طرقه =

● وعن أبي قـتادة رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم مُرَّ عـليه بجنـازة، فقال: «مستـريح أو مستـراح منه»، قالوا: يا رسول اللَّه ما المسـتريح والمستراح منه؟ قال: «**العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة اللَّه، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب**»[(١)] .

● قال عـلي رضي الله عنه: «إن المؤمن إذا مـات بكى عـليه مُصَـلاّه من الأرض ومصعد عمله من السماء، وإن آل فرعون لم يكن لهم في الأرض مصلى ولا في السـماء مَصْعَد عمـل، فقال اللَّه تـعالى: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالأَرْضُ**﴾، وإلى نحو هذا ذهب ابن عباس»[(٢)] .

وقال مجـاهد: «ما مات مـؤمن إلا بكت علـيه السمـاء والأرض أربعين صباحًا، فقيل له: أَوَ تبكي؟ قال: وما للأرض لا تبكي على عبدٍ كان يعمرها بالركوع والسجود؟! ما للـسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحـه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل»[(٣)] .

= الشيخ الألباني فـي «السلسلة الصحيحة» رقم (١٧١٠)، وقـال: «يبدو من هذه الطرق أن للحديث أصلاً أصيلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ».

(١) أخرجه مالك، وعـنه البخاري (٤/ ٢٣٣)، وكذا مسلـم (٣/ ٥٤)، والنسائي (١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣)، وأحمد (٥/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣).

(٢) «زاد المسير في علم التفسير» (٧/ ٣٤٥)، «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٣١).

(٣) «زاد المسيـر» (٧/ ٣٤٥)، في قول اللَّه تـعالى: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ**﴾ [الدخان: ٢٩]:

ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على الحقيقة؛ لقول علي، وابن عباس، ومجاهد.

والثانـي: أن المراد: أهل السـماء وأهل الأرض، قاله الحـسن، ونظيـر هذا قوله تـعالى: ﴿**حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا**﴾ [محمد: ٤]، أي: أهل الحرب.

والثالث: أن العـرب تقول إذا أرادت تعظيم مهلـك عظيم: أظلمت الشـمس له، وكسف القمر لفقده، وبكته الريح والبرق والسـماء والأرض يريدون المبالغة في وصف المصيبة؟ =

فالصالح تبكي لموته السماء وأهلها، فيوم موته جنازة لأهل الأرض، والطالح يوم موته عيد لأهل الأرض يستريحون منه ومن أذاه حتى الجماد.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا وُضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم؛ فإن كانت صالحة قالت: قدّموني، وإن كانت غير صالحه قالت لأهلها: يا ويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق»**[1].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم»**[2].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا صلوا على جنازة فأثنوا خيرًا، يقول الرب: أجزتُ شهادتهم فيما يعلمون، وأغفر له ما لا يعلمون»**[3].

● وقال ﷺ: **«إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»**[4].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من أربعين من مؤمن يستغفرون**

= وليس ذلك بكذب منهم كما قال الشاعر:

الشمس طالعة ليست بكاسفة ... تبكي عليك نجومَ الليل والقمرا

أراد الشمس طالعة تبكي عليه، وليست مع طلوعها كاسفة النجوم والقمر.

معنى الكلام: «إن اللَّه لما أهلك قوم فرعون لم يبك عليهم باك، ولم يجزع جازع، ولم يوجد لهم فَقْد، هذا كله كلام ابن قتيبة» انتهى من «زاد المسير» (٧/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦).

(١) رواه أحمد، والبخاري، والنسائي عن أبي سعيد.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري في «التاريخ» عن الرُبيّع بنت معوذ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٣٦٤)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٦٢).

(٤) **حسن**: أخرجه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان عن أبي هريرة، وحسّنه الألباني في «أحكام الجنائز» (١٢٣)، و«صحيح الجامع» (٦٦٩).

لمؤمـن، إلا شفعهم اللَّه فيه»[١] .

● وقال ﷺ : «ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً، لا يشركون باللَّه شيئًا، إلا شفعهم اللَّه فيه»[٢] .

● وقال رسـول اللَّـه ﷺ : «ما مـن مسلم يـصلي علـيه أمّة إلا شفّـعوا فيه»[٣].

● وقال رسـول اللَّـه ﷺ : «ما من ميت يـصلي عليه أمة من المـسلمين، يبلغون أن يكونوا مائة، فيشفعون له، إلا شُفِّعوا فيه»[٤] .

● وقال رسول الـلَّه ﷺ : «ما من ميّـت يُصلي عليه أمـة من الناس، إلا شفّعوا فيه»[٥] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «من صلى عليه مائة من المسلمين غُفِر له»[٦] .

● وقال رسول الـلَّه ﷺ : «لا يموت أحد من المسلمين، فـيصلي عليه أمة من المسلمين، يبلُغوا أن يكونوا مائة، فما فوقها، فيشفعوا له، إلا شُفّعوا فيه»[٧] .

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٢٦٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٦٨٠).

(٢) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم، وأبو داود عن ابن عباس.

(٣) **حسن**: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير» عن ميمونة، وحسّنه الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٩٩)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٧٦٢).

(٤) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي عن أنس وعائشة.

(٥) **حسن**: أخرجه النسائي عن ميمونة، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٢٦٣)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٧٨٧).

(٦) **صحيح**: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣٥٦).

(٧) **صحيح**: رواه أحمد، والترمذي، والنسائي عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٧٨٧)، ورواه الطيالسي، والبيهقي في «سننه».

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «من خرج مع جنازة من بيتها، وصلى عليها، ثم تبعها حتى تُدفن، كان له قيراطان من أجر، كل قيراط مثل أحد، ومَن صلى عليها ثم رجع، كان له من الأجر مثل أُحد»[١] .

● وقال ﷺ : «من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن كان له قيرطان، مثل الجبلين العظيمين»[٢] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «من صلى على جنازة فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان، القيراط مثل أُحد»[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «من صلى على جنازة فله قيراط، ومن انتظرها حتى توضع في اللحد، فله قيراطان، والقيراطان مثل الجبلين العظيمين»[٤] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «من تبع جنازة حتى يصلى عليها، كان له من الأجر قيراط، ومن مشى مع الجنازة حتى تدفن، كان له من الأجر قيراطان، والقيراط مثل أحد»[٥] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «من تبع جنازة حتى يصلى عليها، ويفرغ منها، فله قيراطان، ومن تبعها حتى يصلى عليها، فله قيراط، والذي نفس محمد بيده، لهو أثقل في ميزانه من أُحد»[٦] .

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود عن أبي هريرة، وعائشة.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم، وابن ماجه عن ثوبان.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣٥٣).

(٥) رواه أحمد، والنسائي عن البراء، ورواه أحمد، ومسلم، وابن ماجه، والطيالسي عن ثوبان.

(٦) **صحيح**: رواه أحمد، وابن ماجه عن أبيّ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٣٥).

● **أخـــي**: صلاة الجنائز فـي المصلى موضع الجنائز هـي السنة، وتجوز صلاتـها في المسـاجد. قال رسول الـلَّه ﷺ: «**من صـلى عـلى جنازة فـي المسجد، فليس له شيء**»[١].

● **أخـــي**: لا تفرّط في اتبـاع الجنائز، فقد كان ابن عـمر رضي الله عنهما يصلي عليها، ثم ينصرف، فلما بلغه حـديث أبي هريرة قال: لقد فرّطنا في قراريط كثيرة.

● وقال رسول الـلَّه ﷺ: «**من تبع جنازة حتى يُفـرغ منها، فله قيراطان، فإن رجع قبل أن يُفرغ منها، فله قيراط**»[٢].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**من تبع جنازة فصلى عـليها، ثم انصرف، فله قيراط من الأجر، ومن تـبعها فصلى عليهـا، ثم قعد حتى فُرغ منها ومـن دفنها، فله قيراطان من الأجر، كل واحد منهما أعظم من أُحد**»[٣].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**من تبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا وكان معها حتى يُصلّى عليها، ويفرغ من دفنها، فإنه يرجع من الأجر بقيراطين، كل قيراط مثل أُحد، ومن صلّى عليها ثم رجع قبل أن تُدفن، فإنه يرجع بقيراط من الأجر**»[٤].

● وقال رسـول اللَّـه ﷺ: «**ثلاث كلـهن حق علـى كل مسلـم: عيادة المريض، وشهود الجنازة، وتشميت العاطس إذا حمد اللَّه**»[٥].

---

(١) **صحـيـح**: رواه أحمد في «مسنـده»، وابن ماجه عن أبي هريرة، وصححـه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٣٥١)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٣٥٤).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي عن عبد اللَّه بن مغفل، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٣٦)، و«أحكام الجنائز» ص(٦٨).

(٣) **حسن**: رواه النسائي عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٣٧).

(٤) رواه البخاري، والنسائي عن أبي هريرة.

(٥) **حسـن**: رواه البخاري في «الأدب المفـرد» عن أبي هريرة، وحسّنه الألباني فـي «السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٠٠)، و«صحيح الجامع» (٣٠٣٥).

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «حق المسلم على المسلم خمس: ردّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»(١) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «خمس من حق المسلم على المسلم: رد التحية، وإجابة الدعوة، وشهود الجنازة، وعيادة المريض، وتشميت العاطس إذا حمد اللَّه»(٢) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «خمس تجب للمسلم على أخيه: ردّ السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنازة»(٣) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيتُه فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد اللَّه فشمِّتْه، وإذا مرض فعُدْه، وإذا مات فاتَّبِعْه»(٤) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «الراكب خلف الجنازة، والماشي حيث شاء منها، والطفل يصلى عليه»(٥) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «الراكب يسير خلف الجنازة، والماشي يمشي خلفها، وأمامها وعن يمينها وعن يسارها قريبًا منها، والسِّقط(٦) يُصَلّى عليه ويُدْعى

---

(١) رواه البخاري، ومسلم عن أبي هريرة.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٥١)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٣٢).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢٤١).

(٤) رواه مسلم، وأحمد، والبخاري في «الأدب المفرد» عن أبي هريرة.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه عن المغيرة بن شعبة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٥٢٣)، و«أحكام الجنائز» ص(٧٣).

(٦) الولد يسقط من بطن أمة قبل تمامه.

لوالديْه بالمغفرة والرحمة»[1] .

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم صائمًا؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**مَنْ عاد منكم اليوم مريضًا؟**».

قال أبو بكر: أنا، قال: «**مَن شهد منكم اليوم جنازة؟**»، قال: أبو بكر: أنا، قال: «**من أطعم اليوم مسكينا؟**» قال: أبو بكر: أنا، قال ﷺ: «**ما اجتمعت هذه الخصال في رجل في يوم إلا أدخلته الجنة**»[2] .

● وهذا الفضل في اتباع الجنائز، إنما هو للرجال دون النساء، لنهي النبي ﷺ لهن عن اتباعها، وهو نهي تنزيه، فقد قالت أم عطية رضي الله عنها:

«كنا نُنهى - وفي رواية -: نهانا رسول الله ﷺ، عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا»[3] .

● ولا يرفع الصوت بالذكر أمام الجنازة؛ لأنه بدعة لقول قيس بن عباد: «كان أصحاب النبي ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الجنائز»[4] .

* يوم الجنـــائز يذكّر بالآخـرة:

● عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عودوا المريض، واتبعوا الجنائز، تُذَكّركم الآخرة**»[5] .

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، والحاكم في «المستدرك» عن المغيرة بن شعبة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٥٢٥)، و«الإرواء» (٧١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ٩٢)، (٧/ ١١٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» ص(٧٥).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ٤٧) والسياق له، والبخاري (١/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩) و(٣/ ١٦٢)، وأبو داود (٢/ ٦٣)، وابن ماجه (١/ ٤٨٧)، وأحمد (٦/ ٤٠٨ و٤٠٩)، وكذا البيهقي (٤/ ٧٧).

(٤) أخرجه البيهقي (٤/ ٧٤)، وابن المبارك في «الزهد» (٨٣)، وأبو نعيم (٩/ ٥٨) بسند رجاله ثقات قاله الألباني في «أحكام الجنائز» ص(٩٢).

(٥) **إسناده حسن**: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٧٣)، والبخاري في «الأدب المفرد»=

*** يوم الجنائز فخر وعز للصالحين:**

وهذي قطفة من بساتينهم:

هذا اليوم يشهد للصالحين وما لهم من الأجر العظيم الذي ينتظرهم ورحم اللَّه الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة حيث يقول: «قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز».

*** سعد بن معاذ ونعم مصير الصادقين إذا دُعوا إلى اللَّه للوجاهة.. سعد الذي حملته الملائكة.. سعد الذي شيّعه سبعون ألف ملك ما نزلوا إلى الأرض قبل موته قط.. سعد الذي اهتزّ لموته عرش الرحمن:**

سيدنا سعد بن معاذ.. وما أدراك ما سعد؟!.. والمواقف كثيرة.. كيف مات.. ويوم موته.. وجوائز الملِك عز وجلّ له.. ولنا نورد طرفًا من قصته، رُمي سعد يوم الخندق بسهم قطع منه الأكحل.

قال ابن إسحاق:

رماه ابن العَرقة، فلما أصابه قال: خذها مني وأنا ابن العرقة، فقال: عرّق اللَّه وجهك في النار، اللَّهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها، فإنه لا قوم أحبّ إليّ من أن أجاهدهم فيك من قوم آذوا نبيك وكذّبوه وأخرجوه، اللَّهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم، فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقرّ عيني من بني قريظة[1].

= ص(٧٥)، وابن حبان في «صحيحه»، والطيالسي، وأحمد (٣/ ٢٧، ٣٢، ٤٨)، والبغوي في «شرح السنة».

قال الألباني في «أحكام الجنائز»: «وإسناده حسن».

(١) رجاله ثقات، وهو في «سيرة ابن هشام»، وأخرجه أحمد بنحوه أطول من هذا.

● وعن جابر ﷺ قال: «رُمي سعد يوم الأحزاب، فقطعوا أكحله، فحسمه النبي ﷺ بالنار، فانتفخت يده، فتركه فنزفه الدم، فحسمه أخرى، فانتفخت يده، فلما رأى ذلك، قال: اللّهم، لا تُخرج نفسي حتى تقرّ عيني من بني قريظة، فاستمسك عِرْقه، فما قطرتْ منه قطرة حتى نزلوا على حكم سعد، فأرسل إليه رسول اللّه ﷺ، فحكم أن يقتل رجالهم، وتُسبى نساؤهم وذراريهم، قال: وكانوا أربعمائة، فلما فرغ من قتلهم، انفتق عرقه»[1].

● وعن عبد اللّه بن شداد دخل رسول اللّه ﷺ على سعد وهو يكبد نفسه، فقال: «**جزاك اللّه خيرًا من سيد قوم، فقد أنجزت ما وعدته، ولينجزنك اللّه ما وعدك**»[2].

* وهذا الحديث في موت سعد يكتب بماء الذهب ووجيب القلب:

● عن محمود بن لبيد قال: لما أُصيب أكحل سعد فثقل، حوّلوه عند امرأة يُقال لها «رفيدة» تداوي الجرحى، فكان النبي ﷺ إذا مرّ به يقول: «**كيف أمسيت، وكيف أصبحت؟**»، فيخبره، حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها وثقل، فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول اللّه ﷺ، فقيل: انطلقوا به، فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالنا، وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه، فقال: «**إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة، فتغسله كما غسّلت حنظلة**»، فانتهى إلى البيت وهو يُغَسّل، وأمه تبكيه وتقول: ويل أم سعدٍ سعدا، حزامة وجدّا. فقال: «**كل باكية**

(١) رواه أحمد، وابن سعد، والدارمي، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ورجاله ثقات.

تكذب إلا أم سعد»، ثم خرج به، قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول اللَّه ميتًا أخف علينا منه. قال: «**ما يمنعه أن يخفّ، وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قبل يومهم، قد حملوه معكم**»[(١)] .

أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة. . . هذه واحدة.

● وعن أنس ﷺ قال: لما حُمِلت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته. فقال النبي ﷺ : «**إن الملائكة كانت تحمله**»[(٢)] وهذه ثانية.

● **وثالثة:**

عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**هذا العبد الصالح الذي تحرّك له العرش، وفُتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك...**»[(٣)] .

● **ورابعة خير من الدنيا وما فيها لسعد: نعاه جبريل يوم موته للنبي** ﷺ :

عن جابر ﷺ قال: جاء جبريل إلى رسول اللَّه ﷺ : فقال: «**من هذا العبد الصالح الذي مات؟ فُتِحت له أبواب السماء، وتحرّك له العرش**». فخرج رسول اللَّه ﷺ فإذا سعد. قال: «**فجلس على قبره**»[(٤)] . . . انظر من الذي ينعي سعد. . ومن الذي ينعي ملوك الدنيا. . .

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه ابن سعد في «الطبقات». انظر: «تخريج سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٨٧).

(٢) صححه الترمذي، انظر: «الفتح» (٧/ ١٥٥).

(٣) **إسناده صحيح**: رواه النسائي، وابن سعد.

ولفظ النسائي: «هذا الذي تحرّك له العرش، وفُتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضُمّ ضمّة ثم فُرِّج عنه». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٩٨٧)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (١٦٩٥).

(٤) **إسناده صحيح**: رواه النسائي، وابن سعد.

● وخامسة أغلى وأحلى:

عن جابر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ»[١] .

● وعن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه: «اهتز العرش لحب لقاء اللَّه سعدًا»[٢] .

وما اهتزّ عرش اللَّه من موت هالك   سمعنا به إلا لسعدٍ أبي عمرو

قال ابن القيم:

«كان سعد في الأنصار بمنزلة الصدّيق في المهاجرين، لا تأخذه في اللَّه لومة لائم، وخُتم له بالشهادة، وآثر رضا اللَّه ورسوله على رضا قومه وحلفائه، ووافق حكمه حكم اللَّه من فوق سبع سماوات، ونعاه جبريل عليه السلام يوم موته، فحُقّ له أن يهتز العرش له»[٣] . وهذا متواتر.

قال الذهبي: «والعرش خلق اللَّه مسخّر، إذا شاء أن يهتز بمشيئة اللَّه، وجعل فيه شعورًا لحب سعد، كما جعل تعالى شعورًا في جبل أحد يحبه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال تعالى: ﴿**يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ**﴾ [سبأ: ١٠]، وقال: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ**﴾، ثم عمم وقال: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ [الإسراء: ٤٤]، وهذا حق»[٤] .

قال النضر بن شميل ـ وهو إمام في اللغة ـ:

اهتز فرح قاله الذهبي في «السير» (١/ ٢٩٣) وللَّه در حسان بن ثابت

---

(١) رواه البخاري عن جابر، وأحمد، وابن سعد، والحاكم عن أبي سعيد، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) **صحيح**: رواه ابن سعد، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) «فيض القدير» للمناوي (٣/ ٦٤).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٩٧).

حين يرثي سعدًا فيقول:

فأنت الذي يا سعدُ أُبْتَ بمشهد — كريمٍ وأثواب المكارم والمجد
بحكمك في حيّ قريظة بالذي — قضى اللَّه فيهم ما قضيت على عمدِ
فوافق حكم الملك حكمُك فيهمُ — ولم تَعفُ إذ ذكرّتَ ما كان من عَهدِ
فإن كان ريب الدهر أمضاك في الأُولى — شروا هذه الدنيا بجنّاتها الخلد
فنعم مصير الصادقين إذا دُعوا — إلى اللَّه يومًا للوجاهة والقصد[1]

*** عبد اللَّه بن عبّاس رضي الله عنهما والمشهد العجيب عند دفنه:**

عن سعيد بن جُبير، قال: مات ابن عباس بالطائف، فجاء طير لم يُرَ على خِلْقته، فدخل نعشه، ثُمّ لم يُرَ خارجًا منه، فلما دُفن، تُليَت هذه الآية على شفير القبر لا يُدْرى مَن تلاها ﴿يَآ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧] الآية[2] .

قال الذهبي: هذه قضية متواترة[3] .

لما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفيّة: اليوم مات ربّاني هذه الأمة.

وقال رافع بن خديج: مات اليوم من كان يحتاج إليه مَن بين المشرق والمغرب في العلم.

وقال معاوية: مات واللَّه أفقه من مات ومن عاش[4] .

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ١٣٢).

(٢) أورده في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٨٥)، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وهو في «المستدرك» (٣/ ٥٤٣، ٥٤٤)، ونحوه في «الحلية» (١/ ٣٢٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٥٨).

(٤) «البداية والنهاية» (٨/ ٣٠٠ ـ ٣٠١)، «عبد اللَّه بن عباس» للدكتور مصطفى سعيد الخن =

● فرضي اللَّه عن الحبر البحر إمام التفسير ابن عم رسول اللَّه ﷺ.

* غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر:

تزوّج حنظلة جميلة بنت عبد اللَّه بن أُبيّ بن سلول في الليلة التي في صبيحتها كان قتال أحد.

● عن عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن حرب حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن صاحبكم تغسله الملائكة**»، فاسألوا صاحبته ـ زوجته ـ فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لذلك غسّلته الملائكة**»[1].

● عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«أصيب حمزة بن عبد المطلب وحنظلة بن الراهب، وهما جنب، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**رأيت الملائكة تغسلهما**»[2]. وولده يُقَال لهم:

= ص(٢٠٧ ـ ٢٠٨) ـ دار القلم.

(١) **إسناده حسن:** رواه الحاكم (٣/ ٢٠٤): وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يُخرجاه، وأقرّه الذهبي. وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، والبيهقي (٤/ ١٥) بإسناد جيد كما قال النووي في «المجموع» (٥/ ٢٦٠) ثم نسي ذلك فقال بعد (٥/ ٢٦٣): وذكرنا أنه حديث ضعيف.

قال الشيخ الألباني: فجلّ من لا ينسى. انظر: «أحكام الجنائز» ص(٧٤).

(٢) **إسناده حسن:** رواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٤٨/ ١) وإسناده حسن، كما قال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٣)، ورواه الحاكم (٣/ ١٩٥) دون ذكر حنظلة، وقال: «صحيح الإسناد»، وتعقّبه الذهبي فأصاب، لكن له شاهد مرسل قوي أخرجه ابن سعد (ج٣ ق١ ص٩) عن الحسن البصري مرفوعًا مثله.

قال الشيخ الألباني في «أحكام الجنائز» (٧٥): «وسنده صحيح رجاله كلهم ثقات، وفيه =

«بنـو غسيل الملائكة».

قالت زوجته: رأيت كأن السماء قد فُرجت له فدخل فيها، ثم أُطبقت، فقلت: هذه هي الشهادة.

*** حمزة بن عبد المطلب غسيل الملائكة، وسيد الشهداء وأسد اللَّه:**

قال رسول اللَّه ﷺ: «**سيد الشهداء عند اللَّه يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب**».

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**».

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أحد بين يديْ رسول اللَّه ﷺ بسيفين ويقول: أنا أسد اللَّه»[1].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لولا جزع النساء لتركته حتى يُحشر من حواصل الطير وبطون السباع**»[2]

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**رأيت الملائكة تُغَسِّل حمزة بن عبد المطلب، وحنظلة بن الراهب**»[3].

رد على الحافظ، فإنه وصف حديث ابن عباس بالغرابة؛ لأنه ذُكر فيه حمزة، مع أنه قال في سنده: إنه لا بأس به، كما حكاه الشوكاني عنه (٤/ ٢٦)، فالظاهر أن الحافظ ـ رحمه اللَّه ـ لم يقف على هذا الشاهد.

(١) **إسناده صحيح**: رواه الحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) **إسناده حسن لغيره**: رواه ابن سعد في «الطبقات».

(٣) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير»، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٦٣)، و«الإرواء» (٧١٣)، و«أحكام الجنائز» ص(٧٥).

والحمد للَّه أن هذه الفضيلة والمنقبة ثبتت لحمزة رضي الله عنه مثل ما ثبتت لحنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه.

*** عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح حمت الدبر جثمانه:**

● قال أبو جعفر الطبري:

«وجُعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة، وشاع خبر نذرها في قريش وجعل كل فتى من فتيان قريش يتمنى أن لو ظفر بعاصم بن ثابت وقدّم رأسه لسلافة، حتى كان يوم الرجيع في السنة الرابعة من الهجرة».

ولما قاتل عاصم في هذا اليوم بعد غدر عضل القارة بهم تذكّر رضي الله عنه نذر سلافة التي نذرته، وجرّد سيفه وهو يقول: اللَّهم إني أحمي لدينك وأدافع عنه، فاحم لحمي وعظمي، ولا تظفر بهما أحدًا من أعداء اللَّه.

اللَّهم إني حميت دينك أول النهار فاحم جسدي آخره.

قال ابن إسحاق: فلما قُتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه، ليبيعوه من سلافة بنت سعد، فمنعته الدَّبْر، فلما حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فنأخذه، فبعث اللَّه الوادي فاحتمل عاصمًا فذهب به. وكان عاصم قد أعطى عهدًا أن لا يمسه مشرك ولا يَمسّ مشركًا أبدًا تنجسًا. فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغته أن الدبر منعته: يحفظ اللَّه العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركًا أبدًا في حياته، فمنعه اللَّه بعد وفاته كما امتنع في حياته»[1].

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٦٧).

فسوف يرون النصر يومًا عليهم بقتل الذي تحميه دون الجرائم
أبابيل دَبْر شمّسٌ دون لحمه حَمَتْ لحم شهّاد عظيم الملاحِم[١]

*** وعامر بن فهيرة ﷺ: «وارت جسمانه الملائكة وأسلم قاتله لما رأى ما رأى يوم استشهاده».**

*** العلاء بن الحضرمي وكرامته عند موته:**

روى البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥١ ـ ٥٣): عن أنس ﷺ قال: أدركت في هذه الأمة ثلاثًا لو كانوا في بني إسرائيل لما تقاسمتها الأمم... وذكر موت العلاء فقال: فلم نلبث إلا يسيرًا حتى رُؤي في دفنه، قال: فحفرنا له وغسلناه ودفناه، فأتى رجل بعد فراغنا من دفنه، فقال: من هذا؟ فقلنا: هذا خير البشر، هذا ابن الحضرمي، فقال: إن هذه الأرض تلفظ الموتى، فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين إلى أرض تقبل الموتى، فقلنا: ما جزاء صاحبنا أن تُعرِّضه للسباع تأكله، قال: فاجتمعنا على نبشه، قال: فلما وصلنا إلى اللحد إذ صاحبنا ليس فيه، وإذ اللحد مَدّ البصر، نور يتلألأ، قال: فأعدنا التراب إلى القبر ثم ارتحلنا». لله درك يا علاء.. نور قبرك يتلألأ..

وكان ﷺ قد دعا وهو الولي الكبير مجاب الدعوة ـ فقال: «اخف جثتي، ولا تُطلع على عورتي أحدًا فلم يُقدر عليه»[٢].

***

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٧٠).
(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٥٣).

*** الحسن البصري وجنازته المشهودة:**

قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٨٨):

مات الحَسَن في سنة عشرٍ ومئة.

عاش نحواً من ثمان وثمانين سنة.

قلتُ: مات في أول رجب، وكانت جنازته مشهودة، صلَّوا عليه عقِيب الجُمعة بالبصرة، فشَيَّعُه الخَلق، وازدحموا عليه، حتى إن صلاةَ العصر لم تُقم في الجامع.

*** عمرو بن قيس الملائي: وخبر موته العجيب:**

«كان سفيان إذا ذكر قال: حسبك به شيخًا.

وعن الحكم بن بشر بن سلمان قال: رأيت سفيان ـ يجيء إلى عمرو بن قيس يجلس بين يديه ينظر إليه، لا يكاد يصرف بصره عنه، أظنه يحتسب في ذلك»[1].

«قال أبو خالد الأحمر: كان عمرو بن قيس مؤاجر نفسه من بعض التجار، فمات بالشام، فرأوا الصحراء مملوءة من الرجال عليهم ثياب بيض، فلما صُلي عليه فقدوا. فكتب صاحب البريد بذلك إلى الأمير عيسى بن موسى، فقال لابن شُبْرمة: كيف لم تكونوا تذكرون لي هذا؟ قال: كان يقول: لا تذكروني عنده»[2].

* * *

(١) «تهذيب الكمال» للمزي (٢٢/ ٢٠٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٥١).

*** داود الطائي: لم يُسمع بمثل جنازته:**

«قال حسن بن بشر حضرت جنازة داود الطائي فحُمل على سريرين أو ثلاثة، تَكَسَّرُ من الزِّحام.

ومناقب داود كثيرة، كان رأسًا في العلم والعمل، ولم يسمع بمثل جنازته، حتى قيل: بات الناسُ ثلاث ليال مخافة أن يفوتهم شهوده»[١].

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «ويحك! صم الدنيا، واجعل فطرك الموت».

*** الأوزاعي إمام أهل الشام:**

● «قال العباس بن الوليد: وحدثني سالم بن المنذر قال: لما سمعتُ الضجة بوفاة الأوزاعي خرجت، فأول من رأيت نصرانيًّا، قد ذرَّ على رأسه الرَّماد فلم يزل المسلمون من أهل بيروت يعرفُون له ذلك، وخرجنا في جنازته أربعة أمم: فحمله المسلمون، وخرجت اليهودُ في ناحِية، والنصارى في ناحية، والقبطُ في ناحية»[٢].

*** الليث بن سعد وجنازته المشهودة:**

مات ـ رحمه اللَّه ـ ليلة الجمعة.

قال خالد بن عبد السلام الصرفي: «شهدتُ جنازة الليث بن سعد مع والدي، فما رأيتُ جنازةً قط أعظمَ منها، رأيتُ الناس كلهم عليهم الحزن، وهم يُعزي بعضهُم بعضًا، ويبكون، فقلتُ: يا أبت، كأن كل واحد من الناس صاحبُ هذه الجنازة، فقال: يا بني، لا ترى مثله أبدًا»[٣].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٤٢٣ ـ ٤٢٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٣٤).

(٣) «السير» (٨/ ١٦٢).

* **جنازة أبي نصر بشـر بن الحارث الحافي شـرف الدنيا قـبل شرف الآخرة:**

«قال عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي يوم مات بشر بن الحارث: مات بشر. فقــال: ـ رحمه اللَّه ـ لقد كان في ذكره أنــس ـ أو فيه أنس ـ ثم لبس رداءه وخرج، وخرجت معه، فشهد جنازته»(١).

● «وقيل لأحمد: مات بشر. قال: مات واللَّه وما له نظير، إلا عامر بن عبد قيس، فإن عامرًا مات ولم يترك شـيئًا». مات ـ رحمه اللَّه ـ يوم الجمعة سنة سبع وعشرين ومائتين.

● قال يحيـى بن عبد الحميد الحمَّـاني: رأيت أبا نصر التمّـار وعلي بن المديني في جنازة بشر بن الحارث يصيحان في الجنازة: «هذا واللَّه شرف الدنيا قبل شـرف الآخرة، وذلك أن بشـر بن الحارث أخرجـت جنازته بـعد صلاة الصبح، ولم يحصـل في القبر إلا في الليل، وكان نهارًا صائـفًا، والنهار فيه طول، ولم يستقر في القبر إلى العتمة».

● قال أبو حـفص ابن أخت بشر بـن الحارث: «كنت أسمع الجـن تنوح علـى خالي فـي البيت الـذي كان يكـون فيه غـير مرة سمـعت الجن تـنوح عليه»(٣).

* **يحيى بن معين الذاب عن سنة رسول اللَّه ﷺ:**

قال عباس الدوري: مات يحيى بن معـين بالمدينة أيام الحج قبل أن يحج

---

(١) «تاريخ بغداد» (٧/ ٧٩).
(٢) «السير» (١٠/ ٤٧٤).
(٣) «تاريخ بغداد» (٧/ ٧٩ ـ ٨٠).

وهو يريد مكة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وصلى عليه والي المدينة، وكلم الحزامي الوالي فأخرجوا له سرير النبي ﷺ فحُمل عليه، فصلى عليه الوالي ثم صُلي عليه مرارًا.

قال أحمد بن محمد بن غالب: لما مات يحيى بن معين نادى إبراهيم بن المنذر الحزامي من أراد أن يشهد جنازة المأمون على حديث رسول اللَّه ﷺ فليشهد.

● وقال جعفر بن محمد بن كزال: «كنت مع يحيى بن معين بالمدينة، فمرض مرضه الذي مات فيه، وتوفي بالمدينة، فحُمل على سرير رسول اللَّه ﷺ، ورجل ينادي بين يديه: هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول اللَّه ﷺ»[1].

● قال حبيش بن مبشر الفقيه: رأيت يحيى بن معين في النوم، فقلت: ما فعل ربك بك؟ قال: أدخلني عليه في داره، وأعطاني وحباني، وزوجني ثلاثمائة حوراء، ومهّد لي بين الناس، ثم قال للملائكة: انظروا إلى عبدي كيف تطرّى وحسن»[2].

*** إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: «قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز» فكانت جنازته أكبر جنازة في تاريخ الإسلام».**

● قال حنبل: أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد اللَّه وهو في الحبس ثلاث شعرات فقال: هذه من شعر النبي ﷺ، فأوصى

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٣/ ١٨٦).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٣/ ١٨٧). لعلّه: نضر من النضرة.

أبو عبد اللَّه أن يُجعل على كل عينٍ شعرةٌ، وشعرةٌ على لسانه: ففُعل ذلك به عند موته.

وقال عبد اللَّه بن أحمد ومطيَّن وغيرهما: مات لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، يوم الجمعة.

قال صالح بن أحمد: واشترينا له حَنُوطًا، وفُرغ من غسله، وكفناه وحضر نحو مئة من بني هاشم، ونحن نكفِّنُهُ. وجعلوا يُقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير.

قال عبد اللَّه: صلى على أبي محمد بن عبد اللَّه بن طاهر، غلبنا على الصلاة عليه، وقد كُنا صلينا عليه نحنُ والهاشميون في الدار.

ولم يعلم الناسُ بذلك، فلما كان في الغد عَلِمُوا، فجعلوا يجيئون، ويصلون على القبر. ومكث الناسُ ما شاء اللَّه، يأتونَ، فُيصَلُّون على القبر.

قال الخَلاّل: سمعتُ عبد الوهاب الوراق، يقول: ما بَلَغَنا أن جمعًا في الجاهلية ولا الإسلام مثله ـ يعني: من شهدَ الجنازة ـ حتى بلغَنَا أن الموضع مُسِحَ وحُزِر على الصحيح، فإذا هو نحوٌ من ألفِ ألفٍ وحزرنْا على القبور نحواً من ستين ألف امرأة، وفتح الناسُ أبواب المنازل في الشوارع والدروب، ينادُون من أراد الوضوء.

وقال الخَلال: سمعتُ عبد الوهاب الوراق، يقولُ: أظهرَ الناس في جنازة أحمد بن حنبل السُّنَّة والطَعنَ على أهل البدع، فسرَّ اللَّه المسلمين بذلك على ما عندهم من المصيبة لما رأوا من العزِّ وعُلُوِّ الإسلام، وكبتِ أهل الزيغِ ولزمَ بعض الناس القبرَ، وباتُوا عنده، وجعل النساءُ يأتين حتى مُنِعن، وسمعتُ المروذِي يقول عن علي بن مهرويه، عن خالته، قالت: ما صَلَّوا

ببغداد في مسجد العصر يومَ وفاةِ أحـمد، وقيل: إن الزحمةَ دامت على القبر أيامًا.

● قال المروذي: أُخرجـت الجنازة بعد منـصرف الناس من الجمـعة، عن عبد اللَّه بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه اللَّه فتنة القبر**».

● ـ رحم اللَّه ـ إمام أهل السنة:

قال المـروذي: قُبِـض صدر النـهار فـصاح النـاس، وعلـت الأصوات بالبكاء، حتى كأن الدنيا قد ارتجَّت، وامتلأت السكك والشوارع.

● عن بُنان بن أحمد القَصَباني أنه حـضر جنازة أحمد، فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة. وحُـرز من حضرها من الرجال بثمان مئة ألف، ومن النسـاء بستين ألف امرأة، ونظروا فـيمن صلى العصر يـومئذ في مسجد الرصافة، فكانوا نيفًا وعشرين ألفًا.

● وقال أبو زرعة: بلـغني أن المتوكل أمر أن يُمسـح الموضع الذي وقف عليه الناس حيثُ صُلِّي على أحمد، فبلغ ألفي ألف وخمس مئة ألف.

● قال المتوكـل أمير المؤمنين لمحمد بـن عبد اللَّه: طوبى لك يـا محمد، صليت علـى أحمد بن حنبل ـ رحمة الـلَّه عليه ـ[1]. للَّـه در أحمد وعـلو مكانته بعد موته حين يقول الخليفـة المتوكل هذا لمن شهد جنازة أحمد وصلى عليه.

«ولقد جمـع ابن الجوزي فأوعى من المـنامات في نحو مـن ثلاثين ورقة

---

(١) انظر: «ترجمة الإمام أحمد» (١١/ ٣٣٧ ـ ٣٤٢).

وليس أبو عبد اللَّه ممن يحتاجُ تقريرُ ولايته إلى منامات، ولكنها جندٌ من جند اللَّه، تَسُرُّ المؤمنَ، ولا سيما إذا تواترت».

* قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز:

قال الذهبي في «السير» (١١/ ٣٤٠):

«قال السلمي: حضرت جنازة أبي الفتح القوّاس مع الدارقطني، فلما نظر إلى الجمع، قال: سمعت أبا سهل بن زياد، يقول: سمعت عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز».

قال الحافظ ابن كثير: «وقد صدق اللَّه قول أحمد في هذا، فإنه كان إمام أهل السنة في زمانه. وعيون مخالفيه أحمد بن أبي دؤاد وهو قاضي قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته، ولم يلتفت إليه. ولما مات، ما شيّعه إلا قليل من أعوان السلطان. وكذلك الحارث بن أسد المحاسبي، مع زهده وورعه وتنقيره ومحاسبته نفسه في خطراته وحركاته، لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس، وكذلك بشر بن غياث المريسي، لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جدًّا، فللَّه الأمر من قبل ومن بعد»[١].

عن الحسن بن عيسى قال: رأيت شابًّا، تُوفّي بقزوين، فقلتُ: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي. ورأيته مستعجلاً، فسألته، فقال: لأن أهل السماوات قد اشتغلوا بعقد الألوية لاستقبال أحمد بن حنبل، وأنا أريد استقباله. وكان أحمد تُوفي تلك الأيام[٢].

---

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٤٢).

(٢) «السير» (١١/ ٣٤٥).

*** وعلى الطرف الآخر قوم قال اللَّه عنهم ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾:**

على الطرف الآخر كفار ومبتدعة وزنادقة «كانوا ملء الأعين والنفوس في هذه الأرض، ذهبوا فلم يأس على ذهابهم أحد، ولم تشعر بهم سماء ولا أرض، ولم ينظروا أو يؤجلوا عندما حلّ الميعاد: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ**...﴾، وهو تعبير يلقي ظلال الهوان، كما يلقي ظلال الجفاء... فهؤلاء الطغاة المتعالون لم يشعر بهم أحد في أرض ولا سماء. ولم يأسف عليهم أحد في أرض ولا سماء. وذهبوا ذهاب النمال، وهم كانوا جبارين في الأرض يطئون الناس بالنعال، وذهبوا غير مأسوف عليهم فهذا الكون يمقتهم لانفصالهم عنه، وهو مؤمن بربه، وهم به كافرون! وهم أرواح خبيثة شريرة منبوذة من هذا الوجود وهي تعيش فيه! ولو أحس الجبارون في الأرض ما في هذه الكلمات من إيحاء لأدركوا هوانهم على اللَّه وعلى هذا الوجود كله، ولأدركوا أنهم يعيشون في الكون منبوذين عنه، مقطوعين عنه، لا تربطهم به آصرة، وقد قُطعت آصرة الإيمان»[١] .

*** إبراهيم الحربي:**

«قال الدارقطني: كان إبراهيم الحربي يُقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه.

توفي إبراهيم الحربي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي، وكان الجمع كثيرًا جدًّا»[٢] .

---

(١) «الظلال» (٥/ ٣٢١٤).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص(٦١٣، ٦١٤).

*** قاضي القضاة بمصر بكّار بن قتيبة:**

حبسه أحمد بن طولون، «فلما اعتل أحمد بن طولون، راسل بكّارًا، وقال: إنا رادوك إلى منزلك[١]، فأجبني، فقال: قل له: شيخ فان وعليل مُدْنَف، والملتقى قريب، والقاضي اللَّه عز وجل. فأبلغها الرسولُ أحمدَ، فأطرق، ثم أقبل يكرّر ذلك على نفسه، ثم أمر بنقله من السجن إلى دار اكتُرِيَتْ له، وفيها كان يُحدِّث، فلما مات المَلِك قيل لأبي بكرة: انصرف إلى منزلك، فقال: هذه الدار بأجرة، وقد صلحت لي، فأقام بها».

قال الطحاوي: فأقام بها بعد أحمد أربعين يومًا ومات[٢].

قال الذهبي:

«تُوفي سنة سبع ومئتين. وقيل: شيّعه خلق عظيم أكثر ممن يشهد صلاة العيد ـ رحمه اللَّه تعالى ـ»[٣].

*** شيخ الحنابلة الإمام الحسن بن علي البربهاري وشرفه وعزه يوم موته:**

جمع العلم والزهد وصحب المرُّوذي، وسهلاً التستري. . ، وكان البربهاري شديدًا على أهل البدع، فما زالوا يثقلون قلب السلطان عليه، وكان ينزل بباب محوَّل، فانتقل إلى الجانب الشرقي واستتر عند أخت توزون[٤] فبقي نحوًا من شهر، ثم أخذه قيام الدم فمات، فقالت المرأة لخادمها: انظر

---

(١) في «النجوم الزاهرة» (٣/ ١٨) بلفظ: أنا أردّك إلى منزلتك وأحسن.

(٢) «السير» (١٢/ ٦٠١ ـ ٦٠٢).

(٣) «السير» (١٢/ ٦٠٤).

(٤) أحد القواد الأتراك.

من يغسله وغلّـقت الأبواب حتى لا يعلم أحد، فجاء الغـاسل فغسله ووقف يصلي عـليه وحده، فاطّلـعتْ فإذا الدار ممتلـئة رجالاً بثياب بـيض وخضر، فاستدعت الخادم وقالت: ما الذي فعلت؟ فقال: يا سيدتي رأيت ما رأيت؟

قالت: نعـم. قال: هذه مفاتيح البـاب وهو مغلق. فقالـت: ادفنوه في بيتـي، وإذا مت فادفنـوني عنده، فدفـنوه في دارها، ومـاتت بعده فـدفنت هنالك.

وقرأت بخط شيخنا أبي الحسن بن الزاغوني قال: «كُشف قبر أبي محمد البربـهاري وهو صحيح لـم يرم، وظهر من قـبره روائح الطيب حـتى ملأت مدينة السلام»(١) .

* أبو بكر بن أبي داود السجستاني:

«قال محمد بن عـبد اللَّه بن الشخير: كان ابـن أبي داود زاهدًا ناسكًا، صلى عليه يوم مات نحوٌ من ثلاثة مئة ألفِ إنسان، وأكثر.

قال: ومات سنة سـت عشرة وثلاث مئة، وخلف ثلاثـة بنين، وخمس بنات، وعاش سبعًا وثمانين سنة، وصُلِّي عـليه ثمانين مرة. نقل هذا أبو بكر الخطيب»(٢) .

فلما بـلغ ابن سُريج موتُ بـن داود، حزن له، ونَحَّى مخـادَّه، وجلس للتعزية، وقال: ما آسى إلا على تراب يأكل لسان محمد بن داود.

---

(١) «منـاقب الإمام أحمـد» لابن الجوزي ص(٤١٨ ـ ٤١٩)، و«طبـقات الحنابـلة» (٢/ ٤٤ ـ ٤٥).

(٢) «السير» (١٣/ ٢٣١)، و«تاريخ بغداد» (٩/ ٤٦٨).

* الإمام الحافظ ابن أبي عاصم:

قال أبو الشيخ:

حضرت جنازة أبـي بكر، وشَهدَها مئتا ألف مـن بين راكب وراجل، ما عدا رجل كان يتولى القضاء، فحُرِم شهود جِنازته، وكان يرى رأي جَهْم.

قال أبـو الشيخ: سـمعت ابنـي عبد الـرزاق يحكي عـن أبي عبد الـلَّه الكِسَائـي، قال: رأيت ابن أبي عاصـم فيما يَرى النـائم كأنّه كان جَالـسًا في مسجد الجامع، وهو يُصلي من قعود، فَـسَلَّمت عليه، فردَّ عليَّ، وقلت له: أنت أحمد بن أبي عاصم؟ قال: نعم. قلت: ما فعل اللَّه بك؟ قال: يُؤنسني ربي. قلتُ: يؤنسك ربُّكَ؟ قال: نعم. فشهقْت شهقةً، وانتبهتُ»[١].

* الشيخ الإمام القدوة ابن خفيف صَلَّوْا عليه نحواً من مئة مرة:

تفقّه على أبي العباس بن سريج.

قال الإمام الـذهبي: «قد كان هـذا الشيخ قد جمـعَ بين العلمِ والـعَمَل، وعُلوِّ السَّنَد، والتمسكِ بالسنن، ومُتعَ بطول العُمر في الطاعة.

عاش خـمسًا وتسـعين سنة، وازدحَـمَ الخَلقُ عـلى سريره، وكـان أمرًا عجيبًا، وقيل: إنَّهم صَلَوْا عليه نحواً من مئة مرة»[٢].

* محدث الديار المصرية الحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي:

قال الحافظ الذهبي: «قد كان لعبد الغني جنازة عظيمة تحدّث بها الناس، ونُودِي أمامها، هذا نافي الكذب عن رسول اللَّه ﷺ»[٣].

---

(١) «السير» (١٣/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦).

(٢) «السير» (١٦/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٧١).

* الخطيب البغدادي الإمام الذي كان يذبّ عن النبي ﷺ الكذب:

«قال ابن خيرون: مات ضحوة الاثنين. وتصدّق بماله وهو مئتا دينار، وأوصى بأن يُتصدقَ بجميع ثيابه ووقف جميع كتبه، وشيَّعه الفقهاءُ والخلقُ وحملوه إلى جامع المنصور، وكان بين يدي الجنازةِ جماعةٌ ينادون: هذا الذي كان يَذبُّ عن النبي ﷺ الكذبَ، هذا الذي كان يَحفظُ حديث رسول اللَّه ﷺ وخُتِمَ على قبره عدةُ خَتَمات»[1].

* شيخ القرّاء محمد بن النضر بن الأخرم الدمشقي:

انتهت إليه رئاسة الإقراء بالشام.

توفي ـ رحمه اللَّه ـ سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة.

قال الذهبي في «السير» (١٨/ ٢٩٢):

«قال عبد الباقي بن الحسن: تُوفي أبو الحسن بن الأخرم بعد سنة أربعين، وصلّيت عليه في المصلى بعد الظهر، وكان يومًا صائفًا، وصعدت غمامة على جنازته من المصلى إلى قبره، فكانت شبه الآية له ـ رحمه اللَّه ـ».

* جنازة شيخ الإسلام، الإمام القدوة أبي منصور محمد بن أحمد ابن علي الخياط:

«نقل السِّلَفي عن علي بن الأيسر العكبري قال: لم أر أكثر خلقًا من جنازة أبي منصور، رآها يهودي، فاهتال[2] لها وأسلم.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٢٨٦).

(٢) اهتال: من الهول، وهو المخافة من الأمر لا يدري ما يهجم عليه منه. والجمع: أهوال. ويُقال: هُلته فاهتال: إذا أفزعته ففزع.

وقال أبو منصور بن خَيرون: «ما رأيت مـثل يوم صُلِّي على أبي منصور من كثرة الخلق»[١] .

*** الإمام الحافظ أبو موسى المديني الأصبهاني والمطر العظيم في الحرّ الشديد:**

حافظ المشرق في زمانه.

● عن عـبد اللَّه بـن محمد الخُـجنديِّ، قال: لمـا مات أبو موسـى، لم يكادوا أن يفرغوا منه، حتى جاءَ مطرٌ عظيمٌ في الحر الشديد، وكان الماءُ قليلاً بأصبهانَ، فما انفصلَ أحدٌ عن المكـان مع كثرةِ الخلقِ إلا قليلاً، وكانَ قد ذكرَ في آخرِ إمـلاءٍ أملاهُ: أنهُ متَى مات مـن له منزلةٌ عنـد اللَّه، فإن اللَّه يـبعثُ سحابًا يومَ موتهِ علامةً للمغفرةِ له، ولمن صَلَّى عليه»[٢] .

*** شيخ الإسلام الحَجْري عبد اللَّه بن محمد بن علي الأندلسي:**

«قال الربيع بن سالم:

صادف وقت وفاته قحط، فلما وُضِعت جنازته سُقُوا، وما اختلف الناس إلى قبره مدة الأسـبوع إلاّ في الوحل وهو رأس الصالحـين، ورسيس الأثبات الصادقين. وكانت جنازته مشهودة بسبتة»[٣] .

*** الإمام ابن الجوزي واعظ الدنيا:**

قال سبطه: توفي ليلةَ الثالث عشر من رمضان سنةَ سبعٍ وتسعين وخمس

---

(١) «السير» (١٩/ ٢٢٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ١٥٦).

(٣) «السير» (٢١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣).

مئة، وغُلقت الأسواق، وجاء الخلقُ، وصلى عليه ابنُه أبو القاسم عليٌّ اتفاقًا، لأن الأعيانَ لم يقدروا من الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصورِ، فصلوا عليه، وضاقَ بالناسِ، وكانَ يومًا مشهودًا، فلم يصل إلى حفرتهِ بمقبرةِ أحمد إلى وقتِ صلاة الجمعةِ، وكانَ في تموز، وأفطر الخلقُ، ورَمَوا نفوسهُم في الماء. إلى أن قال: وما وصل إلى حفرتهِ من الكفنِ إلا قليلٌ، كذا قال، والعهدةُ عليهِ[١] وأُنزِلَ في الحفرةِ، والمؤذن يقول: اللَّه أكبر، وحزِنَ عليه الخلقُ، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات، بالشمعِ والقناديل، ورآه في تلك الليلة المحدثُ أحمدُ بن سلمانَ السكر في النومِ، وهو على منبرٍ من ياقوتٍ، وهو جالسٌ في مقعد صدقٍ والملائكةُ بين يديهِ والحق سبحانه حاضر يسمع كلامه وأصبحنا يوم السبت عملنا العَزَاءَ، وتكلمت فيه، وحضرَ خلقٌ عظيمٌ، وعملت فيه المراثي.

ومن العجائب أنا كنا بعد انقضاء العزاء يوم السبت عند قبره، وإذا بخالي محيي الدين قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فقلنا: نرى من مات، وإذا بها خاتون أم محيي الدين، وعهدي بها ليلة وفاة جدي في عافية، فعدّ الناس هذا من كراماته؛ لأنه كان مغرى بها»[٢] .

* جنازة الناصر صلاح الدين الأيوبي:

● قال القاضي ابن شداد:

«كان يومًا لم يصب المسلمون والإسلام بمثله منذ فُقد الخلفاء الراشدون، وغشي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لا يعلمها إلا اللَّه تعالى. وباللَّه

(١) قال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: «وهذا من مجازفة أبي المظفر».

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠).

لقد كنتُ أسمعُ من بعض الناس أنهم يتمنّون فداء من يعزّ عليهم بنفوسهم، وما سمعتُ هذا الحديث إلا على ضرب من التجوّز والترخص إلا ذلك اليوم، فإني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قُبل الفداء لفُدي بالنفس. ثم جلس ولده الملك الأفضل للعزاء في الإيوان الشمالي، وحفظ باب القلعة إلا عن الخواص من الأمراء والمعممين، وكان يومًا عظيمًا قد شغل كل إنسان ما عنده من الحزن والأسف والبكاء والاستغاثة عن أن ينظر إلى غيره، وحفظ المجلس عن أن يُنشد فيه شاعر أو يتكلم فيه فاضل أو واعظ، ثم اشتغل بتغسيله وتكفينه، فما مُكّنا أن ندخل في تجهيزه ما قيمته حبة واحدة إلا بالقرض، حتى في ثمن التبن الذي يُلَتُّ به الطين، وغسّله الدَّوْلعي الفقيه، ونُدِبتُ إلى الوقوف على غُسله، فلم يكن لي قوة تحمّل ذلك المنظر، وأخرج بعد صلاة الظهر - رحمة اللَّه عليه - في تابوت مسجى بثوب فوط، وكان ذلك وجميع ما احتاج إليه من الثياب في تكفينه قد أحضره القاضي الفاضل من وَجْه حِلٍّ عرفه. وارتفعت الأصوات عند مشاهدته، وعظم الضجيج، حتى أن العاقل يتخيّل أن الدنيا كلها تصيح صوتًا واحدًا، وغشي الناس من البكاء والعويل ما شغلهم عن الصلاة، وصلّى عليه الناس أرسالاً، وكان أوّل من أمَّ بالناس القاضي محيي الدين ابن الزكيّ، ثم أعيد - رحمة اللَّه عليه - إلى الدار التي في البستان، وكان متمرضًا بها - رحمة اللَّه عليه - ودُفن في الصفة الغربية منها، وكان نزوله في حفرته - قدّس اللَّه روحه ونوّر ضريحه - قريبًا من صلاة العصر، وكان الناس قد شغلهم البكاء، فما يوجد قلب إلا حزين، ولا عين إلا باكية. واللَّه يحسن خلافته من بعده، ويجزيه ما هو أهله.

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام[1]

---

(١) «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» لبهاء الدين بن شداد ص(٢٤٦ - ٢٤٧).

*** جنازة شيخ الإسلام ابن تيمية أكبر جنازة في تاريخ الإسلام بعد جنازة الإمام أحمد بن حنبل:**

مات في سجن القلعة بدمشق في ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وحضر جمع إلى القلعة، فأُذن لهم في الدخول، وجلس جماعة قبل الغسل، واقتصر على من يغسله ويعين في غسله، وممن غسّله الإمام الحافظ المزي، فلما فرغ من ذلك أُخرج وقد اجتمع الناس بالقلعة، والطريق إلى جامع دمشق، وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسة، وباب البريد، وباب الساعات إلى اللبادين والفوّارة.

وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار، أو نحو ذلك.

ووضعت في الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام، وصلى عليه - أولاً - بالقلعة. تقدم في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام.

ثم صلى عليه بجامع دمشق عقيب الظهر، وحُمل من باب البريد، واشتد الزحام، وصار النعش على الرءوس، تارة يتقدم وتارة يتأخر، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها من شدة الزحام، وكل باب أعظم زحمة من الآخر.

ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام، لكن كان المعظم من الأبواب الأربعة: باب الفرج، الذي أخرجت منه الجنازة، ومن باب الفراديس، ومن باب النصر، وباب الجابية، وعظم الأمر بسوق الخيل.

وتقدّم في الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن. وحمل إلى مقبرة الصوفية. فدُفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد اللَّه - رحمهما اللَّه -

وكان دفنه وقت العصر أو قبلها بيسير.

وأغلق الناس حوانيتهم. ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل من الناس، وأنه لو قدر ما تخلّف أو من أعجزه الزحام.

وحضرها نساء كثير بحيث حُزن بخمسة عشر ألفًا، وأما الرجال فحرزوا بستين ألفًا وأكثر إلى مائتي ألف. وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء، وتضرع.. وتردد الناس إلى قبره أيامًا كثيرة ليلاً ونهارًا.

ورؤيت له منامات كثيرة صالحة. ورثاه جماعة بقصائد جمّة[١].

● وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤/ ١٤٣ ـ ١٤٥):

«قال الشيخ علم الدين البرزالي: لا شك أن جنازة أحمد بن حنبل كانت هائلة عظيمة، بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك، وتعظيمهم له، وأن الدولة كانت تحبه، والشيخ تقي الدين بن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ توفي ببلدة دمشق، وأهلها لا يعشرون[٢] أهل بغداد حينئذ كثرة، ولكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعًا لو جمعهم سلطان قاهر، وديوان حاصر لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوها في جنازته، وانتهوا إليها. هذا مع أن الرجل مات بالقلعة محبوسًا من جهة السلطان، وكثير من الفقهاء والفقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة، مما ينفّر منها طباع أهل الأديان، فضلاً عن أهل الإسلام، وهذه كانت جنازته.

قال: وقد اتفق موته في سحر ليلة الاثنين المذكور. فذكر ذلك مؤذن القلعة على المنارة بها، وتكلم به الحرّاس على الأبرجة، فما أصبح الناس إلا

---

(١) «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» ص(٣٦٩ ـ ٣٧١) باختصار.

(٢) أي: لا يصيرون عُشرهم عددًا.

وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم والأمر الجسيم، فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلعة من كل مكان أمكنهم المجيء منه، حتى من الغوطة والمرج، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئًا، ولا فتحوا كثيرًا من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أوائل النهار على العادة، وكان نائب السلطنة تنكز قد ذهب يتصيد في بعض الأمكنة، فحارت الدولة ماذا يصنعون، وجاء الصاحب شمس الدين غبريال نائب القلعة فعزّاه فيه، وجلس عنده، وفتح باب القلعة لمن يدخل من الخواص والأصحاب والأحباب، فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلق من أخصاء أصحابه من الدولة وغيرهم من أهل البلد والصالحية، فجلسوا عنده يبكون ويثنون «على مثل ليلى يقتل المرء نفسه» وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي - رحمه اللَّه - وكشفت عن وجه الشيخ ونظرت إليه وقبّلته، وعلى رأسه عمامة بعذب مغروزة وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه.

وأخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلعة ثمانين ختمة وشرعا في الحادية والثمانين، فانتهيا فيها إلى آخر اقتربت الساعة: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥]، فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الخيّران عبد اللَّه ابن المحب وعبد اللَّه الزرعي الضرير - وكان الشيخ - رحمه اللَّه - يحب قراءتهما - فابتدآ من أول سورة الرحمن حتى ختموا القرآن وأنا حاضر أسمع وأرى.

ثم شرعوا في تغسيل الشيخ، وخرجت إلى مسجد هناك، ولم يدعوا عنده إلا مَن ساعد في غسله، منهم شيخنا الحافظ المزي، وجماعة من كبار

الصالحين الأخيار، أهل العلم والإيمان، فما فرغ منه حتى امتلأت القاعة وضجّ الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحم، ثم ساروا به إلى الجامع فسلكوا طريق العمادية على العادلية الكبيرة. . . ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموي، والخلائق فيه بين يديْ الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها ما لا يحصى عدتهم إلا اللَّه تعالى، فصرخ صارخ وصاح صائح: «هكذا تكون جنائز أئمة السنة» فتباكى الناس وضجّوا عند سماع هذا الصارخ، ووُضع الشيخ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف، بل مرصوصين رصًّا لا يتمكن أحد من السجود إلا بكلفة جو الجامع وبري الأزقة والأسواق، وذلك قبل أذان الظهر بقليل، وجاء الناس من كل مكان، ينوي خلق الصيام لأنهم لا يتفرّغون في هذا اليوم لأكل ولا لشرب، وكثر الناس كثرة لا تحدّ ولا توصف، فلما فرغ من أذان الظهر أقيمت الصلاة عقبه على السدة خلاف العادة، فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لغيبة الخطيب بمصر فصلّى عليه إمامًا، وهو الشيخ علاء الدين الخراط، ثم خرج الناس من كل مكان من أبواب الجامع والبلد، واجتمعوا بسوق الخيل، ومن الناس مَن تعجّل بعد أن صلى في الجامع إلى مقابر الصوفية، والناس في بكاء وتهليل في مخافتة كل واحد بنفسه، وفي ثناء وتأسف، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يبكين ويدعين ويقلن[1] هذا العالَم.

وبالجملة كان يومًا مشهودًا لم يعهد مثله بدمشق إلا أن يكون في زمن بني أمية حين كان الناس كثيرين، وكانت دار الخلافة، ثم دُفن عند أخيه قريبًا

(١) يَقلْن: أي يبغضن.

من أذان العصر على التحديد، ولا يمكن أحد حصر من حضر الجنازة، وتقريب ذلك أنه عبارة عمن أمكنه الحضور من أهل البلد وحواضره، ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الصغار والمخدرات، وما علمت أحدًا من أهل العلم إلا النفر اليسير تخلّف عن الحضور في جنازته، وهم ثلاثة أنفس: وهم ابن جملة، والصدر، والقفجاري، وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعاداته فاختفوا من الناس خوفًا على أنفسهم، بحيث إنهم علموا متى خرجوا قُتِلوا وأهلكهم الناس، وتردّد شيخنا الإمام العلامة برهان الدين الفزاري إلى قبره في الأيام الثلاثة وكذلك جماعة من علماء الشافعية.

وعملت له ختمات كثيرة، ورؤيت له منامات صالحة عجيبة، ورثي بأشعار كثيرة وقصائد مطولة جدًّا» ا.هـ.

رحمة اللَّه على شيخ الإسلام ما استطاع شانئوه أن يخرجوا يوم موته خوفًا من بطش العامّة بهم.

● قال ابن سلار الشافعي:

مات للَّه صابراً وسْط سجنٍ ... يوم الاثنين، سِرُّه مشهودُ

وتولاّه الأبرار غَسْلاً ودفْنًا ... أبيض الوجه، في الثرى ملحود

حين وافى على الرءوس مُسجّى ... والبرايا من كل حيّ وفود

صِحْتُ من فرط ما بدا لي: مَهْـ ... ـلاً، لك في جنة الخلود خلود

يا لها من رزيَّة طاش فيها ... كل لب وتقشعرّ الجلودُ

يا ابن تيمية عليك سلامي ... كل وقت يمضي، ووقت يعود[1]

(١) «العقود الدرية» (ص٣٩٤ _ ٣٩٥).

● وقال الشاعر:

يدل تراب القبر من جاء زائرًا ... إليه بطيب فيه يَعبق نَدّه

لا تحسبوا ما فاح عطر حنوطه ... ولكنه حسن الثناء ومجده

عليك، أبا العباس فاضت مدامعي ... وقلبي لبعدي عنك أُجِّج وَقْدُه

على مثلك الآن المراثي مباحةٌ ... وإن غاض دمعي فالدماء تمدّه

● وقال الشيخ قاسم بن عبد الرحمن بن نصر المقرئ في رثاء شيخ الإسلام ابن تيمية:

بكت السماء عليه يوم فراقه ... أسفًا، وجاء الغيث والأمطارُ

وبكى الشآم، ومُدْنه، وبقاعه ... لما قضي، وكذلك الأمصار

أوَما نظرت إليه فوق سريره ... حَفّت به من ربه الأنوار؟

والناس من باكٍ عليه بحرّة ... ودموعهم فوق الخدود غزارُ

وهمُ ألوفٌ، ليس يحصي جمعهم ... إلاّ إلـه غـافـر سـتـار

● وقال الشيخ مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد الخيّاط:

خشعت لهيبة نعشك الأمصار ... لمّا عليه تبدّت الأنوارُ

وبه الملائكة الكرام تطوّفت ... زمَرا، وحَفّت حوله الأبرارُ

فكساه رب العرش نورًا ساطعًا ... فكأنما غشيَ النهار نهارُ

ولأمة الإسلام حول سريره ... سام إلى رب السماء جؤارُ

ولهم دموع من خشوع نفوسهم ... ودموعها فوق الخدود غزارُ

كان الممات زفاف عرس حياته ... وبه النفوس مع الدموع تثارُ

ولقد أسفت على فراقي أحمدا ... إذ ليس لي قُضيت به الأوطار

لو كان يُفدى هان عند فدائه الأمـ ـــوال، والأولاد والأعمـــارُ
قد كان مغناطيس أفئدة الورى أُنْسًا ولكن في القليل نفارُ
ما كنت أحسب أن يوم وفاته يبدو المصون وتهتك الأستار
بكر النساء من الستور ثواكلا ومن الخدور النُّهَّد الأبكار
والناس أمثال الجراد، لهم على الـ ـتابوت منه تهافت ودوارُ
فكأنه يعسوب نحل حوله حيًّا وميتًا للنفوس مطار
يفنى الزمان وينقضي وبأحمد وحديثه تتحدث السمّار[1]

● وقال برهان الدين التبريزي:

كما فاق في الآفاق بالعلم والتقى وشاع له في الناس ما هو شائعُ
كذلك لم يُسمع بمثل جنازة الإمـ ـــام تقيّ الدين أحمد سامع
مشيّعها ضاق الفضا بازدحامهم ورصَّت بمن صلّى عليه الجوامعُ
وزفّ على الأعناق فوق سريره زفاف عروس نحو حِبٍّ تُسارِعُ
وأودعه الأحباب عند وداعه لمن لم تَخِب يومًا لديه الودائعُ
وعادوا من التوديع حَرْقَى جوانح وغَرْقى جفون، أغرقتها المدامعُ
وما زالت النسوان يبكين فقده إلى أن نضت من دمعهنّ البراقعُ
فلو أنه يفدى فدته نفائس النفوس، ولكنّ القضا لا يدافعُ
هنيئًا لرمْسٍ ضمّ بحر فضائل فطوبى لقوم جاوروه وضاجعوا

---
(١) «العقود الدرية» ص(٤١٨ ـ ٤٢٠).

● وقال المتيّم: عبد اللَّه بن خضر الرومي:

خرجت من السجن الذي كان ضيّقا إلى دار فوز في رياض فسيحة

حُملت على النعش الذي كان تحته مئين ألوفا في بكاء وضجّة

وصلّى عليك الحاضرون جميعهم بحسن اعتقاد فيك يا شيخ قدوة

ومعهن أبكار تحجبن بالتقى ينحن بأكباد عليك حزينة

لقد كنت روحًا للقلوب وراحة وقوتًا وأنْسًا للنفوس النفيسة[1]

* شيخ الإسلام الحافظ المزي:

بحر العلم الزاخر.

«مات سنة ٧٤٢هـ وهو يقرأ آيه الكرسي، ثم دُفن بمقابر الصوفية بالقرب من ابن تيمية، وكان الجمع في جنازته متوفرًا جدًّا».

* شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية:

● قال فيه الشوكاني في «البدر الطالع» (٢/ ١١٤): «من تعشق الأفهام كلامه، وتميل إليه الأذهان، وتحبّه القلوب».

«مات - رحمه اللَّه - سنة ٧٥١هـ وكانت جنازته حافلة جدًّا، ورؤيت له منامات حسنة، وكان هو قد ذكر قبل موته بمدة أنه رأى شيخه ابن تيمية في المنام، وأنه سأله عن منزلته فقال: إنه أُنزل منزلة فوق فلان وسمى بعض الأكابر، قال له: وأنت كدت تلحق به، ولكن أنت في طبقة ابن خزيمة»[2].

---

(١) «العقود الدرية» (ص٤٧١ - ٤٧٢).

(٢) «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني (٤/ ٢١ - ٢٣).

* شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني وجنازته المهيبة:

● قال السخاوي: «حصل في حال المسير بجنازته غيم، وأرخت السماء مطرًا خفيفًا جدًّا لا يبلّ الثياب شبه الغبوق».

وقد أشار إلى ذلك ابن النقاش في مرثيته:

أبكي عليه وقد شالوا جنازته ... ونقّطت مُزْنَةٌ من نَسْمَةَ السَّحَرِ

أنقى من الثلج إشراقًا وريحَتُها ... أذكى من المسكِ والنّدِ الذَّكِي العطرِ

وبُشِّرَت برضا الرحمن خالقه ... والحور قد زُيِّنت بالحُلْي في السُّرَرِ

وكانت ساعة عظيمة، وأمرًا مهولاً، ووقع النَّوْح في سائر النواحي من أصناف الخلق، حتى من أهل الذّمة.

واجتمع في جنازته من الخلق من لا يحصيهم إلا اللَّه عز وجل، بحيث ما أظن كبير أحد من سائر الناس تخلّف عن شهودها، وقفلت الأسواق والدكاكين، ويُقال: إنه حُزِر من مشي في جنازته بنحو خمسين ألف إنسان، وعندي أنه لا يتهيّأ حصرهم ولا يدرك حدّهم.

وفي ظني أنه ما بعد جنازة التقي ابن تيمية أحفل منها، وما رأينا أحدًا من الشيوخ يذكر أنه رأى مثلها، بل ولا ما يقاربها، حتى بلغني عن الشيخ شمس الدين النَّشائي أنه حضر جنازة البُلقيني ولم تكن كهذه.

وتولى الأمراء مقدّموا الألوف حمل جنازته، وكان جهد الشخص الشديد الذي يتمكن من الوصول إلى نعشه أن يمسّ النعش برأس إصبعه وساروا وعلى مشهده من الخفر والسكون والتؤدة والمهابة والجلالة ما لا يعبّر عنه.

وتلقى السلطان جنازته ليشهد الصلاة عليه، ورام قاضي القضاة علم الدين البلقيني الصلاة عليه إمامًا، فأخّرة السلطان، وأشار إلى أمير المؤمنين

الخليفة العباسي بالتقدم، ويقال: إنه قال: هو أمير المؤمنين وأنت أمير المؤمنين، فصلى بالناس عليه.

وما أحقّه بقول القائل:

لم أَنْسَ يوم تَهَادَتْ نعشُه أسفًا أيدي الورى وتراميها على الكفنِ

كزهْرةٍ تتهاداها الأكف فلا يُقيمُ في راحةٍ إلاّ على ظَعَنِ

وقد شوهد كذلك؛ كأن الناس يتعلّقون ليدركوا النعش بأيديهم ويقول القائل:

عجبًا لقبرٍ فيه بحرٌ زاخرٌ عجبًا لبحرٍ لُفّ في أكفانِ

وما أحسن قول القائل:

انظر إلى جبل يمشي الرجال به وانظر إلى القبر ما يحوي من الصَّلَفِ

وانظر إلى صارم الإسلام مُنغمِدًا وانظر إلى ذروة الإسلام في الصَّدَفِ

ولما انتهوا من دفنه، أخذوا في القراءة عنده بعد الذكر والابتهال في الدعاء له ساعة طويلة، وأقاموا على قبره أسبوعًا، تختم في كل يوم وليلة عنده ما شاء اللَّه من الختمات. . .

وصلَّوْا عليه صلاة الغائب بغالب البلاد، وحصل الضجيج والبكاء والانتحاب أسفًا على فقده، فمن الأماكن التي صُلِّي عليه بها كما علمته مكة المشرفة، وبيت المقدس، وبلد الخليل، وكانت ساعة عظيمة في الموضعين. وحلب، وما أشك أنه فُعل كذلك بدمشق، بل وبغيرها من البلاد النائية، تقبّل اللَّه منهم.

وأما المنامات التي رؤيت له في حياته وبعد موته، فشيء كثير، لا أستطيع الإحاطة به[1].

---

(١) «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوي (٣/ ١١٩٣ ـ ١١٩٧)، ص(١٣٣٩).

* **الشيخ عبد العزيز بن باز: «يبكيك محراب يئن ومسجد»:**

● شيخ الإسلام عبد العزيز بن باز.. وجنازته تقف الكلمات عاجزة أن تصور جلالها.. «قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز» الألوف والألوف والأدمع الباكية والحشود الوالهة تقول الكثير والكثير في صمتها.

بكاؤك حتمٌ، فقد كنت فرداً	**وفي كل قلب تمهّدت مهدا**
سرى نعيك المرّ يطوى الزمان	**إلى كل بيت ونفس تَهدّى**
ففزّع في دربه الهاجعات	**وأيقظ في الريح برقًا ورعدا**
وأرسلت الشمس بعض الشعاع	**إلى الأرض يستنبئ الأمر - وفدا**
وعاد المدى كابيًا، يتّكي	**عياء، وقد أصبح الأمر جدّا**
وراع الفضاء حنين الجموع	**إليك، فأنّاتهم ليس تهدا**

* * *

صلاة الجنازة كانت بكاء	**تخشع منه السماء وتندى**
وكان صرير النعوش يحد	**ث أنك كنت الأثير المفدّى**
تلاقى لتشييعك الأبعدون	**فزند يزاحم في الحشد زندا**
ولما تمهدت فوق الرقاب	**تضوّعت الأرض مسكًا وندا**
هنا يشمخ المجد، تعنو الجبال	**ترفّ الدروب نضاراً وورداً**
سلام عليك فقد كنت نوراً	**تسرب في أعينٍ كن رمدا**
وقد كنت ناراً يفرّ الصقيع	**إذا اشتعلت، كنت للحق جندا**
تساميت في زمن المصغرات	**إلى اللّه تدعو، ولم تأل جهدا**
أفي عالم متحن بالسواد	**تجيء؟ لقد كنت للنور مدّا**
وقد كنت رعشة نجم سخيّ	**ولم تخش ليلاً أعاد وأبدا**
كدحت إلى اللّه كدح المحب	**شفيف الرؤى بالسنا قد تردّى**

فيا من رأى جسداً ناحلا طوى رغبة النفس جوداً وزهدا
ويا من رأى الألف في واحد جهاداً وعلماً ورأياً أسدّا

* * *

تثاءب هذا الظلام طويلاً بعيني واستامني الرّوع سهداً
لدن قيل أودى الإمام الجليل ومن كان للروح رَوحا وبرداً
سلام عليك فقد كنتَ فرداً سنبكيك نوراً ونبكيك مجداً[1]

* وخاتمة المجددين شيخ الإسلام الألباني:

وبرغم عدم الإعلان عن وفاته إلا في أضيق الحدود، والإسراع بدفنه حسب وصيته فقد حضر جنازته الآلاف.. مضى إلى ربه سريعًا مثلما يطوف النور بالأرض سريعًا ويمضي.. ورحل عن دنيانا فخر الزمان ومجدد الحديث بربوع الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

العام عام ترجُّل الفرسان من شيخنا البازيّ للألباني
فترى الجزيرة والشام مواجع ومدامع تربو على الطوفان
علماء قد حملوا الهداية معلماً للحق يهدي حائر الثقلان
هم في الوجود صحائف قد سطّرت بمداد أفئدة الهدى الرباني
هم في الوجود موانئ لسفائن الـ ـتوحيد تثري دوحة الإيمان
عادوا بها بيضاء بعد غشاوة وسمَوْا بها عن مجمع البهتان
رغم العِدا.. علماؤنا لم يرحلوا فهواء مسجدنا غدا ألباني
رغم العِدَى، فرساننا لم يرحلوا سِرْب البزاة سحائب البلدان
يا ناصر الدين الحنيف محاربًا ومنابذاً بدع المضلّ الجاني
وإذا سألت عن الحديث وأهله فاسأل يجبك على السؤال بياني
علم الحديث دراية ورواية في عصرنا سلطانُه الألباني

(١) لعبد اللَّه بن سليم الرشيد من كتاب المجلة العربية «الشيخ ابن باز» ص(٥٥ ـ ٥٦).

* جنازة أتاتورك الرجل الصنم:

إن كانت هذه جنازات الطيّبين الصالحين.. فهناك جنائز للمارقين.. هي الوحل والدّنس وعاقبة السوء للفاجرين.. أتاتورك في يوم جنازته وذهابه إلى مزبلة التاريخ.

في يوم الخامس عشر من أكتوبر رحل أتاتورك عن هذا العالم، ويدور جدال حول الصلاة عليه، وكان من رأي رئيس الوزراء ألا يصلى عليه، وحدث خلاف مع قائد الجيش الأول، وأخيرًا وبعد جدل وافقوا أن يُصلَّى عليه، ولكن مَن الذي أمّ الناس؟.

إذا كان الغراب دليل قوم فلا فلحوا ولا فلح الغرابُ

إنه مدير الأوقاف شرف الدين أفندي الذي أصبح رئيسًا للشئون الدينية في عهد أينونو، حاول إقناع أينونو بالقيام بكفر لم يستطع أتاتورك نفسه القيام به، وهو جعل الترجمة التركية للقرآن الكريم لغة للعبادة، وفرض قراءتها في الجوامع، بقوة القانون.. ويا للَّه أتاتورك يصلي عليه شرف الدين هذا، وافق شنٌّ طبقةَ.

وعرضوا جثمانه لزيارة الناس ثلاثة أيام بلياليها.

ومات نتيجة الازدحام الشديد أربعة عشر شخصًا، وفقدت بعض البنات بكارتهن بأصابع عديمي الحياء، مارسوا هذا أمام تابوته الرصاصي كعادة الصليبيين.

هذه جنازة الفاجر المارق.

* * *

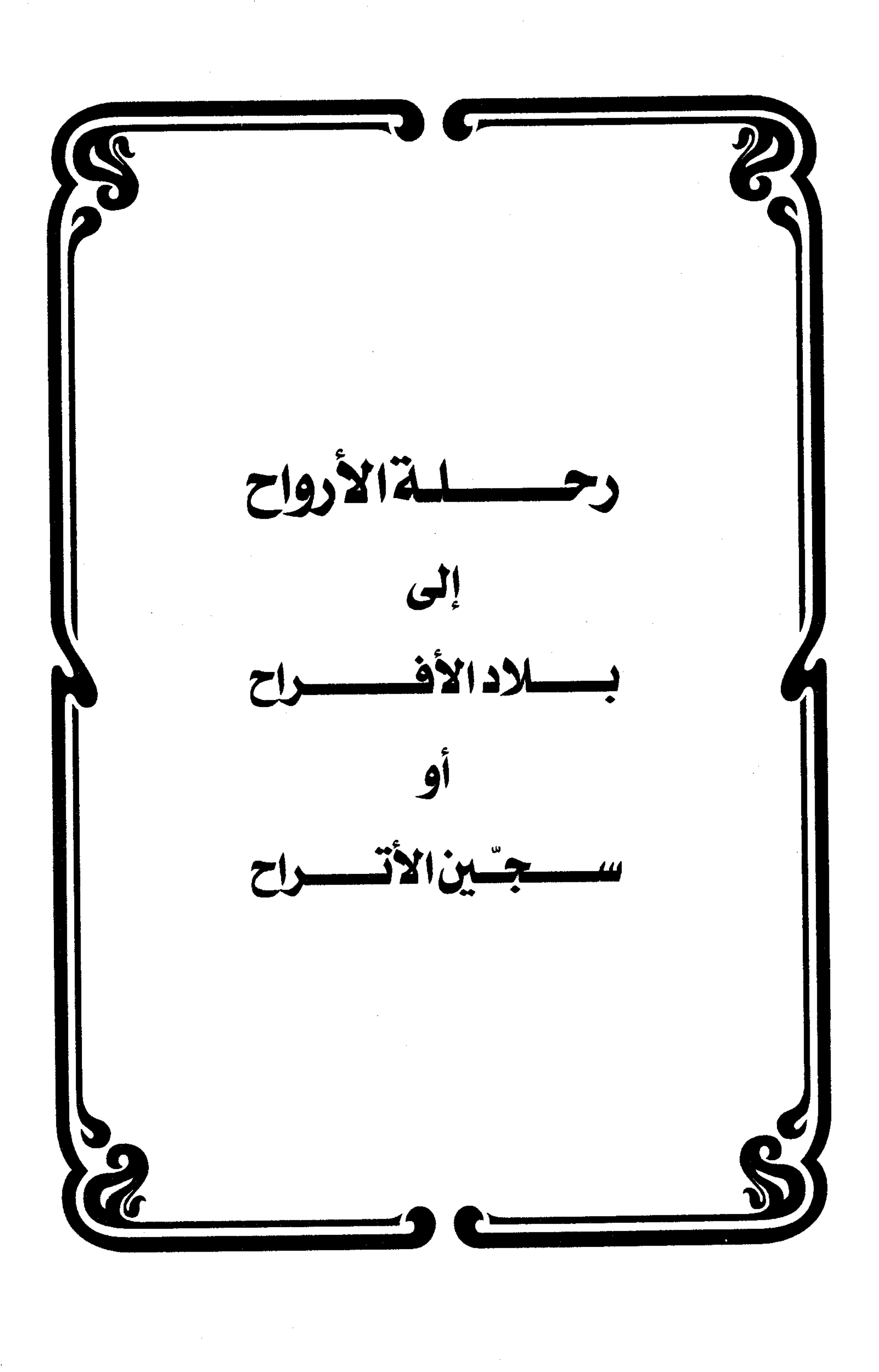
*** وأخيرًا: لا تنس النعش.. لا تنس الجنائز**

«دخل بهاء الدين السبكي على الشيخ برهان الدين الإبناسي يعوده، وكان تجاههما نعش، فنظر السبكي إلى النعش، ثم قال للإبناسي: يا شيخ برهان الدين، أتدري ما يقول هذا النعش؟ فقال: إنه يقول:

انظـرْ إليّ بعَقْلكْ ... أنا المُعَدُّ لحَمْلكْ
أنا سريرُ المنايا ... كم سار مثلي بمثلكْ[1]

* * *

(١) «المنهل الصافي» ليوسف الأتابكي (١/ ٤١٣) ـ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.



رحلة الأرواح

إلى

بلاد الأفراح

أو

سجّين الأتراح



رحلة الأرواح

رحلة الـروح رحلة فيـها الخير كل الخـير والأنس كل الأنـس، أو رحلة تجمع الشرّ بحذافيره.

هذه لحظة يـجتمع فيهـا للعبد الصالـح الخير كله.. وكأن ثـواب عمله الطيب في دار الدنيا يُجمع له في هذه الـلحظة... حتى قال علماء السلف: إن العبد المؤمن وهو يتقلّب في نعيـم الجنة لا ينسى طعم وحلاوة بشارة ملك الموت له عند خروج الروح... ونقيض ذلك للعاصي والكافر.

• عن جابر ﷺ قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يُبعث كل عبد في القبر على ما مات، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه**»[1].

• قال تـعالـى: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٣٢]

طيبة نـفوسهم بلقاء اللّـه، معافين من الكرب وعذاب المـوت، يقولون: سلام عليكم طـمأنة لقلوبهم، وترحيـبًا بقدومهم ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ تعجيلاً لهم بالبشرى، وهم على أعتاب الآخرة جزاءً وفاقًا على ما كانوا يعملون»[2].

• قال ابن كثيـر: أخبر تعالى عن حالـهم عند الاحتضار أنهـم طيّبون؛ أي: مخلّصون من الشرك والدنس وكل سوء»[3].

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أحمد، وقال ابن كثير في «التفسير» (٤/٤١٦): إسناد صحيح على شرط مسلم، ولم يخرّجاه.

(٢) «الظلال» (٤/٢١٦٩).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/٤٨٧).

● وقال الفخر الرازي:

﴿طَيِّبِينَ﴾ كلمة مختصرة جامعة للمعاني الكثيرة، وذلك لأنه يدخل فيه إتيانهم بكل ما أُمروا، واجتنابهم عن كل ما نُهوا عنه، ويدخل فيه كونهم مبرئين من العوائق الجسمانية متوجهين إلى حضرة القدس والطهارة، ويدخل فيه أنه طاب لهم قبض الأرواح، وأنها لم تقبض إلا مع البشارة بالجنة، حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها وأكثر المفسرين على أن هذا التوفي هو قبض الأرواح[1] .

● وقال الألوسي: قال مجاهد: المراد بـ ﴿طَيِّبِينَ﴾: زاكية أقوالهم وأفعالهم[2] .

* وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٩٥].

● يقول الطبري: «فأما إن كان الميت من المقربين الذين قرّبهم اللَّه من جواره في جنانه ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، يقول: فله روح وريحان.

● عن علي، عن ابن عباس: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾: راحة ومستراح.

● وعن ابن عباس: الريحان: المستريح من الدنيا، ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾: مغفرة ورحمة.

● وقال آخرون: الرّوح: الراحة، والريحان: الرزق.

---

(١) «مفاتيح الغيب» (٩/٥١٨).

(٢) «روح المعاني» للألوسي (١٤/١٣٣).

● عن مجاهد، في قوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، قال: راحة. وقوله: ﴿وَرَيْحَانٌ﴾، قال: الرزق[1].

● وقال آخرون: الرَّوْح: الفرح، والرَّيحان: الرزق.

● عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، قال: الرَّوح: الفرح، والريحان: الرزق.

● وأما الذي قرءوا بضم الراء ﴿رُوح﴾[2] فإنهم قالوا: الرُّوح: هي روح الإنسان والرَّيحان: هو الريحان المعروف. وقالوا: معنى ذلك: أن أرواح المقرّبين تخرج من أبدانهم عند الموت بريَحان تشمه.

● عن الحسن قال: تخرج روحه في ريحانة.

● وعن أبي العالية قال: لم يكن أحد من المقرّبين يفارق الدنيا ـ والمقربون السابقون ـ حتى يُؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه، ثم يقبض.

● وقال آخرون: الرَّوْح: الرحمة، والرَّيحان: الريحان المعروف.

● قال قتادة: الرَّوح: الرحمة، والرَّيحان: يتلقى به عند الموت.

● عن الربيع بن خثيم: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، قال: هذا عند الموت. ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، قال: يُجاء له من الجنة.

● قال الحسن: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾، قال: ذلك في الآخرة، فقال له بعض القوم قال: أما والله إنهم ليرون عند الموت.

---

(١) في الأثر: «الولد من ريحان اللّه» أي: من رزق اللّه، وقالوا: هو الرزق بلغة حمير، يقال: خرجت أطلب ريحان اللّه، أي: رزقه، قال النَّمِر بن تَولَب:

سلام الإله وريْحانُه ورحمته وسماء درَرْ

(٢) قراءة رُوَيس وزيد عن يعقوب، والحسن وقتادة ونصر بن عاصم والجحدري.

● قال الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول مَن قال: عنى بالرَّوح: الفرح والرحمة والمغفرة وأصله من قولهم: وجدت روحًا: إذا وجد نسيمًا يستروح إليه من كرب الحرّ. وأما الريحان: فإنه عندي الريحان الذي يُتلقى به عند الموت كما قال أبو العالية والحسن، ومن قال في ذلك نحو قولهما؛ لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه»[1].

● قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٠١):

«وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة فإن من مات مقربًا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن».

● وفي «تفسير القرطبي»: «الريحان: الرزق عن ابن عباس ومجاهد. وقال الضحاك: هو لغة حِمْير. وعن ابن عباس أيضًا، والضحاك وقتادة: أنه الريحان الذي يشم»[2].

وعند القرطبي أيضًا: قال القتبي: الروح: المعنى: له في القبر طيب نسيم[3].

● قال الطبري: «عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كلّ ريحان في القرآن فهو رزق. وعن ابن عباس: الريحان الريح»[4].

● وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾:

● قال ابن جرير: «قال قتادة، قوله: ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ

---

(١) «تفسير الطبري» (١١/ ٢١١ ـ ٢١٢).
(٢) «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٥٧).
(٣) «تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٣٢).
(٤) «تفسير الطبري» (١١/ ١٢٢).

الْيَمِينِ﴾: سلام من عند اللَّه، وسلّمت عليه ملائكة اللَّه.

قال ابن زيد: سلم مما يكره... وأورد أقوالاً ثم قال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال: معناه: فسلام لك إنك من أصحاب اليمين، ثم حُذفت واجتزئ بدلالة مِن عليها منها، فسلمت من عذاب اللَّه، ومما تكره؛ لأنك من أصحاب اليمين».

● وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٠٢):

«وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين **﴿فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾**، أي: تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم: سلام لك، أي: لا بأس عليك، أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين. وقال قتادة وابن زيد: سلم من عذاب اللَّه وسلّمت عليه ملائكة اللَّه كما قال عكرمة: تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين، وهذا معنى حسن، ويكون ذلك كقول اللَّه تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾** [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢]. وقال البخاري: **﴿فَسَلامٌ لَّكَ﴾**: أي: مُسَلّم لك أنك من أصحاب اليمين، وأُلغيت إن وبقي معناها كما تقول: أنت مصدق مسافر عن قليل إذا كان قد قال: إني مسافر عن قليل، وقد يكون كالدعاء له كقولك: سقيا لك من الرجال إن رفعت السلام فهو من الدعاء وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومال إليه، واللَّه أعلم».

● وقال القرطبي: (١٧/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤): «قيل: إنه يُحيّا بالسلام إكرامًا،

فعلى هذا في محل السلام ثلاثة أقاويل:

أحدها: عند قبض روحه في الدنيا يُسلم عليه ملك الموت، قاله الضحاك. وقال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام.

الثاني: عند مساءلته في القبر يسلّم عليه منكر ونكير.

الثالث: عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إليها.

قلت: وقد يحتمل أن تسلّم عليه في المواطن الثلاثة، ويكون ذلك إكرامًا بعد إكرام».

للَّه ما أحلى السلام عند الموت قال تعالى: ﴿**وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**﴾ [مريم: ١٥]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿**وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**﴾ [مريم: ٣٣].

﴿**وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ**﴾:

● قال ابن القيم: «ليس هذا سلام تحية ولو كان تحية لقال: فسلام عليه كما قال: ﴿**سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الصافات: ١٠٩]. ﴿**سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ**﴾ [الصافات: ٧٩]، ولكن الآية تضمنت ذكر مراتب الناس وأقسامهم عند القيامة الصغرى حال القدوم على اللَّه، فذكر أنهم ثلاثة أقسام:

● مقرّب له الروح والريحان وجنة النعيم.

● ومقتصد من أصحاب اليمين له السلامة فوعده بالسلامة، ووعد المقرب بالغنيمة والفوز، وإن كان كل منهما سالمًا غانمًا.

● وظالم بتكذيبه وضلاله فأوعده بنزل من حميم وتصلية جحيم.

فلما لم يكن المقام مقام تحية، وإنما هو مقام إخبار عن حاله، ذكر ما يحصل له من السلامة.

فإن قيل: فهذا فرق صحيح، لكن ما معنى اللام في قوله: ﴿لك﴾ ومن هو المخاطب بهذا الخطاب، وما معنى حرف ﴿من﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ فهذه ثلاثة أسئلة في الآية؟

فاعلم أن المدعو به من الخير والشر مضاف إلى صاحبه بلام الإضافة الدالة على حصوله له ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾[الرعد: ٢٥]. ولم يقل عليهم اللعنة إيذانًا بحصول معناها وثبوته لهم، وكذلك قوله: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]. ويقول في ضد هذا لك الرحمة ولك التحية ولك السلام، ومنه هذه الآية ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ﴾ أي: ثبت لك السلام وحصل لك وعلى هذا فالخطاب لكل من هو من هذا الضرب فهو خطاب للجنس، أي: فسلام لك يا من هو من أصحاب اليمين، كما تقول: هنيئًا لك يا من هو منهم. ولهذا والله أعلم أتى بحرف ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، والجار والمجرور في موضع حال، أي: سلام لك كائنًا من أصحاب اليمين، كما تقول: هنيئًا لك من أتباع رسول الله وحزبه، أي: كائنًا منهم، والجار والمجرور بعد معرفة تنتصب على الحال كما تقول: أحببتك من أهل الدين والعلم، أي: كائنًا منهم فهذا معنى هذه الآية وهو وإن خلت منه كتب أهل التفسير فقد حام عليه منهم من حام وما ورد ولا كشف المعنى ولا أوضحه فراجع ما قالوه، والله الموفق المانّ بفضله»[1].

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/١٤٦ ـ ١٤٧).

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣١].

● قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٩٩ ـ ١٠٠):

«قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: هم الذين لم يشركوا بالله شيئًا.

وعن عكرمة قال: سُئل ابن عباس رضي الله عنهما أي آية في كتاب الله تبارك وتعالى أرخص؟ قال قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ على شهادة أن لا إله إلا الله.

وقال الزهري: تلا عمر رضي الله عنه هذه الآية على المنبر، ثم قال: استقاموا والله لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ على أداء فرائضه. وكذا قال قتادة قال: وكان الحسن يقول: اللَّهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة، وقال أبو العالية: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾: أخلصوا له الدين والعمل.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾: قال مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وابنه: يعني عند الموت قائلين: ﴿أَلاَّ تَخَافُوا﴾، قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم: أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ﴿وَلا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلّفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإنا نخلفكم فيه.

﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير.

قرأ ثابت البناني سورة حم السجدة حتى بلغ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾ فوقف وقال: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه اللَّه من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له: لا تخف ولا تحزن.

﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ قال: فيُؤمّن اللَّه تعالى خوفه، ويقرّ عينه فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين لما هداه اللَّه تبارك وتعالى ولما كان يعمل في الدنيا.

● وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث.

وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جدًّا وهو الواقع.

● وقوله تبارك وتعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾، أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم أي: قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر اللَّه، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم إلى جنات النعيم».

● قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٣٥٤):

«﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا﴾، أي: بأن لا تخافوا. وفي وقت نزولها عليهم قولان:

● **أحدهما:** عند الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد؛ فعلى هذا في معنى: «لا تخافوا» قولان:

أحدهما: لا تخافوا الموت، ولا تحزنوا على أولادكم، قاله مجاهد.

والثاني: لا تخافوا ما أمامكم، ولا تحزنوا على ما خلفكم، قاله عكرمة، والسدي.

● **والقول الثاني**: تتنزّل عليهم إذا قاموا من القبور، قاله قتادة، فيكون معنى «لا تخافوا» أنهم يبشرونهم بزوال الخوف والحزن يوم القيامة».

* قال تعالى: ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا**﴾ [النازعات: ١ ـ ٤].

أقسم ربنا جل جلاله بالنازعات. واختلف أهل التأويل فيها.

● فقال بعضهم: هم الملائكة التي تنزع نفوس بني آدم، والمنزوع نفوس الآدميين.

وهو قول علي، وابن مسعود، ومسروق، وابن عباس.

قال سعيد بن جبير: نُزِعت أرواحهم، ثم غرقت، ثم قُذف بها في النار.

● وقال آخرون: بل هو الموت ينزع النفوس.

قاله مجاهد.

فانظر إلى عظيم الموت حتى يقسم اللَّه عز وجل به.

● وقال آخرون هي النفس حين تُنزَع وهو قول السدي.

قال ابن جرير الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يُقال: إن اللَّه تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقًا، ولم يخصص نازعة دون نازعة، فكل نازعة غرقًا فداخله في قسمه، ملكًا كان أو موتًا أو نجمًا أو قوسًا».

● ومال ابن كثير إلى أن الصحيح في قوله: ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا**﴾: الملائكة، قال: يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعُسر

فتغرقه في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة، وكأنما حلّته من نشاط، وهو قوله: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾.

﴿غَرْقًا﴾ اسم أقيم مقام الإغراق. قال ابن قتيبة: والمعنى: والنازعات إغراقًا، كما يغرق النازع في القوس، يعني: أنه يبلغ به غاية المد.

- ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾: وفيها أقوال:
- الملائكة تنشط أرواح المؤمنين بسرعة كما ينشط العقال من يد البعير إذا حل عنها. قاله ابن عباس والفرّاء.

تقول: إذا ربطت الحبل في يد البعير: نشطته، فإذا حللته قلت: أنشطته.

- أو أنها أنفس المؤمنين تنشط عند الموت للخروج وهو قول ابن عباس وبيانه: أن المؤمن يرى منزله من الجنة قبل الموت فتنشط نفسه لذلك.
- أو هو الموت ينشِط نفس الإنسان وهو قول مجاهد.

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾:

فيه أقوال:

- **أحدها:** أنها الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين، قاله علي رضي الله عنه.
- **والثاني:** أنه الموت يسبح في نفوس بني آدم، قاله مجاهد.
- **والثالث:** «أرواح المؤمنين كلما عاينت ملك الموت، قال: أُخرجي أيتها النفس المطمئنة، إلى رَوْح وريحان ورب غير غضبان سبحت سباحة الغائص في الماء فرحًا وشوقًا إلى الجنة»، وهو قول ابن عباس أخرجه عنه الجوني في «تفسيره».

قوله تعالى: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾: وفيه أقوال:

● **أحدها:** أنها الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة قاله مجاهد، وأبو رَوْق.

● **والقول الثاني:** أنها أنفس المؤمنين تسبق الملائكة شوقًا إلى لقاء اللَّه، فيقبضونها وقد عاينت السرور، قاله ابن مسعود وقال ابن عباس: تمشي إلى كرامة اللَّه تعالى، قاله الجوني في «تفسيره».

● **والثالث:** أنه الموت يسبق إلى النفوس أيضًا[1].

فانظر بربك إلى عظم الموت كيف يقسم به العظيم أربع مرات متتالية في مكان واحد. وانظر إلى حال النفوس المؤمنة عند الملائكة ما لها؟، وانظر إلى نفوس الكافرين.

أنت القتيل بكل من أحببته ... فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

* الحديث العظيم في رحلة الروح، وفوائده الكثيرة لأهل السنة، وقمعه للمبتدعة:

● عن البراء بن عازب قال:

«خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول اللَّه ﷺ مُستقبل القبلة، وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عودٌ ينكتُ في الأرض، فجعل ينظرُ إلى السماء، وينظرُ إلى الأرضِ، وجعل يرفعُ بصرهُ ويخفضُه، ثلاثًا، فقال: **«استعيذوا باللَّه من عذاب القبر»** - مرتين أو ثلاثًا -، ثم قال: **«اللَّهم إني أعوذُ**

---

(١) انظر: «تفسير الطبري»، و«تفسير ابن كثير»، و«زاد المسير» لابن الجوزي.

بك من عذابِ القبر» - ثلاثًا - ثم قال:

«إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه ملائكةٌ من السماء، بيضُ الوجوه، كأن وجوههم الشمسُ، معهم كفنٌ من أكفان الجنة، وحَنُوطٌ[1] من حَنُوطِ الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملكُ الموتِ عليه السلام[2] حتى يجلس عند رأسه فيقولُ: أيتُها النفس الطيبةُ - وفي رواية: المطمئنة - اخرُجي إلى مغفرة من اللَّه ورضوانٍ، قال: فتخرُجُ تسيلُ كما تسيل القطرةُ من في السقاءِ، فيأخذُها، - وفي روايةٍ -: (حتى إذا خَرجت روحُه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكلُّ ملك في السماء، وفتحت له أبوابُ السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون اللَّه أن يُعرجَ بروحه من قبلهم)، فإذا أخذها لم يدعُوها في يدهِ طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنُوط، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾، ويخرجُ منها كأطيبِ نفحة مسك وجُدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمُرون - يعني بها - على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الطيب؟ فيقولون: فلانُ ابن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يُسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيُفتح لهم، فيُشيعهُ من كل سماءٍ مُقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقولُ اللَّه عزَ وجل: اكتبُوا كتاب عبدي في عليين، ﴿وَمَآ أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فيكتبُ كتابه في عليين، ثم يقال: أعيدوهُ إلى الأرضِ، فإني وعدتهم أني منها خلقتُهم، وفيها أُعيدُهم ومنها أُخرجهم تارةً أخرى، قال: فيردُ إلى

---

(١) «بفتح المهملة: ما يُخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة.

(٢) قلت: هذا هو اسمُه في الكتاب والسنة (ملك الموت)، وأما تسميتهُ (بعزرائيل) فمما لا أصل له، خلافًا لما هو المشهورُ عند الناس، ولعله من الإسرائيليات!.

الأرض، وتُعادُ روحه في جسده، قال: فإنه يسمعُ خفقَ نعالِ أصحابه إذا ولوا عنه مُدبرينَ، فيأتيه ملكانِ شديدا الانتهار فينتهرانه، ويُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي اللَّه، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقولُ: ديني الإسلامُ، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقولُ: هو رسول اللَّه ﷺ، فيقولان له: وما عَمَلُك؟ فيقول: قرأتُ كتابَ اللَّه، فآمنتُ به، وصدقت، فينتهره فيقولُ: من ربك؟ ما دينُك؟ من نبيُّك؟ وهي آخرُ فتنة تُعرضُ على المؤمنِ، فذلك حين يقولُ اللَّه عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾، فيقول: ربي اللَّه، وديني الإسلامُ، ونبيي محمدٌ ﷺ، فيُنادي مُناد في السماء: أن صدقَ عبدي، فَأفرشُوه من الجنة، وألبسُوه من الجنةِ، وافتحُوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحِها وطيبها، ويُفسحُ له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه - وفي رواية -: (يُمثلُ له رجلٌ حسنُ الوجهِ، حسنُ الثيابِ، طيبُ الريحِ، فيقولُ: أبشر بالذي يَسُرُكَ، أبشر برضوانٍ من اللَّه، وجناتٍ فيها نعيمٌ مقيمٌ)، هذا يومُك الذي كنت تُوعدُ، فيقول له: وأنت فبشرك اللَّه بخيرٍ من أنت؟ فوجهُك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح فواللَّه ما علمتُك إلا كنت سريعًا في طاعة اللَّه، بطيئًا في معصية اللَّه، فجزاك اللَّه خيرًا، ثم يُفتحُ له بابٌ من الجنةِ، وبابٌ من النار، فيُقال: هذا منزلُك لو عصيت اللَّه، أبدلك اللَّه به هذا، فإذا رأى ما في الجنةِ قال: رب عجل قيامَ الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، فيُقال له: اسكُن.

قال: وإن العبد الكافر - وفي رواية -: (الفاجر) إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرةِ، نزل إليه من السماء ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ، سودُ الوجوه، معهم المُسوحُ[1] من النار، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى

---

(١) جمع المسح، بكسر الميم، وهو ما يُلبسُ من نسيجِ الشعرِ على البدن تقشفًا وقهرًا للبدن.

يجلسَ عند رأسه، فيقولُ: أيتها النفسُ الخبيثةُ اخرجي إلى سخط من اللّه وغضب، قال: فَتَفَرَّقُ في جسده فينتزعُها كما يُنتزع السفودُ الكثيرُ الشعب من الصُّوفِ المبلولِ، فتُقطَّعُ معها العروقُ والعصبُ، فيلعنهُ كل ملكٍ بين السماءِ والأرضِ، وكل ملك في السماء، وتُغلق أبوابُ السماء، ليس من أهل بابٍ إلا وهم يدعون اللّه ألا تعرجَ روحُه من قبلهم، فيأخذُها، فإذا أخذها، لم يدَعُوها في يده طرفةَ عينٍ حتى يجعلُوها في تلك المُسُوحِ، ويخرُجُ منها كأنتنِ ريحِ جيفةٍ وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الخبيثُ؟ فيقولون: فلانُ ابن فلان ـ بأقبحِ أسمائه التي كان يُسَمّى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له، فلا يُفتحُ له، ثم قرأ رسولُ اللّه ﷺ: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[1] فيقول اللّه عز وجل: اكتُبوا كتابهَ في سجين، في الأرض السفلى، ثم يُقال: أعيدُوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتُهم أني منها خلقتُهم، وفيها أعيدُهم، ومنها أُخرجُهم تارةً أخرى، فتُطرحُ روحُه من السماء طرحًا حتى تقعَ في جسده، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ فتُعادُ روحُه في جسده، قال: فإنه ليسمع خفقَ نعالِ أصحابه إذا ولوا عنه.

ويأتيه ملكان شديدا الانتهارِ، فينتهرانه، ويُجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاهٍ[2] لا أدري، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقولُ: هاهٍ هاهٍ لا أدري،

---

(١) أي: ثقب الإبرة، والجَمَل هو الحيوانُ المعروف، وهو ما أتى عليه تسعُ سنوات.

(٢) هي كلمةٌ تقال في الضحك وفي الإيعاد، وقد تقال للتوجع، وهو أليقُ بمعنى الحديث واللّه أعلم. كذا في «الترغيب».

فيقولان: فما تقولُ في هذا الرجل الذي بُعثَ فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيُقال: محمدٌ! فيقولُ: هاه هاه لا أدري سمعتُ الناس يقولون ذاك! قال: فيُقال: لا دريت، ولا تلوتَ، فيُنادي مُنادٍ من السماء أن: كذب، فأفرشُوا له من النار، وافتحُوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمُومها، ويُضيقُ عليه قبرهُ حتى تختلفَ فيه أضلاعُهُ، ويأتيه - وفي رواية -: (ويُمَثل له) رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثياب، مُنتنُ الريحِ، فيقولُ: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومُك الذي كُنتَ تُوعدُ، فيقولُ: وأنتَ فبشركَ اللَّه بالشر من أنت؟ فوجهُك الوجهُ يجيء بالشر! فيقول: أنا عملُك الخبيثُ، فواللَّه ما علمتُ إلا كنتَ بطيئًا عن طاعة اللَّه، سريعًا إلى معصية اللَّه، فجزاك اللَّه شرًا، ثم يُقيضُ له أعمى أصمُّ أبكمُ في يده مرزبةٌ! لو ضُرب بها جبلٌ كان ترابًا، فيضربهُ ضربةً حتى يَصيرَ بها ترابًا، ثم يعيدهُ اللَّه كما كان، فيضربهُ ضربةً أخرى، فيصيحُ صيحةً يسمعهُ كل شيء إلا الثقلين، ثم يُفتح له بابٌ من النار، ويُمهدُ من فُرُشِ النارِ، فيقول: رب لا تُقمِ الساعةَ»[1] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٨١)، والحاكم (١/ ٣٧ - ٤٠)، والطيالسي رقم (٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٨٧ و٢٨٨ و٢٩٥ و٢٩٦)، والسياق له والآجري في «الشريعة» (٣٦٧ - ٣٧٠)، وابن المبارك في «الزهد»، وابن منده في «الإيمان» وهنّاد في «الزهد»، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن أبي شيبة في «المصنف»، وعبد الرزاق في «المصنف».

وروى النسائي (١/ ٢٨٢)، وابن ماجه (١/ ٤٦٩ - ٤٧٠) القسم الأول منه إلى قوله: «وكأن على رؤوسنا الطير»: وهو روايةٌ لأبي داود (٢/ ٧٠) بأخصر منه وكذا أحمد (٤/ ٢٩٧).

وقال الحاكم: «صحيحٌ على شرط الشيخين». وأقره الذهبي، وهو كما قالا، وصححه ابنُ القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٢١٤)، و«تهذيب السنن» (٤/ ٣٣٧)، ونقل فيه تصحيحه عن أبي نُعيم وغيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٤/ ٢٩٠): «وهو حديث حسن ثابت».

وقال البيهقي في «إثبات عذاب القبر» ص(٣٩): «هذا حديث كبير، صحيح الإسناد».

وقال ابن القيم في «الروح» ص(٦٥): «حديث صحيح، لا شك فيه».

=

● «قال محمد بن كعب: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم أَمِن أهل الجنة هو أم أهل النار»[١] .

● عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«من أحب لقاء اللَّه أحب اللَّه لقاءه، ومن كره لقاء اللَّه كره اللَّه لقاءه»، قلنا: يا رسول اللَّه، كلنا يكره الموت. قال صلى الله عليه وسلم : **«ليس ذلك كراهية الموت، ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من اللَّه تعالى بما هو صائر إليه، فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي اللَّه تعالى فأحبّ اللَّه لقاءه.**

وإن الفاجر ـ أو الكافر ـ إذا حضر جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء اللَّه فكره اللَّه لقاءه»[٢] .

● «وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة فسلّموا عليه وبشّروه بالجنة، فإذا مات مشوا مع جنازته، ثم صلوا عليه مع الناس»[٣] .

● وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا:

«إن المؤمن إذا احتُضَر، ورأى ما أُعِدَّ له، جعل تتهوّع[٤] نفسه من الحرص

= وقال الحاكم: «وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة، وقمع للمبتدعة».
وقال الهيثمي: في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٩): «رجاله رجال الصحيح».
وقد جمع الدارقطني طرق هذا الحديث في جزء مفرد، قاله ابن القيم في «الروح» ص(٦٩).

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٠١) طبع دار الثقافة ـ الآية [٨٨، ٨٩ من الواقعة].

(٢) **حديث صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٠١): وهذا حديث صحيح، وقد ورد في «الصحيح» من غير هذا الوجه.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٢١) طبعة دار الشعب.

(٤) قال ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة» (٦/ ١٩): الهَوْع: سوء الحرص، يقال: رجلٌ هاعٌ.

على أن تخرج، فهناك أحب لقاء اللَّه، وأحب اللَّه لقاءه»[(١)] .

● وأخرج ابن أبي الدنيا عن كعب:

أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت:

«أَرني الصورةَ التي تقبضُ فيها المؤمنَ، فأراهُ، فرأى من النُّورِ والبهاءِ شيئًا لا يعلمُهُ إلا اللَّه تعالى.

فقال:

ولَو لم يَرَ المؤمنُ عندَ موتِهِ من قُرةِ العينِ والكَرَامةِ إلا صُورتُكَ هذِهِ، لكانَ يكفيهِ»[(٢)] .

● وعن الضحاك قال:

«إذا قُبض روحُ العبدِ المؤمن عُرجَ بها إلى السماء، فينطلقُ معه المقربونَ، ثم عُرجَ به إلى السماء الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، حتى ينتهُوا إلى سدرةِ المُنتهى، فيقُولونَ: عبدُكَ فُلانٌ ـ وهو أعلمُ به.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا، وعبد الرزاق في «المصنف» رقم (٦٧٤٩) بسند صحيح، لكن فيه تدليس الأعمش.

وأخرج نحوه ابن أبي داود في «البعث» رقم (٢) بسند صحيح. وله شاهد عند البخاري: (١١/ ٣٥٧ ـ مع الفتح) معلقًا ووصله مسلم: (٥/ ٥٣٥ ـ مع شرح النووي) ووكيع: «الزهد» (١/ ٣١٤) رقم (٨٩)، والنسائي (٤/ ١٠)، والترمذي رقم (١٠٦٧)، وابن ماجه رقم (٤٢٦٤)، والحميدي (١/ ١١١) رقم (٢٢٥)، والبغوي (٥/ ٢٦٤)، وأحمد (٦/ ٤٤ و٥٥ و٢٠٧ و٢٣٦)، والقضاعي «مسند الشهاب» رقم (٤٣٠)، والدارمي: الرد على المريسي رقم (٥٥٦)، و«السنن» رقم (٢٧٥٩)، والبيهقي: «إثبات عذاب القبر» رقم (٤٧)، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(٢) «بشرى الكئيب بلقاء الحبيب» للسيوطي ـ تحقيق مشهور حسن سليمان ص(٤١) ـ طبع مكتبة المنار.

فيأته صكٌّ، مختومٌ بأمنه من العذاب، فذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[1] [المطففين: ١٨ ـ ٢٢].

● قال الإمام ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح» ص(٧٠، ٧٣):

«أخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابة حقيقية، وخصّ تعالى كتاب الأبرار بأنه يُكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجّار تنويهًا بكتاب الأبرار، وما وقع لهم به، وإشهارًا له وإظهارًا بين خواص خلقه، كما يكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الأمراء، وخواص أهل المملكة، تنويهًا باسم المكتوب له، وإشادة بذكره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده». وقال: «فهذا التوقيع والمنشور الأول. ويكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته».

● وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن المؤمن، إذا كان في إقبالٍ من الآخرة، وإدبارٍ من الدنيا، نزلت ملائكةٌ من ملائكة الله ـ كأن وجوههم الشمسُ ـ بكفنه وحنوطه، فيقعدُونَ منه، حيثُ ينظر إليهم، فإذا خرجت رُوحُهُ، صلَّى عليه كل ملكٍ بين السماءِ والأرضِ»[2].

● وقال رسول الله ﷺ:

«إن المُؤمنَ إذا قُبضَ، أتتهُ ملائكةُ الرحمةِ بحريرةٍ بيضاءَ، فيقولون: اخرجي،

---

(١) «بشرى الكئيب» ص(٤١)، «وجامع البيان» للطبري (٣٠/ ١٠٢).

(٢) أخرجه ابن منده في «كتاب الأحوال» قاله الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٤٠١) وله شاهد صحيح من حديث البراء، ومن حديث أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو.

راضيةً مرضيًّا عنك، إلى رَوحِ اللَّه تعالى وريحان، ورب غير غَضبان.

فَتخرجُ كأطيبِ ريحِ المسكِ، حتى إنهُ ليناولـهُ بعضهم بعضًا، فيُسمُّونهُ بأحسن الأسماءِ لهُ حتى يأتوا به باب السماءِ، فيقولون:

ما أطيبَ هذه الريح، التي جاءت من الأرضِ!!! كلما أتوا سماءً، قالوا ذلك، حتى يأتوا به أرواحَ المؤمنينَ.

فهم أفرحُ به من أحدكم بغائبهِ إذا قدمَ. فيسألونهُ:

ما فعل فلانٌ؟

فيقولون: دعُوهُ حتى يستريح، فإنهُ كان في غم الدنيا»[1] .

---

(١) أخرجه ابن منده «الإيمان» (٢/ ٩٦٨ ـ ٩٦٩) رقم (١٠٦٨ و١٠٦٩)، وأبو بكر المروزي في «كتاب الجنائز» كما في «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٤٠٢)، وابن جرير «تهذيب الآثار» (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) رقم (٢٤٨٧ ـ ٢٤٨٨)، و«جامع البيان» (٨/ ١٧٧) ط ـ دار الفكر، وأحمد في (المسند) (٢/ ٣٦٤)، والنسائي في «المجتبى» (٤/ ٨)، و«الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» رقم (١٢٢٠٥ و١٣٣٨٧)، والطيالسي (١/ ١٥٤ ـ مع منحة المعبود)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣)، وابن حبان رقم (٧٣١ و٧٣٣ ـ موارد الظمآن)، وابن ماجه في «السنن» رقم (٤٢٦٢ و٤٢٦٨)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» رقم (٤٢ و٤٣ و٤٤ و٤٥)، والرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٣/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» رقم (٢٤)، وعزاه للطبراني في «الأوسط» (١/ ٤١٦ ـ ٤١٧) رقم (٧٤٦)، والخلال وعبد اللَّه ابن الإمام أحمد في «السنة (٢/ ٢٦١) من طرق عن أبي هريرة.

وأخرجه مختصراً مسلم في «كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها»: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢٢٠٢) رقم (٢٨٧٢).

وقال الحاكم: «وهذه الأسانيد كلها صحيحة».

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣١١): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

وقال الزَّبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٤٠٢): «حديث أبي هريرة بطرقه شاهد جيد لحديث البراء السابق».

وقال أبو نعيم: «هذا حديث متفق على عدالة ناقليه»، انظر: «الروح» ص(٧٠).

● وأخرج البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«إن المُؤمنَ إذا احتضر أتته الملائكةُ بحريرة فيها مسكٌ وضبائرُ ريحانَ، فتُسلُ رُوحهُ، كما تُسَلُّ الشعرةُ من العجين، ويُقالُ: أيتها النفسُ المطمئنةُ، اخرُجي راضيةً مرضيًّا عنكَ، إلى روحِ اللَّه تعالى وكرامته.

فإذا خرجت روحه، وُضعَت على ذلك المسك والريحان، وطُويت على الحريرةِ، وذُهِبَ به إلى عليين»[1] .

● وعن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال:

«إذا توفَّى اللَّهُ العبدَ المؤمن، أرسلَ إليه ملكينِ بخرقةٍ من الجنةِ، ورَيحان الجنة، فقالا: أيتُها الروحُ الطيبة، اخرُجي إلى روحٍ وريحان، وربٍّ غيرِ غضبَان.

اخرُجي، فنعمَ ما قَدَّمتِ.

فتخرُجُ كأطيب رائحةِ مسك، وَجَدَهَا أحدُكم بأنْفِه.

وعلى أرجاء السماء ملائكةٌ يقولون: سبحان اللَّه، لقد جاءَ من الأرضِ روحٌ طيبةٌ، فلا يمر بباب، إلا فُتحَ له، ولا ملكٌ إلا صلى عليه وشُفِّع، حتى يُؤتى به ربه، فتسجد الملائكةُ قَبْلَهُ، ثم يقولون:

ربنا هذا عبدك فلانٌ، توفيناهُ، أنت أعلمُ به.

فيقولُ: مُرُوهُ بالسجودِ، فتسجُدُ النسمةُ، ثم يُدْعَى ميكائيلُ، فيُقالُ:

اجعل هذه النسمةَ، مع أنفُسِ المُؤمنين، حتى أسألكَ عنها يومَ القيامةِ.

فيُؤمرُ بقبرِه، فيُوسعُ له، طُولهُ سبعون، وعرضهُ سبعون، ويُنبذُ فيه الريحان، ويُبسطُ له فيه الحرير، وإن كان معه شيءٌ من القرآن نورهُ، وإلا جُعلَ له نورٌ مثل

(١) صحيح: سبق تخريجه في الحديث السابق.

نورِ الشمس، فيُفتحُ له بابٌ إلى الجنةِ، فينظرُ إلى مقعدهِ في الجنةِ بكرةً وعشيًّا»[١].

● وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال:

«تَخرجُ رُوحُ المؤمن، وهي أطيبُ ريحًا من المسكِ، فتصعدُ بها الملائكةُ الذين يتوفونها، فتلقاهُم ملائكةٌ دون السماء، فيقولون:

من هذا الذي معكم؟

فيقولون: فلانٌ، ويذكرونهُ بأحسنِ عملِه، فيقولون: حياكُمُ اللَّه، وحيًّا من معكُمْ، فتُفتحُ له أبوابُ السماءِ، فيُصعدُ به، من الباب الذي كان يصعدُ عملهُ منهُ، فيُشرقُ وجههُ، فيأتي الرب، ولوجهِهِ بُرهانٌ مثلُ الشمس»[٢].

● وعن الضحاك في قوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾:

قال: الناس يجهّزون بدنه والملائكة تجهّز روحه[٣].

---

(١) أخرجه هناد في «الزهد» (١/ ١٢٩) رقم (١٦٨)، والطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٢٧) وفيه: «رجاله ثقات».

وعزاه المصنف في «الدر المنثور» (٢/ ٩٩)، وفي «شرح الصدور» (٢٧) إلى عبد بن حميد أيضًا، وقال: «سنده رجاله ثقات».

قلت: وهو عند عبد بن حميد في «التفسير»، كما صرح به الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٤٠٢) وقال: «رجاله ثقات».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣/ ٣٨٤)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» رقم (٢٥١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٦٢) من طريق حسين بن علي عن زائدة، عن عاصم، عن سفيان، عن أبي موسى.

ونسبه الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٤٠٣) إلى اللالكائي.

(٣) أخرجه من ثلاثة طرق عن الضحاك به:

ابن جرير في «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٢٩/ ١٩٦).

وذكره عن الضحاك: ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٨١)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٥/ ٤٩٣)، وانظر باقي الأقوال في الآية في «زاد المسير» (٨/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥).

• وعن بكر بن عبد اللَّه قال: «إذا أُمِرَ ملك الموت بقبض المؤمن أُتي بريحان من الجنة. فقيل له: اقبض روحه فيه».

• وعن أبي عمران الجوني قال: «بلغنا أن المؤمن إذا حضر، أُتِي بضبائر الريحان من الجنة، فيُجعَل روحه فيها».

• وعن مجاهد قال: «تُنزع نَفْس المؤمن في حريرة من حرير الجنة»[١].

• السّلام من السلام عز وجل.. والسلام من مَلَك الموت:

«أخرج ابن منده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

«إذا أرادَ اللَّه قبض روحِ المؤمن أوحى إلى ملك الموت: أقرئهُ مني السلام. فإذا جاء ملكُ الموت، يقبضُ روحه، قال: ربكَ يُقرِئُك السلام».

• وأخرج ابن أبي شيبة، والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله:

﴿ **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ** ﴾: قال: «يوم يلقون ملك الموت، ليس من مُؤمنٍ تُقبضُ روحهُ إلا سُلِّمَ عليهِ».

• وأخرج ابن المبارك وابن منده عن محمد بن كعب القرظي قال:

«إذا استنقعت[٢] نفسُ العبد المُؤمن، جاءهُ ملكُ الموتِ، فقال: السلامُ عليك يا ولي اللَّه، اللَّه يُقرئُك السلام، ثم نزعَ بهذه الآية:

﴿ **الَّذِيْنَ تَتَوَفَّاهُمُ الملائكةُ طَيِّبِينَ يَقُولُوْنَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ** ﴾»[٣].

---

(١) «بشرى الكئيب» ص(٤٧).

(٢) أي اجتمعت في فيه، تريد أن تخرج، كما يستنقع الماء في قراره.

(٣) «بشرى الكئيب» ص(٤٨)، وانظر: «الزهد» لابن المبارك رقم (٤٤٢).

● **ومن البشارة:**

قال مجاهد: «إن المؤمن ليُبَشَّرُ بصلاح ولده من بعده، لتقرّ عينه»[١].

● وعن الضحاك في قوله تعالى: ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [يونس: ٦٤]، قال: يعلم أين هو قبل الموت[٢].

● وسئل الحسن عن قوله تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ...**﴾ [الفجر: ٢٧]:

«إنَّ اللَّهَ إذا أرادَ قبضَ رُوحِ عبدِهِ المؤمنِ، اطمأنتْ النفسُ إلى اللَّهِ، واطمأَنَّ اللَّهُ إليها»[٣].

● وقال ثابت البناني: «بلغنا أن الميت إذا مات احتوشه أهله وأقاربه الذين تقدّموه، فلهو أفرح بهم، وهم أفرح به، من المسافر إذا قدم إلى أهله»[٤].

● وعن عمرو بن دينار قال: «ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك ينظر إلى جسده، كيف يُغسَّل، وكيف يُكفَّن، وكيف يُمشَى به، ويُقال له، وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك»[٥].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٩)، وصححه ابن القيم في كتاب «الروح» ص(٢٠).

(٢) «تفسير الطبري» (١١/ ١٣٨)، وابن أبي شيبة، وابن منده.

(٣) «معالم التنزيل» للبغوي (٥/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»، و«بشرى الكئيب» ص(٤٩ - ٥٠).

(٤) «أهوال القبور» لابن رجب رقم (٥٩).

(٥) «حلية الأولياء» (٣/ ٢٤٧)، و«أهوال القبور» لابن رجب (١١٨)، وصححه ابن القيم في كتاب «الروح» ص(٢٠).

● وعن سفيان قال: «إن الميت ليعرف كل شيء، حتى إنه ليناشده باللَّه: ألا خَفَّفْت غُسْلي»، قال: ويُقال وهو على سريره: «اسمع ثناء الناس عليك»[1] .

*** وقفة مع إكرام اللَّه للطيبين عند موتهم:**

إن الكلمات لتقف عاجزة عن أن تصور إكرام اللَّه للطيبين عند خروج الروح ولو لم يكن من الجزاء لهم في الدارين إلا هذا الإكرام لكفى، ونلخصه في نقاط:

(١) سلام اللَّه عليه يبلّغه إياه مَلك الموت.

(٢) بشارة ملك الموت له والسلام عليه:

ولو لم يكن من قرة العين والكرامة إلا سلام ملك الموت لكفى.

(٣) أن يعلم مكانه من الجنة قبل موته.

(٤) رؤيته لملائكة الرحمة بوجوههم الطيبة.

(٥) سهولة خروج روحه.

(٦) خروج روحه في ضبائر ريحان الجنة ومسك الجنة.

(٧) خروج روحه في كفن من الجنة وحنوط من الجنة وحريرة من الجنة.

فهل تساوي الأرض وما عليها من زينة هذا النعيم؟!!

(٨) حشد ملائكة الرحمة العظيم الذين يجتمعون عنده عند خروج روحه.

---

(١) «أهوال القبور» ص(١١٧).

(٩) إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء.

(١٠) خروج الريح الطيبة منه كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض.

(١١) نداء الملائكة له بأحب أسمائه إليه.

(١٢) يشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة.

● انظر باللَّه عليك عدد الملائكة في كل سماء الذين يشيعون جنازته وقد جاء أن عدد ملائكة السماء الأولى ضعف الجن والإنس من يوم أن خلقهم اللَّه حتى يبعثهم، وعدد ملائكة السماء الثانية على الضعف من عدد الجن والإنس وملائكة السماء الأولى، والثالثة على الضعف من الثانية حتى السابعة.

● إن أهل الأرض ليفخرون بكثرة المشيعين حتى وإن كانوا من الفساق والزنادقة والكافرين، وتكتب الصحف عن جنازات الكافرين كديانا زوجة ملك بريطانيا «أعظم جنازة في القرن العشرين» «عدد خاص»، «احتفظ بهذا العدد لك ولأحفادك من بعدك». وما يمشي خلف جنازتها إلا الشواذ والفساق والكافرين والمارقين.

فكيف إذا علم أهل الأرض بهذا العدد من الملائكة الذين يشيعون جنازة العبد الصالح؟.

(١٣) لا تمر روحه بباب من أبواب السماء إلا فتح له ولا ملك إلا صلى عليه وشُفع.

(١٤) قول اللَّه عز وجل: «**اكتبوا كتاب عبدي في عليين**» بمشهد من المقربين ويا لها من كرامة.

(١٥) يشرق وجهه ويأتي ربه من الباب الذي كان يصعد عمله منه ولوجهه برهان مثل الشمس.

(١٦) نداء منادٍ من السماء أن صدق عبدي. ولو لم يكن إلا ثناء اللَّه عليه لكفاه، كفاه جزاء على الطاعة أن رضيه اللَّه لها أهلاً فكيف بثنائه؟.

(١٧) لُقيا روح المؤمن لأرواح المؤمنين وفرحهم به.

(١٨) بشرى الملائكة له بدخول الجنة وألا خوف عليه ولا حزن على ما خلّف من أمر الدنيا من ولد وأهل؛ فإنهم يخلفونه فيهم أحسن الخلف وأنهم سيؤنسون وحشته في القبور وعند النفخ في الصور ويوم البعث والنشور.

(١٩) مشاهدة روحه كيف يمشى به وسماعها ثناء الناس عليه وهو محمول على الأعناق.

(٢٠) دخول روحه إلى بلاد الأفراح ومأوى الطيبين «الجنة» من يوم موته. ونعيم جسده في قبره.

ووراء هاتيك الستورِ محجّب ... بالحسن كل العزّ تحت لوائه

لو أبصرت عيناك بعض جماله ... لبذلت منك الروح في إرضائه

ما طابت الدنيا بغير حديثه ... كلا ولا الأخرى بدون لقائه

*** حسرات العصاة والكافرين ونداماتهم:**

يا لها من حسرات وندامات عند النزع!.

قال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾، وزارع الشوك لا يجني به عنبًا.

فرّطت في الزرع وقت البذر من سفهٍ ... فكيف عند حصاد الناس تدركه

من السفيه إذًا باللَّه أنت أم الـ ... ـمغبون في البيع غبنًا سوف يدركه

* وهاهي ذي المخازي تترى:

* طلب العصاة والكافرين الرجعة عند الموت لعمل الصالحات:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

هجمت عليه منيّته، وأحاطت به خطيئته، فانكشف له الغطاء، وتبدّت له موارد الشقاء، صاح وا خيبتاه!، وا ثكل أماه! وا سُوء منقلباه!.

هيهات هيهات، ندم والله حيث لا ينفعه الندم، وأراد الرجوع لعمل الصالحات بعدما زلّت به القدم، فخرّ صريعًا لليدين والفم، إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم[1].

* رؤية الفاجر لملك الموت وملائكة العذاب ويا لها من رؤية: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾:

لو أن له طلاع الأرض ذهبًا وافتدى بها من هول هذا المطلع ورؤية ملك الموت والملائكة الذين معه لافتدى، لا طاقة له برؤية ملائكة سود الوجود غلاظ شداد.

● قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢]:

● قال ابن كثير: «أي: هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم، بل يوم يرونهم لا بشرى يومئذ لهم، وذلك يَصدق على وقت الاحتضار حين

(١) كناية عن الموت.

تبشرهم الملائكة بالنار والغضب من الجبار، وهذا بخلاف حال المؤمنين حال احتضارهم، فإنهم يبشرون بالخيرات، وحصول المسرات.

وقال آخرون: بل المراد بقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ﴾؛ يعني: يوم القيامة، قاله مجاهد والضحاك وغيرهما، ولا منافاة بين هذا وما تقدم؛ فإن الملائكة في هذين اليومين (يوم الممات، ويوم المعاد) تتجلى للمؤمنين وللكافرين، فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان، وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران، فلا بشرى يومئذ للمجرمين، ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾، أي: وتقول الملائكة للكافرين: حرام محرم عليكم الفلاح اليوم، وأصل الحجر المنع، ومنه يقال: حَجَرَ القاضي على فلان إذا منعه التصرف، إما لفلس، أو سفه، أو صغر، أو نحو ذلك، ومنه سُمِّي الحِجْر عند البيت الحرام؛ لأنه يمنع الطواف أن يطوفوا فيه، وإنما يُطاف من ورائه، ومنه يقال للعقل: حِجر؛ لأنه يمنع صاحبه عن تعاطي ما لا يليق، والغرض أن الضمير في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ عائد على الملائكة. هذا قول مجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وقتادة وعطية العوفي وعطاء الخراساني وخصيف وغير واحد، واختاره ابن جرير»[1].

* ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾:

● قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠ ـ ٥١].

● قال ابن كثير[2]: «يقول تعالى: ولو عاينت يا محمد حال توفي

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣١٤، ٣١٥).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣١٩).

الملائكة أرواح الكفار، لرأيت أمرًا عظيمًا هائلاً فظيعًا منكرًا، إذ يضربون وجوههم وأدبارهم، ويقولون لهم: ذوقوا عذاب الحريق. قال ابن جريج عن مجاهد: ﴿أَدْبَارَهُمْ﴾ أستاههم».

وقال الطبري: «عن مجاهد ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾، قال: وأستاههم ولكن اللَّه كريم يُكَنِّي»[(١)] .

● وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧ ـ ٢٨].

● قال السعدي: «﴿فَكَيْفَ﴾ ترى حالهم الشنيعة، ورؤيتهم الفظيعة، ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلآئِكَةُ﴾ الموكلون بقبض أرواحهم، ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ بالمقامع الشديدة؟!»[(٢)] .

● وقال اللَّه جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

● قال الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٨٢): «الغمرات جمع غَمرة. وغمرة كل شيء كثرته ومعظمه، وأصله الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها.

● قال السعدي: «﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾، أي: شدائده وأهواله الفظيعة، وكربه الشنيعة، لرأيت أمرًا هائلاً، وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها»[(٣)] .

---

(١) «جامع البيان» (١٦/ ١٠).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» للسعدي (٥/ ٣٥).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٢/ ٤٥).

وقوله تعالى: ﴿وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ﴾، قال ابن كثير: «أي: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ﴾، وذلك أن الكافر إذا احتُضِر، بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصي وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ[1] بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ الآية، أي: اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على اللَّه، وتستكبرون على اتباع آياته والانقياد لرسله»[2] .

*** دعاء الفاجر على نفسه بالويل عند حمل جنازته:**

● عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال:

«إذا وُضعتِ الجنازةُ واحتملها الرجالُ على أعناقهم، فإن كانت صالحةً، قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة، قالت: يا ويلها، أين يذهبُونَ بها؟ يسمعُ صوتَهَا كل شيءٍ إلا الإنسان، ولو سمعهُ، لصُعقَ»[3] .

وعند النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: **«إذا وُضع الرجل الصالح على سريره؛ قال: قدِّموني قدِّموني، وإذا وُضع الرجل** - يعني: السوء - **على سريره؛ قال: يا ويلي أين يذهبون بي؟»**.

---

(١) قال الطبري (٧/ ١٨٣): «العرب إذا أرادت بالهون معنى الهوان، ضمت الهاء، وإذا أرادت به الرفق والدَّعة وخفة المؤنة، فتحت الهاء».

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري.

* وقفة مع ندامة الكافر وسوء ما تلقى روح الفاجر:

(١) رؤيته لملائكة العذاب وملك الموت ويا لها من رؤية!.

(٢) توبيخ الملائكة إياه، ولعنه، وتبشيره بسخط اللَّه وغضَبه وعذابه.

● ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

«وإذا كان الرجلُ السوءُ قال: اخرُجي أيتُها النفسُ الخبيثةُ، كانت في الجسدِ الخَبيث، اخرُجي ذميمةً، وأبشري بحميمٍ وغساقٍ، وآخرَ من شكله أزواجٌ[1]، فلا يزالُ يُقَالُ لها ذلك حتى تخرُجَ، ثم يُعرجُ بها إلى السماءِ، فلا يُفتحُ لها، فيُقالُ: من هذا؟ فيُقالُ: فلانٌ، فيُقالُ: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسدِ الخبيث، ارجعي ذميمةً، فإنها لا تُفتحُ لك أبوابُ السماءِ، فيُرسَلُ بها من السماءِ، ثم تصيرُ إلى القبر»[2].

● ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا:

«وإن الكافرَ إذا احتُضِرَ، أتتهُ ملائكةُ العذابِ بمِسحٍ[3]، فيقولون: اخرُجي ساخِطةً مسخُوطًا عليك إلى عذابِ اللَّهِ عز وجل، فتخرجُ كأنتنِ ريحِ جيفةٍ، حتى

---

(١) في سورة [ص: ٥٧ و٥٨]: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾، قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤١): «أما الحميم، فهو الحار الذي قد انتهى حره، وأما الغساق، فهو ضده، وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم، ولهذا قال عز وجل: ﴿وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾، أي: وأشياء من هذا القبيل، الشيء وضده يعاقبون بها.

وقال في تفسير [سورة النبأ] (٤/ ٤٦٤): (الغساق): هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطاع من برده، ولا يواجه من نتنه».

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥)، و(٦/ ١٤٠)، وحسن سنده الألباني في «تخريج المشكاة» رقم (١٦٢٨).

(٣) كساء من شعر.

يأتونَ به باب الأرض فيقولون: ما أنتنَ هذه الريحَ، حتى يأتونَ به أرواحَ الكُفَّارِ»[١].

● ومن حديثه أيضًا:

«**وإن الكافرَ إذا خرجت رُوحُهُ** ـ قال حماد[٢]: وذكر من نتنها، وذكر لعنًا ـ **ويقولُ أهلُ السماءِ: روحٌ خبيثةٌ جاءت من قبلِ الأرضِ، قال: فيُقالُ: انطلقُوا به إلى آخرِ الأجَلِ**»[٣].

● قال أبو هريرة: فَرَدَّ رسول اللَّه ريطةً[٤] كانت عليه على أنفه، هكذا»[٥].

(٣) يعلم مكانه من النار قبل موته: ﴿**لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا**﴾.

(٤) ضرب الملائكة له بالمقامع... لوجهه ودبره... وما ظنك بضرب الملائكة ـ واللَّه ـ لا تتصوره العقول ولا تحيط به الأذهان... ولا طاقة للبشر المهازيل به.

(٥) شدة نزع روحه من جسده حتى تتقطع العروق والأعصاب.

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ٨ ـ ٩) وهذا لفظه، وابن حبان (٧٣٣ ـ موارد)، والحاكم (١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٢٩٤).

(٢) هو حماد بن زيد راوي الحديث.

(٣) (إلى آخر الأجل)، أي: إلى سجين، فهي منتهى الأجل، ويحتمل أن المراد إلى انقضاء أجل الدنيا. قاله القاضي، كما في «شرح مسلم» (١٧/ ٢٠٥).

(٤) قال النووي: (الرَّيطة): هي ثوب رقيق، وقيل: هي الملاءة، وكان سبب ردها على الأنف بسبب ما ذكر من نتن ريح روح الكافر».

(٥) أخرجه مسلم (٢٨٧٢).

(٦) وضع روحه في مسوح من النار... كيومه الأسود وخاتمته السوداء وأول الغيث قطرة.

(٧) لعنة كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء له.

(٨) يخرج منها كأنتن ريح جيفة على وجه الأرض.

(٩) تغلق أبواب السماء دونه، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون ألا تعرج روحه من قِبلهم.

(١٠) ينادونه بأقبح أسمائه التي كان يُسمَّى بها في دار الدنيا.

(١١) قول اللَّه عز وجل: «**اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى، ويا له من سجن وحبس وضيق تحت حرز الشيطان**».

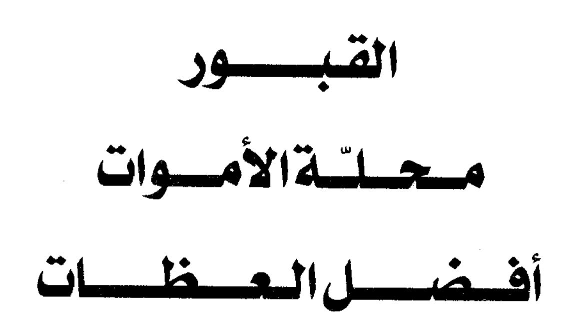
(١٢) تُطرح روحه من السماء طرحًا حتى تقع في جسده.

(١٣) دعاؤه بالويل على نفسه على حمل جنازته: يا ويلها أين تذهبون بها؟.

(١٤) وأخيرًا ينادي منادٍ من قبل السماء: **أن كذب عبدي**. ولو لم يكن له من العقاب إلا هذا لكفى.

وقل للذي قد غاب يكفي عقوبة مغيبك عن ذا الشأن لو كنت واعيا

* * *



إنـي أبـشـك مـن حـديـثـي ... والحـديـث لـه شجـــونْ

غـيّـرتُ مـوضـع مـرقـدي ... يـومًا فـنـافـرنـي الـسـكـونْ

قـل لـي فـأول لـيـلـةٍ ... في الـقـبـر كـيـف تُـرى تـكـونْ؟



القبور محلّة الأموات وأفضل العظات

● عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ بصر بجماعة، فقال: «**علام اجتمع هؤلاء؟**» قيل: على قبر يحفرونه. قال: ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدّى بين يدي أصحابه مسرعًا، حتى انتهى إلى القبر فجثى عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بلّ الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا فقال: «**أيْ إخواني لمثل هذا اليوم فأعدوا**»[1].

● وعن هانئ مولى عثمان، قال: كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبلّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**»، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**»[2].

● وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**استحيوا من الله حق الحياء**». قالوا: إنا لنستحيي والحمد لله. قال: «**ليس ذاك، ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلا، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»[3].

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٩٤)، والبخاري في «التاريخ» (٨/ ١/ ٢٢٩)، وابن ماجه (٤١٩٥)، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٧٥١) و«صحيح الجامع» (٢٦٥٩).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٣٠٩)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٥)، وصححه ووافقه الذهبي، والبخاري في «التاريخ»، والخطيب في «التاريخ»، وحسّنه الألباني في «المشكاة» (١٣٢)، و«صحيح الجامع» رقم (١٦٨٤).

(٣) حسن: رواه أحمد (١/ ٣٨٧)، والترمذي (٢٤٦٠)، والحاكم (٤/ ٣٢٣)، والبيهقي في =

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «**زوروا القبور؛ فإنها تُذكركم الآخرة**»[1] .

● وخرّج ابن ماجه من حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ : «**فزوروها؛ فإنها تزهد في الدنيا وتذكّر الآخرة**»[2] .

● «وروى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن أبي سريع الشامي، قال: قال عمر ابن عبد العزيز لرجل من جلسائه: يا فلان قد أرقت الليلة متفكرًا، قال: فبم يا أمير المؤمنين؟ قال: في القبر وساكنه إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث في القبر لاستوحشت من قربه، بعد طول الأنس منك بناحيته، ولو رأيت بيتًا تجول فيه الهوام، ويجري فيه الصديد، وتخترقه الديدان، مع تغير الرائحة، وبلى الأكفان، بعد حسن الهيئة، وطيب الريح، ونقاء الثوب، قال: ثم شهق شهقة خرّ مغشيًّا عليه»[3] .

● «وعن محمد بن كعب القرظي، قال: بعث إليَّ عمر بن عبد العزيز، فقَدمت عليه، فأدمت النظر إليه، فقال لي: يا ابن كعب، إنك لتنظر إليَّ نظرًا ما كنت تنظره إليَّ بالمدينة. قال: قلت أجل يا أمير المؤمنين، يعجبني ما حال من لونك، ونحل من جسمك. قال: فكيف بك يا ابن كعب لو رأيتني بعد ثالثة في القبر، وقد ثبت عيناي على وجنتي، وخرج الدود والصديد من منخري، لكنت لي أشد نكرة».

● وعن وهيب بن الورد، قال: بَلغَنا أن رجلاً فقيهًا دخل على عمر بن عبد العزيز، فقال: سبحان اللَّه، كأنه يعجب من أمره الذي هو عليه، فقال

= «الشعب»، وحسّنه الألباني في «تحقيق المشكاة» رقم (١٦٠٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٩٣٥) عن أبي هريرة.

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه، وأحمد، وأبو داود عن بريدة.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه، والحاكم (١/ ٣٧٥)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) «أهوال القبور» ص(١٩٥).

له: تغيّرت بعدنا! فقال له عمر: وتبيّنت ذلك فقال له: الأمير أعظم من ذلك، فقال له: يا فلان فكيف لو رأيتني بعد ثلاث، وقد أُدْخِلت قبري، وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين، وتقلصت الشفتان عن الأسنان، وانفتح الفم، ونتأ البطن، فعلا الصدر، وخرج الصديد من الدبر.

● وعن شعيب بن أبي حمزة، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض مدائن الشام: أمّا بعد، فكم للتراب في جسد ابن آدم من مأكل، وكم للدود في جوفه من طريق مخترق، وإني أحذّركم ونفسي - أيها الناس - العرض على اللَّه عز وجل.

● وروى أبو نعيم الحافظ، بإسناد له، أن عمر بن عبد العزيز شيع مرّة جنازة من أهله، ثم أقبل على أصحابه ووعظهم، وذكر الدنيا فذمها، وذكر أهلها، وتنعمهم فيها، وما صاروا إليه بعدها من القبور، وكان من كلامه أنه قال: إذا مررت بهم فنادهم إن كنت مناديًا، وادعهم إن كنت لا بد داعيًا، ومرّ بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم، سل غنيهم: ما بقي من غناه؟ وسل فقيرهم: ما بقي من فقره؟ وسلهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون، وعن الأعين التي كانوا إلى اللذات بها ينظرون، وسلهم عن الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة، والأجساد الناعمة، ما صنع بها الديدان تحت الأكفان، وأكلت اللحمان وعفرت الوجوه، ومحيت المحاسن، وكسرت الفقار، وبانت الأعضاء، ومزقت الأشلاء، وأين حجابهم وقبابهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم؟ وجمعهم وكنوزهم؟ واللَّه ما زودهم فراشًا، ولا وضعوا لهم هناك متكأ، ولا غرسوا لهم شجرًا، ولا أنزلوهم من اللحد قرارًا، أليسوا في منازل الخلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليسوا في مدلهمة ظلماء؟ قد حيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبة، وكم من ناعم وناعمة أضحوا ووجوههم بالية،

وأجسادهم من أعناقهم بائنة، وأوصالهم ممزقة، وقد سالت الحدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه دمًا وصديدًا، ودبّت دواب الأرض في أجسادهم، ففرقت أعضاءهم، ثم لم يلبثوا إلا يسيرًا حتى عادت العظام رميمًا، فقد فارقوا الحدائق، وصاروا بعد السعة إلى المضائق، قد تزوجت نساؤهم، وتردّدت في الطرق أبناؤهم، وتوزّعت القرابات ديارهم وثراهم، فمنهم واللَّه الموسع له في قبره، والغض الناظر فيه المتنعم بلذته، يا ساكن القبر غدًا ما الذي غرك من الدنيا؟ هل تعلم أنك تبقى لها وتبقى لك؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد؟ وأين ثمرتك اليانعة؟ وأين رقاق ثيابك؟ وأين طيبك ونحورك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ أما واللَّه قد نزل به الأمر، فما يدفع عن نفسه وجلاً، وهو يرشح عرقًا، ويتلمظ عطشًا، يتقلب في سكرات الموت وغمراته، جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدر والقضاء. هيهات هيهات: يا مغمِّض الوالد والأخ والولد، وغاسله، ويا مكفّن الميت وحامله ويا مُخَلِّيه في القبر، وراجعًا عنه، ليت شعري كيف على خشونة الثرى، ليت شعري بأي خديك بدأ البلى، يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموت، ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا، وما يأتيني به من رسالة ربي.

ثم انصرف فما عاش بعد ذلك إلا جمعة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ.

وقد روي عنه من وجوه متعددة أنه قال في آخر خطبة خطبها ـ رحمة اللَّه عليه ـ: «ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، ثم يرثها بعدكم الباقون، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين، وفي كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا، قد قضى نحبه فتودعونه في بطن صدع من الأرض، غير ممهّد ولا موسد، قد فارقه الأحباب، وخلع الأسباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، غنيًّا عما

خلف، فقيرًا إلى ما قدم.

وكان ينشد هذه الأبيات:

وروي أنه كان في جنازة في مقبرة، فرأى قومًا يهربون من الشمس إلى الظل، فأنشد يقول بعد الصلاة على الرسول ﷺ:

مَنْ كان حين تصيبُ الشمسُ جبهته ... أو الغبار يخاف الشَّيْن والشَّعَثا

ويألفُ الظلّ كي تبقى بشاشته ... فسوف يسكن يومًا راغمًا جَدَثًا

في ظلّ مقفرة غبراء مظلمة ... يُطيل تحتَ الثَّرَا في غمِّه اللبثا

تجهّزي بجهازٍ تبلغين به ... يا نفسُ قبلَ الرَّدى لم تُخْلَقي عَبَثَا

● وروى ابن أبي الدنيا، أن محمد بن واسع دخل على بلال بن أبي بردة، يسأله عن القدر، فقال له: جيرانك من أهل القبور، فكر فيهم، فإن فيهم شغلاً عن القدر.

● وعن مغيث الأسود الزاهد، قال: زوروا القبور كل يوم تفكركم.

● وقال النصر أبو المنذر لإخوانه: زوروا الآخرة كل يوم بفكركم، وشاهدوا الموقف بهمكم، وتوسدوا القبور بقلوبكم، واعلموا أن ذلك كائن لا محالة، فمختار لنفسه ما أحب من المنافع والضرر.

● وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت مضر بن عيسى يقول: رحم اللَّه قومًا زاروا إخوانهم بقلوبهم في قبورهم، وهم قيام في ديارهم، يشيرون إلى زيارتهم بالفكر في أحوالهم.

● وعن عبد اللَّه بن المبارك: مرّ رجل براهب عند مقبرة ومزبلة، فناداه فقال: يا راهب إن عندك كنزين من كنوز الدنيا، لك فيهما معتبر: كنز الأموال، وكنز الرجال.

● وقال ابن أبي الدنيا: ثنا أبو محمد النخعي، قال: انتفض غنّام بن علي يومًا وهو مع أصحابه، فقال له بعضهم: ما الذي أصابك؟ قال: ذكرت اللحد.

● ومما يروى لابن المبارك:

يا ذا الذي قد دفنَ الأباعدَ والأقربينَ صاعداً فصاعدا

أجدر به أن يذكر الملاحدا يا مَنْ يرجي أن يكون خالدا

ضربت فاعلمه حديداً بارداً لا بُدَّ تلقى طيبًا وزائدا

● قال ابن أبي الدنيا: أنشدني الحسين بن عبد الرحمن:

لِيَبْكِ لأهوالِ القيامَةِ مَنْ بَكَى ولا يَنْسَيَنَّ القبرَ ناسٌ ولا البِلى

كَفَى حزنًا يومًا ترى فيه مُكْرَمًا كَرَامَتُهُ أن يوقره من الثَّرَى[1]

* * *

عباد اللَّه: إنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل مَنْ قد مضى قبلكم، مِمَّن كان أطول منكم أعمارًا، وأعمر ديارًا، وأبعد آثارًا... أصبحت أصواتهم هامدة، ورياحهم راكدة، وأجسادهم بالية، وديارهم خالية، وآثارهم عافية، فاستبدلوا بالقصور المشيّدة والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المُسْنَدَةَ، والقبور اللاطئة الملحدة التي قد بُني بالخراب فناؤها، وشُيد بالتراب بناؤها، فمَحلّها مقترب، وساكنها مغترب، بين أهل محلة موحشين، وأهل فراغ متشاغلين، لا يستأنسون بالأوطان، ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار، ودنو الدار... وكيف يكون بينهم تزاور وقد

(١) «أهوال القبور» لابن رجب ص(١٩٦ ـ ١٩٩).

طحنهم بكلكله البِلَى، وأكلتهم الجنادل والثرى؟.

وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه، وارتهنكم ذلك المضجع، وضمكم ذلك المستودع.

سألت الدار تخبرني ... عن الأحباب ما فعلوا
فقالت لي أقام القوم أيـ ... ـامًا وقد رحلوا
فقلت وأين أطلبهم ... وأي منازلٍ نزلوا
فقالت في القبور ثووْا ... رهانًا بالذي فعلوا

* * *

* أهل القبور:

يا أهل الدّيار الموحشة، والمحال المقفرة، والقبور المظْلمة يا أهل التربة يا أهل الغربة، يا أهل الوَحْدَة يا أهل الوحشة.

أنتم لنا فَرَط سابق، ونحن لكم تبع لاحق، أما الدور فقد سكنت، وأما الأزواج فقد نكحت، وأما الأموال فقد قُسمتْ. هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟

أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى.

تهيج منازل الأموات وجداً ... ويحدث عند رؤيتها اكتئابُ
منازل لا تجيبك حين تدعوا ... وعَزّ عليك أنك لا تُجابُ
وكيف يجيب من تدعوه ميتًا ... تضمّنت الجنادل والترابُ

* * *

*** أخي: تذكّر من ثوىٰ في قبره:**

● قد غُودِر في محلة الأموات رهينًا، وفي ضيق المضجع وحيدًا.

قد هتكت الهَوَام جلدته، وأبْلت النواهك جدّته، وَعَفَت العواصف آثارهُ، ومحا الحَدَثان مَعالِمَه، وصارت الأجساد شحبة بَعْدَ بَضَّتها، والعظام نَخِرَة بعد قوتها، والأرواح مُرْتَهَنَةً بثقل أعبائها موقنة بغيب أنبائِها، لا تستزاد من صالح عملها، ولا تستعتب من سيئ زللها.

أو لستم أبناء القوم والآباء، وإخوانَهم والأقرباء؟ تحتذون أمثلتهم، وتركبون قدَّتهم، وتطئون جادّتهم فالقلوب قاسية عن حظها، لاهية عن رشدها سالكة في غير مضمارها! كأن المَعْنِي سواها، وكأن الرشد في إحراز دنياها. كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب. قبل الضنك والمضيق، والرَّوع والزُّهوق، قبل قدوم الغائب المنتظر وأخذة العزيز المقتدر.

إني أبثك من حديثي	والحديث له شجونْ
غيّرت موضع مرقدي	يومًا فنافرني السكونْ
قل لي فأول ليلةٍ	في القبر كيف تُرى تكونْ

*** أخي: تذكّر الغافل السادر في غيّه حتى حلّ بالقبر:**

عاش في هفوته يسيرًا، ومات في فتنته غريرًا، لم يُفده عوضه، ولم يقض مُفْترضًا، وهمته فجعات المنية في غُبَّر جماحه، وشنن مِراحه.

فظل سادرًا، وبات ساهرًا في غمرات الآلام، وطوارق الأوجاع والأسقام بين أخ شقيق، ووالد شفيق، وداعية بالويل جزعًا، ولادمة للصدر

قلقًا، والمرء في سكرة ملهثة، وغمرة كارثة، وأنَّةٍ موجعة وجذبة مكربة، وسَوْقَةٍ متعبة، ثم أدرج في أكفانه مُبْلسًا، وجذب منقادًا سَلِسًا، ثم ألقي على الأعواد رجيع وَصَب، ونِضو سَقَم، تحمله حفدة الولدان، وحشدة الإخوان، إلى دار غربته، ومنقطع زورته، ومفرد وحشته.

حتى إذا انصرف المشيع، ورجع المتفجع، أقعد في حفرته نجيًا، بهتهُ السؤال، وعثرة الامتحان.

أولي الأبصار والأسماع، والعافية والمتاع: هل من مناص أو خلاص... أو معاذ أو ملاذ، أو فرار أو مَحَار؟ فأنّى تؤفكون. أم أين تصرفون، أم بماذا تغترون؟، وإنما حظ أحدكم من الأرض ذات الطول والعرض قِيدُ قَدِّه مُتَعفرًا على خده.

آنس بالموت من الطفل بثدي أمه.

*** القبر بقلم الرافعي:**

«هذا المرقد الذي إليه المنتهى من رحلة الحياة المجهدة، في ضريحه نلقى عصا التسيار بعد سفرنا الشاق على ظهرها، وعلى ثراه تكون رقدة للمرء ما لها مِن سَحَر، نطوي بعدها الحديث عن الصديق، وندفن الخبر عن العدو، ويقطع حبل اللقاء بيننا وبين الولد والأمل، وعند لحده تنتهي الحياة بكل حقائقها وأوهامها، وأبلغ واعظ في صمته، وأخوف شيء في رهبته، من عاش معه على الميعاد المضروب واللقاء المنتظر، هانت عليه الدنيا وعاشها كعابر سبيل يتحنّث.

وللأستاذ مصطفى صادق الرافعي في وحي القبور وفلسفتها أدب واعظ تنبض سطوره بفيض غزير من شؤون العين وشجون النفس وتفيض معانيه

بالحكمة الصادقة، فأنت تارة مع أدبه من معاني القبر في خوف هالع من ظلمته ووحشته، وأنت مرة أخرى مع طمأنينة الإيمان المنبعثة من تيّار أدبه المؤمن، فتحس معاني الإيناس من هذا البرزخ الصامت»[١].

* **يقول الرافعي:**

«فتحنا القبر، وضرحنا للميت العزيز، لم أقل أنه مات، بل قلت إنه موته قد مات، كأن الحي على هذه الأرض هو القبر الإنساني في بعض عمرها، أما ترى هموم الدنيا وأحزانها كيف لا يخلو أحد منها؟.

وكيف تخرج من النعيم كما تخرج من البؤس؟ ما أحسبها إلا صورًا من ظلمة القبر يجيء القبر فيها بعد حين إلى ميته الذي لم يمت.

مَن يهرب من شيء تركه وراءه إلا القبر؟ فما يهرب أحد منه إلا وجده أمامه، هو أبدًا ينظر غير متململ، وأنت أبدًا متقدم إليه غير متراجع...

وليس في السماء عنوان لما لا يتغير إلا اسم اللَّه، وليس في الأرض عنوان لما لا يتغير إلا اسم القبر...

وأينما يذهب الإنسان تلقته أسئلة كثيرة: ما اسمك؟ ما صناعتك؟ كم عمرك؟ كيف حالك؟ ماذا تملك؟ ما مذهبك؟ ما دينك؟ ما رأيك؟...

ثم يبطل هذا كله عند القبر كما تبطل اللغات البشرية كلها في الفم الأخرس...

وهناك يتحرك اللسان الأزلي بسؤال واحد للإنسان: ما أعمالك؟»[٢].

---

(١) «الجانب الإسلامي في أدب الرافعي» لعبد الستار السطوحي ص(٢٠٨) ـ طبع دار الاعتصام.

(٢) «كتاب المساكين» للرافعي ص(٥٩).

«فتحنا القبـر وأنزلنا الميت العزيز الذي شفي مـن مرض الحياة، ووقفت هناك.. بل وقف التـراب المتكلم يعقل عن التراب الصـامت، ويعرف منه أن العمر ـ على ما يمـتد ـ محدود بلحظة، وأن القوة ـ على مـا تبلغ ـ محدودة بخمـود، وأن الغايات ـ على مـا تتسع ـ محـدودة بانقطاع، وحتـى القارات الخمس محدودة بقبر.

يا عجبًا!... القـبور مأهولة بملء الدنيا، وليـس فيها أحد... أية ذرة من التراب هي الـتي كانت نعَمة ورغدًا، وأيـتها كانت بؤسًا وشقـاء؟ وأيتها كانت حبًّا ورحمة وأيتها كانت بغضًا وموجدة؟.

سألت الـقبـر: أين المـال والمتاع؟ وأين الجمـال والسحر؟ وأين الـصحة والقوة؟ وأين المرض والضعف؟ وأين الـقدرة والجبروت؟ وأين الخنوع والذلة؟ قال: كل هـذه صور فكرية لا تجـيء إلى هنا؛ لأنهـا لا تؤخذ من هنـا، فلو أنهم أخذوا هدوء القبر لدنياهم وسلامته لـنزاعهم، وسكونه لتعبهم، لسخروا الموت فيما سخروه من نواميس الكون»[1].

*** واهًا لك أيها القبر:**

● يقول الرافعي:

واهًا لك أيها القبر لا تزال تقول لكل إنسان: تعال ولا تبرح، كل الطرق تفضـي إليك فلا يـقطع بأحـد دونك ولا يرجع عـن طريق راجع، وعـندك وحدك المساواة فما أنـزلوا قط فيك ملكًا عظامه من ذهـب ولا بطلاً عضلاته من حديد ولا أميرًا جلده من ديباج ولا وزيرًا وجهه من حجر ولا غنيًّا جوفه

(١) «كتاب المساكين» الرافعي ص(٥٩).

خزانة ولا فقيراً في أحشائه مخلاة، ألا ويحك أيها القبر لم لا تأتي إلا في الآخر ولم تضع حدود معانيك بين الأحياء بعضهم مع بعض حتى يقوم بين الضعف والقوة حد المساواة وبين النفوس والشهوات حد التقوى وبين الحرام والحلال حد الله.

* أحباؤنا الموتى ولوعة الأسى:

وكما يضع القبر حدود معانيه في المساواة المطلقة بين الناس على اختلاف أجناسهم وأقدارهم عند هبوطهم ثراه. . . كذلك يضع الموت معاني المساواة بين الأحياء والذين هوى من بينهم ميتهم العزيز، فالإحساس بالألم الدفين تجب به قلوب الجميع على حد سواء وبرحاء الكرب تنتزي به أكبادهم.

ولعل الموت كما يجرد الحيّ من روحه ينتزع من أهله شهوات أرواحهم فيميتهم مدة من الزمن في القلب وفي العين وفي الفكر وبذلك يرد جميع المحزونين إلى المساواة فأهل كل ميت وإن علا أهل كل ميت وإن نزل وتموت بالموت الفروق الإنسانية في المال والحياة والقول والجمال حتى لا يبقى إلا الدمعة واللوعة والحسرة والزفرة، وهذه هي أملاك الإنسانية المسكينة.

يا هم من يحس ويعرف ويرى كيف يموت العزيز عليه، كيف يتحول من يحبه إلى ذكرى، وأن ما يعمل في القبر يعمل قريب منه في القبر»[١] .

● يقول الرافعي:

«ما القبر إلا بناء قائم لفكرة النهاية والانقطاع، وهو في الطرف الآخر رد على البيت الذي هو بناء قائم لفكرة البدء والاستمرار، وبين الطرفين المعبد وهو بناء لفكرة الضمير الذي يحيا في البيت وفي الضمير، فهو على الحياة

(١) «كتاب المساكين» ص(٦٣).

والموت كالقاضي بين خصمين يصلح بينهما صلحًا أو يقضي...

القبر كلمة الصدق مبنية متجسمة فكل ما حولها يتكذب ويتأول وليس فيها هي إلا معناها لا يدخله كذب ولا يعتريه تأويل، وإذا ماتت في الأحياء كلمة الموت من غرور، أو باطل، أو غفلة، أو أثرة بقي القبر مذكرًا بالكلمة شارحًا لها بأظهر معانيها داعيًا إلى الاعتبار بمدلولها ميتًا.

القبر على الأرض كلمة مكتوبة في الأرض إلى آخر الدنيا معناها أن الإنسان حر في قانون نهايته، فلينظر كيف ينتهي.

وإذا كان الأمر للنهاية فقد وجب أن تبطل من الحياة نهايات كثيرة فلا يترك الشرك يمضي إلى نهايته بل يحسم في بدئه ويقتل في أول أنفاسه.

وكذلك الشأن في كل ما لا يحسن أن يبدأ، فإنه لا يجوز أن يبتدي للعداوة، والبغضاء والبخل والأثرة والكبرياء والغرور والخداع والكذب وما شابك هذه أو شابهها، فإنها كلها انبعاث من الوجدان الحيواني وانفجار من طبيعته، ويجب أن يكون منها في الإرادة قبر كي نسلم للنفس الطيبة إنسانيتها إلى النهاية.

يا من لهم في القبور أموات: إن رؤية القبر زيادة في الشعور بقيمة الحياة، فيجب أن يكون معنى القبر من معاني السلام العقلي في هذه الدنيا.

القبر فم ينادي أسرعوا أسرعوا، فهي مدة لو صرفت كلها في الخير ما وفت به فكيف يضيع فيها ضياع في الشر أو الإثم؟

هنا قبر وهناك قبر وهنالك قبر أيضًا، فليس ينظر في هذا عاقل إلا كان نظره كأنه حكم محكمة على هذه الحياة، فكيف تبقى وكيف تكون؟

في القبر معنى إلغاء الزمان، فمن يفهم هذا استطاع أن ينتصر على أيامه

وأن يسقط منها أوقات الشر والإثم، وأن يميت في نفسه خواطر السوء، فمن معاني القبر ينشأ للإرادة عقلها القوي الثابت، وكل الأيام المكروهة لا نجد لها مكانًا في زمن هذا العقل كما لا يجد الليل محلاً في ساعات الشمس.

ثلاثة أرواح لا تصلح روح الإنسان في الأرض إلا بها:

روح الطبيعة في جمالها، وروح المعبد في طهارته، وروح القبر في موعظته»[1].

* القبور بيوت الغربة والوحشة والوحدة:

● قال الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير: كان أبو بكر الصديق ﷺ يقول في خطبته: أين الوجوه الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم، الذين كانوا لا يعطون الغلبة في مواطن الحرب، أين الذين بنوا المدائن وحصّنوها بالحيطان قد تضعضع بهم الدهر، وصاروا في ظلمات القبور، الوحا الوحا، النجا النجا.

● وروى ابن أبي الدنيا بإسناد له، عن الحسن، أنه مرّ عليه شاب، وعليه بزة له حسنة، فدعاه، فقال له: ابن آدم معجب بشبابه، معجب بجماله، كأنّ القبر قد وارى بدنك، وكأنك قد لاقيت عملك، ويحك داوي قلبك، فإن حاجة اللَّه إلى عباده صلاح قلوبهم.

● وعن عبد اللَّه بن العيزار قال: لابن آدم بيتان: بيت على ظهر الأرض، وبيت في بطن الأرض، فعمد إلى الذي على الأرض فزخرفه وزينه، وجعل فيه أبوابًا للشمال، وأبوابًا للجنوب، وصنع فيه ما يصلحه

---

(١) «من وحي القلم» للرافعي (٢/ ١٥٧).

لشتائه وصيفه، ثم عمد إلى الذي في بطن الأرض فخربه، فأتى عليه آت، فقال: أرأيت هذا الذي أراك قد أصلحته، كم تقيم فيه؟ قال: لا أدري. قال: فالذي خربته، كم تقيم فيه؟ قال: فيه مقامي، قال: تقرّ بهذا على نفسك، وأنت رجل تعقل؟!.

● وعن الحسن قال: يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهن قط:

ليلة تبيت مع أهل القبور لم تبت ليلة قبلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة، ويوم يأتيك البشير من اللَّه تعالى، إما إلى الجنة وإما إلى النار، ويوم تعطى كتابك إما بيمينك وإما بشمالك.

● وعن عمر بن ذر أنه كان يقول في مواعظه: لو علم أهل العافية ما تضمنته القبور من الأجساد البالية، لجدّوا واجتهدوا في أيامهم الغالية، خوفًا ليوم تتقلب فيه القلوب والأبصار.

● وعن مطرف بن عبد اللَّه بن الشخير، قال: القبر منزلٌ بين الدنيا والآخرة، فمن نزله بزاد، ارتحل به إلى الآخرة، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

● وعن الحسن قال: أذنوا بالرحيل، وجلس أولهم على أخرهم، وهم يلعبون.

● وقال رجل لبعض السلف: أوصني. قال: عَسْكَرُ الموتى ينتظرونك.

● وكان أبو عمران الجوني يقول: لا يغرنكم من ربكم طول النسية، وحسن الطلب، فإن أخذه أليم شديد، حتى متى تبقى وجوه أولياء اللَّه بين أطباق التراب، وإنما هم محبوسون لبقية آجالكم حتى يبعثهم اللَّه إلى جنته وثوابه.

● وعن محمد بن واسع قال: كل يوم ينتقل منّا إلى المقابر ثلاثة، وكأنك بهذا الأمر قد عم أحزانًا، حتى تلحق بأولنا.

● وشهد الحسن جنازة، فاجتمع عليه الناس، فقال: اعملوا لمثل هذا اليوم - رحمكم اللَّه -، فإنما هم إخوانكم تقدموكم، وأنتم بالأثر، أيها الخالف بعد أخيه أنت الميت غدًا، والباقي بعدك، والميت في أثرك أولاً فأول، حتى توافوا جميعًا قد عمكم الموت جميعًا، واستويتم جميعًا في كربه وغصصه، ثم تخليتم جميعًا، إلى القبور، ثم تنشرون جميعًا، ثم تعرضون على ربكم - عز وجل.

● وقال صفوان بن عمرو: وقد ذكروا النعيم وسمّوا أناسًا، فقال رجل: أنعم الناس أجسادًا في التراب قد أمنت العذاب تنتظر الثواب.

● وقال مسروق: ما من بيت خير للمؤمن من لحده، قد استراح من هموم الدنيا أو من عذاب اللَّه.

● وقال بشر بن الحارث: نعم المنزل القبر لمن أطاع اللَّه عز وجل.

● وقال الفضل بن عسال: مر رجل بقبر محفور، فقال: نعم مقيل المؤمن هذا.

قال: ونظر رجل إلى القبور فقال: أصبح هؤلاء زاهدين فيما نحن فيه راغبون.

● وعن عقيبة البزار، قال: رأى أعرابي جنازة، فأقبل يقول: هنيئًا هنيئًا يا صاحبها. فقلت: علام تهنئه؟! قال: كيف لا أهنئ من يذهب به إلى حسن جوار، كريم نزله، عظيم عفوه، قال: فكأني لم أسمع ذلك القول إلا تلك الساعة.

● قال ابن أبي الدنيا: وحدثني أبو مالك البجلي، عن أبي معاوية، قال: قل ما لقيني مالك بن مغول إلا قال لي:

لا تغرنك الحياة وقدم واحذر القبر، إن للقبر شأنًا.

قال: وحدثنا أحمد بن محمد الأزدي، قال: ثنا حامد بن أحمد بن أسد، قال: أخذت بيدي عليّ بن جبلة يومًا، فأتينا أبا العتاهية، فوجدناه في الحمام، فانتظرناه، فلم يلبث أن جاء، فدخل عليه إبراهيم بن مقاتل بن سهل ـ وكان جميلاً ـ، فتأمله أبو العتاهية، وقال متمثلاً بهذه الأبيات:

يا حِسَانَ الوجوه سوف تموتوا ... ثم تبلَى الوجوه تحت التراب

يا ذوي الأوجه الحِسَان المصُونات ... وأجسامها الغِضَاض الرِّطَاب

فأقبل علي بن جبلة فقال اكتب:

يا مربي شبابه للتراب ... سوف يلهو البِلَى بغضٍّ الشباب

أَكْثِروا من نعيمها أو أقلُّوا ... سوف تهدونها لِعَفْرِ التُّراب

قد نَعَتكَ الأيام نعيًا صحيحًا ... بفراق الإخوان والأصحاب

فقال أبو العتاهية: قل يا حامد، قلت: معك ومع أبي الحسن، قال: نعم. فقلت:

يا مقيمين ارحلوا لذهابٍ ... بشفير القبور حطوا الرِّكاب

نَعِّمُوا الأوجه الحسان فما ... صَوْنُكُمُوهَا إلا بِعَفْرِ التراب

والبِسُوا ناعِمَ الثِّياب ففي ... الحُفَرةِ تَعْرُوا من جميع الثياب

قد ترون الشَّباب كيف يموتون ... إذا استنضرُوا بماء الشباب

* * *

● «عن ميمون بن مهران، قال: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقابر، فلما نظر إليها بكى، ثم أقبل على ميمون فقال: يا أيوب هذه قبور آبائي بني أمية، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم، أما تراهم صرعى فدخلت بهم المثلات، واستحكم فيهم البلاء، وأصابت الهوام في أبدانهم مقيلاً، ثم بكى حتى غشي عليه، ثم أفاق فقال: انطلق بنا، فواللَّه ما أعلم أحدًا أنعم ممن صار إلى هذه القبور، وقد أمن من عذاب اللَّه عز وجل.

● وعن ثابت البناني، أنه دخل المقابر فبكى، ثم قال: بليت أجسادهم، وبقيت أخبارهم، فالعهد قريب، واللقاء بعيد.

● وعن بعض الأعراب أنه وقف على قبر وأنشد في هذا المعنى شعرًا:

لكلِّ أُنَاس مَقْبَرٌ بفنائهم ... فهم ينقصون إلا القبُور تزيد

وما أن ترى دارًا لحيٍّ قد أَقْفَرت ... وقبر الميت بالفَنَاء جديد

فهم جِيَرَةُ الأحياء أمّا محلّهم ... فَدَانٍ وأما المُلْتَقَى فبعيد

● وعن بعضهم أنه مر في سفره بمقبرة لبعض المدن، فقال:

كَفَى حُزْنًا أن لا أَمُرّ بِبَلْدَةٍ ... مِنَ الأرضِ إلا دون مَدْخلها قَبْر

● وعن جعفر بن سليمان، أنه قال: كنا نخرج مع مالك بن دينار زمان الحطمة، فنجمع الموتى، ونجهزهم، فيخرج مالك على حمار قصير قحاطي، لجامه من ليف، وعليه عباءة مرتديها، فيعظنا في الطريق، حتى إذا أشرف على القبور، قال بصوت له محزون: ـ رحمة اللَّه عليه ـ، نفعنا اللَّه بأقرب الخلق إليه:

ألاَ حيِّ القُبُورَ ومَنْ بِهِنَّه ... وجوهٌ في الترابِ أَجِنْهُنَّه

فلو أن القبور أَجَبْنَ حيًّا ... إذًا لأَجَبْنني إذا زُرْتُهُنَّه

ولكنَّ القُبْـــورَ صَمَتْنَ عنِّي فأبت بحسرة من عِنْدِهِنَّه

● وروى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن سلام بن صالح، قال: فُقِدَ الحسن ذات يوم، فلما أمسى، قال له أصحابه: أين كنت اليوم؟ قال: كنت اليوم عند إخوانٍ لي، إن نسيت ذكروني، وإن غبت عنهم لم يغتابوني، فقال له أصحابه: نعم الإخوان والله هؤلاء، يا أبا سعيد، دلنا عليهم. قال: هؤلاء أهل القبور.

● وبإسناده، عن عبد الواحد بن زيد، أن الحسن قال لأصحابه، وهم في المقابر: هؤلاء أهل محلة قد كُفِي من جَلَس إليهم الكلام، وله في الجلوس إليهم الموعظة والاعتبار»[1] .

* كلام القبور للموتى:

وردت آثار صحاح وحسان عن السلف الصالحين - وهم من التقوى والورع في الذروة - توضح وتبين حديث القبور إلى الموتى، ونداء القبر للأحياء، ومردّ ذلك إلى قدرة العزيز الحكيم الذي لا يعجزه شيء.

● عن عُبيد بن عمير - رحمه الله - أنه قال:

«يُجعل للقبر لسانًا ينطق به، فيقول:

ابن آدم كيف نسيتني؟!

أما علمت أني بيت الأكلة، وبيت الدود، وبيت الوحشة»[2] .

● وعنه - رحمه الله - أنه قال:

«إن القبر ليبكي، يقول في بكائه: أنا بيت الوحشة، أنا بيت

---

(١) «أهوال القبور» ص(١٧٧ - ١٧٩!).

(٢) أثر صحيح: أخرجه هنّاد في «الزهد» (٣٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧١).

الوحدة، أنا بيت الدود»[١].

● وعنه ـ رحمه اللَّه ـ أنه قال:

«إن القبر ليقول: يا بن آدم ماذا أعددت لي؟

ألم تعلم أني بيت الغربة، وبيت الوحدة، وبت الأكلة، وبيت الدود»[٢].

● وقال أسيد بن عبد الرحمن ـ رحمه اللَّه ـ:

«بلغني أن المؤمن إذا مات، وحُمِل قال: أسرعوا بي، فإذا وُضِع في لحده كلّمته الأرض فقالت له: إن كنتُ لأُحبك وأنت على ظهري، فأنت الآن أحبّ إليّ.

فإذا مات الكافر وحُمِل قال: ارجعوا بي، فإذا وُضِع في لحده كلّمته الأرض فقالت: إن كنت لأبغضك وأنت على ظهري، فأنت الآن أبغض إليّ»[٣].

● وقال عبد اللَّه بن عُبيد بن عمير:

بلغني أن الميت يقعد في حفرته، وهو يسمع خطو مشيعيه، ولا يكلمه شيء أول من حفرته، تقول:

ويحك ابن آدم!!

أليس قد حُذِّرتني، وحذرت ضيقي، وظلمتي، ونتني، وهَوْلي؟!! هذا

---

(١) **صحيح**: أخرجه هنّاد في «الزهد» (٣٤٢)، وبنحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٤٤٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٢٢٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن المبارك (١٦٢)، كما في «زوائد الزهد».

ما أعددتُ لك، فما أعددت لي؟![١] .

● وعن بلال بن سعد ـ رحمه اللَّه ـ:

«ينادي القبر في كل يوم: أنا بيت الغربة، وبيت الدود والوحشة، وأنا حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، وإن المؤمن إذا وُضِع في لحده كلمته الأرض من تحته، فقالت: واللَّه لقد كنتُ أحبك وأنت على ظهري تمشي، فكيف وقد صِرْت في بطني، فإذا وليتك فستعلم ما أصنع، فيتسع له مدّ بصره، وإذا وُضِع الكافر قالت: واللَّه لقد كنت أبغضك وأنت تمشي على ظهري، فإذا وليتك فستعلم ما أصنع فتضمه ضمّة تختلف منها أضلاعه»[٢] .

● وعن عمر بن ذر قال: «إذا دخل المؤمن حفرته نادته الأرض: أمطيع أم عاص؟ فإن كان صالحًا ناداه مناد من ناحية القبر عودي عليه خضرة، وكوني عليه رحمة، فنعم العبد كان للَّه عز وجل، فتقول الأرض: الآن استحق الكرامة»[٣] .

● قال سفيان الثوري: «من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومَن غفل عنه وجده حفرة من حفر النار»[٤] .

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه ابن المبارك (١٦٣) كما في «زوائد الزهد» لنعيم، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» مرسلاً كما في «أهوال القبور» لابن رجب، و«شرح الصدور» للسيوطي.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، وهو في «شرح الصدور» للسيوطي ص(١٥٧)، و«التحرير المرسخ في أحوال البرزخ» لابن طولون ص(١٥٨).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور»، وابن رجب في «أهوال القبور» ص(٥٥)، و«التحرير المرسخ» لابن طولون ص(١٥٩).

(٤) «شرح الصدور» للسيوطي ص(١٥٧).

أيها المتخلّف في الدنيا بعد إخوانه، أما كان لك في الموتى معتبر، أما كان لك تقدّمهم إياك فكرة، أما رأيت انقطاع أعمالهم، وأنت في المهلة؟ فهلا استدركت ما فات، لو ناداك أهل القبور لقالوا:

يا أيها الرَّكبُ سيروا إن غايتكم ... أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

حثوا المطايا وأرخوا من أزمَّتها ... قبل الممات وقضُّوا ما تقضّونا

كنا أناس كما كنتم فغيّرنا ... دهرٌ فسوف كما كنا تكونونا

● أيها المغتر بظهر الأرض هلاّ اعتبرت بمَن غُيِّب من أهلك في بطن الأرض ممّن غرته الدنيا قبلك، ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولاً تناديه أحبّته إلى المنزل الذي لا بد منه.

مقيمٌ إلى أن يبعث اللَّه خلقه ... لقاؤك لا يُرجى وأنت قريبُ

تزيد بلىً في كل يوم وليلة ... وتنسى كما تبلى وأنت حبيبُ

● وعن أبي هريرة ﷺ، قال: مر النبي ﷺ على قبر دُفن حديثًا، فقال:

«ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتَنَفَّلُون يزيدهما هذا في عمله أحب إليه من بقية دُنياكم»[1] .

● وقيل: «البصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره، فيرى مكانه بين أظهرهم، فيستعد للحوق بهم، ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم، ويتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيِّعٌ له؛ لكان أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها؛ لأنهم عرفوا قدر الأعمار،

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٩٢٤)، وغيره، وصحح إسناده وعلى شرط مسلم الألباني في «الصحيحة» رقم (١٣٨٨).

وانكشفت لـهم حقائق الأمور، فإنما حسـرتهم على يومٍ من العـمر، ليتدارك المقـصر به تقـصيره، فـيتخلـص من العـقاب، وليسـتزيد المـوفق به رتبـته، فيتضاعـف له الثواب، فإنهم إنما عرفوا قـدر العمر بعد انقطاعه، فـحسرتهم على ساعة من الحياة، وأنت قادر على تلك الساعة».

● وفي «لطائف المعارف» ص(٣٥٥): «غاية أمنية الموتى في قبورهم حياة ساعة، يستدركون فيها ما فاتهم مـن توبة وعمل صالح، وأهل الدنيا يُفَرِّطون في حـياتهم، فـتذهب أعـمارهم في الـغفلـة ضياعًا، ومـنهم مـن يقطعـها بالمعاصي.

قال بعض السلف: أصبحتم في أمنيـة ناس كثير، يعني: أن الموتى كلهم يتمنون حـياة ساعة، ليتوبوا فيهـا ويجتهدوا في الطاعة، ولا سبـيل لهم إلى ذلك.

لَوْ قِيلَ لِقَوْمٍ ما مُناكُمُ طَلَبُوا ... حَيَاةَ يَوْمٍ لِيَتُوبُوا فَاعْلَمِ

وَيْحَكِ يَا نَفْسُ أَلا تَيَقُّظٌ ... يَنْفَعُ قَبْلَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمِي

مَضَى الزَّمَانُ فِي تَوَانٍ وَهَوَى ... فَاسْتَدْرِكِي مَا قَدْ بَقِي واغْتَنِمِي

وفي «الـتبصـرة» (١/ ٢٧٢): «كم من ظـالم تعـدى وجار، فمـا راعى الأهل ولا الجـار، بَيْنَا هـو عقد الإصرار، حـل به الموت، فـحل من حلـته الأزرار، ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ**﴾.

ما صحبه سوى الكفن، إلى بيت البـلى والعفن، لو رأيته وقد حلت به المحن، وشين ذلك الوجه الحسن، فلا تسأل كيف صار، ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ**﴾.

سال في اللحد صديده، وبَلِي في القـبر جديده، وهجره نسيبه ووديده،

وتفرق حشمه وعبيده والأنصار، ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾.

أين مجالسه العالية، أين عيشته الصافية، أين لذاته الخالية، كم كم تَسْفي على قبره سافية، ذهبت العين وأخفيت الآثار، ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾.

تقطعت به جميع الأسباب، وهجره القرناء والأتراب، وصار فراشه الجندل والتراب، وربما فُتح له في اللحد باب النار، ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾.

خلا والله بما كان صنع، واحتوشه الندم وما نفع، وتمنى الخلاص وهيهات قد وقع، وخلاه الخليل المصافي وانقطع، واشتغل الأهل بما كان جمع، وتملك الضدُّ المال والدار، ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾.

نادم بلا شك ولا خفا، باكٍ على ما زل وهفا، يود أن صافي اللذات ما صفا، وعلم أنه كان يبني على شفا جرف هار، ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾.

قارنه عمله من ساعة الحَيْن، فهو يتمنى الفرار وهيهات أين؟ ويقول: يا ليت بيني وبينك بُعد المشرقين، فهو على فراش الوحدة وحده، والعمل ثاني اثنين، ولكن لا في الغار، ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾.

وهذه وإن كانت حالة من غدا، فلكلٍّ منكم مثلها غدًا، فانتبهوا من رقادكم قبل الردى ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى**﴾، إنما هي جنة أو نار، ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾.

وفيها (٢/٢٠٦): «يا غافلاً عن نفسه! أمرك عجيب، يا قتيل الهوى! داؤك غريب، يا طويل الأمل! ستدعى فتجيب، وهذا عن قليل، وكل آت

قريب، هلا تذكرت لحدك، كيف تبيت وحدك، ويباشر الثرى خدك، وتقتسم الديدان جلدك، ويضحك المحب بعدك، ناسيًا عنه بعدك؟! والأهل مذ وجدوا المال ما وجدوا فقدك، إلى متى وحتى متى تترك رشدك؟! أما تحسن أن تحسن قصدك؟! الأمر جد مجد، فلازم جدك.

ذَهَبَ الأحِبَّةُ بَعْدَ طُولِ تَوَدُّدٍ ... وَنَأى المَزَارُ فَأَسْلَمُوكَ وأَقْشَعُوا
خَذَلُوكَ أَفْقَرَ مَا تَكُونُ لِغُرْبَةٍ ... لَمْ يُؤْنِسُوكَ وَكُرْبَةً لَمْ يَدْفَعُوا
قُضِيَ القَضَاءُ وَصِرْتَ صَاحِبَ حُفْرَةٍ ... عَنْكَ الأحِبَّةُ أَعْرَضُوا وتَصَدَّعُوا»

* * *

● ولأبي العتاهية في «ديوانه» ص(٢٦٦):

يَا أَيُّهَا المُتَسَمِّنُ ... قُلْ لِي لِمَنْ تَتَسَمَّنُ
سَمَّنْتَ نَفْسَكَ لِلْبِلَى ... وَبَطِنْتَ يَا مُسْتَبْطِنُ
وأَسَأْتَ كُلَّ إِسَاءَةٍ ... وَظَنَنْتَ أَنَّكَ تُحْسِنُ
مَا لِي رَأَيْتُكَ تَطْمَئِنُّ ... إِلَى الحَيَاةِ وَتَرْكُنُ
يَا سَاكِنَ الحُجُرَاتِ مَا ... لَكَ غَيْرَ قَبْرِكَ مَسْكَنُ
اليَومَ أَنْتَ مُكَاثِرٌ ... ومُفَاخِرٌ تَتَزَيَّنُ
وَغداً تَصِيرُ إِلَى القُبُو ... رِ مُحَنَّطٌ وَمُكَفَّنُ
أَحْدِثْ لِرَبِّكَ تَوبَةً ... فَسَبِيلُهَا لَكَ مُمْكِنُ
واصْرِفْ هَوَاكَ لِخَوْفِهِ ... مِمَّا تُسِرُّ وَتُعْلِنُ
فَكَأَنَّ شَخْصَكَ لَمْ يَكُن ... فِي النَّاسِ سَاعَةَ تُدْفَنُ

وَكَـأَنَّ أَهْـلَـكَ قَـدْ بَـكَـوْا جَـزَعًـا عَـلَـيْـكَ وَرَنَّـنـوا
فَـإذا مَـضَـتْ لَـكَ جُـمْـعَـةٌ فَـكَـأَنَّـهُـمْ لَـمْ يَـحْـزَنُـوا
والـنَّـاسُ فِـي غَـفَـلاتِـهِـم وَرَحَـى الْمَـنِـيَّـةِ تَـطْـحَـنُ
مَـا دُونَ دَائِـرَةِ الـرَّدَى حِـصْـنٌ لِـمَـنْ يَـتَـحَـصَّـنُ

● «وعن سلمة بن سعيد، قال: كان هشام الدستوائي إذا ذكر الموت يقول: القبر، وظلمة القبر، ووحشة القبر، فلما مرّ بعض إخوانه بجنبات قبره، فقال: يا أبا بكر صرت واللَّه إلى المحذور.

● وعن امرأة هشام الدستوائي، قالت: كان هشام إذ طفئ المصباح غشيه من ذلك أمر عظيم، فقلت له: إنه ليغشاك أمر عظيم عند المصباح إذا طفئ، قال: إني أذكر ظلمة القبر، ثم قال: لو كان سبقني إلى هذا أحد من السلف لأوصيت إذا مت أن أجعل في ناحية من داري، قال: فما مكثنا إلا يسيرًا حتى مات، قال: فمرّ بعض إخوانه بقبره، فقال: يا أبا بكر صرت واللَّه إلى المحذور.

● وعن جمعة جارة هشام الفردوسي، قالت: كان هشام إذا رجع من جنازة لم يتعش تلك الليلة، وكان لا ينام إلا في بيت فيه سراج، قالت: فطفئ سراجه ذات ليلة فخرج هاربًا، فقيل له: ما شأنك؟ قال: ذكرت ظلمة القبر.

● وعن خالد بن خِداش، قال: كنت أقعد إلى وسيم البخلي عم قتيبة وكان أعمى، وكان يحدث، ويقول: أواه القبر وظلمته، واللحد وضيقه، وكيف أصنع؟ ثم يغمى عليه، ثم يعود ويحدث، ويصنع مثل ذلك، مرارًا حتى يقوم.

● وروى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن وهيب بن الورد قال: انظر ابن

مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها، فبكى، ثم قال: والله لولا الموت لكنت بك مسرورًا، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا، ثم بكى بكاء شديدًا، حتى ارتفع صوته.

● وبإسناده عن الفيض بن إسحاق، قال: قال لي الفضيل بن عياض: أرأيت لو كانت لك الدنيا، فقيل لك: تدعها ويوسع لك في قبرك، ما كنت تفعل؟ قال: وقال فضيل: أليس تموت وتخرج من أهلك ومالك، وتصير إلى القبر وضيقه وحدك، ثم قال: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق ١٠]، ثم قال: إن كنت لا تفعل هذا، فما في الأرض دابة أحمق منك.

● وعن محمد بن حرب المكي، قال: قدم علينا أبو عبد الرحمن المعمري العابد، فاجتمعنا إليه، وأتاه وجوه أهل مكة، قال: فرفع رأسه فلما نظر إلى القصور المحدقة بالكعبة، نادى بأعلى صوته: يا أصحاب القصور المشيدة، اذكروا ظلمة القبور الموحشة، يا أهل النعيم والتلذذ، اذكروا الدود والصديد وبلى الأجسام في التراب، قال: ثم غلبتاه عيناه فنام[1].

● وقال ابن أبي الدنيا في كتاب «العزلة»: حدثنا الحسين بن عبد الرحمن، عن رجل قال: دخلت على رجل بالمصيصة في بيت، فيه فرسه وعلفه، فقلت: أما تضيق نفسك من هذا؟ فبكى، وقال: إذا ذكرت القبر وضيقه وظلمته اتسع هذا عندي، ولهيت عن غيره.

وذكر بإسناد له، أن سعيد بن عبد العزيز دخل على سليمان الخواص، فقال له: ما لي أراك في الظلمة؟ قال: ظلمة القبر أشد»[2].

* أبلغ العظات النظر إلى محلة الأموات:

● عن ميمون بن مهران، قال: قال أبو الدرداء ﷺ: إن لكم في هاتين

---

(١) كذا، ولعلها: فقام.

(٢) «أهوال القبور» لابن رجب ص(١٦٧ ـ ١٦٩).

الدارين لعبرة، تزورونهم ولا يزورونكم، وتنتـقلون إليهم ولا ينتقلون إليكم، يوشك أن تستفرغ هذه ما في هذه.

● وعن الحســن أن عثمان بـن أبي العاص، كـان في جنازة، فـرأى قبرًا مخسوفًا، فقال لرجل من أهله: يا فلان تعال انظر إلى بيتك الذي هو بيتك. فجاء فقال: ما أرى بـيتي فيه طعام ولا شراب ولا ثياب. قـال: فإنه بيتك. قال: صدقت. قـال: فرجع فقال: واللَّه لأجعـلنَّ ما في بيتي هذا فـي بيتي ذاك. قال الحسن: هو واللَّه التشدد أو الهلكة، واللَّه لتصبرن أو لتهلكن.

وفي رواية قال: أراه بيتًـا ضيّقًا يابسًا مظلمًا، ليـس فيه طعام ولا شراب ولا زوجة، وقد تركـت بيتًا فيه طـعام وشراب وزوجة، قال: فإن هـذا واللَّه بيتك. قال: صدقت، أما واللَّه لو قد رجعت نقلت من ذلك إلى هذا.

● وعن ابن شوذب، قال: اطلعت امرأة إلى قـبر، فرأت اللحد، فقالت لامرأة معها: ما هذا؟ يعنـي: اللحد. قالت: هذا كندوج[1] العمـل. قال: وكانت تعطيها الشيء، فتقول: اذهبي فضعي هذا في كندوج العمل.

● وعن الحسن أنه مر على مقبرة فقال: يـا لهم عسكر ما أسكتهم، وكم فيهم من مكروب.

● وعن الفضل الـرقاشي، أنهم كانوا إذا ذَكَّروا زُهدًا في الـدنيا، يقول: مررت بالمقابر فوقفت فناديت: يا أهل الشرف والغناء والتباهي، يا أهل البأس والأمر والنهي والنـجدة والأجر والدخول، يا أهل المسكنـة والحاجة والفاقة، ويا أهل النـسك والإخبات والإنابة والاجتـهاد، فما ردّت عليّ فرقـة منهم، ولعمري إن لم يكونوا أجابوا جوابًا لقد أجابوا اعتبارًا.

---

(١) الكندوج: صومعة من خشب يختزن فيه القمح.

• وعن مالك بن دينار قال: خرجت أنا وحسان بن أبي سنان نزور المقابر، فلمّا أشرف عليها، سبقتهُ عبرته، ثم أقبل عليَّ، فقال: يا أبا يحيى! هذه عساكر الموتى، يُنْتَظَر بها من بقي من الأحياء، ثم يُصَاح بهم صيحة، فإذا هم قيام ينظرون، فوضع مالك يده على رأسه، وجعل يبكي.

• وعن أبي عاصم الحيطي، قال: كنت أمشي مع محمد بن واسع، فأتينا المقابر، فدمعت عيناه، ثم قال: يا أبا عاصم لا يغرنك ما ترى من خمودهم، فكأنك بهم قد وثبوا من هذه الأجداث، من بين مسرور ومهموم.

• وعن ابن السماك قال: لا يغرنّك سكوت هذه القبور، فما أكثر المغمومين فيها، ولا يغرنك استواؤها فما أشد تفاوتهم.

• وعن أبي حازم الأعرج، أنه شهد جنازة، فوقف على شفير القبر، فجعل ينظر إليه، ثم رفع رأسه، فقال لبعض أصحابه: ما ترى؟ قال: أرى حفرة يابسة، وأرى جنادل. قال أبو حازم: أما واللَّه لتحمدنه لنفسك، أو لتكونن معيشتك فيه معيشة ضنكًا. فبكى بكاءً شديدًا.

• وعن حسين الجعفي، قال: أتى رجل قبرًا محفورًا، فاطلع في اللحد، فبكى بكاءً شديدًا، واشتد بكاؤه. قال: واللَّه أنت بيتي حقًّا، واللَّه لئن استطعت لأعمِّرنَّك.

• وكان العمري الزاهد يلازم المقابر، ومعه كتاب لا يفارقه، فقيل له في ذلك، قال: ما شيء أوعظ من قبر، ولا آنس من كتاب، ولا أسلم من الوحدة.

• وعن عطاء السلمي، أنه كان إذا جن عليه الليل خرج، فوقف على القبور، ثم يقول: يا أهل القبور متم فواموتاه. ويبكي ثم يقول: يا أهل القبور عاينتم ما عملتم، فوا عملاه. ثم يبكي، فلا يزال كذلك حتى يصبح.

● وعن عيسى بن أحمد، قال: كان الأسود بن كلثوم يخرج إلى المقابر إذا هدأت العيون، فيقول. يا أهل الغربة والتربة، يا أهل الوحدة والبلى. ثم يبكي حتي يكاد يطلع الفجر، ثم يرجع إلى أهله.

● وعن ثابت البناني، قال: دخلت المقابر، فقلت: يا أهل القبور، فلم يجبني أحد. ثم قلت: يا أهل القبور، فلم يجبني أحد. ثم أجاب عقلي: نحن مثلك كنا وكما نحن تكون.

● وقال أبو محرز الطفاوي: كَفَتْكَ القبور مواعظ الأمم السالفة.

● وروى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن محمد بن صالح التمار، قال: كان صفوان بن سليم يأتي البقيع في الأيام، فيمر بي، فاتبعته ذات يوم، وقلت: والله لأنظرن ما يصنع. قال: فقنع رأسه وجلس إلى قبر منها، فلم يزل يبكي حتى رحمته. قال: ظننت أنه قبر بعض أهله. قال: فمر بي مرة أخرى، فاتبعته، فقعد إلى جنب قبر غيره، ففعل مثل ذلك. قال: فذكرت ذلك لمحمد بن المنكدر، وقلت: إنما ظننت أنه قبر بعض أهله. قال فقال محمد: كلهم أهله وإخوانه، إنما هو رجل يحرِّك قلبه بذكر الأموات كلما عرضت له قسوة. قال: ثم جعل محمد بن المنكدر يمر بي فيأتي البقيع، فسلمت عليه ذات يوم، فقال: ما نفعتك موعظة صفوان؟.

قال: فظننت أنه انتفع بما ألقيت إليه منها.

● وعن مطرف الهذلي، قال: كانت عجوز متعبدة في عبد القيس، فعوتبت في كثرة إتيانها القبور، فقالت: إن القلب القاسي إذا جفى لم يلينه إلا رسوم البلى، وإني لآتي القبور فكأني أنظر إليهم قد خرجوا من بين أطباقها، وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المعفرة، وإلى تلك الأجسام البالية المتغيرة، وإلى تلك الأكفان الدنسة، فيا له من منظر.

سلامٌ على أهلِ القبورِ الدَّوارِسِ ... كأنَّهم لم يجلسوا في المَجالسِ
ولم يشربوا من باردِ الماءِ شُرْبَةً ... ولم يأكلوا من بَيْن رَطْبٍ ويابِسِ
ألا خَبِّروني: أيْنَ قبرُ ذليلِكم ... وقبرُ العزيزِ المادح المتمارِسِ

● وسمع بكر العابد امرأة عند قبر تقول: وا عمراه ليت شعري بأي خديك بدأ البلى، وأي عينيك سالت قبل الأخرى. فخر بكر مغشيًّا عليه.
أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الموت».

● وروى في كتاب «الخائفين» عن محمد بن الحسين، عن عبيد اللَّه بن موسى، قال: كان الحسن بن صالح إذا صعد المنارة - يعني ليؤذن - أشرف على المقابر، فإذا نظر إلى الشمس تحوم على القبور صرخ حتى يسقط مغشيًّا عليه، فيحمل ويُنزل به.

وشهد يومًا جنازة، فلما قرب الميت ليدفن نظر إلى اللحد فارفض عرقًا، ثم مال، فغشي عليه، فحمل على سرير الميت، فَرُدَّ إلى منزله.

● وذكر بإسناده عن عيسى بن يونس، وذكر عنده الحسن بن صالح فقال: قل ما كنت أجيء في وقت صلاة إلا رأيته مغشيًّا عليه، ينظر إلى المقبرة فيصرخ ويغشى عليه.

● وبإسناد له، عن عمر بن درهم القريعي، دخل المقابر وهو معصوب العينين، وابنه يقوده، فوطيء على قبر، فقال: يا بني أين أنا؟ قال: في الجبان يا أبتاه. قال: هاه. ثم خر ميتًا. فحمل إلى أهله من المقابر ميتًا، فَغُسِّل، ثم رد إلى المقابر، فدُفِنَ.

● وروى في كتاب «القبور» بإسناد له، أن امرأة بالمدينة كانت تزهو، فدخلت يومًا المقابر، فرأت جمجمة، فصرخت، ثم رجعت مُنِيبَة، فدخل

عليها نساؤها، فقلن: ما هذا؟ فقالت:

بكى قلبي لذكر الموت لما رأيت جماجمًا جوف القبور

ثم قالت: أخرجن عني، فلا تأتين منكم إلا امرأة ترغب في عبادة اللَّه - عز وجل -، ثم أقبلت على عبادة اللَّه تعالى حتى ماتت - رحمها اللَّه تعالى -.

وبإسناده، عن عنبسة الخواص، أن رجلاً من الصدر الأول دخل المقابر، فمر بجمجمة بادية من بعض القبور، فحزن حزنًا شديدًا، ثم واراها، ثم التفت فلم ير إلا القبور، فحزن حزنًا شديدًا فحدّث نفسه، فقال: لو كشف لي عن بعضهم فسألته عما رأى. قال: فَأُتِيَ في منامه، فقيل له: لا تغتر بتشييد القبور من فوقهم، فإن القوم قد بليت خدودهم في التراب، فمن بين مسرور ينتظر ثواب اللَّه - عز وجل -، وبين مغمومٍ آسفًا على عقابه، فإياك والغفلة عما رأيت، فاجتهد الرجل بعد ذلك اجتهادًا شديدًا، حتى مات - رحمه اللَّه تعالى -»[1].

● وعن سلمة البصري، قال: رأيت بزيغ بن مسرور العابد في منامي، وكان كثير الذكر للَّه تعالى، كثير الذكر للموت، طويل الاجتهاد، قال: قلت: كيف رأيت موضعك؟ فقال:

ولَيْس يعلم ما في القبرِ داخله إلا الإله وساكن الأجداث

ثم ولّى وتركني.

● وعن روح بن سلمة الورّاق، قال: رأيت إبراهيم المحكمي في منامي، فقلت: في أي الحالات أنت في الآخرة؟ قال: فبكى، ثم قال: ما أطول غموم الموتى في قبورهم. قلت: فأنت كيف حالك؟ قال: خير حال صرت

---

(١) «أهوال القبور» ص(١٨٠ - ١٨٥).

والله إلى رضا ربي ورضوانه بفضله عليَّ ومنِّه، قال: وكان إبراهيم قد صام حتى اسود.

● وروى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن الحسن، قال: مات أخ لنا، فلما وُضِع في القبر، جاء صلة بن أشيم حتى أخذ بناحية الثوب، ثم قال:

إن تَنْجُ من ذي عَظيمة وإلا فإنِّي لا أَخالَكَ ناجيًا

*** أخي: الموت أول وارد عليك، والقبر أقرب منك إليك:**

فاستعد لسفرك، وتأهب لرحيلك، وحول جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم، ولا تغتر بما اغتر به البطالون قبلك من طول آمالهم، فقصروا عن ربهم وزادهم، فندموا عند الموت أشد الندامة، وأسفوا على تضييع العمر أشد الأسف، فلا الندامة عند الموت تنفعهم، ولا حمدوا أنفسهم على التقصير. أنقذك الله من شر ما وافى به المغبونون مليكهم يوم القيامة، أي أخي: بادر ثم بادر.

● ووجد على قبر مكتوب:

وقفتُ على الأحبَّة حين صفت قبورهم كَأَفْرَاس الرهانِ
فلما أن بكيت وفاضَ دمعي رَأَتْ عيناي بينهموا مكاني

● وعلى قبر آخر:

أنا في التراب مقيلي ما لي الأركان جمعًا
لو ترى أمي رسومي لذرت بالدم دمعًا

● وقُرِئ على قبرٍ آخر بالبصرة:

ستعرض عن ذِكْري وتنسَى مودّتي ويحدث بعدي للخليل خليل
إذا ما نقضت يومًا من العيش مدتي فإن غناء الباكيات قليل

• وقرئ على قبر بالأيلة:

أنا البعيد القريب الدَّار منظره | بين الجنادل والأحجار مرهون

• وقرئ على قبر:

أنا في القبر وحيدٌ قد تبرَّأ الأهلُ مني | أسلموني ذنوبي خبت إن لم يعف عني

• وأوصى بعض الوزراء أن يكتب على قبره:

أيها المغرور في الدنيا بعز يقتنيه | وبأهلٍ وبمال وبقصر تبتنيه
كم عليها قد سحبناه ذيل سلطان وقيه | يحسب الأفلاك تجري بخلود ترتجيه
إذا طوانا الموت طيًّا | فاعتبر ما نحن فيه

• وقُرئ على قبر:

أما ترونْ محلي | غداً تصيرون مثلي
أبلى التراب شبابي | وكلكم سوف يبلى
سبيلكم كسبيلي | سبيل من كان قبلي

• وأنشد أبو السمح الطائي هذه الأبيات:

إذا أصحاب قبري ودعوني | وراحوا والأكف بها غبار
وغودر أعظمي رهنًا بقبري | تهاداه الجنائب والقطار
مقيمًا لا يجاورني صديق | بأرضٍ لا أزور ولا أزار
فذاك النأي لا الهجران شهراً | وشهراً ثم تجتمع الديار

• رجع ابن السمّاك من دفن ميّت فأنشأ يقول:

تمرّ أقاربي جنبات قَبْرِي | كأنّ أقاربي لم يعرفوني
وذُو الميراث يقتسمون مالي | ولا يثنون إن جَحَدُوا دُيُوْني
وقد أخذوا سهامهم وعَاشُوا | فيا للَّه ما أَسْرَعَ ما نسوني

• ولما انصرف الناس من جنازة داود الطائي، أنشد ابن السماك:

انصرف الناس إلى دورهم ... وغودر الميت في رمسه
مرتهن النفس بأعماله ... لا يرتجي الإطلاق من حبسه
لنفسه صالح أعماله ... وما سواه فعلى نفسه

• قال أبو جعفر القرشي:

رحلتم وخليتم اللذات فيها لأهلها ... وكنتم زمانًا تغتدون فنونها
وكنتم أناسًا قبلنا مثل ما نرى ... تظنون بالدنيا وتستحسنونها
وكم صورة تحت التراب لسيد ... وكان حريصًا جاهدًا أن يصونها
وما زالت الدنيا محل لأرحل ... تجوس المنايا سهلها وحزونها
وقد كان في الدنيا قرون كثيرة ... ولكن ريب الدهر أفنى قرونها
وللناس آجال قصار ستنقضي ... وللناس أرزاق سيستلمونها

* * *

• وقال الثقفي:

أما ترى الموت ما ينفك مختطفًا ... من كل ناحية نفسًا فيحويها
قد نُغِّصت أملاً كانت تؤمله ... وقام في الحي باكيها وناعيها
وأسكنوا الترب تبلى فيه أعظمهم ... بعد النضارة ثم اللَّه يحييها
وصار ما جمعوا منها وما ادخروا ... بين الأقارب يحويه أدانيها
فامهد لنفسك في أيام مهلتها ... واستغفر اللَّه ما أسلفته فيها

• وقال آخر:

قف بالمقابر وانظر إن وقفت بها ... للَّه درك ماذا تستر الحفر
ففيهمو لك يا مغرور موعظة ... وفيهمو لك يا مغتر معتبر

● ولابن المعتـــز:

وجيـــران صدق لا تزاور بينهم ... سوى قرب بعض في المحلة من بعض
كأن خواتيمًا من الطين فوقهم ... فليس لها حتى القيامة من فض

● ولأبي العتاهية:

رويدك يادي القصر في شرفاته ... فإنك عنه تستحث وتزعج
ولا بد من بيت انقطاع ووحشة ... وإن غرك البيت الأنيـــق المدبـــج

● ولغيـــره:

ولقد علمت بأن قصـــري حفرة ... غبراء يحملني إليها شرجع
تبكي بناتي شجوهن وزوجتي ... والأقـــربون إليّ ثم يصدعُوا
وتركت في غبراء يكره وردها ... تسفي على الريـــح حين أودع
إن الحوادث تخترمن منيتي ... وكأنما عمر الفتى في أهله مستودع
يسعى ويجمـــع جاهدًا مستهترًا ... جدًّا وليس يأكل ما يجمع مضجع
حتى إذا وافى الحمـــام لوقته ... ولكل جنب لا أبالك مصرع

● ولآخر:

قِف بالقبـــور وقلْ على ساحاتها ... مَنَ منكم المغمـــور في ظُلُمَاتها
ومن المكرّم منكم في قعرهـــا ... قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذي العيـــون فواحد ... لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسنٍ ... تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل في روضة ... يفضي إلى ما شاء من دوحاتها
والمجرمُ الطاغي بها متقلبُ ... في حفرة يأوي إلى حيّاتها
وعقارب تسعى إليه قروحه ... في شدّة التعذيب من لدغاتها

* * *

● ولله در القائل:

أتيت القبور فناديتها ... فأين المعظَّمُ والمحتقرْ

وأين المُدِلّ بسلطانه ... وأين المُزَكّى إذا ما افتخرْ

تفانَوْا جميعًا فما مخبر ... وماتوا جميعًا ومات الخَبَرْ

تروح وتغدو بنات الثرى ... فتمحو محاسن تلك الصور

فيا سائلي عن أناسٍ مضَوْا ... أما لكَ فيما ترى معتَبَرْ

● ولآخر:

عُدمت الحياة ولا نلتها ... إذا كنتَ في القبر قد ألحدوكا

فكيف أذوق لطعم الكرى ... وأنت بيمناك قد وسَّدُوكا

● ولآخر:

كم ببطن الأرض ثاو ... من وزير وأمير

وصغير الشان عبده ... خامل الذكر حقير

لو تأملت قبور الـ ... ـناس في يوم قصير

لم تميزهم ولم ... تعرف غنيًّا من فقير

● وروي عن إبراهيم بن أدهم أنه قرأ على قبرٍ:

ما أحد أكرم من مفرد ... في قبره أعماله تونسه

منعم يلتذ في روضة ... زينها اللَّه فهي مجلسه

● ولبعض المتقدمين:

تزود قريبًا من فعالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل

وإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضى به اللَّه تشغل

فلن يصحب الإنسان من بعد موته ... إلى قبره إلا الذي كان يعمل

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل

يا قبـــر ما أسكن ظاهرك وفي داخلك الدواهي

روى ابن أبي الدنيا بإسناده أن أبا الدرداء مـرّ بين القبور، فقال: يا بيوت ما أسكن ظواهرك وفي داخلك الدواهي.

* **أخـي:** قد وصفنا ظاهر القبور، وهي أفظـع شيء بسكونها وصمتها، وما يعرف الناس مـن بلى الأجسام وصديدها وفعل الدود فيـها.. فما الظن بداخلها:

- **ضمتها.**
- **فتنتها وسؤال الملكين فيها.**
- **عذابها.**
- **نعيمها.**

وسنفرد لهذا قدرًا كافيًا ونفصل فيه في فصل «عقيدة السلف السادات في القبر والموت والسكرات» ونمر هنا عليه مرور الكرام:

ضمّـــة القبـــــر

ضمة القــبر لا ينجو منها أحـد، صالحًا كان أو عاصيًا، صـغيرًا كان أو كبيرًا.

وضمة القبر هذه غير عذاب القبر.

- قال رسول اللَّه ﷺ عن سعد بن معاذ رضي الله عنه:

«هذا الذي تحـرّك له العرش، وفُتـحت له أبواب السمـاء وشهده سبعـون ألفًا

من الملائكة، لقد ضُمّ ضمّة ثم فرج عنه»[١] .

● وقال رسول اللّه ﷺ : **«إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجيًا منها لنجا سعد بن معاذ»**[٢] .

● وقال رسول اللّه ﷺ : **«لو أفلت أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي»**[٣] .

● وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد التيمي قال:

«كان يُقال: إن ضمة القبر، إنما أصلها أنها أمهم، ومنها خُلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة، فلما ردَّ اللّه تعالى أولادها، ضمتهم ضم الوالدة التي غاب عنها ولدها، ثم قدم عليها، فمن كان للّه مُطيعًا، ضمتهُ برفقٍ، ومن كان للّه عاصيًا، ضمته بعنفٍ، سخطًا منها عليه»[٤] .

فتنة القبر وسؤال الملكين

فتنة القبر وسؤال الملكين ثابت، وأخباره متواترة لا ينكره إلا زنديق مارق يقدم العقل على النقل، ويطعن في الثابت من دين اللّه عز وجل.

وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، وهي عظيمة في هولها وخطرها تقرب من فتنة الدجال أعظمَ فتنة.

وفي حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قول رسولنا ﷺ : **«... ولقد**

---

(١) **سنده صحيح على شرط مسلم**: رواه النسائي، وقال الألباني في «تحقيق المشكاة» (١/ ٤٩): سنده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه أحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢/ ٢٣٦).

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥/ ٥٦).

(٤) «بشرى الكئيب» للسيوطي ص(٥٨).

أوحي إلـيّ أنكم تفـتنون في قـبوركم، مثـل أو قريبًـا من فتنـة المسيح الـدّجال...» الحديث.

● بأبي وأمي رسول اللَّه ﷺ من حدّث أمته وبـيّن لها ما تحتاجه حتى لون الملكين، ولون عيونهما، واسمهما.

«**أتاه ملكان أسودان، أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير**».

أزرقان أي: لون عيونهما.

● يجلس المؤمن الصالح في قبره غير فزع قبل السؤال، أما الرجل السوء فإنه يجلس في قبره فزعًا مشعوفًا[1]:

● عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت يهودية استطعمت على بابي، فقالت: أطعموني أعاذكم اللَّه من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، قالت: فلم أزل أحبسهـا حتى جاء رسول اللَّه ﷺ، فـقلت: يا رسول اللَّه، مـا تقول هذه اليهودية؟ قال: «**وما تقول؟**» قلت: تقول: أعاذكم اللَّه من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القـبر، قالت عائشة: فقام رسول الـلَّه ﷺ ورفع يديه مـــدًّا يستعيذ باللَّه من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، ثم قال: «**أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبي إلا حذر أمته، وسأحدثكـم بحديث لم يحذره نبي أمته: إنه أعور، وإن اللَّه ليس بأعور، مكـتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن، فأما فـتنة القبر فبي يُفـتنون وعنـي يسألـون، فإذا كان الرجـل الصالـح، أُجلس فـي قبره غيـر فزع ولا مشعوف، ثم يقال له: فما كنت تقول في الإسلام؟ فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فـيقول: محمد رسول اللَّـه جاء بالبينات من عـند اللَّه فصدقناه، فـيفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعـضها بعضًا، فيقال له: انظر إلى ما وقاك اللَّه،**

---

(١) الشعف: الفزع حتى يذهب بالقلب.

ثم تفرج له فرجة إلى الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك منها، ويقال: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء اللَّه، وإذا كان الرجل السوء، أُجلس في قبره فزعًا مشعوفًا، فيقال له: فما كنت تقول؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما قالوا، فيفرج له فرجة إلى الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف اللَّه عنك، ثم يفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا، ويقال: هذا مقعدك منها، على الشك كنت وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء اللَّه ثم يعذب»[1] .

* تثبيت اللَّه للصالحين في القبر عند السؤال:

- قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

- عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال:

«المسلم إذا سُئل في القبر، شهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه؛ فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾»[2] .

- «عن طاووس: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: لا إله إلا اللَّه ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾، المسألة في القبر.

- وقال قتادة: أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾، في القبر»[3] .

---

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب».

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأصحاب السنن.

(٣) «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٠٢)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٢١).

● وانظر بربك إلى هـذا الأثر الطيب في رد عقول الصالحـين عليهم في القبر وجواب عمر ﷺ الجميل.

عن عبد اللّـه بن عمر ﷺ أن رسول اللّه ﷺ ذكر فتّان الـقبر، فقال عمر: أتُرَدُّ علينا عقولنا يا رسول اللّه، فقال رسول اللّه ﷺ: **«نعم كهيئتك اليوم»**، فقال عمر: بفِيهِ الحجـر[1].

ومعنى بفيه الحجر: أي: بفم الملـك الحجر، قالها عمر بن الخطاب ﷺ حَسُن ظنه بربه على ما سيكون عنده من حسن جواب.

والحمد للّه أن حَسُن هذا الحديث، ويا خالق عمر سبحانك.. هذا عُمر الإسلام.. وهو من الدين السمع والبصر ـ هو والصديق ـ.

● يا طيب كرامة المؤمن في قبره حين ينادي مناد في السؤال عند سؤاله: **«أن صدق عبدي»**.

● ويا طيب مثواه حين يقول الملكان: **«قد كنا نعلم أنك تقول»** كما جاء في حديث أبي هريرة، وعنه أيضًا: **«يُقال له: صدقت، علـى هذا عشتَ، وعليه مت، وعليـه تبعث»**، أو **«على ذلك حييت، وعلى ذلـك مت، وعليه تُبعث إن شاء اللّه»**.

● **وأما الكافر أو المنافق:** فيقال له حين يقول لا أدري: **«قد كنا نعلم أنك تقول ذلك»، فيُقال له: لا دريت ولا تلوت». «علـى الشك كنت، وعليه مت وعليه تبعث إن شاء اللّه»**.

● **«وينادي مناد من السماء: أن كذب»**.

● قـــال ﷺ: **«إن الميت تحضره الملائكة، فـإذا كان الرجل صـالحًا قال: اخرجي أيـتها النفس الـطيبة كانـت في الجسد الطـيب، اخرجي حميـدة، وأبشري**

---

(١) «صحيح الترغيب والترهيب»/ مجلد ٤ بسند حسن.

بروح وريحان، ورب غير غضبان، فلا يزال يقال له ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقول: فلان، فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها اللَّه تبارك وتعالى. فإذا كان الرجل السوء، قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة، فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء، ثم تصير إلى القبر، فيجلس الرجل الصالح في قبره، غير فزع ولا مشعوف، ثم يقال له: فيم كنت، فيقول: كنت في الإسلام، «فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول اللَّه ﷺ جاءنا بالبينات من عند اللَّه فصدقناه، فيقال له: هل رأيت اللَّه؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى اللَّه، فيفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا، فيقال له: انظر إلى ما وقاك اللَّه تعالى، ثم يفرج له فرجة قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها، وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك، ويقال له: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء اللَّه، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعًا مشعوفًا فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلته. فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف اللَّه عنك، ثم يفرج له فرجة إلى النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا، فيقال هذا مقعدك، على الشك كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء اللَّه»[1] .

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٩٦٨)، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» أيضًا (٤/ ١٨٨).

● من النعيم في القبر رؤية المؤمن النار التي وقاه اللَّه منها، ورؤية مقعده من الجنة، وهو في قبره، واستمرارية ذلك.

استمرارية عرض مقعد المرء من الجنة، أو النار في القبر.

● قال سبحانه: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

● عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: **«إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار. فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك اللَّه يوم القيامة»**[1] .

● ومن عذاب الكافر في القبر تُفرج فرجة له قِبَل الجنة يرى ما صرف اللَّه عنه من نعيم الجنة، ويرى مقعده من النار.

*** ومن كرامة المؤمن في قبره:**

● التنوير له في قبره.

● الفسح له في قبره.

● نوم المؤمن في قبره أطيب نومة.

● شوقه لتبشير أهله.

كما سيأتي في حديث أبي هريرة[2] .

«ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم يُنوّر له فيه، ثم يُقال: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) انظر: «سكب العبرات» (٢/ ٦٤ ـ ٦٥).

أحب أهله إليه، حتى يبعثه اللَّه من مضجعه ذلك».

• قال ﷺ : «إن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول له: ما كنت تعبد؟ فإن اللَّه هداه قال: كنت أعبد اللَّه، فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد اللَّه ورسوله، فما يسأل عن شيء غيرها، فينطلق به إلى بيت كان في النار، فيقال له: هذا بيتك كان في النار، ولكن اللَّه عصمك ورحمك، فأبدلك به بيتًا في الجنة، فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي، فيقال له اسكن، وإن الكافر إذا وضع في قبره، أتاه ملك فينتهره، فيقول له: ما كنت تعبد؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت، فيقال: فما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: كنت أقول ما تقول الناس، فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين»[1] .

ويصور هذه الكرامة أبلغ تصوير شوق الصحابة في البرزخ - ممن استشهدوا في سبيل اللَّه تعالى لإخبار من لم يمت من إخوانهم بالكرامة المعدة للشهداء.

• قال ﷺ : «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل اللَّه أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب؟ فقال اللَّه تعالى: «أنا أبلغهم عنكم»[2] .

---

(١) رواه أبو داود عن أنس، وهو في «صحيح الجامع» رقم (١٩٢٦).

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس، وصححه الحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٢٠٥)، وفي «تحقيق المشكاة» (٣٨٥٣)، و«تحقيق شرح الطحاوية» (٥٣٨).

*** ومن نعيم المؤمن وكرامته في قبره أن قبره يُملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون:**

● قال ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، حتى أنه يسمع قرع نعالهم. أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ ـ لمحمد ـ فأما المؤمن فيقول: (أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله)، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك اللَّه به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا، ويفسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون.

وأما الكافر أو المنافق، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه»(١).

*** ومن نعيم القبر للمؤمن أن أعماله الصالحة تُمثَّلُ له وتذود عنه وتؤنسه في قبره:**

مرّ في حديث البراء: «يمثل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرّك، أبشر برضوان من اللَّه، وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت تُوعد، فيقول له: وأنت فبشَّرك اللَّه بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح...».

● وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني في «الأوسط»، وابن حبان، وصححه، والحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

---

(١) «متفق عليه».

قال رسول الله ﷺ :

«والذي نفسي بيده، إنه إذا وضع في قبره، أنه يسمع خفق نعالهم، حين يولون عنه، فإذا كان مؤمنًا، كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن شماله، وفعلُ الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس من قبل رجليه، فيُؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ليس من قبلي مدخلٌ.

فيُؤتى عن يمينه، فتقول الزكاة: ليس من قبلي مدخلٌ.

ويُوتى من قبل شماله، فيقول الصوم: ليس من قبلي مدخلٌ.

ثم يؤتى من قبل رجليه، فيقول فعلُ الخير أو المعروف: ليس من قبلي مدخلٌ.

فيُقال له: اجلس.

فيجلس، وقد مثلت له الشمسُ قد قرُبت للغروب.

فيُقال له: أخبرنا عما نسألك؟

فيقول: دعوني أُصلي.

فيُقالُ: إنك ستفعل، فأخبرنا عما نسألُكَ؟

فيقول: عم تَسألُوني؟

فيُقالُ له: ما تقول في هذا الرجلِ، الذي كان فيكم؟

فيقولُ: أشهدُ أنه رسول الله، جَاءَنا بالبينات، من عند ربنا، فصدقنا، واتبعنا.

فيقال له: صدقتَ، على هذا حييتَ، وعلى هذا مت، وعليه تُبعثُ إن شاء الله. ويُفتحُ له في قبره مد بصره، ويقالُ: افتحوا له بابًا إلى النار، فيُفتحُ له، فيقال:

هذا منزلك، لو عصيت الله. فيزداد غبطةً وسروراً. ويقال: افتحوا له بابًا إلى الجنة، فيفتح له، فيقال: هذا منزلك، وما أعدَّ الله لك، فيزاد غِبطة وسُروراً.

فَيُعاد الجسدُ إلى ما بدأ منه من التراب، وتُجعلُ روحه في النسيم الطيب وهي

طيرٌ خضرٌ، تعلق[1] في شجر الجنة»[2].

● وأخرج أحمد عن أسماء رضي الله عنها: عن النبي ﷺ قال:

«إذا أدخل الإنسان في قبره، فإن كان مؤمنًا، أحف به عمله: الصلاة والصوم، فيأتيه الملك من نحو الصلاة، فترده، ومن نحو الصيام، فيرده، فيُناديه: اجلس. فيقول له: ما تقول في هذا الرجل؟

قال: من؟ قال: محمدٌ.

فيقول: أشهد أنه رسول الله ﷺ.

فيقول: ما يُدريك؟ أدركتهُ؟

قال: أشهد أنه رسول الله.

قال: يقولُ: على ذلك عشت، وعليه مت، وعليه تُبعثُ»[3].

---

(١) تَعْلُقُ: تأكل، انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٢٨٩)، والنَسَمَة: هي الروح. انظر كتاب «الروح» لابن القيم ص(١٣١).

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ١٤٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٨٣)، وابن حبان رقم (٧٨١ ـ موارد الظمآن)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» رقم (٧٩)، وفي «الاعتقاد» ص(١٠٨)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (١٣٨٠)، وهناد في «الزهد» (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥) رقم (٣٣٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧٩ و٣٨٠ و٣٨٠ ـ ٣٨١).

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣١ ـ ٣٢) لابن المنذر، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠٢) رقم (٢٦٥١)، وابن مردويه، وكذلك فعل الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٤١٩ و٤١٣) وقال الحاكم عقبه: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٥٢): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وإسناده حسن». وحسنه الألباني في «أحكام الجنائز».

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣). وقد أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» جزءًا منه. قاله الهيثمي في «المجمع»: (٣/ ٥١)، والزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٤١٩) و(٨/ ١١٩).

=

وكما جاء في فضل سورة «تبارك» وأنها المانعة من عذاب القبر.

* **ومن نعيم المؤمن في قبره تزاور الموتى.**

كما سيأتي.

* **ومن نعيم القبر صلاة المؤمن في قبره:**

كما مرّ في الحديث وسيوضحه شيخنا الألباني . . . وهذا نوع من الثواب والنعيم الذي يتفضل به المولى عز وجل على عباده.

وأخرج اللالكائي في «السنة» بسنده عن يحيى بن معين قال:

«قال لي حفارٌ: أعجبُ ما رأيت من هذه المقابر، أني سمعتُ من قبرٍ أنينًا كأنين المريض، وسمعتُ من قبر - والمُؤذن يؤذن - وهو يجيبه من القبر»[1].

* **ومن نعيم المؤمن في قبره كِسْوته:**

● أخرج عبد اللَّه بن أحمد في «زوائد الزهد» عن عبادة بن نسي قال:

«لما حضرت أبا بكرٍ الوفاةُ، قال لعائشة: اغسلي ثوبَي هذين، وكفنيني بهما، فإنما أبوك أحد الرجلين: إما مكسوًّا أحسن الكُسْوة، وإما مسلوبًا أسوأ السلب»[2].

= وقال الهيثمي: «رجال أحمد رجال الصحيح».

وقال الزبيدي: «وحديثها في الصحيح باختصار».

والحديث حسّنه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٣/ ٢١٥).

(١) عزاه إلى اللالكائي في «السنة» ابن رجب في «أهوال القبور» رقم (١١٨).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» ص(١٣٦)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٩٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» كما في «نصب الراية» (٢/ ٢٦٢)، وقال الحافظ ابن حجر في «الدراية» ص(١٤١): «إسناده صحيح». وأخرجه بلاغًا محمد بن الحسن الشيباني في «الآثار» رقم (٣٨٨).

● وأخرج ابن أبي الدنيا عن يحيى بن أبي راشد:

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في وصيته:

«اقتصدوا في كفني، فإنه إن كان لي عند اللَّه خيرٌ أبدلني ما هو خيرٌ منه، وإن كنت على غير ذلك سلبني، وأسرع سلبي، واقتصدوا في حُفرتي، فإنه إن كان لي عند اللَّه خيرٌ، وسع لي قبري، مد بصري، وإن كنت على غير ذلك، ضيقه حتى تختلف أضلاعي»[١] .

● وأخرج سعيد بن منصور في «سننه»، وابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن أبي الدنيا، والحاكم في «المستدرك» عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال عند موته:

«ابتاعُوا لي ثوبين، ولا عليكم أن لا تتغالوا، فإن يُصب صاحبكم خيرًا، يُكسيني خيرًا منها، وإلا سلبها سلبًا سريعًا»[٢] .

● وأخرج ابن سعد في «الطبقات»، والبيهقي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: عند موته.

«اشتروا لي ثوبين أبيضين، فإنهما لن يُتركا علي إلا قليلاً، حتى أُبدل بهما خيرًا منهما، أو شرًّا منهما»[٣] .

● وأخرج سعيد بن منصور عن عُديسة بنت أُهبان[٤] بن صيفي الغفاري رضي الله عنه صاحب رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قالت:

«أوصانا أبي أن نكفنهُ في قميصٍ. قالت: فلما أصبحنا من الغد من يوم

---

(١) وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٣٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٨١).

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٤٠٣).

(٤) انظر: ترجمتها في «طبقات ابن سعد» (٨/ ٤٨١).

دفناهُ، إذا نحن بالقميص، الذي كفناهُ فيه على المشجب[١] »[٢] .

* ومن النعيم في القبر الفرش للمؤمن في قبره:

● وفي حديث البراء: «فينادي مناد من السماء: **أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة. وألبسوه من الجنة**».

واللَّه إن هذا الفراش وهذا اللباس من الجنة لا تقوم لهما الدنيا بما فيها ومن فيها... ولو لم يكن للعبد إلا هذا لكفاه... اللَّهم اجعل لنا من هذا الفراش، وهذا اللباس أحسنهما وأطيبهما والحظ الأوفر منهما.

● قال تعالى: ﴿**فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**﴾ [الروم: ٤٤].

قال مجاهد: «في القبر»[٣] .

وعند ابن المنذر عن مجاهد في الآية قال: «يُسوّون المضاجع»[٤] .

قال ابن رجب في «أهوال القبور» رقم (٨٩):

«قال أحمد: فحدّثت به يحيى بن معين، قال: طوبى لمن كان له عمل صالح، يكون وطاءه في قبره.

---

(١) المشجب: خشبات موثقة توضع عليها الثياب.

(٢) وأخرجه الحارث، كما في «المطالب العالية» (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) رقم (٧٢١).
وأخرجه أحمد مختصرًا، ولفظه: «عن ابنة أهبان أن أباها أمر أهله أن يكفنوه ولا يُلبسوه قميصًا، قالت: فأصبحنا والقميص على المشجب».
وأخرجه الطبراني، وقال الهيثمي: «فيه أبو عمر القسملي، قال الحسيني: لا يعرف، وإسناد الحارث جيد، خال منه، وسكت البوصيري عليه. انظر كلام الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي على «المطالب العالية».

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره».

(٤) وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ٥٢).

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يُقال للمؤمن في قبره: ارقد رِقْدَة المتقين»[١] .

*** ويُبَشَّر بصلاح ولده في قبره:**

أخرج ابن الدنيا عن مجاهد قال: «إن الرجل ليُبَشر بصلاح ولده في قبره»[٢] .

● قال ابن القيم:

الأرواح قسمان: مُنعَّمَة ومُعَذَّبة.

فأما المعذبة فهي في شغل عن التزاور والتلاقي. وأما المنعمةُ المرسلة، غير المحبوسة، فتتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا، وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها، الذي هو على مثل عملها، وروح نبينا محمد ﷺ في الرفيق الأعلى.

● قال اللَّه تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ هذه المعية ثابتةٌ في الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار الجزاء، والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة[٣] .

عذاب القبر حق لا ينكره إلا مارق

عذاب القبر حق جاءت فيه الآيات، والأحاديث المتواترة، وإنكار المتواتر كفر أكبر... فما بال الزنادقة والرعاع والمارقين يطعنون في الثوابت من دين اللَّه عز وجل... أظلمت الدنيا بزندقتهم وشكا ضوء النهار وظلام والمعقّيات

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا، والبيهقي.

(٢) صححه ابن القيم في كتابه «الروح» ص(٢٠).

(٣) انظر: «الروح» ص(٢٦)، و«شرح الصدور» ص(٢٠٤ ـ ٢٠٥).

إلى ربهم هذا التطاول الفاجر على دينه... ردة ولا أبا بكر لها ولكن سينجلي الليل.

● قال القسطلاني في «إرشاد الساري» (٢/ ٤٦٠):

«قال في «مصابيح الجامع»: «وقد كثرت الأحاديث في عذاب القبر، حتى قال غير واحد: إنها متواترة، وإن لم يصحّ مثلها لم يصحّ شيء من أمر الدين».

وقد تكلمنا عن عذاب القبر باستفاضة في المجلد الثاني من هذا الكتاب من (صفحة ٤٧ حتى صفحة ١٢٥).

*** ومن عذاب القبر: ضيق القبر:**

في الحديث: «**وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون قولاً، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا، حتى يبعثه اللَّه من مضجعه ذلك**».

وفي حديث البراء: «**ويضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه**».

● **أيها الغافل:** هل لك طاقة بتحمّل هذا الضيق، وهذا الضنك وما بعده أشد وأضيق ﴿ **وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا** ﴾.

*** ومن عذاب القبر: أن يقال له كَذَبتَ:**

وفي الحديث: «**فينادي مناد من السماء: أن كذب**»

ولو لم يكن له من الحسرات إلا هذا لكفى.. يُنادى من قبل ملك الملوك.. وتقطّع ما بينه وبين مولاه، وما بعد هذا أشدّ ﴿ **كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ [المطففين: ١٥].

*** ومن عذاب القبر أن يُفرش له من النار:**

وفي الحديث:

«فأفرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرّها وسمومها»، وفي الحديث: **«ويمهد من فرش، فيقول: رب لا تقم الساعة»**.

● فراش من النار... يا ناعم الجسد... يا من تضره الشوكة وتؤذيه.. يا من تعوّد على الفراش الوثير... وبعد هذا ما هو أشد ﴿**لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**﴾ فانج بنفسك...

*** ومن عذاب القبر أن يُضرب حتى يصير ترابًا ثم يعيده اللَّه كما كان:**

وفي الحديث: **«ثم يُقَيّض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة! لو ضُرب بها جبل كان ترابًا، فيضربه ضربة حتى يصير بها ترابًا، ثم يعيده اللَّه كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين»**.

وفي الحديث: **«ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»، «يسمعها الخلق غير الثقلين»**.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن الموتى ليعذبون في قبورهم، حتى إن البهائم لتسمع أصواتهم»**[1] .

● وقال ﷺ: **«استعيذوا باللَّه من عذاب القبر، إنهم يعذبون في قبورهم عذابًا تسمعه البهائم»**[2] .

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود، وكذا رواه أبو نعيم، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٣٧٧)، و«صحيح الجامع» رقم (١٩٦٥).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير» عن أم مبشر، وكذا رواه ابن حبان، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٤٤٤)، و«صحيح الجامع» (٩٤٢).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافَنوا[1] لدعوت اللَّه أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، تعوّذوا باللَّه من عذاب النار، تعوّذوا باللَّه من عذاب القبر، تعوّذوا باللَّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن، تعوذوا باللَّه من فتنة الدجّال»[2] .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«استعيذوا باللَّه من عذاب القبر، استعيذوا باللَّه من عذاب جهنم، استعيذوا باللَّه من فتنة المسيح الدجال، استعيذوا باللَّه من فتنة المحيا والممات»[3] .

*** ومن عذاب القبر التِّنِّين الذي يُسَلَّط على الكافر في قبره يلسعه وينهشه ويخدشه:**

حدّث أبو السمح عن ابن جُحيرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال:

«إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء، ويُرْحب له قبره سبعون ذراعًا، ويُنَوَّر له كالقمر ليلة البدر، أتدرون فيما أنزلت هذه الآية: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ أتدرون ما المعيشة الضنكة؟»، قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده، إنه يُسَلَّط عليه تسعة وتسعون تِنِّينًا، أتدرون ما التِّنِّين: سبعون حيّة، لكل حيّة سبعة رؤوس يلسعونه، ويخدشونه إلى يوم القيامة»[4] .

---

(١) أي: لولا أن لا يدفن بعضهم بعضًا خوفًا من القبر وفرقًا.

(٢) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم عن زيد بن ثابت.

(٣) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد»، والترمذي، والنسائي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صفة الصلاة» (١٦٣)، و«صحيح الجامع» (٩٤١).

(٤) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، في كتاب «الجنائز»، فصل في أحوال الميت في قبره =

ستة ألاف وتسعمائة وثلاثون حية لكل حية سبعة رؤوس إلى يوم القيامة.

*** ومن عذاب القبر تمثل أعمال السوء للفاجر والكافر في قبره:**

وفي الحديث: **«ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت تُوعد، فيقول: وأنت فبشّرك اللَّه بالشرّ من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، واللَّه ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة اللَّه سريعًا في معصية اللَّه فجزاك اللَّه شرًّا»**.

*** ذكر صنوف العذاب وأسباب عذاب القبر:**

وهذه سنذكرها بالتفصيل في «المجلد الثاني» من كتابنا هذا.

● **عن** أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ:

«بينما رجل يتبختر يمشي في بُرديه، قد أعجبته نفسه، فخسف اللَّه به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»[1].

● وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«بينما رجل يمشي في حلة تُعجبه نفسه، مُرَجّل جُمَّته، إذ خسف اللَّه به

= (٧/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣) حديث رقم (٣١٢٢).

وإسناده حسن، فإن أبا السمح ـ وهو دراج ـ أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، وهو هنا رواه عن ابن حجيرة، وهو عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني، قاضي مصر، أخرج له مسلم، وأصحاب السنن، ووثقه النسائي، وغيره.

وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٢٨)، و«الآجري» ص(٣٥٨)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٦٨). وأخرجه البزار، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٧، ٦٠٨)، وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت»، والحكيم الترمذي، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(١) رواه البخاري، ومسلم، ومعنى يتبختر: أي: يمشي متكبرًا معجبًا بنفسه.

الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»[١]

● ولله در ابن المبارك حين يقول:

وكيف قرّت لأهل العلم أعينهم ... أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا
والموت ينذرهم جهراً علانية ... لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لا بد موردهم ... وليس يدرون من ينجو ومن يقعُ
لينفع العلم قبل الموت صاحبه ... قد سال قومٌ بها الرجعى فما رجعوا[٢]

* امتلاء قبور العصاة بالظُّلْمَة:

● قال ﷺ: «إن هذه القبور ممتلئة على أهلها ظلمة، وإن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم»[٣].

* لطيفة:

قال شقيق البلخي: «طلبنا ضياء القبور، فوجدناه في صلاة الليل، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن، وطلبنا عبور الصراط، فوجدناه في الصوم والصدقة، وطلبنا ظل العرش، فوجدناه في الخلوة»[٤].

* فائدة: ماذا يقول إذا مرّ بقبر كافر:

● عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم.
جمته: الجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين، والترجيل أي: التسريح بالمشط.
يتجلجل: أي: يغوص في الأرض حين يُخسف به، والجلجلة: حركة مع صوت.
(٢) «ديوان ابن المبارك».
(٣) رواه أحمد عن أنس، ومسلم عن أبي هريرة.
(٤) «بشرى الكئيب» ص(٦٦) نقلاً عن «روض الرياحين» لليافعي.

فقال: إن أبي كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو؟ قال: «**في النار**»، فكأنّ الأعرابي وجد من ذلك، فقال: يا رسول اللَّه فأين أبوك؟ قال: «**حيثما مررت بقبر كافر فبشِّره بالنار**»، قال: فأسلم الأعرابي بعد، فقال: لقد كلفني رسول رسول اللَّه ﷺ تعبًا: ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار».

● قال الشيخ الألباني: «وفي هذا الحديث فائدة هامة أغفلتها عامة كتب الفقه، ألا وهي مشروعية تبشير الكافر بالنار إذا مرّ بقبره، ولا يخفى ما في هذا التشريع من إيقاظ المؤمن وتذكيره بخطورة جرم هذا الكافر حيث ارتكب ذنبًا عظيمًا تهون ذنوب الدنيا كلها تجاهه ولو اجتمعت، وهو الكفر باللَّه عز وجل والإشراك به.

● وإن الجهل بهذه الفائدة مما أودى ببعض المسلمين أن يقصدوا زيارة بعض قبور من يسمونهم بعظماء الرجال من الكفار، ويضعون على قبورهم الأزهار والأكاليل ويقفون أمامها خاشعين محزونين. مما يشعر برضاهم عنهم وعدم مقتهم إياهم، مع أن الأسوة الحسنة بالأنبياء عليهم السلام تقضي خلاف ذلك كما في هذا الحديث الصحيح، واسمع قول اللَّه عز وجل: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا**﴾ الآية، هذا موقفهم منهم وهم أحياء، فكيف وهم أموات؟

وروى البخاري، ومسلم:

«**لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذّبين، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم،** [وتقنّع بردائه وهو على الرحل]».

ورواه أحمد، والزيادة له.

وقد ترجم لهذا الحديث صديق حسن خان في «نزل الأبرار» ص(٢٩٣): «باب البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين، وبمصارعهم وإظهار الافتقار إلى اللَّه تعالى والتحذير من الغفلة عن ذلك»[١].

* * *

* أخي: دنا الفراقُ ولات حين تهرُّبٍ:

وَدَنَا الْفِرَاقُ وَلاَتَ حِيْنَ تَهَرُّبٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ مِنَ الْقَضَاءِ الدَّانِي

وَالْتَفَّ صَحْبُكَ يَرْقُبُونَ بِحَسْرَةٍ مَّاذَا تَكُونُ عَوَاقِبُ الْحِدْثَانِ

واسْتَلَّ رُوحَكَ والْقُلُوبُ تَقَطَّعَتْ حُزْنًا وَأَلْقَتْ دَمْعَهَا الْعَيْنَانِ

فَاجْتَاحَ أَهْلَ الدَّارِ حُزْنٌ بَالِغٌ واجْتَاحَ مَن حَضَرُوا مِنَ الْجِيرَانِ

فَالْبِنْتُ عَبْرَى لِلْفِرَاقِ كَئِيْبَةٌ والدَّمْعُ يَمْلأُ سَاحَةَ الأَجْفَانِ

وَالزَّوْجُ ثَكْلَى وَالصِّغَارُ تَجَمَّعُوا يَتَطَلَّعُونَ تَطَلُّعَ الْحَيْرَانِ

وَالابْنُ يَدْأَبُ فِي جِهَازِكَ كَاتِمًا شَيْئًا مِّنَ الأَحْزَانِ وَالأَشْجَانِ

وَسَرَى الْحَدِيثُ وَقَدْ تَسَاءَلَ بَعْضُهُمْ أَوَ مَا سَمِعْتُمْ عَنْ وَفَاةِ فُلانِ

قَالُوا سَمِعْنَا وَالْوَفَاةُ سَبِيلُنَا غَيْرَ الْمُهَيْمِنِ كُلُّ شَيْءٍ فَانِي

وَأَتَى الْحَدِيثُ لِوَارِثِيكَ فَأَسْرَعُوا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ لِلْحُطَامِ الْفَانِي

وَأَتَى الْمُغَسِّلُ وَالْمُكَفِّنُ قَدْ أَتَى لِيُجَلِّلُوكَ بِحُلَّةِ الأَكْفَانِ

وَيُجَرِّدُوكَ مِنَ الثِّيَابِ وَيَنْزِعُوا عَنْكَ الْحَرِيْرَ وَحُلَّةَ الْكِتَّانِ

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٧ ـ ٢٨).

وَتَعُود فَرْدًا لَسْتَ حَامِلَ حَاجَةٍ ... مِنْ هَذِه الْدُنْيَا سِوَى الأكْفَانِ

وَأَتَى الْحَدِيثُ لِوَارِثِيكَ فَأَسْرَعُوا ... فَأَتَوا بِنَعْشٍ وَاهِنِ الْعِيْدَانِ

صَلُّوا عَلَيْكَ وَأَرْكَبُوكَ بِمَرْكَبٍ ... فَوْقَ الظُهُورِ يُحَفُّ بِالأحْزَانِ

حَتَّى إِلَى الْقَبْرِ الَّذِي قَدْ جَهَّزُوا ... وَضَعُوكَ عِنْدَ شَفِيْرِه بِحَنَانِ

وَدَنَا الأقَارِبُ يَرْفَعُونَكَ بَيْنَهُمْ ... لِلحْد كَيْ تُمْسِي مَعَ الدِّيدَانِ

وَسَكَنتَ لَحْدًا قَدْ يَضِيقُ لِضِيْقِه ... صَدْرُ الْحَلِيمِ وَصَابِرِ الْحَيَوَانِ

وَسَمِعْتَ قَرْعَ نِعَالِهِم مِنْ بَعْدِ مَا ... وَضَعُوكَ فِي الْبَيْتِ الصَّغِيرِ الثَّانِي

فِيهِ الظَّلامُ كَذَا السُّكُونُ مُخَيِّمٌ ... وَالرُّوحُ رُدَّ وَجَاءَكَ الْمَلَكَانِ

وَهُنَا الْحَقِيقَةُ وَالْمُحَقِّقُ قَدْ أَتَى ... هَذَا مَقَامُ النَّصْرِ وَالْخِذْلاَنِ

إِنْ كُنتَ فِي الدُّنْيَا لِرَبِّكَ مُخْلِصًا ... تَدْعُوهُ بِالتَّوحِيدِ وَالإِيمَانِ

فَتَظَلُّ تَرْفُلُ فِي النَّعِيمِ مُرَفَّهًا ... بِفَسِيحِ قَبْرٍ طَاهِرِ الأرْكَانِ

وَلَكَ الرَّفِيقُ عَنِ الْفِرَاقِ مُسَلِّيًا ... يُغْنِي عَنِ الأحْبَابِ وَالأخْدَانِ

فُتِحَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْجِنَانِ نَوَافِذٌ ... تَأْتِيكَ بِالأنْوَارِ وَالرَّيْحَانِ

وَتَظَلُّ مُنشَرِحَ الْفُؤَادِ مُنَعَّمًا ... حَتَّى يَقُومَ إِلَى الْقَضَا الثَّقَلاَنِ

تَأتِي الْحِسَابَ وَقَدْ فَتَحْتَ صَحِيفَةً ... بِالنُّورِ قَدْ كُتِبَتْ وَبِالرِّضْوَانِ

وَتَرَى الْخَلائِقَ خَائِفِينَ لِذَنْبِهِمْ ... وَتَسِيرُ أَنْتَ بِعِزَّةٍ وَأَمَانِ

وَيُظِلُّكَ اللَّه الْكَرِيمُ بِظِلِّه ... وَالنَاسُ فِي عَرَقٍ إِلَى الأذْقَانِ

وَتَرَى الصِرَاطَ وَلَيْسَ فِيه صُعُوبَةٌ ... كَالْبَرْقِ تَعْبُرُ فِيْه نَحْوَ جِنَانِ

فَتَرَى الْجِنَانَ بِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا ... وَتَرَى الْقُصُورَ رَفِيْعَةَ الْبُنْيَانِ

طِبْ فِي رَغِيدِ الْعَيْشِ دُونَ مَشَقَّةٍ تَكْفِي مَشَقَّةُ سَالِفِ الأَزْمَانِ

وَالبَسْ ثِيَابَ الْخُلْدِ وَاشْرَبْ وَاغْتَسِلْ وَابْعَدْ عَنِ الأَكْدَارِ وَالأَحْزَانِ

سِرْ وَانْظُرِ الأَنْهَارَ وَاشْرَبْ مَائِهَا مِن فَوْقِهَا الأَثْمَارُ فِي الأَفْنَانِ

وَالشَّهْدُ جَارٍ فِي العُيُونِ مُطَهَّرٌ مَّعَ خَمْرَةِ الْفِرْدَوْسِ وَالأَلْبَانِ

وَالزَّوْجِ حُورٌ فِي البُيُوتِ كَوَاعِبٌ بِيْضُ الْوُجُوهِ خَوَامِصُ الأَبْدَانِ

أَبْكَارُ شِبْهُ الدُّرِّ فِي أَصْدَافِهِ وَاللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ وَالْمَرْجَانِ

وَهُنَا مَقَرٌّ لاَّ تَحَوُّلَ بَعْدَهُ فِيهِ السُّرُورُ بِرُؤْيَةِ الرَّحْمَنِ

أَمَّا إِذَا مَا كُنتَ فِيهَا مُجْرِمًا مُتَتَبِّعًا لِطَرَائِقِ الشَّيْطَانِ

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ كَيْفَ تَحْتَمِلُ الأَذَى أَمْ كَيْفَ تَصْبِرُ فِي لَظَى النِّيرَانِ

فَإِذَا تَفَرَّقَ عَنْكَ صَحْبُكَ وَانْثَنَى حُمَّالُ نَعْشِكَ جَاءَكَ الْمَلَكَانِ

جَاءَآكَ مَرْهُوبَيْنِ مِنْ عَيْنَيْهِمَا تُرْمَى بِأَشْوَاظٍ مِنَ النِّيرَانِ

سَأَلاَكَ عَنْ رب قَدِيرٍ خَالِقٍ وَعَنِ الَّذِي قَدْ جَاءَ بِالْقُرآنِ

فَتَقُولُ لاَ أَدْرِيْ وَكُنتُ مُصَدِّقًا أَقْوَالَ شِبْهِ مَقَالَةِ الثَّقَلانِ

فَيُوَبِّخَانِكَ بِالْكَلاَمِ بِشِدَّةٍ وَسَيَضْرِبَانِكَ ضَرْبَةَ السَّجَّانِ

فَتَصِيحُ صَيْحَةَ آسِفٍ مُّتَوَجِّعٍ وَيَجِي الشُّجَاعُ وَذَاكَ هَوْلٌ ثَانِي

وَيَجِي الرَّفِيقُ فَيَا قَبَاحَةَ وَجْهِهِ فَكَأَنَّهُ مُتَمَرِّدٌ مِنْ جَانِ

وَتَقُولُ يَا وَيْلاَ أَمَا لِي رَجْعَةٌ حَتَّى أَحُلَّ بِسَاحَةِ الإِيمَانِ

لَوْ عُدتَّ لِلدُّنْيَا لَعُدتَّ لِمَا مَضَى فِي جَانِبِ التَّكْذِيبِ وَالْعِصْيَانِ[1]

---

(١) «الحياة البرزخية» ص(١٣٨).

*** توهّم نفسك في القبور، وعدّ نفسك من الموتى:**

تـوهـم نفسك حين استطار قلبـك فرحًا وسرورًا، أو ملئ حزنًا وعبرة. وبفترة القبر، وهول مطلعه. وروعة الملـكين وسؤالهما فيه عن إيمانك بربك، فمثبت من اللّه جل ثناؤه بالقول الثابت. أو متحير شاك مخذول.

فـتـوهـم أصواتهما حين ينـاديانك لتجلس لسؤلهما إيـاك ليوقفاك على مساءلـتهما. فتـوهم جلستك فـي ضيق لحدك. وقد سـقطت أكفانـك على حقويك. والقطنة من عينيك عند قدميك.

فتوهم ذلك، ثم شخوصك ببصرك إلى صورتهما وعظم أجسامهما، فإن رأيتهـما بحسـن الصورة، أيقن قـلبك بالـفوز والنجاة، وإن رأيـتهما بـقبح الصورة، أيقن قلبك بالهلاك والعطب.

فتـوهم أصواتهما وكلامهما بنغماتهـما وسؤالهما، ثم هو تثيب اللّه إياك إن ثبتك، أو تحييره إن خذلك.

فتوهم جوابك باليقين، أو بالتحير، أو بالتلديد والشك.

وتوهم إقبالهما عليك إن ثبتك اللّه عز وجل بالسرور وضربهما بأرجلهما جوانب قبرك بانفراج القبر عن النار بضعفك.

ثم توهم وهي تتأجج بحريقها، وإقبالهما عليك بالقول، وأنت تنظر إلى ما صرف اللّه عنك، فيزداد لذلك قلـبك سرورًا وفرحًا، وتوقن بسلامتك من النار بضعفك.

ثـم توهـم ضربهما بأرجلهما جوانب قبـرك، وانفراجه عن الجنة بزينتها ونعيمها، وقولهما لك: يا عبد اللّـه انظر إلى ما أعد اللّه لك، فهذا منزلك، وهذا مصيرك.

فتوهم سرور قلبك وفرحك بما عاينت من نعيم الجنان وبهجة ملكها. وعلمك أنك صائر إلى ما عاينت من نعيمها وحسن بهجتها.

وإن تكن الأخرى، فتوهم خلاف ذلك كله من الانتهار لك، ومن معاينتك الجنة، وقولهما لك: انظر إلى ما حرمك اللَّه عز وجل، ومعاينتك النار، وقولهما لك: انظر إلى ما أعد اللَّه لك، فهذا منزلك ومصيرك.

فأعظم بهذا خطرًا، وأعظم به عليك في الدنيا غمًّا وحزنًا؛ حتى تعلم أي الحالتين في القبر حالك، ثم الفناء والبلاء بعد ذلك؛ حتى تنقطع الأوصال، فتفنى عظامك، ويبلى بدنك، ولا يبلى الحزن أو الفرح من روحك، متوقعًا روحك، متطلعًا للقيام عند النشور إلى غضب اللَّه عز وجل وعقابه، أو إلى رضا اللَّه عز وجل وثوابه، وأنت مع توقع ذلك معروضة روحك على منزلك من الجنة أو مأواك من النار.

فيا حسرات روحك وغمومها! ويا غبطتها وسرورها! حتى إذا تكاملت عدة الموتى، وخلت من سكانها الأرض والسماء، فصاروا خامدين بعد حركاتهم، فلا حس يسمع، ولا شخص يرى، وقد بقي الجبار الأعلى كما لم يزل أزليًّا واحدًا منفردًا بعظمته وجلاله، ثم لم يفجأ روحك إلا بنداء المنادي لكل الخلائق معك للعرض على اللَّه عز وجل بالذل والصغار منك ومنهم.

* * *

* وكنا عظامًا فصرنا عظامًا   وكنا نقوت فها نحن قوت

أَيَا غافلاً غرَّهُ ما يفوتْ   وألهاهُ حالٌ قليلُ الثبوتْ

تأَمَّلْ لِمَنْ بعد أُنْسٍ يَصُوتْ   بَعُدْنا وإنْ جاورتنا البيوتْ

وجِئْنا بوعظٍ ونحنُ صموتْ

لقد نِلتُ من دهرنا رِفْعةً   تقضَّتْ كبرقٍ مضى سرعةً

فهيهات ترجو لها رجْعةً   وأصواتنا سكنت دُفعةً

كجهر الصلاةِ تلاهُ القنوتْ

بدا لي من العِزِّ وجهٌ شبابُ   يُؤَمِّلُ سَيْبِي وبأْسِي يُهابُ

فسَرعان مُزِّق ذاك الإهابُ   ومَدَّتْ وقد أنكرتنا الثيابُ

علينا نسائجها العنكبوتْ

فآهًا لِعزٍّ تَقَضَّى مَناما   مُنِحْنا به الجاه دومًا كِراما

وكنّا نسوسُ أموراً عظاما   وكنا عظاما فصرنا عظاما

وكُنَّا نقوتُ فها نحنُ قوتْ

وكنا لذا المُلكِ حَلْيَ الطُّلاَ   فآهًا عليه زمانًا خَلاَ

نُعَوَّضُ من جِدَّةٍ بالبِلَى   وكنا شموسَ سماء العلا

غربْنَ فناحت علينا السُّموتْ

تعوّدتُ بالرَّغْم صَرفَ الليالي   وحمَّلتُ نفسي فوقَ احتمالِي

وأيقنتُ أَنْ سوفَ يأتي ارتحالي   ومن كان منتظِراً للزوالِ

فكيف يُؤَمَّلُ منه الثبوتْ

هُوَ الموتُ يا مَا لَهُ من نَبَا ... يجوزُ الحجابَ إلى مَنْ أَبَى
ويألف أَخْذَ سَنِّي الخِبَا ... فكم أسلم مِ ذا الحسام الظُّبا
وذا البخت كم جَدَّلَتْهُ البُخوتْ

هو الموت أفصحَ من عُجْمةٍ ... وأيقظَ بالوعظِ من نومةٍ
وسلاًّ عن الحزنِ ذا حُرْقةٍ ... فكم سيق للقبر في خِرْقةٍ
فتى مُلِئتْ من كُساهُ التُّخُوتْ

تقضَّى زماني بعيشٍ خصيبِ ... وعندي لذنبي انكسارُ المنيبِ
هو الموت قد صِبْتُ منه نصيبي ... فقل للعِدَا ذهبَ ابنُ الخطيبِ
وفاتَ ومَنْ ذا الذي لا يفوتْ

مضى ابنُ الخطيبِ كَمَنْ قبلَهُ ... ومَنْ بعَدهُ يقتفي سُبْلَهُ
وهذا الرَّدى ناشرٌ شَمْلَهُ ... فمن كانَ يفرحُ مِنهمْ لَهُ
فقلْ يفرحُ اليومَ مَن لا يموتْ

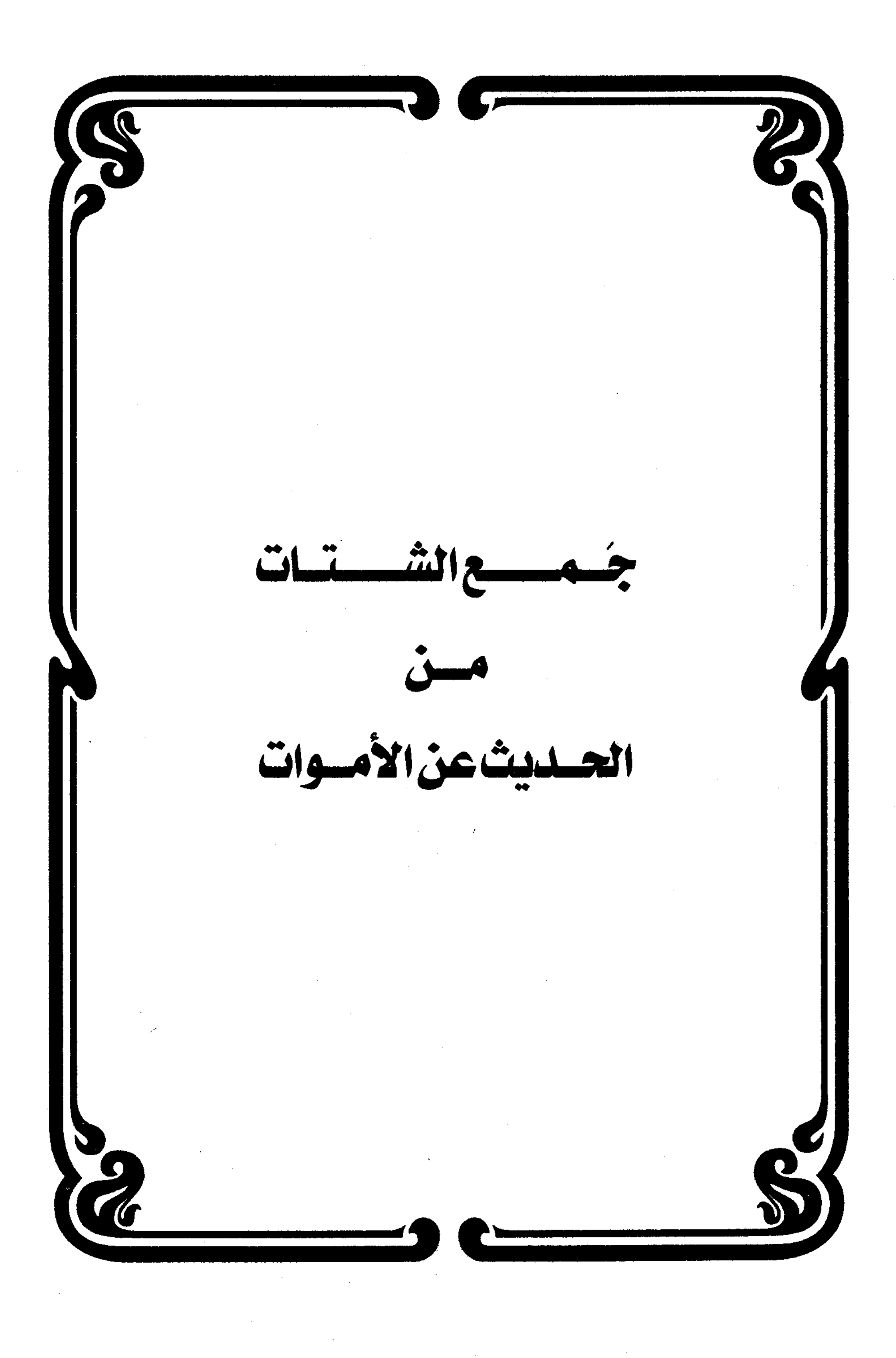
هو الموت عمّ فما للعِدَا ... يُسَرُّونَ بي حين ذُقتُ الرَّدَى
ومن فاته اليوم يأتي غدا ... سيبلى الجديد إذا ما المَدَى
تتابع آحادُه والسبوتْ

أُخَيَّ تَوَخَّ طريقَ النجاةِ ... وقَدِّمْ لنفسك قبل المماتِ
وشمرْ بِجِدٍّ لما هو آتٍ ... ولا تغترِرْ بسرابِ الحياةِ
فإنك عما قريبٌ تموتْ[1]

---

(١) «أزهار الرياض في أخبار عياض» لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (١/ ٢٣١ ـ ٢٣٤)، والقصيدة لأحد بني الصبّاغ.





جَمع الشتات من الحديث عن الأموات

جمـــع الشتات

* من عاش أو نطق بعد الموت:

● قال الحافـظ السخاوي في «الجواهـر والدرر في ترجمة شـيخ الإسلام الحافظ ابن حجر»:

كتب إليه[1] ابن المصري:

أسيِّدنا قاضي القضاة ومَنْ له — علينا نعم لا تَنَاهى تعدُّدا
سؤال طرا: في أي موطنٍ قد أتت — حياةٌ لميت بعد ما كان مُلْحَدَ
بأمرِ الذي لولاه ما عُرِف الهدى — ولا أتهم السَّاري إليه وأنْجَدَ
وهذا «الشِّفا» فيه دليل وإنما — يَرُوم زيادات بحفظك يُقتدى
فبيِّن - رعاك اللّه - يا حافظًا حوى — من السُّنة الغرّاءِ صدراً وموردا

● فأجابه:

نعم عاش أمواتٌ بدعوة من أتى — من اللّه للأحياءِ بالنــور والهُدى
فمنها ابن مَن قد هاجرت ودعت — وقد قضى عاش عشيًا حيًّا طيبًا ومُرغدا
ومنها التي ماتت بوادِ فخيِّرت — ومنها ذراعُ الشاة تنهى عن الرَّدى
فهذا الذي يحوي «الشفا» وبغيره — إعادة إبراهيم من بعد ما ارتدا
ومثل ذراع الشاة شاة التي دعت — إلى دارها قالت: أخذتُ بلا فدا
وأصرح من كل شُويهة جابرٍ — دعا فلقد كادت تُلَبي له الندا
وأصدَرها للبيت من بعد ذبحها — عليه سلام اللّه مثنى وموحدا

ثم قال للسائل: فهذه سبعة أشياء ما بين بهيمة تنطق بعد الموت وإنسان كذلك واحدٌ بالفعل وآخر بالقوّة، وما بين من عاش بعد الموت إما إنسان وإما بهيمة وشرح ذلك:

---

(١) أي: إلى الحافظ ابن حجر.

أما القصة الأولى: فذكرها عياض عن أنس أن شابًّا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء، قال: فسجّيناه وعزّيناه فقالت: مات ابني؟ قلنا: نعم، قالت: اللَّهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملنّ عليّ هذه المصيبة، قال: فما بَرِحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطَعِم وطعمنا.

وأما قصة ذراع الشاة التي سُمَّت بخيبر فأصلها في «الصحيحين» وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه عند أبي داود: أن يهودية أهدت إلى النبي ﷺ بخيبر شاة مَصليَّة، فأكل رسول اللَّه ﷺ منها وأكل القوم، فقال: «**ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة**».

ورواه البزار من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: «**إنّ عُضواً من أعضائها يخبرني أنها مسمومة**». ورواه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه نحوه.

وفي حديث جابر رضي الله عنه: «**أخبرتني هذه الذراع**».

ومن حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، فقال ﷺ للمرأة: «**هل سَمّمت هذه الشاة؟**»، قالت: من أخبرك؟ قال: «**هذا العظم**»، لساقها، وهو في يده، قالت: نعم. أخرجه الطبراني.

وأما قصة الذي وأد بنته: فذكرها عياض عن الحسن مرسلاً قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فذكر له أنه طرح بنيّة له في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي فقال لها باسمها: «**يا فلانة احيي بإذن اللَّه**» فخرجت وهي تقول: لبيك وسعديك، فقال لها: «**إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما؟**»، قالت: لا حاجة لي فيهما، فقد وجدت اللَّه خيرًا لي منهما.

وأما قصة إبراهيم: فرواها أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نُبيط بن شريط

في نسخته المشهور عن أبيه، عن جده إبراهيم، وكان قد أدرك النبي ﷺ فمات عنده، فبعث النبيُ ﷺ إلى أمه الفريعة بنت جابر أن ابنك إبراهيم قد مات، فقالت: الحمد اللَّه. اللَّهم إني قد هاجرت إليك وإلى نبيك ليكون لي عند كل مصيبة، فلا تحمل علي هذه المصيبة اليوم قال: فأحياه اللَّه عند ذلك، وأكل وطعم بين يدي النبي ﷺ . ا.هـ.

وهذه تشبه القصة الأولى إلا أنه قال في الأولى: إن الشاب من الأنصار وإبراهيم بن نبيط أشجعي، فالظاهر التعدد.

وأما قصة تخيير والد الميت: فرواها أبونعيم في «الدلائل» من طريق ميسر الحلبي، عن عتبة بن ضميرة، قال: سمعت والدي يقول: كان لرجل صِرمة من غنم، وكان له ابن يأتي النبي ﷺ بقدح من لبن إذا حَلَبَ. ثم إن النبي ﷺ افتقده، فجاء أبوه فأخبره أن ابنه هلك، فقال النبي ﷺ : **«أتريد أن أدعو اللَّه تعالى أن ينشره لك، أو تصبر فَيُدخر لك إلى يوم القيامة، فيأتيك فيأخذ بيدك، فينطلق بك إلى باب الجنة، فتدخل من أي أبوبها شئت»**، فقال الرجل: ومن لي بذلك يا رسول اللَّه؟ فقال ﷺ : **«هو لك ولكل مؤمن»**.

وأما قصة المرأة: التي دعت النبي ﷺ إلى طعام فقدمت بين يديه شاة فلما أراد أن يأكل قال: **«إن هذه الشاة أخذت بغير حق»**.

فأصلها في «سنن أبي داود» وغيره.

وذكرها صاحب «شفاء الصدور» بلفظ: «أن امرأة رأت النبي ﷺ فأرادت أن تطعمه شيئًا، ولم يكن عندها شيء فذكرت عند جارتها عناقًا، وكانت جارتها غائبة، فقالت: إنها لا تمنعني، فذبحتها، ثم شوتها، وقدمتها بين يدي النبي ﷺ فقال: **«إن هذه العَناقَ لتخبرني أنها أخذت بغير حق»**.

فقالت المرأة: قد كان ذلك.

وأما قصة شاة جابر ﷺ: فأخرجها أبو نعيم في «الدلائل» من طريق أبي البرّاح بن سهل، عن أبيه سهل بن عبد الرحمن، عن أبيه عبد الرحمن بن كعب، عن أبيه كعب بن مالك الأنصاري، قال: أتى جابر بن عبد اللَّه ﷺ رسول اللَّه ﷺ فرّد عليه السلام قال جابر: فرأيت في وجه رسول اللَّه ﷺ تغيرًا، وما أحسبه تغير إلا من الجوع، فقلت لامرأتي: هل عندك من شيء؟ قالت: واللَّه ما لنا إلا هذه الداجن وفضلة من زاد نعلّل بها الصبيان، فقلت لها: هل لك أن تذبحي هذه الداجن وتصنعين ما عندك، ثم نحمله إلى رسول اللَّه ﷺ؟ قالت: أفعل ما أحببت من ذلك. قال: فذبحت الداجن، وصنعت ما كان عندها، وطحنت وخبزت وطبخت، ثم ثردتها في جفنة لنا، فوضعت الداجن، ثم حملتها إلى رسول اللَّه ﷺ فوضعتها بين يديه، فقال: **«ما هذا يا جابر؟»**، قلت: يا رسول اللَّه ظننت أن وجهك لم يتغير إلا من الجوع فذبحت داجنًا كانت لنا، ثم حملتها إليك، فقال النبي ﷺ: **«يا جابر اذهب فادع لي قومك»**، قال: فأتيت أحياء الأنصار. فلم أذل أجمعهم، فأتيته بهم، ثم دخلت إليه فقلت: يا رسول اللَّه، هذه الأنصار قد اجتمعت قال ﷺ: **«أدخلهم علي أرسالاً»**، فكانوا يأكلون منها، فإذا شبع قوم خرجوا ودخل آخرون حتى أكلوا جميعًا وفَضَل في الجفنة شبه ما كان فيها، وكان رسول اللَّه ﷺ قال لهم: **«كلوا ولا تكسروا عظمًا»**، ثم إن رسول اللَّه ﷺ جمع العظام في وسط الجفنة، فوضع يده عليها، ثم تكلم بكلام لم أسمعه إلا أني أرى شفته تتحرك فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها فقال لي: **«خذ شاتك يا جابر، بارك اللَّه لك فيها»**، فأخذتها ومضيت، فإنها لتسارعني بأذنها، حتى أتيت بها البيت، فقالت لي المرأة: **ما هذا يا جابر؟**

قلت: هذه شاتنا التي ذبحناها لرسول اللَّه ﷺ دعا اللَّه فأحياها لنا قالت: أشهد أنه رسول اللَّه. ا.هـ.

* «حاملُ كفنه»:

وقال أحمد بن علي بن ثابت البغدادي:

بلغني أن محمد بن يحيى البغدادي المعروف بحامل كفنه، توفي وغسل وكفن وصلِّي عليه، ودُفن. فلما كان أول الليل جاءه نباش، فنبش عليه، فلما حل أكفانه ليأخذها استوى قاعدًا، فخرج النباش هاربًا منه، فقام وحمل كفنه وخرج من القبر، وجاء إلى منزله وأهله يبكون، فدق الباب عليهم، فقالوا: من أنت؟

فقال: أنا فلان.

فقالوا له: لا يَحلُّ لك أن تزيدنا على ما بنا.

فقال: يا قوم افتحوا، فأنا واللَّه فلان.

فعرفوا صوته، ففتحوا له الباب وعاد حزنهم فرحًا، وسُمِّي من يومه (حامل كفنه) توفي ـ رحمه اللَّه ـ في حدود الثلاثمائة[1].

* من تمنّى موت مَنْ أحبّ من ذريته محبّة شديدة، حتى لا يشغل قلبه أحد مع اللَّه:

قال بعض أصحاب البهلول بن راشد: دخلت عليه وبين يديه ابنته طفلة، وعليها ثياب مصبوغة، فقال لي: ما أحْبَبْتُ شيئًا حُبِّي لها، وإني لأحبُ لو قَدَّمتُهَا لربي.

(١) «الوافي بالوفيات» (٥/ ١٨٩).

قال: فانصرفت عنه، ثم رجعت إليه، فأصبت الناس مجتمعين على بابه، فسألت: فقيل لي: ماتت ابنته، فدخلت عليه وعزيته.

فلما وليتُ لحقني وقال: باللَّه لا تذكر ما كان مني ـ يعني: أمنيته ـ ما دمت حيًّا[1].

*** النعش:**

دخل بهاء الدين السبكي على الشيخ برهان الدين الإبناسي يعوده، وكان تجاهمها نعش، فنظر السبكي إلى النعش، ثم قال للإبناسي: يا شيخ برهان الدين: أتدري ما يقول هذا النعش؟ فقال إنه يقول:

انْظُرْ إلَيَّ بعَقْلِكْ ... أَنَا المُعَدُّ لحَمْلِكْ
أَنَا سَرِيرُ المَنَايَا ... كَمْ سَارَ مِثْلِي بِمِثْلِكْ[2]

*** مشهد تسلسل الوفيات على نسق سابق في الحياة:**

أحداث الحياة قد تتابع على نسق معيَّن، ثم تقع أحداث أخرى ذاتُ صلة بالأولى، وتكون الأحداثُ اللاحقةُ متتابعةً على مثل النسق الذي مضت عليه الأحداث السابقة.

وكثير من الناس يظنون أن ذلك التتابع المتناسق قد حدث من طريق المصادفة، والحق أن ذلك من تقدير العزيز العليم.

ومن تلك الأحداث العجيبة ما نشرته صحيفة الأهرام في أحد أعدادها حيث كتبت ما يلي:

لما مات الإمام الشيخ محمد عبده ـ رحمه اللَّه ـ رثاه على قبره ستة من

---

(١) «الحلل السندسية» ص(٧١٩).

(٢) «المنهل الصافي» (١/ ٤١٣).

الشعراء على هذا الترتيب:

١ ـ الشيخ حسن أبو خطوة.

٢ ـ حسن باشا عاصم.

٣ ـ حسن باشا عبد الرازق.

٤ ـ قاسم بك أمين.

٥ ـ حفني بك ناصف.

٦ ـ حافظ بك إبراهيم.

وصادف أن الشعراء الستة ماتوا تباعًا وفق ترتيبهم في رثاء الشيخ محمد عبده.

ولما مرض حافظ إبراهيم، وخاف على نفسه من الموت، ولم يبق وقتئذٍ إلا حافظ وحفني بعث إليه حفني مطمئنًا بأن الدور الآتي هو على حفني وليس على حافظ وقال:

أتذكر إذ كنا على القبر ستةً ... نُعَدِّدُ آثار الإمامِ ونَنْدُبُ

وَقفْنَا بترتيبٍ وقَدْ دَبَّ بيننا ... مماتٌ على وَفْقِ الرِّثاءِ مُرتّبُ

أبو خطوةٍ ولّى وقفَّاه عاصمٌ ... وجاء لعبدِ الرَّازقِ الموتُ يَطْلُبُ

فَلَبَّى وغابتْ بعده شمسُ قاسمٍ ... وعمَّا قليل نجمُ مَحْيَايَ يَغْرُبُ

فَخَاطِرْ وَقَعْ تَحْتَ القِطَارِ ولا تَخَفْ ... ونَمْ تَحْتَ بَيْتِ الْوَقْفِ وهو مُخرَّبُ

وخُضْ لُجَجَ الهَيْجَاءِ أعْزَلَ آمِناً ... فإن المنايا مِنكَ تَجْرِي وتَهْرُبُ

● فأجابه حافظ بقول:

أخشى عليك المنايا ... حتَّى كأنَّك مِنِّي

إذا شكوتَ صُدَاعًا ... أطلْتَ تسهيدَ جَفْنِي

وإنْ عَرَاكَ هُزَالٌ ... هَيَأْتُ لَحْدِي وَقُطْنِي

عُـمْـرِي بِـعُـمْـرِكَ رَهْـنٌ فَـعِـشْ أَعِـشْ أَلْـفَ قَـرْنِ

وقد تحقق ما توقَّع حفني، فـمات حفني ناصف أولاً عام ١٩١٩ وتوفي حافظ إبـراهيم بعـده عام ١٩٣٢ فسبحـان الحي الذي لا يموت، ورحـم اللَّه الجميع»[١] .

* من اسمه «يموت»: أبو بكر يموت بن عيسى المزرّع:

كان «يمـوت» قد سمّـى نفسـه محمدًا، وذكـره الخطيـب البغـدادي في «تاريخـه الكبير» فـي المحمدين، ثم ذكـره في حرف الياء، وقـال: هو يموت وهو ابن أخت أبـي عثمان الجاحظ. . . قدم بـغداد في سنة إحدى وثلـثمائة وهو شيخ كبير، وحـدّث بها عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم الـسجستاني، وروى عنه أبـو بكر الخرائطـي، وأبو بكر بن مجـاهد المقرئ، وأبو بـكر بن الأنباري وغيرهم.

● وكان أديبًا أخباريًّا، وله ملح ونوادر، وكان لا يعود مريضًا خوفًا أن يتطيـر من اسمه، وكان يقول: بُلـيت بالاسم الذي سمّاني أبـي به، فإني إذا عدت مريضًا فاستأذنت عليه، فقيل :من هذا قلت: أنا ابن المزرع، وأسقطت اسمي.

● ومدحه منصور الفقيه الضرير الشاعر المشهور بقوله:

أن تحيـا والـذي يـكـــــ ـــــره أن تحـيـا يمـوتُ

أنـت صـنـو الـنفـس بـل أنــ ـــت لـروح النـفـس قـوت

أنـت لـلــحـكـمـــة بـيـتٌ لا خَـلَـتْ مـنـك الـبـيـوت

---

(١) من (صحـيفة الأهرام العـدد ٤٠٦٣٦ الحادي عشر من ذي الـقعدة ١٤١٨هـ العـاشر من مارس ١٩٩٨م).

● قال يموت لابنه مهلهل:

مُهَلْهِلُ قدْ حَلَبْتُ شطورَ دهري وكافحني بها الزمن العَنُوتُ
وحاربتُ الرجالَ بكل رَبْع فأذْعَنَ لي الحُثالةُ والرُّتُوتُ[1]
فَأَوْجَعُ ما أجِنُّ عليه قلبي كريمٌ نَمتَّهُ زمن غَتُوتُ
كفى حَزَنًا بضيعة ذي قديمٍ وأبناءُ العبيدِ لها البُخوتُ[2]
وقد أَسْهَرتُ عيني بعدَ غَمْضٍ مخافةَ أن تضيعَ إذا فَنِيتُ
وفي لطف المهيمن لي عزاءٌ بمثلك إن فَنِيتُ وإن بَقِيتُ
فجُبْ في الأرض وابغِ بها علومًا ولا تقطعك جائحةٌ سَبُوتُ[3]
وإنْ بَخِل العليمُ عليك يومًا فَذِلَّ لَهُ ودَيْدَنُكَ السُّكُوتُ
وقُلْ بالعِلْمِ كان أبي جوادًا يُقالُ: ومَن أبوكَ؟ فقل: يموتُ
يُقِرُّ لك الأباعدُ والأداني بعلم ليس يَجْحَدُهُ البَهُوتُ

قدم «يموت» مصر مرارًا. ومات يموت سنة أربع وثلثمائة بدمشق، وقال أبو سليمان بن زَبْر في «تاريخه» إنه مات في سنة ثلاث وثلثمائة بطبرية الشام والله أعلم[4].

* * *

(١) الرتوت: جمع رت وهو الرئيس.
(٢) وفي نسخة: لها التخوت.
(٣) وفي رواية: «ولا تَلْفِتْك عن هذا الدسوت» والسَّبُوت: القاطعة.
(٤) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥/ ٤١٦ ـ ٤٢١).

* الموت ليس بتارك أحدا:

• عن أنس ﷺ قال: «لما قالت فاطمة ذلك، يعني لما وجد رسول الله ﷺ من كرب الموت ما وجد، قالت فاطمة: وا كرباه، قال رسول الله ﷺ: **«يا بُنَيَّة! إنه قد حضر بأبيك ما ليس الله بتاركٍ منه أحدًا لموافاة يوم القيامة»**(١).

* تردُّد الله سبحانه وتعالى في قبض نفس المؤمن:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقربَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إليَّ مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقربُ إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»**(٢).

* يا للَّه ما أعجب أمر المؤمن!.

• المؤمن تخرج نفسه وهو يحمد الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: **«إن المؤمن تخرج نفسه من بين جنبيه، وهو يحمد الله»**(٣).

* يا دار تخربين ويموت سكانك:

كان الإمام أحمد يقول: يا دار تخربين ويموت سكانك.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٤١)، قال الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٧٣٨): «وهذا إسناد حسن».

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح: رواه البيهقي في «الشعب» عن ابن عباس، وكذا رواه أحمد، والنسائي، والضياء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٩٣١).

● ولله در القائل:

وما هي إلا ليلة بعد ليلة ... ويوم إلى يومٍ وشهر إلى شهر

مطايا يقرّبن الجديد إلى البلى ... ويُدنين أشلاء الصحيح إلى القبر

* أخي: لا تنس دَار البِلَىٰ:

وَلا تَلْهُ[(١)] عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَابْكِه[(٢)]
بِدَمْعٍ يُضَاهِي الْمُزْنَ[(٣)] حَالَ مَصَابِهِ[(٤)]

وَمَثّلْ[(٥)] لِعَيْنَيْكَ الْحِمَامَ[(٦)] وَوَقْعَهُ[(٧)]
وَرَوْعَةَ مَلْقَاهُ[(٨)] وَمَطْعَمَ صَابِهِ[(٩)]

وإنَّ قُصَارَى[(١٠)] مَنْزِلِ الْحَيِّ حُفْرَةٌ
سَيَنْزِلُهَا مُسْتَنْزَلاً[(١١)] عَنْ قِبَابِهِ[(١٢)]

فَوَاهًا[(١٣)] لِعَبْدٍ سَاءَهُ سُوءُ فِعْلِه[(١٤)]
وَأَبْدَى التَّلافِي قَبْلَ إغْلاقِ بَابِهِ[(١٥)]

---

(١) أي: لا تغفل وتعرض. (٢) أي: ابكِ على نفسك باقترافك الذنوب.
(٣) هو السحاب الممطر وفي نسخة بدل المزن الوبل وهو المطر الغزير.
(٤) المصاب بالفتح مصدر كالصوب وهو نزول المطر.
(٥) أي: صوّر وشخّص. (٦) بالكسر هو: الموت.
(٧) أي: هجومه. (٨) أي: فزع لقائه.
(٩) الصاب شجر مرّ، أو هو الحنظل، أي: مرارة طعم الموت.
(١٠) قصارى الأمر غايته أي: غاية سكنى المرء أي: مآله إلى حفرة وهي القبر.
(١١) بفتح الزاي حال من فاعل سينزلها أي: منحطًّا.
(١٢) القباب جمع قبة بناء معلوم والمراد: ما يشيده من البناء.
(١٣) واهًا كلمة تقال للتعجب بمعنى ما أحسن فعله. (١٤) أي: أحزنه قبح ما صنع.
(١٥) أي: أظهر تدارك ما فاته من حسن الصنيع قبل انقضاء أجله.

* أخي:

ما عسى أن يكون بقاء مَنْ لَهُ يوم لا يَعْدُوه؟ وطالب حثيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها.

أَوَ لَمْ تَرَوا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقين لا يبقون؟

أو لستم ترون أهل الدنيا يصبحون ويُمسون على أحوال شتى فميت يُبْكى، وآخر يُعَزَّى، وصريع مبتلى، وعائد يعود، وآخر بنفسه يجود، وطالب للدنيا والموت يطلبه، وغافلٌ وليس بمغفول عنه وعلى أثر الماضي يمضي الباقي.

ألا فاذكروا هاذم اللذات، ومنغص الشهوات، وقاطع الأمنيات.

* تَنَبَّه قبل الموت إن كنت تعقلُ:

تَنَبّهْ قبلَ الموتِ إن كنت تَعقِلُ ... فعمّا قليلٍ للمقابرِ تُنْقَلُ

وتُمسِي رهينًا في القبور وتَنْثَني ... لدى جَدَثٍ تحت الثرى تَتَجَنْدَلُ

فريداً وحيداً في التراب، وإنما ... قرينُ الفتى في القبرِ ما كان يعملُ

وما يَفْعلُ الجسمُ الوسيمُ إذا ثوى ... وصار ضجيعَ القبرِ يَعلوهُ جَنْدَلُ

وبطنٍ بَدَا فيه الردى ثمَّ لوْ ترى ... دقيقَ الثرى في مُقلةٍ يَتَهَرْوَلُ

أعينايَ جُودَا بالدموعِ عليكُما ... فحزني على نفسي أحقُّ وأجملُ

أيا مدّعِي حُبِّي هلمَّ بنا إذَا ... بكى الناسُ نبكي للفراقِ ونَهْمَلُ

دَعي اللهوَ نفسي واذكري حفرةَ البِلَى ... وكيف بنا دودُ المقابرِ يفعلُ

إلى اللَّه أشكو لا إلى الناسِ حالتي ... إذا صرتُ في قبري وحيداً أُمَلْمَلُ

* أخي:

غدًا يُمسكُ اللسان، ويزول العرفان، وتنشر الأكفان، وتفارق الإخوان، وتنقل إلى الأموات، وتصفُّ عليك اللبنات.

* أخي:

من كانت الأيام والليالي مطاياه، سارت به وإنْ لم يَسر.

نسيرُ إلى الآجال في كل لحظةٍ وأيامنا تُطوى وهنَّ مراحلُ

ولم أر مثل الموتِ حقًّا كأنه إذا ما تخطَّتْهُ الأماني باطلُ

وما أقبح التفريط في زمن الصِّبَا فكيف به والشيب للرأس شاعُل

تَرَحَّلْ من الدنيا بزادٍ من التُّقَى فَعُمْرُكَ أيامٌ وهن قلائُل

* * *

* معنى آية: ﴿**لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾ [الدخان: ٥٦]:

• قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٣٥١ ـ ٣٥٢):

قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ**﴾ فيه ثلاث أقوال:

أحدها: أنها بمعنى: «سوى»، فتقدير الكلام: لا يذوقون في الجنة الموت سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا، ومثله: ﴿**وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾ [النساء: ٢٢]، وقوله: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ [هود: ١٠٧]، أي: سوى ما شاء لهم ربك من الزيادة على مقدار الدنيا، هذا قول الفراء، والزجاج.

والثاني: أن السعداء حين يموتون يصيرون إلى الرَّوح والرَّيحان وأسباب من الجنة يَرَوْنَ منازلهم منها، وإذا ماتوا في الدنيا، فكأنهم ماتوا في الجنة، لاتصالهم بأسبابها، ومشاهدتهم إياها، قاله ابن قتيبة.

والثالث: أن ﴿**إلاَّ**﴾ بمعنى: «بَعْد»، كما ذكرنا في أحد الوجوه في قوله: ﴿**إلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾ [النساء: ٢٢]، وهذا قول ابن جرير.

● قال ابن كثير: وقوله: ﴿**لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ**﴾ هذا استثناء يؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع، ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدًا، كما ثبت في «الصحيحين» أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم يذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت».

* * *

* أخي: خلِّ ادِّكارَ الأرْبُعِ:

رنّ إرنانَ[١] الرَّقوب[٢]، وابك بكاء يعقوب، ألا عبرات يتحدرن من المآقي، وزفرات يتصعدن من التراقي، اجعل الموت نصب عينك، وقل للشهوات هذا فراق بيني وبينك.

خَلِّ ادِّكَارَ الأَرْبُعِ[٣]	وَالْمَعْهَدِ الْمُرْتَبَعِ[٤]
وَالظَّاعِنِ الْمُودِّعِ[٥]	وَعَدِّ عَنْهُ وَدَعِ[٦]
وَانْدُبْ[٧] زَمَانًا سَلَفَا[٨]	سَوَّدْتَ فِيهِ الصُّحُفَا[٩]
وَلَمْ تَزَلْ مُعتَكِفَا	عَلَى الْقَبِيحِ الشَّنِعِ[١٠]
كَمْ لَيْلَةٍ أَوْدَعْتَهَا	مَآثِمًا[١١] أَبْدَعْتَهَا[١٢]
لِشَهْوَةٍ أَطَعْتَهَا	فِي مَرْقَدٍ وَمَضْجَعِ
وَكَمْ خُطًى[١٣] حَشَثْتَهَا[١٤]	فِي خِزْيَةٍ[١٥] أَحْدَثْتَهَا

---

(١) الإرنان: كالرنين صوت فيه غُنَّة.

(٢) الرقوب: هي المرأة التي يعيش أولادها فلا يبقى منهم أحد.

(٣) أي: اترك تذكر المنازل.

(٤) المعهد الموضع الذي كنت تعهد به شيئًا والمرتبع أي: الذي تقيم فيه زمن الربيع.

(٥) أي: المسافر الذي يودعك من أحبابك كذلك خل ادكاره.

(٦) أي: تنح عن تذكار ذلك واتركه.

(٧) أي: وابكِ بكاءَ من يفقد عزيزًا ويندبه.

(٨) أي: مضى وفات.

(٩) يعني: فعلت به من الخطايا والمآثم ما يسود صحيفتك.

(١٠) الزائد في القبح الذي يُتحَدَّث بقبحه.

(١١) أي: ضمنتها ذنوبًا.

(١٢) أي: ما سبقك بها أحد.

(١٣) جمع خطوة بمعنى المشي.

(١٤) استعجلت بها وجهدت نفسك فيها.

(١٥) أي: فيما يوجب الخزية وهي الذل والهوان ولا يوجبها إلا قبيح المعاصي.

وَتَـوْبَـةٍ نَـكَـثْـتَـهَـا[١] لَـمَـلْـعَـبٍ وَمَـرْتَـعِ
وَكَـمْ تَـجَـرَّأْتَ[٢] عَـلَـى رَبِّ الـسَّـمَـاوَاتِ الْـعُـلَـى
وَلَـمْ تُـرَاقِـبْـهُ[٣] وَلاَ صَـدَقْـتَ فِـي مَـا تَـدَّعِـي[٤]
وَكَـمْ غَـمَـصْـتَ بِـرَّهُ[٥] وَكَـمْ أَمِـنْـتَ مَـكْـرَهُ
وَكَـمْ نَـبَـذْتَ أَمْـرَهُ[٦] نَـبْـذَ الْـحِـذَا الْـمُـرَقَّـعِ[٧]
وَكَـمْ رَكَـضْـتَ[٨] فِـي الـلَّـعِـبْ وَفُـهْـتَ[٩] عَـمْـدًا بِـالْـكَـذِبْ
وَلَـمْ تُـرَاعِ مَـا يَـجِـبْ مِـنْ عَـهْـدِهِ الْـمُـتَّـبَـعِ[١٠]
فَـالْـبَـسْ شِـعَـارَ الـنَّـدَمِ[١١] وَاسْـكُـبْ شَـآبِـيـبَ[١٢] الـدَّمِ
قَـبْـلَ زَوَالِ الْـقَـدَمِ وَقَـبْـلَ سُـوءِ الْـمَـصْـرَعِ[١٣]
وَاخْـضَـعْ خُـضُـوعَ الْـمُـعْـتَـرِفْ وَلُـذْ مَـلاَذَ[١٤] الْـمُـقْـتَـرِفْ[١٥]

---

(١) أي: نقضتها. (٢) أي: أقدمت وتجاسرت.

(٣) أي: لم تنظر إلى عقابه.

(٤) أي: خلف فعلك دعواك على حد قول القائل:

تعصي الإلهَ وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديعُ
لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحبَّ لمن يحب مطيـع

(٥) وفي نسخة غمطت بره أي: حقرت وتنقصت إحسانه.

(٦) أي: طرحته وتركته. (٧) أي: كنبذ النعال المرقعة.

(٨) أي: سعيت وجريت. (٩) أي: تفوهت بمعنى نطقت وتلفظت.

(١٠) أي: من ميثاق مولاك الذي يجب عليك اتباعه.

(١١) الشعار في الأصل ما يلي شعر الجسد مما يُلبس من الثياب فاستعاره للندم يعني لازم الندم ولاصقه كملاصقة الشعار.

(١٢) جمع شؤبوب الدُّفعة من المطر تأتي بقوة وشدة وشؤبوب كل شيءٍ حده.

(١٣) محل الصرع والصرع الإلقاء على الأرض والمراد: الموت.

(١٤) والجأ. (١٥) أي: كما يلوذ ويلجأ مقترف الذنوب المكتسب لها.

وَاعْصِ هَوَاكَ وَانْحَرِفْ عَنْهُ[١] انْحِرَافَ الْمُقْلِعِ[٢]
إلامَ تَسْهُو[٣] وَتَنِي[٤] وَمُعْظَمُ الْعُمْرِ فَنِي
فِي مَا يَضُرُّ الْمُقْتَنِي[٥] وَلَسْتَ بِالْمُرْتَدِعِ[٦]
أَمَا تَرَى الشَّيْبَ وَخَطْ[٧] وَخَطَّ[٨] فِي الرَّأْسِ خِطَطْ[٩]
وَمَن يَلُحْ[١٠] وَخْطُ الشَّمَطْ[١١] بِفَوْدِهِ[١٢] فَقَدْ نُعِي[١٣]
وَيْحَكِ[١٤] يَا نَفْسِ احْرِصِي عَلَى ارْتِيَادِ الْمَخْلَصِ[١٥]
وَطَاوِعِي وَأَخْلِصِي وَاسْتَمِعِي النُّصْحَ وَعِي[١٦]
وَاعْتَبِرِي بِمَنْ مَضَى مِنَ الْقُرُونِ[١٧] وَانْقَضَى
وَاخْشَيْ مُفَاجَاةَ الْقَضَا[١٨] وَحَاذِرِي أَنْ تُخْدَعِي

---

(١) أي: تجنبه وتحول عنه. (٢) الذي يقلع عما هو متلبس به مما يستقبح.
(٣) أي: إلى متى تخطئُ عن طريق الصواب.
(٤) أي: وتفتر وتتكاسل عن الجد فيما هو المطلوب من الونى كالفتى وهو الفترة.
(٥) أي: المكتسب.
(٦) أي: لست بالمنزجر الكاف شهوته يعني أنك أفنيت عمرك في التكاسل عن طاعة مولاك وفيما يضرك في أخراك ولم ترد نفسك عن ذاك.
(٧) أي: خالط أو فشا. (٨) أي: كتب وعلم.
(٩) جمع خطة بالكسر بمعنى الطريق. (١٠) من لاح يلوح إذا ظهر ولمع.
(١١) الوخط الاختلاط والشمط اختلاط بياض الشيب بسواد الشعر.
(١٢) متعلق بيلح أي: ومن يظهر بفوده وهو معظم شعر الرأس مما يلي الأذن اختلاط الشيب بالسواد.
(١٣) أي: فكأنه مات ونعي إذ ليس بعد ذلك إلا الموت.
(١٤) كلمة ترحم. (١٥) أي: طلب الخلاص والنجاة.
(١٦) أمر من الوعي بمعنى الحفظ. (١٧) الأمم الماضية.
(١٨) أي: هجوم الموت.

وَانْتَهِجِي سُبْلَ الْهُدَى[١]	وَادَّكِرِي[٢] وَشْكَ الرَّدَى[٣]
وَأَنَّ مَشْوَاكِ غَدًا[٤]	فِي قَعْرِ لَحْدٍ[٥] بَلْقَعِ[٦]
آهًا لَهُ بَيْتِ الْبِلَى	وَالْمَنْزِلِ الْقَفْرِ الْخَلا
وَمَوْرِدِ السَّفْرِ الأُلَى[٧]	وَاللاَّحِقِ الْمُتَّبِعِ
بَيْتٌ يُرَى مَنْ أُودِعَهْ[٨]	قَدْ ضَمَّهُ وَاسْتُودِعَهْ[٩]
بَعْدَ الْفَضَاءِ وَالسَّعَهْ	قِيدَ ثَلاثِ أَذْرُعِ[١٠]
لا فَرْقَ أَنْ يَحُلَّهُ	دَاهِيَةٌ[١١] أَوْ أَبْلَهُ[١٢]
أَوْ مُعْسِرٌ أَوْ مَنْ لَهُ	مُلْكٌ كَمُلْكِ تُبَّعِ
وَبَعْدَهُ الْعَرْضُ[١٣] الَّذِي	يَحْوِي الْحَيِيَّ[١٤] وَالْبَذِي[١٥]
وَالْمُبْتَدِي وَالْمُحْتَذِي[١٦]	وَمَنْ رَعَى وَمَنْ رُعِي[١٧]
فَيَا مَفَازَ الْمُتَّقِي	وَرِبْحَ عَبْدٍ قَدْ وُقِي[١٨]

---

(١) أي: اسلكي وسيري في طريق الهدى والرشاد.

(٢) أي: تذكري.

(٣) أي: سرعة الهلاك.

(٤) أي: مقركِ بعد الموت.

(٥) هو القبر وهو ما يحفر في جانب على قدر الملحود.

(٦) أي: خال.

(٧) أي: المسافرين المتقدمين يعني أن القبر منزل للمتقدمين والمتأخرين.

(٨) أي: من تُرك فيه.

(٩) أي: قد حواه وصار مودعًا فيه.

(١٠) أي: مكان قدر ثلاث أذرع.

(١١) أي: بليغ في الدهاء مجرب للأمور حاذق.

(١٢) مغفل زائد الغفلة.

(١٣) بالفتح وهو عرض الناس للحساب في الموقف.

(١٤) أي: يجمع ويضم ذا الحياء.

(١٥) ذا الوقاحة المتكلم بفحش الكلام.

(١٦) المتبع للمبتدي الحاذي حذوه.

(١٧) بالبناء للفاعل الرئيس على جماعة وبالبناء للمفعول رعية الراعي.

(١٨) أي: كفي.

سُوءَ الْحِسَابِ الْمُوبِقِ[١] وَهَوْلَ يَوْمِ الْفَزَعِ
وَيَا خَسَارَ مَنْ بَغَى[٢] وَمَنْ تَعَدَّى وَطَغَى[٣]
وَشَبَّ[٤] نِيرَانَ الْوَغَى[٥] لِمَطْعَمٍ أَوْ[٦] مَطْمَعِ[٧]
يَا مَنْ عَلَيْهِ الْمُتَّكَلْ قَدْ زَادَ مَا بِي مِنْ وَجَلْ[٨]
لِمَا اجْتَرَحْتُ[٩] مِنْ زَلَلْ[١٠] فِي عُمْرِيَ الْمُضَيَّعِ[١١]
فَاغْفِرْ لِعَبْدٍ مُجْتَرِمْ[١٢] وَارْحَمْ بُكَاهُ الْمُنْسَجِمْ[١٣]
فَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ رَحِمْ وَخَيْرُ مَدْعُوٍّ دُعِي

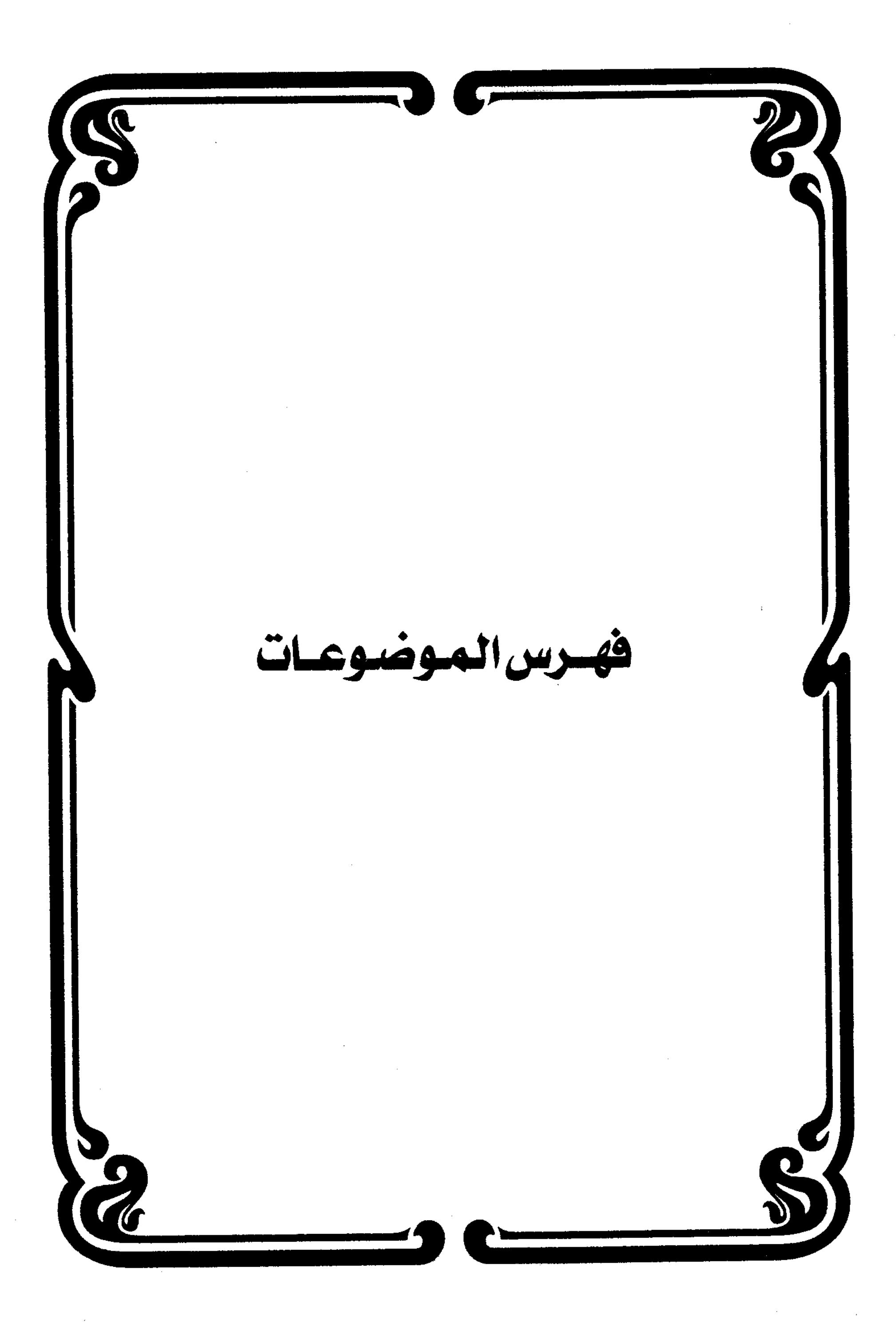
* * *

* ونختم: بما قاله مالك بن دينار عن الحسن:

قال مالك بن دينار: كنا مع الحسن في جنازة، فسمع رجل يقول لآخر: من هذا الميت؟ فقال الحسن: هذا أنا وأنت (رحمك اللَّه)، أنهم محبسون على آخرنا حتى يلحق آخرنا بأولهم[١٤].

* * *

(١) أي: الموقع في الهلاك.
(٢) أي: ظلم.
(٣) أي: تجاوز الحد في بغيه.
(٤) أي: أوقد وألهب.
(٥) هي الحرب.
(٦) أي: لمأكول.
(٧) أي: ما يطمع فيه مطلقًا أعمّ من أن يكون مأكولاً أو غيره.
(٨) أي: من خوف.
(٩) أي: اكتسبت.
(١٠) جمع زلة بفتح الزاي بمعنى الخطأ.
(١١) الذي ضاع وانقضى بلا فائدة.
(١٢) أي: حامل للجرم بالضم وهو الذنب.
(١٣) أي: المنسكب.
(١٤) «سير السلف الصالحين» لقوام السنة الأصبهاني (٣/ ٧٤١). طبع دار الراية.



فهـرس الموضـوعـات



الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الصفحة | الموضــوع

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الصفحة | الموضـــوع

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع الصفحة

* * *

معاذ بن جبل
للكمبيوتر
ت/ ٦٤٣١٣٨٧

التجهيز الفنى: عاطف إبراهيم
تليفون: ٧١٠٣٢٥٨